

المغيبات المستقبلية

في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم
في صحيحي البخاري ومسلم
- دراسة تحليلية -

د. باسم عبد اللطيف عياش

المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية
المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية
المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية المغيبات المستقبلية



KIE Publication

المغيبات المستقبلية

في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في صحيحي
البخاري ومسلم - دراسة تحليلية -

د. باسم عبد اللطيف عياش

بحث قدم للحصول على درجة الدكتوراه في الحديث الشريف من جامعة كاي



٢٠١٩



إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ حَامٍ وَمَا
تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ

اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

سورة لقمان : ٣٤

منشورات كاي

- إن مطبوعات (كتاب الاقتصاد الإسلامي الإلكتروني المجاني) تهدف إلى :
- تبني نشر مؤلفات علوم الاقتصاد الإسلامي في السوق العالمي ؛ لتصبح متاحة للباحثين والمشتغلين في المجالين البحثي والتطبيقي .
 - توفير جميع المناهج الاقتصادية للطلاب والباحثين بصيغة إسلامية متينة .
 - أن النشر الإلكتروني يعتبر أكثر فائدة من النشر الورقي .
 - أن استخدام الورق مسيء للبيئة، ومنهك لمواردها .

والله من وراء القصد .

[رابط](#) زيارة جامعة كاي KIE university

يمكنكم التواصل من خلال : www.kantakji.com

مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية
Islamic Business Researches Center





جامعة كاي

جامعة أونلاين

خيارك الأفضل لدراسة الاقتصاد الإسلامي وعلومه

<https://kie.university>

توضيح

إن كل ما ورد في الكتاب هو حقوق بحثية للمؤلف، ويعتبر ورقة بحثية من الأوراق البحثية لمركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية وجامعة كاي. يسمح باستخدام هذا الكتاب كمنهج أكاديمي (كما هو منشور) مجاناً مع ضرورة المحافظة على حقوق المؤلف.

www.kantakji.com , www.kie.university

إهداء

- إلى من تسمو الأخلاق بوصفه، وتشدو الأرواح بنوره، وتذرف العيون شوقاً
لمحبته، فهو قد حجب بنوره شمس الظلمات المحرقة، وبقمر وجهه آنست أمتنا
ضياء العزة والكرامة، وببحر قيمه رقت مدارج الحضارة، وبسيف حجته وأقواله
قطعت عوائق الظلم والجهالة؛ فنقول لهم "إلا رسول الله"، فيه ظهر النور وبطل
الزور وتوحدت الأمة بالحبور، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.
- إلى من تعهداني طفلاً ورعاني شاباً ولهج لسانها بالدعوة لي بالحماية دوماً...
إلى من كانا نور حياتي وشمسي وقمري مصداقاً لقوله تعالى: **إِذْ قَالَ يُوسُفُ
لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**
(يوسف: ٤)، إلى أبي رحمه الله رحمة واسعة وجمعنا الله وإياه في جنات
النعيم... وإلى مهجة قلبي أمي والتي مهما كتبت لها من عبارات الشكر
والامتنان فلا توجد كلمة تفيها حقها، إليك يا من سهرت وتعبت وربيت
وعلمت من أجلي يا شمعةً أحرقت نفسها من أجل أن تنير دربي ودرب
إخوتي، إنها أمي؛ فالأم كلمة حروفها قليلة لكنها تحوي أكبر معاني الحب
والعطاء والحنان والتضحية، وهي أنهار لا تنضب ولا تجف ولا تتعب، متدفقة
دائماً بالكثير من العطف الذي لا ينتهي؛ فأسال الله عز وجل أن يجعلها ممن
تقول النار يوم القيامة اعبري فإن نورك قد أطفأ لهبي، وتقول لها الجنة أقبلي
فإنني أشتاق للقياك قبل أن أراك، أسال الله أن يعينني على برّها وأن يطيل في

عمرها لأزداد بها براً وأرقى بها قُرباً وأستلم من تحت أقدامها باب الجنة، إن ربي
سميع مجيب .

- إلى شيخي، وسيدي، وحبیب قلبي، إلى من أخذ بيدي إلى معارج العلم إلى
من علمني كيف ألامس السماء بقلبي وأكتم سمعي عن ضوضاء الحياة،
وأرتل القرآن لراحة روحي المتعبة فهي عطشى لكأس الشفاء، إلى من رسم
البسمة على شفتي، إليك يا صاحب الفضل الأول والأخير بعد الله عز وجل في
متابعتي لدراستي ورسالتي، إلى أستاذي وأبي بعد أبي إلى شيخي الشيخ
محمود شيخ صبح .

- إلى أستاذي الحبيب، إليك يا من تعبت معي وأرشدتني إلى الطريق الصحيح،
إلى صاحب الخلق والصبر الجميل، إلى الدكتور سامر مظهر قنطقجي .

- إلى إخوتي في الله، إلى من وقف معي في السراء والضراء إلى أخي عبد السلام
عرفة، ووسيم الصباغ .

- إلى زوجتي الغالية، قرة العين، رفيقة دربي إلى الله، وشريكة مشواري إلى
الجنة، التي وقفت بجانبتي، وشاركتني أفراحي وأحزاني، فقد صدقت فيها
مقولة وراء كل رجلٍ عظيم امرأة، فالله أسأل أن يجمعني معها في الجنة كما
جمعني بها في الدنيا إنه سميع مجيب .

الفهرس

٤	منشورات كاي
٦	توضيح
٧	إهداء
٩	الفهرس
١٥	الفصل التمهيدي
١٥	خطة البحث
١٦	مقدمة
٢٠	أهمية البحث
٢٢	مشكلة البحث
٢٣	منهج البحث
٢٤	الدراسات السابقة
٣٠	الفصل الأول مقدمات في عالم الغيب
٣١	المبحث الأول مفاهيم علم الغيب
٣١	بيان معنى الغيب لغة واصطلاحاً
٣٣	عالم الغيب وعالم الشهادة
٣٥	علم النبي صلى الله عليه وسلم للغيب والرد على من أنكر ذلك
٤٠	تقريب حقائق الغيبات إلى الأذهان لإمكانية الفهم
٤٦	المبحث الثاني أهمية الإيمان بالغيب وباليوم الآخر
	الفصل الأول أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الغيبية التي ظهرت من عهد آدم إلى بعثته صلى الله عليه وسلم
٥٢	المبحث الأول بداية الخلق
٥٤	مراحل خلق الإنسان وخلق آدم عليه السلام
٥٧	خلق آدم عليه السلام
٦٢	المبحث الثاني إبراهيم عليه السلام
٦٣	الإخبار عن والد نبي الله إبراهيم عليه السلام وفضائل إبراهيم عليه السلام
٦٥	إبراهيم عليه السلام والكذبات الثلاثة
٦٩	اسماعيل عليه السلام وهو وليد
٧٤	المبحث الثالث أيوب وموسى والخضر عليهم السلام
٧٤	أيوب والجراد
٧٦	موسى مع ملك الموت عليهما السلام

٧٨موسى مع الخضر عليهما السلام.
٨٣الخضر والغلام.
٨٥آدم وموسى عليهما السلام.
٨٨المبحث الرابع سليمان عليه السلام
٨٨سليمان عليه السلام مع نسائه.
٩٠سليمان عليه السلام والمرأتان.
٩٢المبحث الخامس زكريا وعيسى وداود عليهم السلام
٩٢زكريا عليه السلام.
٩٤عيسى عليه السلام.
٩٥عيسى عليه السلام والسارق.
٩٧صيام داود عليه السلام.
١٠١المبحث السادس أحداث بني إسرائيل
١٠١النبي الذي أحرق قرية النمل.
١٠٥الثلاثة من بني إسرائيل.
١٠٩مسح أمة من بني إسرائيل فأرة.
١١١حديث نبي من أنبياء الله عن الغلول.
١١٣البقرة والذئب.
١١٦البيغي التي سقت كلباً.
١١٩زيارة الأخ في الله.
١٢١قصة جريج.
١٢٣أول فتنة بني إسرائيل.
١٢٥الرجل الذي طلب أن يحرق بعد موته.
١٢٨الرجل الذي قتل تسعة وتسعين رجلاً.
١٣١الرجل الذي يتقلب في الجنة.
١٣٣المبحث السابع الكهنة والكهانة
١٣٣الكهنة.
١٣٦المبحث الثامن هلاك الأقوام
١٣٦مرور النبي صلى الله عليه وسلم بأرض ثمود.
١٣٨أصحاب الأخدود.
١٤٣هلاك قوم عاد.
١٤٦الفصل الثاني أحاديث غيبية ظهرت وانتهت وأخرى لم تنته بعد
١٥٣المبحث الأول الغيب
١٥٣الإخبار ببعض المغيبات.
١٥٦المبحث الثاني غيبات الإسراء والمعراج
١٥٦الإسراء والمعراج.

١٦٢	وصف بيت المقدس.....
١٦٤	رؤية جبريل عليه السلام.....
١٦٦	وصف النبي صلى الله عليه وسلم لربه بأنه نور.....
١٦٩	رؤية الله عز وجل بالجنة.....
١٧٣	المبحث الثالث أحوال الميت
١٧٣	إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن نهاية أعمار قرنه.....
١٧٥	خروج الروح من الجسد إلى عرض المقام في القبر.....
١٨٠	العبد يعذب بكاء أهله.....
١٨٣	من حوسب عذب.....
١٨٥	عذاب القبر وفتنته.....
١٩٢	المبحث الرابع الشهادة والشهداء
١٩٢	الشهادة في سبيل الله.....
١٩٧	بشارة النبي صلى الله عليه وسلم لعمر ولعثمان بالشهادة وبالجنة.....
٢٠٢	أرواح الشهداء في الجنة والذي قاتل رياء أو ليسرق.....
٢٠٩	انظار المعسر.....
٢١٣	المبحث الخامس بشائر النبي صلى الله عليه وسلم
٢١٣	هلاك كسرى.....
٢١٤	بشارة النبي لأمته.....
٢١٦	تبشير السيدة فاطمة عليها السلام.....
٢١٨	بشارته صلى الله عليه وسلم لسبطه الحسن بن علي رضي الله عنهما.....
٢٢١	بشارته صلى الله عليه وسلم للسيدة زينب عليها السلام بالكرم والجود.....
٢٢٢	بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بفضل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.....
٢٢٤	بشائر النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بإخراج اليهود من خيبر وأنه من أهل الجنة.....
٢٢٧	بشرى النبي صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه بالفتح.....
٢٢٩	بشرى النبي صلى الله عليه وسلم لطلحة والزبير رضي الله عنهما.....
٢٣١	اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ رضي الله عنه.....
٢٣٢	تظليل الملائكة لعبد الله بن عمرو بن حرام.....
٢٣٤	بشرى النبي صلى الله عليه وسلم لأنس رضي الله عنه بالولد.....
٢٣٥	بشرى النبي لعبد الله بن سلام بحسن الخاتمة.....
٢٣٨	بشرى النبي لأبي هريرة رضي عنه بمحبة الناس له وبعدم النسيان.....
٢٤١	المرأة التي أخفت الرسالة وبشارة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل بدر.....
٢٤٤	بشرى النبي صلى الله عليه وسلم للناس بدخول الجنة.....
٢٤٦	البشارة بفضل ماء زمزم.....
٢٥٢	البشارة بفضل يوم الجمعة.....
٢٥٥	بشائر الرؤية الصالحة في آخر الزمان.....
٢٥٧	ستر الله للعبد في الدنيا والآخرة.....

٢٦١	المبحث السادس تحذيرات النبي صلى الله عليه وسلم من بعض الفتن
٢٦١	مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه.....
٢٦٣	تقيء الأرض أفلاد أكبادها.....
٢٦٥	وجوب ملازمة الجماعة والتحذير من تركها.....
٢٦٩	الخوف من الصلاة الجهرية.....
٢٧٠	التحذير من فعل الشيطان بالنائم.....
٢٧٢	التحذير من وساوس الشيطان.....
٢٧٦	التحذير من مكائد الشيطان وتخريبه للعلاقة بين الزوجين.....
٢٨٠	حديث النبي صلى الله عليه وسلم مع الجني والتحذير منهم.....
٢٨٣	تحذير النبي صلى الله عليه وسلم للأمة بعدم القنوط واستعجال النصر.....
٢٨٦	التحذير من الدنيا وقتنها.....
٢٨٩	المبحث السابع مقادير الخلق
٢٨٩	تقدير الله للمقادير والآجال.....
٢٩٥	كل مولود يولد على الفطرة.....
٢٩٧	المبحث الثامن عيادة المريض والرحم وتحريم الظلم
٢٩٧	عيادة المريض.....
٢٩٩	الرحم.....
٣٠٣	تحريم الظلم.....
٣٠٨	المبحث التاسع المحبة في الله تقتضي حسن الظن بالله
٣٠٨	الخصام ضد المحبة.....
٣١٠	المتحابون بجلال الله.....
٣١٣	إذا أحب الله عبداً.....
٣١٧	حسن الظن بالله.....
٣٢٠	المبحث العاشر أحاديث فتح البلاد والفتن
٣٢١	فتح اليمن والشام والعراق.....
٣٢٣	فتح مصر.....
٣٢٥	ذكر النبي صلى الله عليه وسلم للفتن المستقبلية.....
٣٢٩	الفتن تكون من المشرق (نجد والعراق).....
٣٣٢	الذين يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم (الخوارج).....
٣٣٦	اقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين.....
٣٣٨	ولادة الأمة لربتها والتطاول في البنيان.....
٣٤٢	عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً.....
٣٤٦	نساء كاسيات عاريات وسياط كأذناب البقر.....
٣٤٧	رفع العلم وانتشار الجهل.....
٣٥٠	أكل الحرام (الربا).....
٣٥٢	شرب الخمر وتسميتها بغير اسمها وظهور الزنا وانتشاره.....

٣٥٥	ضياح الأمانة.....
٣٥٨	كثرة القتل.....
٣٦٠	كثرة النساء وقلة الرجال.....
٣٦٢	لبس الحرير.....
٣٦٣	قتال الترك.....
٣٦٧	قتال العجم.....
٣٦٨	عودة الإسلام غريباً كما بدأ غريباً.....
٣٦٩	ستكون أمراء.....
٣٧٣	الخير الذي فيه دخن.....
٣٧٥	اتباع سنن من كان قبلنا.....
٣٧٧	القاعد خير من القائم أيام الفتن.....
٣٧٨	تمني رؤية النبي صلى الله عليه وسلم.....
٣٨٠	فتح فارس والروم.....
٣٨٢	تقارب الزمان.....
٣٨٣	استدارة الزمان.....
٣٨٧	انتشار الشرك في الأمة.....
٣٨٩	انتشار الشح (البخل).....
٣٩٠	تمني الرجل للموت لكثرة الفتن.....
٣٩٢	تحريم حرق الإنسان بالنار.....
٣٩٤	محاصرة العراق وبلاد الشام ومصر.....
٤٠٢	الفصل الثالث أحاديث غيبية لم تظهر ولكن لأبد من ظهورها وتحققها
٤٠٤	المبحث الأول الأمة المحمدية والساعة
٤٠٤	عمر أمة الإسلام ومدة بقائها.....
٤٠٧	المبحث الثاني فضل العبادة في الهرج
٤٠٩	المبحث الثالث الإمارة لا تكون إلا في قريش
٤١١	المبحث الرابع حفظ الدين بظهور المهدي وظهور الجهاد والقحطاني وفتح القسطنطينية
٤١٢	١ - المهدي.....
٤٢٢	٢ - الجهاد.....
٤٢٣	٣ - القحطاني.....
٤٢٤	٤ - فتح القسطنطينية.....
	المبحث الخامس التحذير من الدجالين ومنهم الأعور الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقاتل اليهود
٤٢٨	وخروج يأجوج ومأجوج ثم دابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها
٤٢٩	المسيح الدجال وصفاته.....
٤٣٧	فتنة الدجال.....
٤٣٩	نزول عيسى عليه السلام من السماء وقتله للدجال.....

٤٤٤	قتال اليهود.....
٤٤٧	يأجوج ومأجوج.....
٤٥٤	دابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها.....
	المبحث السادس الخسف والدخان والنار التي تحشر الناس وموت أهل الإيمان بريح طيبة وقيام الساعة
٤٦١	
٤٦١	الخسف والدخان.....
٤٦٣	النار التي تحشر الناس وموت أهل الإيمان بريح طيبة وقيام الساعة.....
٤٧٠	المبحث السابع أرض المحشر؛ صفتها وأحوال الخلائق فيها ودخول الناس إما إلى النار وإما إلى الجنة.....
٤٧٢	أحوال الخلائق في أرض المحشر.....
٤٨٨	دخول أهل النار إلى النار.....
٥٠٧	دخول أهل الجنة إلى الجنة.....
٥٢٠	حجم الجنة وأسواقها وريحها وأشجارها وثمارها وظلالها وخيامها وأنهارها.....
٥٣١	الخاتمة
٥٣٤	النتائج
٥٣٧	التوصيات
٥٣٨	فهرس الآيات
٥٧١	فهرس الأحاديث
٥٩١	فهرس المراجع

الفصل التمهيدي

أحمدُ الله حمداً كثيراً كما أمر وأصلي وأسلم على سيد الخلق والبشر ما اتصلت عين بنظر ووعت أذن بخبر وسلم تسليماً كثيراً وبعد .

إن الإيمان بالأمور الغيبية التي ذكرتها أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان منها وما يكون وما سيكون، يندرج تحت ركن الإيمان باليوم الآخر، والحديث عن هذا الموضوع إنما هو للتذكير بنهاية العالم، والاستعداد لليوم الآخر، لاسيما وقد غفل كثير من الناس عن تذكر الآخرة؛ لذلك فإنني سأتناول في بحثي ما يتعلق بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الغيبية في الماضي والحاضر والمستقبل، وإنزالها إلى الواقع الذي نعيشه للفت النظر ولتحذير الناس؛ ليتأهبوا لتلك العقبات الشديدة التي يواجهونها والتي سيواجهونها، وليكون بحثي بإذن الله دواءً، وبلسماً شافياً لكل ما تتعرض إليه الأمة من فتن ولأواء تضعفها، فهذه هي الصورة المشرقة لعلامات الساعة، ومن هنا تبرز أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

خطة البحث

وضعت خطة هذا البحث من مقدمة عامة "والتي ستشتمل على أهمية البحث وسبب اختياره وأهدافه والمنهج التفصيلي للبحث والدراسات السابقة". وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة وأخيراً الفهارس.

مقدمة

بسم الله وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، نحمده سبحانه وتعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، روى مسلم بن يسار¹ رضي الله عنه أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَاهُمْ لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ"²، وهكذا صار الخوض في الأمور الغيبية التي ذكرها لنا النبي صلى الله عليه وسلم منذ أكثر من ١٤٤٠ عامًا؛ كلاً مباحاً يتناوله كل من هب ودب، فأفرز مجازفات في تحديد موعد قيام الساعة، وشطحات تقشعر منها الجلود، وخاصة لاعتماد الخائضين في هذا البحر على مرويات شاذة غريبة³، وآثار مهجورة من الأحاديث الضعيفة⁴ والموضوعة⁵ والإسرائيليات⁶.

1 مسلم بن يسار: القدوة، الفقيه، الزاهد، أبو عبد الله البصري، مولى بني أمية، وقيل: مولى بني تميم من موالى طلحة رضي الله عنه. روى عن عبادة بن الصامت ولم يلقه، وعن ابن عباس، وابن عمر، وأبيه يسار، وعن أبي الأشعث الصنعاني، وغيرهم. حدث عنه محمد بن سيرين - وهو من طبقتة - وقتادة، وثابت البناني، وأيوب السخيتاني، ومحمد بن واسع، وآخرون.

2 صحيح مسلم، مقدمة الإمام مسلم، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها (١/١٧).

3 الشاذ: فهو تفرد الثقة، مخالفاً الأوثق، أو جماعة الثقات، شرح البيهقي، باب المقدمة، (٢/٨٠).

4 الضعيف: الضعيف هو ما لم تجتمع فيه صفات القبول.

5 الموضوع: هو الكذب المخلوق المصنوع، أي انه المكذوب المفترى المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوراً وبهتاناً.

6 الإسرائيليات: هي الأحاديث الموضوعة المنقولة من التوراة والإنجيل.

لذا سأحاول جاهداً الحديث عن الغيبيات التي حدثنا عنها النبي صلى الله عليه وسلم والمدونة بصحيح البخاري ومسلم، والتي ستكون من عهد آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، محاولاً بيان ما علق بالأذهان من شطحات ومجازفات¹ وخصوصاً في هذا الزمان، حيث تكلم فيه الرويضة، والذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بالرجل التافه في أمر العامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيَكْذَبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَخُونُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرَّوْبِضَةُ، قِيلَ: وَمَا الرَّوْبِضَةُ؟ قَالَ: السَّفِيهَةُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ"² ومن لا علم له، فأتى بالأعاجيب، وكثر اللغط والعبث بالغيبيات، وخرجت علينا المطابع بعشرات الكتب والمقالات، التي تتحدث عن الغيبيات من غير دليل صحيح، هذا وتكمن أهمية معرفة هذه الغيبيات، بأهمية الإيمان باليوم الآخر. لذلك فإن الإيمان بالغيبيات الصحيحة الثابتة، جزء لا يتجزأ من الإيمان باليوم الآخر، والذي هو الآخر جزء لا يتجزأ من الإيمان بالغيب، ولا سيما بعد ابتعاد الناس عن تذكر الآخرة والاشتغال بالدنيا وملذاتها، وكلما ازداد الإنسان يقيناً باليوم الآخر، زاد إيمانه، وحرص على الأعمال الصالحة، وابتعد عن الأعمال السيئة، واستعد لهذا اليوم العظيم بما يحبه الله عز وجل، وهذا من أعظم آثار الإيمان باليوم الآخر على الإنسان،

1 أي توقعات حسابية بناء على حساب عدد السور والآيات في القرآن الكريم لمعرفة متى نهاية العالم (مثلاً)

2 مسند الإمام أحمد بن حنبل، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٢/٢٩١)

ففي الأحاديث الغيبية المحسوسة التي تظهر ويراهها الناس بأعينهم كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، ما يعيد كثيراً من العصاة إلى ربهم، ويوقظهم من غفلتهم . هنا تظهر أهمية الكتابة في هذا الموضوع لحاجة الناس لمعرفة الغيبات من الأحداث؛ خاصة في هذا العصر، لعل ذلك يساهم في توجيه سلوكهم إلى سبيل الخير، والاستعداد ليوم القيامة، فيوم القيامة هو يوم الحساب الذي تقوم فيه جميع الخلائق منذ نشأة الكون من قبورها، وتتقدم ليحاسبها الله تعالى على ما عملت في حياتها الدنيا، وهذا من عدله عز وجل، فالمظلوم سيأخذ حقه من ظالمه، ومن عمل صالحاً يكافأ على عمله الصالح، ويعاقب من كان ظالماً أو عاصياً أو كافراً.

ولقد أخفى الله عن الناس كثيراً من الأمور كانتهاء الآجال، واليوم الآخر، ليجتهدوا في أعمالهم، ولكن من فضله سبحانه وتعالى أن جعل هناك علامات ودلالات تشير إلى قرب موعد هذا اليوم، منها ما ظهر منذ زمن، وبعضها ما زال يظهر في وقتنا الحالي، وبعضها لم يظهر إلى الآن .

إن من المهم جداً فهم الإطار الأشمل للحياة والوجود، ومفهوم الغيب والشهود في الإسلام هو الذي يحدد معنى الوجود وعلاقة ذلك بما وراء الحياة والمادة، فعالم الغيب يختص به الله عز وجل وحده، يوحى بما يشاء لمن يشاء من رسله هداية للأمم، وإن من أهم مبادئ عالم الغيب ومعانيه أن الوجود لم يخلق عبثاً، فقد قال تعالى في كتابه العزيز: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) (المؤمنون: ١١٥)، وأن له غاية أخلاقية خيرة من خلال علاقات أزلية لا تدركها طاقة العقل الإنساني .

إن من أهم معطيات عالم الغيب الإنساني هو وجود الله الواحد الأحد، الذي خلق الدنيا والآخرة، وخلق الإنسان ووهبه إرادته وحرية قراره إلى الخير والشر، والهدى والضلال، حين وهبه العقل وكرمه، فقال سبحانه وتعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء: ٧٠) وجعل له مركز الخلافة في الأرض متقدماً على كافة الكائنات التي سخرها الله له، فقال سبحانه وتعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٣٠)، وفطر الأحياء جميعاً على سنن وأسباب تستلزم الإرادة والعزم لبلوغ هذه الأسباب وتحقيق الغايات، وهذه هي مسؤولية الإنسان المؤمن لأداء الأمانة والقيام بمسؤولية الخلافة والإعمار والعمل في الأرض، متوكلاً على الله إيماناً وثقة بحكمته وعدالته ورحمته، ومؤملاً الإنسان لهذه الخلافة هو العلم، والعقل أداة العلم ووسيلته في عالم الشهادة على هذه الأرض، والوحي هو المصدر الإلهي الذي يمد الإنسان بحاجته من علم بشؤون الغيب وغاياته وعلاقة الإنسان بهذه الغايات، وبهذا المفهوم يتكامل الوحي والعقل لتحديد موقع الإنسان في عالم الغيب والشهادة، وتمكين وجوده وسعيه من تحقيق الغاية منهما في عالم الشهادة، ولا مجال في الرؤية الإسلامية لتعارض الوحي والعقل والكون، والسعي والإذعان لما جاء به الوحي من الحق الذي يميز بين العقل والعلم الصالح، والعقل والعلم الفاسد؛ إن العقل المسلم لكي يسترد عافيته عليه أن يستعيد رؤيته الإسلامية الكاملة المبنية على التوحيد والوحدانية، لتسخيره لصالح الإنسان.

اقتضت طبيعة الدراسة أن تشتمل خطة البحث على المقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة، وتضمن كل فصل عدد من المباحث باستثناء الفصل التمهيدي، هذه الفصول كالتالي: فصل تمهيدي وفصل أول عن مقدمات في عالم الغيب ثم باقي الفصول عن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الغيبية التي ظهرت من عهد آدم عليه السلام مروراً ببعثته صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، ثم الخاتمة. وأخيراً أرجو الله سبحانه وتعالى بالشثناء والحمد على ما أولانيه من فضل واسع، وعون سابغ، إتمام هذه الرسالة، راجياً منه تعالى أن يهدينا جميعاً إلى إخلاص النية له، وأن يتقبل أعمالنا خالصة لوجه الكريم، وأن يكفر به من سيئاتنا، إنه نعم المولى ونعم المجيب.

أهمية البحث

١. إن من أهم مجالات الدراسة التي اعتنى بها المسلمون في القديم والحديث هي أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم؛ فاعتنوا بتسجيل أحداثها والبحث في مدلولاتها ومفهومها وفوائدها، ولأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وخاصة المستقبلية مكانه عظيمة في عالم الغيب فهي الإسقاط الزمني والترجمة العملية للقرآن الكريم.

٢. تظهر أهمية البحث أيضاً بأن الله عز وجل قد اختص نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبعثه رحمة للعالمين وهادياً للحق ومبشراً ونذيراً، فقال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ^ط وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف: ١٠٨)؛ لذلك لا بد من دراسة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم

وسيرته لمعرفة هذه السبل فهي زاخرة بالأحداث المستقبلية وغنية بالعظات والدلائل حيث يتعرف من خلالها الباحث والقارئ على بعض مما كان وما سيكون إلى قيام الساعة .

سبب اختيار البحث :

إنّ رياح الضعف واليأس قد عصفت بهذه الأمة، ولن يصلح حالها ويعيد لها عزها وكرامتها إلا إذا فهم المستقبل ومتطلباته، ولا يمكن تحقيق هذا الشرط بدون دراسة الماضي ومقارنته مع الحاضر، فهذا الفهم يساعدنا على تجنب الأخطاء والمطبات التي من الممكن أن نقع بها في المستقبل القريب أو البعيد، وهذا النجاح لا يمكن أن يتم دون التخطيط والاطلاع على الأمور المستقبلية والمتوقعة وترغيب المسلمين بالتوجه نحو علم هام وهو علم السنة النبوية وخاصة الغيبية منها لأن عقائد الإسلام مرتبطة بالإيمان بالغيبات وله أثر على المؤمن وسبب قوي في التزامه العقائدي والتعبدي والسلوكي، وهذا البحث يفيد في مواجهة العالم الافتراضي والخيال العلمي الموجه للهيمنة على الشعوب والمجتمعات لا سيما في العالم الإسلامي . وهذا ما دفعني إلى الكتابة والبحث في موضوع الأحاديث الغيبة للنبي صلى الله عليه وسلم، لعلي أحظى بقبول شفاعته صلى الله عليه وسلم، وذلك من خلال اجتهادي في معرفة أغوار المستقبل وتحليل الواقع للنهوض بالأمة من واقعها المزري إلى صحوة أرجو أن أكون واحداً من هؤلاء الذين كانوا سبب في إيقاظ الأمة من رقادها .

مشكلة البحث

دأب الناس منذ القدم إلى قراءة المستقبل ليتبينوا ما فيه وما ينتظرهم من مخاطر، واعتاد الزعماء والقادة اللجوء إلى العرافين والكهنة - وما زالوا - ليديروا أمور حكمهم وسير أحوال أعدائهم، وبلغ بهم الحال إلى اتخاذ قرارات على هذه الرؤى. فهل يصح رسم استراتيجيات الأمم والبلدان على ذلك؟ دعا ذلك الباحث للتفكير ملياً في هذه السلوكيات والبحث عن تصحيح لها وتقديم حلول علمية بدل ذلك الجهل.

ولما كانت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم احتوت الكثير من الغيبات، فيها فرص يجب على الأمة وقادتها اغتنامها، وفيها تهديدات عليهم الاستعداد لها والتنبه لآثارها؛ ورغم كثرة الأخبار الغيبية فجميعها صادق كل الصدق فيما حدث منها، وكذلك هو الحال فيما سيحدث لأنه نبي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم.

وبعد الاطلاع على بعض الدراسات التي كتبت في الأحاديث التي تذكر بمستقبل الكون والإنسان وجدت أن هذه الدراسات تناولت الأحاديث الغيبية المستقبلية بشكل عام وبعضها جمع الكثير مما يصح وما لم يصح، والقليل الذي اقتصر على الصحيح منها، وأن هذه الدراسات لم تناول الأحاديث المستقبلية أو تدرسها دراسة تحليلية متكاملة تجمعها في مصنف واحد يسهل للسائرين في هذه الحياة من المسلمين تناولها والوقوف على أحداثها المستقبلية وفوائدها، ولذلك وبعد الاستشارة والاستشارة عقدت العزم على ما يلي:

١. دراسة وتحليل أحاديث المغيبات المستقبلية وعرضها لاستخلاص الدروس والعبر والإسهام في رفع الضعف والذل والهوان عن الأمة من خلالها.

٢. الإمام بكل ما يتعلق بالغيبيات الماضية والحاضرة والمستقبلية بشكل مبسط .

٣. إثراء المكتبة الإسلامية بهذا البحث .

٤. إبراز الصلة الوثيقة بين الإيمان بالغيبيات وبين النهوض بالفرد والمجتمع لإقامة

السلوك الصحيح على الاعتقاد الصحيح .

منهج البحث

سأتبع المنهج الاستقرائي القائم على ذكر الأحداث المتعلقة بالأمر الغيبية والتي كانت وتكون وستكون إلى يوم القيامة وكذلك استقراء الأحداث التي ذكرت أحداثها في الماضي لجمع المعلومات والحقائق ثم استخراج الدروس عن طريق التحليل والاستدلال .

كما سألتزم في عملي بالآتي :

١. سأقوم بعزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها .
٢. سأقوم بترتيب الأحداث حسب الأبواب المناسبة، وتخريجها والآثار من مظانها والحكم عليها إن أمكن ..
٣. سأقوم بترقيم الأحداث بالتسلسل في الرسالة حتى يسهل الرجوع إليها من خلال الفهارس .
٤. سأقوم ببيان المعاني الغريبة وذلك بالرجوع إلى المعاجم اللغوية وشروح السنة النبوية والإحالات للكتب التي رجعت إليها .
٥. الحرص على التأهيل العلمي للمادة بالأدلة الشرعية من قرآن وسنة مطهرة وضبط الاستدلال بالسنة من شروح صحيح البخاري ومسلم .

٦. سألتم بالرسم العثماني للنصوص القرآنية .
٧. نظراً لأهمية الموضوع فقد كتب وألف فيه العديد من الكتب والمؤلفات قديماً وحديثاً وقد حصلت بالاستعانة بالمؤلفات القيمة التي كتبت في هذا المضمار وبذل الجهد لجمع ما كتب فيها من اجتهادات في دراسة الحديث ومن ثم صياغتها بأسلوب علمي يتفق مع الواقع .
٨. سأعمل على ذكر الأحاديث طبقاً لتسلسلها التاريخي .
٩. سأعمل على ذكر المعلومات الطباعية المتعلقة بكل مرجع عند ذكره أول مرة ثم أكتفى بذكر الكتاب فقط عند تكراره .
١٠. الإحالة إلى كتب المعاجم اللغوية إلى الجزء والصفحة مع الحرص على الاختصار دون التصرف وبذكر المرجع فقط .
١١. سأفصل بين الفقرة والآخر بخط عرضي لأخرج الرسالة بثوب جديد في المظهر والمضمون .

الدراسات السابقة

- ١- أشرطة الساعة (د: يوسف الوابل) لنيل رسالة الماجستير من جامعة أم القرى - كلية الشريعة - فرع العقيدة .
- وقد تحدث الباحث عن أشرطة الساعة وإنها تقسم إلى شرطين: صغرى وكبرى، وقد بدأها بموته صلى الله عليه وسلم وانتهاءً بظهور النار التي تحشر الناس والتي تكون في آخر الزمان .

٢- أحاديث أشرطة الساعة وفقهها دراسة تأصيلية (محمد بن غيث بن غيث)
لنيل درجة الدكتوراه من جامعة محمد الخامس بالمملكة المغربية، كلية الآداب
والعلوم الإنسانية بالرباط.

تحدث الباحث فيها عن أشرطة الساعة والتي بدأها ببعثته صلى الله عليه وسلم وقد
قسّم أشرطة الساعة إلى قسمين: صغرى وكبرى وقد أسهب الباحث في الحديث
عن أشرطةها.

٣- الصور البيانية في أحاديث الغيب (أ. جواهر محمد الزهراني) لنيل رسالة
الماجستير من جامعة أم القرى - كلية الشريعة

تحدثت فيها الباحثة عن الصور البيانية في أحاديث الغيب، والذي جمعت فيه
الجانبين البلاغي، والموضوعي فتحدثت عن بدء منذرات الساعة في الظهور، وعن
الأمانة في آخر الزمان، واقتراب الوعد الأخروي، ونزول أولى آياته، ثم بدأت بذكر
الغيبيات من أهوال العرض يوم القيامة إلى دخول الجنة والنار.

٤- الإشارات الفقهية في فتن أشرطة الساعة الكبرى (أ. نبيل منصور عابد)
لنيل رسالة الماجستير في الفقه المقارن بكلية الشريعة الإسلامية بغزة.

تناول الباحث في رسالته أحاديث الفتن في أشرطة الساعة الكبرى من منظور فقهي
عملي، وليس من منظور عقدي خبري فقد غاص الباحث في أعماق النصوص
الشرعية، واستخرج الإشارات الفقهية، ثم قام بإظهارها في مسائل فقهية مستقلة
مع توجيه الاجتهادات لها والترجيح فيما بينها.

٥- الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم (أ. عمر أبو ليل) لنيل رسالة الماجستير بأصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية بنابلس.

تناول الباحث في رسالته الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، مع ذكر مواقف العلماء من الإعجاز الغيبي، وذكر الأمور الغيبية التي ذكرت في القرآن الكريم، وركز على الإعجاز الغيبي بالإخبار عن الماضي

٦- الدجال في السنة المشرفة (أ. طارق يوسف) لنيل رسالة الماجستير بأصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية بنابلس.

تحدث الباحث في رسالته عن الدجال، وما صح من خبره، وما يحدث من هذه الفتنة بشكل موسع، ثم ذكر كتاب المهدي للدجال، ونزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان.

٧- الملاحم وأشراط الساعة المتعلقة بالشام بين اليهودية والإسلام (أ. عماد الدين البراوي). لنيل رسالة الماجستير الجامعة الإسلامية كلية أصول الدين بغزة.

تحدث الباحث في رسالته عن خصوصية الشام وأنها قلب الأمة منذ قديم الزمان حتى نهايته ثم ذكر كيد الصهاينة بأهل الشام ابتداءً من فلسطين وانتهاءً بسورية ثم ذكر بأن الشام أرض الرباط والجهاد إلى يوم الساعة ثم ذكر الدجال والمهدي ونزول عيسى عليه السلام.

ومن ثم فإن كل ما ذكر في الرسائل السابقة لم يتناول الحديث عن إخبار النبي صلى الله عليه وسلم للغيبات قبل بعثته صلى الله عليه وسلم، أو لم يتناول العديد مما يقع الآن من فتنٍ؛ وعليه فإنني سأتناول في بحثه ما تم إغفاله في الرسائل السابقة .

الفصل الأول : مقدمات في عالم الغيب

المبحث الأول مفاهيم علم الغيب

المبحث الثاني : أهمية الإيمان بالغيب وباليوم الآخر

الفصل الثاني : أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الغيبية

المبحث الأول : أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الغيبية التي ظهرت من عهد آدم عليه السلام إلى بعثته صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثاني : بداية الخلق

المبحث الثالث : إبراهيم عليه السلام

المبحث الرابع : أيوب وموسى والخضر عليهم السلام

المبحث الخامس : سليمان عليه السلام

المبحث السادس : زكريا وعيسى عليهم السلام

المبحث السابع : أحداث بني إسرائيل

المبحث الثامن : الكهنة والكهانة

المبحث التاسع : هلاك الأقوام

الفصل الثاني أحاديث غيبية ظهرت في عهده صلى الله عليه وسلم وانتهت

وأحاديث ظهرت ولم تنته إلى زماننا

المبحث الأول غيبيات الإسراء والمعراج

المبحث الثاني أحوال الميت

المبحث الثالث الشهادة والشهداء

المبحث الرابع بشائر النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الخامس تحذيرات النبي صلى الله عليه وسلم من بعض الفتن

المبحث السادس مقادير الخلق

المبحث السابع عيادة المريض والرحم وتحريم الظلم

المبحث الثامن المحبة في الله تقتضي حسن الظن بالله

المبحث التاسع أحاديث فتح البلاد والفتن

الفصل الثالث أحاديث غيبية لم تظهر ولكن لا بد من ظهورها وتحققها

المبحث الأول الأمة الحمديّة والساعة

المبحث الثاني فضل العبادة في المهرج

المبحث الثالث الإمارة لا تكون إلا في قريش

المبحث الرابع حفظ الدين بظهور المهدي وظهور الجهجاه والقحطاني وفتح القسطنطينية

المبحث الخامس التحذير من الدجالين ومنهم الأعور الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتال

اليهود وخروج يأجوج ومأجوج ثم دابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها

المبحث السادس الخسف والدخان والنار التي تحشر الناس وموت أهل الإيمان بريح طيبة وقيام

الساعة

المبحث السابع أرض المحشر؛ صفتها وأحوال الخلائق فيها ودخول الناس إما إلى النار وإما إلى

الجنة

الخاتمة

الفهارس

الفصل الأول

مقدمات في عالم الغيب

سأعرض في هذا الفصل بيان معنى الغيب لغة واصطلاحاً، وأن العالم على قسمين: عالم غيبي، وعالم شهودي، وسأبحث فيما اطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من علوم الغيب عن الله تعالى مع ذكر الأدلة وأقوال العلماء وأقوال المخالفين والرد على من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب. ثم سأقوم بتقريب حقائق الغيبات إلى الأذهان لإمكانية الفهم.

المبحث الأول

مفاهيم علم الغيب

لابد من توضيح المفاهيم الأساسية التي سيقوم عليها البحث من معنى وأقسام وحقائق، وذلك لتقريب المفاهيم للأذهان لفهم علم الغيب.

بيان معنى الغيب لغة واصطلاحاً

تعريف الغيب في اللغة:

الغيبى من الغيب، ويأتي بمعنى الاستتار عن الحواس، قال تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) (البقرة: ٣) الغيب كل ما أمرت بالإيمان به مما غاب عن بصرك، وذلك مثل الملائكة، والجنة، والنار، والصراط، ونحوها¹ أي يؤمنون بما غاب عنهم، مما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من أمر البعث والجنة والنار. وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به².

ويأتي بمعنى الاستتار عن العيون، والغيب مصدر غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن العين³، ويقال: سمعت صوتاً من وراء الغيب، أي من موضع لا أراه،

¹ السمعاني، أبو مظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت: ٥٤٨٩هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، (١٨٤١٨ هـ - ١٩٩٧م) ١/٤٣.

² انظر لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، (ت: ٥٧١١هـ) دار صادر - بيروت، (١، ٥١٤١٤ - ١٩٩٣) (١/٦٥٤).

³ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ) الحسين بن محمد بن عبد الفضل، دار المعرفة. لبنان، (١/٣٦٦ - ٣٦٧).

وهو كل ما غاب عن العيون، سواء كان محصلاً في القلوب أو غير محصل، وغاب عني الأمر غيباً¹.

– ومنه غياب الرجل عن بلده أو عن زوجته، وغيابة الأرض، أي استتارها من العيون، فيقال: غابت الشمس تغيب غيبة وغيوباً وغيباً. وغاب الرجل عن بلده. وأغابت المرأة فهي مغيبة، إذا غاب بعلمها. ووقعنا في غيبة وغيابة، أي هبطت من الأرض يغاب فيها².

وفي قول الله تعالى في سورة يوسف (وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ) (يوسف: ١٠) أي في مكان غائر في الأرض بعيد عن العيون. وإنما ذكرت الغيبة مع الجب دلالة على أن المشير أشار بطرحه في موضع مظلم من الجب لا يلحقه نظر الناظرين³؛ ويظهر أن كل المعاني السابقة له تعود إلى الاستتار والخفاء، سواء كان عن الحواس كيوم القيامة والملائكة ونحوهما، أو الأعين كالشمس.

تعريف الغيب اصطلاحاً:

الغيب في الاصطلاح الشرعي استعمل استعمالات عديدة حسب ما ورد مادته في الكتاب أو السنة، فمن العلماء من استعمله على عموم أصله اللغوي في الدلالة على كل ما غاب عن الحاسة⁴؛ فشمّل بذلك مع ما تعبّدنا الله تعالى بالإيمان به

1 نظر، معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الفكر، (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) (١/٦٥٤)

2 مرجع سابق (٤/٤٠٣).

3 الرازي (ت: ٥٠٦ هـ)، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٢ م)، ١٨/٧٧

4 ينظر: "المفردات في غريب القرآن" للأصفهاني: ٦١٦

أموراً دنيوية كثيرة غائبة عن حواس الإنسان، لا يناولها معنى الإيمان بالغيب الممتدح شرعاً¹؛ كما شمل الغيب الذي يختص بعلمه الله سبحانه وتعالى .
ومن أهل العلم من حدد المراد من مصطلح الغيب بما ثبت بالنقل فقط مما تعبدنا الله بالإيمان به فترادف مع مصطلح السمعيات الدال على الأمور التي يتوقف عليها السمع كالنبوة، أو تتوقف هي على السمع كالمعاد وأسباب السعادة والشقاء من الإيمان والطاعة والكفر والمعصية².

عالم الغيب وعالم الشهادة

دعانا ربنا جل جلاله إلى التفكير والنظر في آفاق الكون، قال تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران: ١٩١) واكتشاف أسرارها، فليس كل ما فيه سهل التناول مكشوف الهوية، بل إن ما يخفى منه على الإنسان أكثر مما يدركه بحواسه، ويتوصل إليه بتأمله وتفكره، وهذا من أسباب تفاوت الناس في معرفتهم، وسبرهم لأغوار الحقيقة في جوانبه، ومن المعلوم أن الموجودات تضم مع ما هو من عالم الطبيعة المحسوس موجودات غيبة وراء الشهادة والحس، فعالم

¹ كالعلم بالأقطار النائية والعلم بأجهزة الجسم الداخلية والعلم بطبقات الأرض ونحو ذلك
² المواقف: لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، باب المرصد الأول في النبوات، شرح السيد الشريف علي بن الجرجاني، دار الجيل - بيروت (ط١، ١٩٩٧) (٣/٣٣١)

الشهادة لا يعد شيئاً يذكر إذا ما قورن بالوجود كله، كما أن الموجودات ما يكون شهادة لبعض الخلق، غيباً لبعضهم الآخر.

وقد أخبر الله جل جلاله في القرآن الكريم أن العالم بالنسبة للمخلوقات يتكون من قسمين: غيب، وشهادة، وليس لأحد علم هذين القسمين معاً إلا الله فقال سبحانه وتعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (الحشر: ٢٢)؛ كما أخبر سبحانه وتعالى أنه بث في الكون من الآيات ما يكشف للخلق أطرافاً من الغيب كدلائل وجوده وتوحيده، وبراهين قوته وقدرته وعظمته وحكمته ورحمته، مما يقود العباد إلى معرفة الخالق العظيم، ويربط القلوب به ويوجهها إلى طاعته حباً وخوفاً ورجاءً، لتحقيق العبودية له سبحانه لا إله إلا هو، فالخالق جل جلاله جعل نفسه غيباً، وبث في عالم الشهادة دلائل وآثاراً تنبئ عباداً عنه، وتدلهم على وجوده إجمالاً، وأخبرهم بتفاصيل أكثر عنه، وعما يهمهم من أمر عالم الغيب عن طريق إرساله رسلاً منهم اختارهم لرسالته، وأيدهم بما يدل على صدقهم، وزودهم بما يمكنهم من التلقي عنه، وعصمهم من الخطأ في التبليغ وجعل تصديق خبرهم والانقياد لدين الله الذي بعثوا به إيماناً وفلاحاً، وجعل تكذيبهم ومحاربتهم كفراً وشقاءً.

علم النبي صلى الله عليه وسلم للغيب والرد على من أنكروا ذلك

قسم العلماء¹ كابن تيمية²، وغيره، قسموا الغيب بالنظر إلى ماهية الأمر الغيبي وصفات العلم به إلى قسمين:

١. الغيب الحقيقي أو الغيب المطلق.

٢. الغيب النسبي أو المقيد أو الإضافي.

أما الغيب الحقيقي أو المطلق: فهو ما يغيب عن الحواس والعقول معاً، ولا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى وحده، أو من أطلعه الله عليه بإذنه³، فهو في الأصل محجوب عن الخلق أجمعين، لا يمكنهم الوصول إليه بقواهم، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى اختصاصه بعلمه، ونفى علم غيره له في مواطن كثيرة منها قوله تعالى: (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) (النمل: ٦٥) وسمى منه أموراً بعينها كعلم الساعة، إذ أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيب السائلين عنها بقوله:

¹ تقسيم الغيب هو تقسيم علمي مبناه على الاستقراء والتتبع مواكبة لتطوير العلوم وتصنيفها، ولضبط المستجدات في هذا الباب، والانتباه إلى أنواع الانحراف فيه، لذا اختلفت أقسامه وأصربه وأنواعه من مصنف لآخر، فمنهم من يخرج نوعاً من الغيب باعتبار، ويدخله غيره باعتبار آخر، ومنهم من يجمع بين بعض الأنواع ومنهم من يفصل وهكذا

² ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحرائي الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام (٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م)، ولد في حران، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدتها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الاسكندرية، ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. (الأعلام للزركلي، ١/١٤٤).

³ عالم الغيب والشهادة^١عثمان ضميرية: ٨٧

(قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ) (الأعراف: ١٨٧) وقال: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا^ط
قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ) (الأعراف: ١٨٧).

ومن هذا الغيب ما يطلع الله عليه من ارتضى من رسول، قال تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ
فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ
رَصَدًا) (الجن: ٢٦ - ٢٧) فالغيب المطلق هو ما أثبت الله علمه لنفسه، ونفاه عن
سواه في مواضع كثيرة في كتابه إما إجمالاً، كما في قوله تعالى: (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ) (النمل: ٦٥)، أو تفصيلاً لبعضه، وهو على مرتبتين:
الأولى: ما ورد نص صريح بأن الله تفرد بعلمه كمفاتيح الغيب الخمسة، فقد جاء
عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مِفْتَاحُ الْغَيْبِ
خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي
الْأَرْحَامِ وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ وَمَا
يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ"¹.

الثانية: ما لم يرد نص صريح بأن الله كتبه عن الخلق جميعاً كعالم الملائكة والروح
والجن.

¹ صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله، (١/٣٥١، ٩٩٢).

أما الغيب النسبي أو المقيد أو الإضافي: فهو الذي نصب الله الدليل عليه بالعقل أو الفطرة أو الحس¹، ويقابله النسبي أو الإضافي، فيكون فيه الوصف أو الاستثناء، أو الشرط²، وهو ما غاب عن بعض المخلوقين دون بعض، أو غاب عنهم في حال دون حال، ومن الغيب النسبي ما يكون خاصاً بخلق معين من خلق الله تعالى، مغيب عن سواهم، كعالم الملائكة بكثير من الأمور التي تغيب عن البشر، ومنه علمهم بما تفعل، وبعض ما يكون في مستقبل الزمان. وكثير منه ما يختص بأحد معين، أو صفات خاصة، بل قد يحصل للعالم والجاهل أو أحدهما، كما أنه قد يحصل للولي ولغير الولي، وللمسلم والكافر وغيرهم، كالمعرفة التجريبية التي يتوصل لها بأجهزة التصوير أو لاقطات الصوت، أو المعرفة الخيرية التي يكشفها الله لبعض خلقه، فقد تكون كرامة للصالحين برؤيا صادقة أو إلهام، وقد تكون فتنة واستدراجاً لغيرهم.

ومن أعظم من الله علينا أن أرسل إلينا الرسل وأنزل علينا الكتب، فكشف لنا ما يعرفنا بالإله القدير، وبالمبدأ والمصير، ويعيننا على تحقيق العبودية لله جل جلاله، إذ ليس هناك مصدر موثوق ينبئنا عن تفاصيل تلك الغيوب إلا الوحي المعصوم من خير الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم. وقد حوت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم³ كثيراً من أخبار عالم الغيب، فعن حذيفة رضي الله عنه قال:

1 ممن قال بهذا التقسيم شيخ الإسلام ابن تيمية واستخدم لفظتي: المطلق والنسبي: ينظر "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية: ٥/٧٣
2 انظر المعجم الفلسفي "الجميل صليبا: ١/٤٨٨
3 حديث النبي صلى الله عليه وسلم هو ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير
ويقسم الحديث إلى ثلاثة: صحيح، حسن، ضعيف (الأسئلة السننية على المنظومة البيقونية، ١/٨).

"لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ، عِلْمَهُ مِنْ عِلْمِهِ، وَجَهْلَهُ مِنْ جَهْلِهِ، إِنْ كُنْتُ لِأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَأَهُ فَعَرَفَهُ"¹، وقال أبو ذر رضي الله عنه: "لقد توفي رسول الله وما من طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً"²، فرسول الله وصف لأئمة أمور الغيب التي لا بد لهم من معرفتها، فأخبرهم عن ربهم وإلههم جل جلاله، وعرفهم به أتم تعريف، فوصفه لهم بكماله ونعوت جلاله، ووصف لهم العرش والكرسي، وأخبرهم عن الملائكة والجن والنار والجنة، وصف لهم يوم القيامة وما فيه حتى كأنه رأي العين، وعرفهم الأنبياء وأممهم وما جرى لهم معهم حتى كأنهم بينهم، وعرفهم من طرق الخير والشر دقيقتها وجليلها ما لم يعرفه نبي قبله لأئمة، وبين لهم أحوال الموت وما يكون بعده في البرزخ وما يحصل فيه من النعيم والعذاب للروح والبدن ما لا يمكن لبشر أن يعرفه بعقله.

وأخبرهم عن قصص السابقين وأخبار الأمم الماضية ما لا يمكن أن يعرفه أحد وإن أكثر من ملاقاته الأمم ودراسة الكتب، وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يتلو كتاباً، ولم يخالط أهل السير، وأخبرهم عن قصة النشأة الأولى وبدء الخليقة على نحو من التفصيل الدقيق مع غير تضاد ولا اختلاف ما لا يمكن أن يصل إليه رجل مهما بلغ

¹ أخرجه البخاري كتاب القدر، باب (وكان أمر الله قدرًا مقدورًا) رقم: ٦٦ . ٤، مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم: ٢٨٩١
² أخرجه أحمد في مسند أبي ذر رضي الله عنه: ٥/١٥٣، رقم: ٢ . ٨٥٤

ذكاؤه، وصفت سريرته¹ فبين الرسول صلى الله عليه وسلم للأمة كل ما عليه قوام حياتها ودينها وما يعصمها من الهلاك والفتن بنصوص واضحة قاطعة للعدر .

وكل ما أخبرت به السنة عن عالم الغيب مجملاً ومفصلاً فهو حق واقع، ليس من باب التخيل، ولا تحديث الناس بالأساطير تربية لهم وتزكية لنفوسهم، كما يزعم كثير من أهل الضلالة قديماً وحديثاً² بل "كل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبر فهو كما أخبر، وهو حق وصدق، معتمد عليه فيما أخبر به وعنه لا يفرق في ذلك بين ما أخبر به عن الله، وبين ما نفت في روعه³ وألقى في نفسه، أو رآه رؤية كشف واطلاع على مغيب على وجه خارق للعادة، أو كيفما كان، فذلك معتبرٌ يحتج به ويبنى عليه في الاعتقادات والأعمال جميعاً، لأنه صلى الله عليه وسلم مؤيد بالعصمة، (وما ينطق عن الهوى)⁴، فكل خبره صلى الله عليه وسلم عن الغيب ليس من عند نفسه، فهو لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله سبحانه وتعالى الذي علمه أن يقول: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) (الأعراف: ١٨٨).

1 انظر: "إعلام الموقعين" لابن القيم: ٤/٣٧٥

2 قالت بذلك قديماً طوائف من الفلاسفة، واليوم يردد أبواقهم المقولات نفسها، ومنهم المدعو: سيد محمود القمني الذي يدعو إلى النظر فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من القصص والمعجزات والعوالم الغيبية في عصر يحترم العلم - على حد قوله - على أنه فلكلور لطيف ! كتلك الأساطير الكثيرة التي حوتها الكتب المقدسة في الأديان الشرقية! ينظر كتابه: "الأسطورة والتراث وقصة الخلق" من نشر دار ابن سينا القاهرة

3 الروح: القلب والعقل.

4 "انظر الموافقات" للشاطبي: ٧٢١

فالسنة هي القسم الثاني من الوحي، قال صلى الله عليه وسلم: "ألا إني قد أوتيت الكتاب ومثله معه"¹، وقال تعالى ممتناً بها على المؤمنين: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (آل عمران: ١٦٤) قال الشافعي مبيناً معنى الحكمة: "ذكر الله تعالى الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أَرْضَى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"².
وخلاصة القول أن علم النبي صلى الله عليه وسلم للغيب قد اشتمل على كل ما تتطلع النفس البشرية لمعرفة مما ينفعها بياناً كاملاً، وهذا مما علّمه الله سبحانه وتعالى.

تقريب حقائق الغيبات إلى الأذهان لإمكانية الفهم

الكلام العربي مقسوم بطبيعته، إلى خبر وإنشاء، فلا بد للجملة من أن تنتمي إلى أحدهما، لذا كان من المتوقع أن تأتي الجمل النبوية بتركيب خبري أو إنشائي، وقد كثر استعمال الجمل الخبرية في جملة صلى الله عليه وسلم، ولعل مراد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرمي من كلامه الشريف إلى إبلاغ الرسالة العظيمة التي كُلف بها، والإبلاغ، في الأصل، إخبار غايته ببيان تفصيلات هذه الرسالة

¹ أخرجه أبو داود كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم: ٤٦٠٤، والترمذي، كتاب العلم، ما نهى أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم رقم ٢٦٦٤، وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه
² "الرسالة" للشافعي: ٧٨

وأحكامها، على نحو منسجم مع أقدار المخاطبين ومقاماتهم، مما يؤديه الخبر، فهو يساعد على تثبيت المعاني في النفوس، وتقريب الأحكام وتيسيرها للعقول.

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يهدف، من الخبر، الإبلاغ المحض، من دون بعث معان، واستثارة مشاعر والإيحاء بمواقف، إلى أداء معان وتحقيق دلالات أخرى، لذا فقد خرج الخبر في التشبيه النبوي، بمراتبه الثلاث المعروفة، الابتدائي، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ"¹، فهذا خبر ابتدائي لأنه جاء دون وجود مؤكدات، والطلبي، كقوله صلى الله عليه وسلم: "... خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ..."² والإنكاري، كقوله صلى الله عليه وسلم: "... لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَاَلِدِهِ وَوَالِدِهِ"³، ولقد أعطى الله عز وجل نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم قدرة هائلة على تطويع جملة التشبيهية بما يتناسب مع مواقفه ومقاصده صلى الله عليه وسلم مستوعباً المعاني الكامنة في نفسه صلى الله عليه وسلم، بل جعلها جبلة فيه، ولذلك كان يستطيع الإحاطة بجميع المعاني والمشاعر والأفكار التي حرص على إيصالها إلى المؤمنين مؤثرة، مقنعة، موحية، فقد قدم وأخر، وحذف وذكر، وفصل ووصل، وعرف ونكر، لذلك، ففي حديثه الشريف: "فَوَ اللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْسُطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا،"

¹ صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، (١/٢٠٣).

² صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم (٢/٦٧٠)، مع صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم وباب فضل الصيام، (٢/٨٠٦)

³ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان (١/١٤) مع صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد (١/٦٧).

كَمَا بَسَطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ¹ قدم الفقر، الذي هو مفعول به، على عامله الفعل أخشى، إثارة لانتباههم على ما سيقوله بعده، فمما يثيرهم عدم مخافة قائدهم ومعلمهم مما يعانونه، لذا فهم تواقون لمعرفة حقيقة الأمر، فإذا به يخبرهم عما سيؤولون إليه من غنى وسعة في العيش، فهو عارف، بقدره الله بما سيحدث لهم، فهو يحذرهم من بَطْرٍ قَدْ يَصِيبُهُمْ أو فساد يؤول إليه أمرهم لغنى سيعيشون في ظله، بعد الفتوح وكثرة الغنائم.

ويميل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإيجاز، بحسب المقام والقصد، معبراً، بألفاظ قليلة، عن معان كثيرة، فقد كان صلى الله عليه وسلم يحذف أداة التشبيه، كما في قوله: "إِنِّي أَرَى الْفِتْنَ تَقَعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ مَوَاقِعَ الْقَطْرِ"². فقد حذف كاف التشبيه أو ما يرادفها، ليكون تقدير الكلام كمواقع القطر، ولعله أراد بهذا الدلالة على قرب وقوع الفتن وقرب وقوع أماكن حدوثها وقرب مصادرها. وحذف، أيضاً كلمات يدرك حذفها من السياق، نحو حذفه المفعول به "خيراً" من قوله: "أَوْصِيَكُمْ بِالْأَنْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي"³، فالتقدير أوصيكم خيراً. ومن حذفه المفردات حذفه الصفة، في قوله: "نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غَزَاةً"⁵، فقد حذف صفة كلمة "ناس" التي تقدر بـ "مؤمنون"، أو "مجاهدون" بدلالة غزاة،

1 البخاري، كتاب الرقائق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، (٥/٢٣٦١)

2 البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٢.٣/٣٤)

3 كرشى وعيبتي: الكرش للحيوان المجتر بمنزلة المعدة للإنسان والعيبة مستودع الثياب والمعنى إنهم بطانتي وخاصتي وموضع سري وأمانتي

4 البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم، (٣/٣٥٨٨).

5 البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال، (٣/٢٦٣٦)

وعمد النبي صلى الله عليه وسلم إلى تثبيت المعاني في أذهان المخاطبين، وإلى ذكر ما يبرهن عليها في كنايات عديدة، وظَّفها لجعل المعاني أقرب للأذهان، فقد صورَّ شدة الزحام للحصول على الرحمة التي أنزل الله منها جزء في قوله: " جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَا حَمُّ الْخَلْقِ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَن وَلَدِهَا خَشِيَّةً أَنْ تُصِيبَهُ"¹، فمن معاني الرحمة أنه كنى عنها بقوله عليه الصلاة والسلام: حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَن وَلَدِهَا خَشِيَّةً أَنْ تُصِيبَهُ.

وتنبأ النبي صلى الله عليه وسلم بأن المسلمين سيقاتلون أقواماً يتسمون بطول الشعر الذي كنى عنه بـ " نعالهم الشعر"، قبل قيام الساعة، ويبدو أن المقصود بهم هم الترك، الذين حسن إسلام الكثير منهم بعد ذلك، فالكناية هنا عن موصوف، في قوله الشريف مخاطباً المسلمين: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نَعَالُهُمُ الشَّعْرُ، وَتُقَاتِلُوا التُّرْكَ، صِغَارَ الْأَعْيُنِ، حُمْرَ الْوُجُوهِ، ذُلْفَ الْأَنْوْفِ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْجَانُّ الْمُطْرَقَةُ"²، فنعالهم الشعر "المراد به طول شعورهم حتى تصير أطرافها في أرجلهم موضع النعال، وقيل المراد أن نعالهم من شعر بأن يجعلوها من شعر مضافور"³.

1 البخاري، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة في مائة جزء، (٥/٢٢٣٦) مع صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٤/٢٢٠٨).

2 البخاري، كتاب المناقب، باب (علامات النبوة في الإسلام، (٣/٣٣٩٤)

3 عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٢٤/١٤٩)

ووظفت المقابلة¹ فضلاً عن الطباق²، في بيان المعاني وإيضاحها، فالشيء يعرف بوضه ولا سيما إن أكثر المقابلات الواردة في التشبيهات النبوية قامت على علاقة ضدية بين أطرافها، مما يزيد من بلاغتها وأثرها، كذلك هو الحال في الطباق الذي يقوم على التضاد.

وأتى النبي الكريم بالمقابلة لتصوير حال المنافقين الذين يؤتون أعمالاً تخالف دعوهم وأقوالهم، فبين بها حالهم في الآخرة نحو قوله: "يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْقَى فِي النَّارِ فَنَدْلِقُ أَقْتَابَهُ"³ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ قَالَ كُنْتُ أُمْرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ"⁴. فقد شكّل جواب هذا المنافق وحاله مفارقة مثيرة حتى لمن كان كافراً في الدنيا، ولهذا التشبيه البارع أغراض تعليمية وزجرية لكل دَعِيٍّ، فهو سيلقى مصيراً بائساً كمصير هذا الذي يدعو للمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويفعله، مما عرضه الرسول الكريم في سياق قصصي مصور للفكرة معمق لها.

وخلاصة القول؛ أنه ربما تم إلقاء الضوء على بلاغة يكتنزها التشبيه النبوي الموجود في الأحاديث الشريفة، على نحو يظهر أن الرسول الكريم تمكّن من إنتاج نصوص

1 المقابلة: وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلها أو يقابلها على الترتيب قوله تعالى (فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً) (الإيضاح في علوم البلاغة، باب المقابلة (١/٣٢١))
2 الطباق: وهي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد اسمين كقوله تعالى (وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود) (المرجع نفسه، باب الفن الثالث في علم البديع، (١/٣١٧)).

3 أَقْتَابَهُ: جمع قتب وهي الأمعاء والأحشاء

4 البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار أنها مخلوقة، (٣/٣٠٩٤)

بليغة طريفة وجميلة ودالة، حقق بها وظيفة رسالية وتربوية وإيمانية، بما امتلك من
قدرة وفصاحة وتمكن، لسهولة الفهم، ولتقريب الحقائق الغيبية إلى الأذهان.

المبحث الثاني

أهمية الإيمان بالغيب وباليوم الآخر

إن لبني آدم شغف شديد وولع بالغ بمعرفة الأمور الغيبية، الماضي منها والمستقبل، وتشتد هذه الرغبة إذا كان الإنسان قلقاً تائهاً لا يعرف من هو؟ ولماذا وجد؟ وإلى أين المصير؟ قال تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل: ٧٨)، سواء كان انتماءه إلى دين سماوي أو إلى اعتقاد وضعي، أو عاش بلا دين يستقي منه خبراً صحيحاً عن الغيب، فالإنسان لا يمكن أن يتجاهل ما يراه من مظاهر الحياة المختلفة التي تدلُّ بوضوح على وجود عوالم كثيرة من وراء حسه ومدركاته، ووراء عالم الشهادة الذي يعيشه. ويلبِّي الدين الحق رغبة الإنسان الفطرية في المعرفة، حيث تتضمن مصادره كلَّ ما يحتاج الإنسان إلى معرفته من أخبار المغيبات التي تتعلق بمبدأ خلقته ومصيره والغاية من وجوده، وفضلاً عما يحتاج إليه عن بعض العوالم الغيبية حوله، ومع هذا الكم الهائل من أخبار الغيب تجد طوائف ممن يدينون بالإسلام ويؤمنون بالله ورسوله وما أخبروا به من الغيب، لا يزالون يلهثون وراء رغبة اكتشاف المزيد أو معرفة الكنه¹ والكيفية لما أخبر عنه النقل الصحيح والإيمان بما في اليوم الآخر وعلاماته من الإيمان بالغيب الذي لا يدركه العقل، ولا سبيل لمعرفته، إلا بالنص عن طريق الوحي. فالإيمان باليوم الآخر هو ركن من أركان الإيمان، وعقيدة من عقائد الإسلام الأساسية، وإن قضية البعث في الدار الآخرة هي

¹ كُنْهٌ: كُلُّ شَيْءٍ قَدْرُهُ وَنَهَائِيَّتُهُ وَغَايَتُهُ (لسان العرب - ابن منظور، باب كنه، ١٣/٥٣٦).

التي يقوم عليها بناء العقيدة بعد قضية وحدانية الله سبحانه وتعالى . ولأهمية هذا اليوم العظيم، نجد أن الله تعالى كثيراً ما يربط الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر، كما قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (البقرة: ١٧٧)، وكقوله تعالى: (ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (الطلاق: ٢) ... إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة. وقل أن تمر على صفحة من القرآن، إلا وتجد فيها حديثاً عن اليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب .

والحياة في التصور الإسلامي ليست هي الحياة الدنيا القصيرة المحدودة، وليست هي عمر الإنسان القصير المحدود. إن الحياة في التصور الإسلامي تمتد طويلاً في الزمان إلى أبد الآباد، وتمتد في المكان إلى دار أخرى في جنة عرضها السماوات والأرض، أو نار تتسع لكثير من الأجيال التي عمرت وجه الأرض أحقاباً من السنين¹. قال تعالى: (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) (ق: ٣٠). إن الإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب هو الوجه الحقيقي لسلوك الإنسان سبيل الخير، وليس هناك أي قانون من قوانين البشر يستطيع أن يجعل سلوك الإنسان سويًا مستقيمًا كما يصنعه الإيمان باليوم الآخر (فستان بين الامتثال القهري الذي تفرضه القوانين الوضعية وبين الامتثال الطوعي الذي ينبع من ضمير المؤمن ثمرة إيمانه) ولهذا، فإن هناك فرقاً كبيراً بين سلوك من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويعلم أن

1 انظر: "اليوم الآخر في ظلال القرآن" (ص ٣ - ٤)، جمع وإعداد أحمد فائز، مطبعة خالد حسن الطرابيشي ط١

الدنيا مزرعة الآخرة، وأن الأعمال الصالحة زاد الآخرة، كما قال تعالى: (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) (البقرة: ١٩٧).

هناك فرق بين سلوك من هذه حالة، وبين سلوك من لا يؤمن بالله، ولا باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، "فالمصدق بيوم الدين يعمل وهو ناظر لميزان السماء لا لميزان الأرض، ولحساب الآخرة لا لحساب الدنيا"¹، له سلوك فريد في الحياة، نرى فيه الاستقامة، وسعة التصور، وقوة الإيمان، والثبات في الشدائد، والصبر على المصائب، ابتغاء للأجر والثواب، فهو يعلم ان ما عند الله خير وأبقى .

ولقد روى الإمام مسلم عن صهيب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ، شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ" ².

والمسلم لا يقتصر نفعه على البشرية، بل يمتد إلى الحيوان، كما في القول المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "والله الذي لا إله إلا هو لو عثرت بغلة في ضفاف دجلة بالعراق؛ خشيت أن يسألني الله يوم القيامة عنها: لِمَ لَمْ تصلح لها الطريق يا عمر"³. هذا الشعور هو من آثار الإيمان بالله واليوم الآخر والإحساس بثقل التبعة، وعظم الأمانة، التي تحملها الإنسان وأشفت منها السماوات والأرض

¹ "ظلال القرآن للسيد قطب، (٧/٣٣٤)

² صحيح مسلم، "كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير، (٤/٦٤).

³ كتاب من مشاهير الصحابة رضي الله عنهم، باب رسالة إلى الموظف المسلم، جمع واعداد علي بن نايف الشحود (١/٢٠٧).

والجبال، إذ يعلم أن كل كبيرة وصغيرة مسؤول عنها، ومحاسب بها، ومجازى عليها، إن خيراً، فخير وإن شراً، فشر: (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) (آل عمران: ٢٩).

وأما الذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، فهو يحاول جاهداً أن يحقق مآربه في الحياة الدنيا، لاهثاً وراء متعتها، متكالباً على جمعها، مناعاً للخير أن يصل إلى الناس عن طريقه، قد جعل الدنيا أكبر همه، ومبلغ علمه، فهو يقيس الأمور بمنفعته الخاصة، لا يهمله غيره، ولا يلتفت إلى بني جنسه، إلا في حدود ما يحقق النفع له في هذه الحياة القصيرة المحدودة، يتحرك محدوداً بحدود هذه الأرض وحدود هذا العمر، ومن ثم يتغير حسابه، وتختلف موازينه، وينتهي إلى نتائج خاطئة¹، لأنه مستبعد للبعث، (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ* يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ) (القيامة: ٥ - ٦).

هذا التصور الجاهلي المحدود الضيق جعل أهل الجاهلية يسفكون الدماء، وينهبون الأموال، ويقطعون الطريق، لأنهم لا يؤمنون بالبعث والجزاء، كما صور الله حالهم بقوله: (وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) (الأنعام: ٢٩)، وكما قال قائلهم: "إنما هي أرحام تدفع، وأرض تبلع".

وتمر القرون ويأتي العجب، فيحدث من الإنكار أكبر من هذا، فترى إنكاراً كلياً لما وراء المادة المحسوسة، كما في الشيوعية الماركسية² الملحدة، التي لا تؤمن بالله

1 انظر "اليوم الآخر في ظلال القرآن" (ص٢).

2 الماركسية: هي ممارسة سياسية ونظرية اجتماعية مبنية على أعمال كارل ماركس الفكرية والتي تعد للزاوية الاساسية للشيوعية. " انظر موقع ويكيبيديا تاريخ ١٩/٤/٧) "

تعالى ولا باليوم الآخر، وتصف الحياة بأنها (مادة) فقط! وليس وراء المادة المحسوسة شيء آخر فإن زعيمهم ماركس¹ الملحد يرى أنه لا إله! والحياة مادة! ولذلك فهم كالحوانات، لا يدركون معنى الحياة وما خلقوا له، بل هم ضائعون تائهون، إن تحقق لهم اجتماع، في ظل الخوف من سطوة القانون وتجد هذا الصنف من الناس من أشد الناس حرصاً على الحياة، لأنهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت، كما قال تعالى في وصف المشركين من اليهود وغيرهم: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ^٢ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) (البقرة: ٩٦)؛ فالمشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت، فهو يحب طول الحياة، واليهودي قد عرف ما ينتظره في الآخرة من الخزي، بما يصنع عنده من العلم²، فهذا الجنس وما شاكله هم شر البشر، فتجده ينتشر بينهم: الجشع، والطمع، وقهر الشعوب، واستعبادهم، وسلب ثرواتهم، حرصاً منهم على التمتع بلذات الحياة الدنيا، ولهذا يظهر بينهم الانحلال الخلقي، والسلوك البهيمي.

وهم إذا رأوا الحياة الدنيا تربو متاعبها وآلامها على ما يأملون من لذات عاجلة، لم يكن لديهم أي مانع من الإقدام على الموت، فهم لا يقدرّون مسؤولية في حياة أخرى، فليس لديهم ما يمنع من إقدامهم على التخلص من هذه الحياة. من أجل هذا اهتم الإسلام وجاء التأكيد في القرآن على قضية الإيمان باليوم الآخر، وإثبات

¹ كارل ماركس: هو فيلسوف من أصول ألمانية يهودية من القرن التاسع عشر. وكان عالم اقتصاد، وصحفي وثوري شاركه رفيقه فريدريك إنجلز في وضع الأسس واللبنات الأولى للنظرية الشيوعية (المرجع نفسه).

² انظر: "تفسير ابن كثير" (١/١٨٤)، تحقيق عبد العزيز غنيم، مطبعة الشعب، القاهرة

البعث والحساب والجزاء، فأنكر على الجاهلين استبعادهم له، وأمر نبيه أن يقسم على أنه حق: (قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (التغابن: ٧)، وذكر من أحوال يوم القيامة، وما أعده لعباده المتقين من ثواب، وما أعده للعاصين من عقاب، ولفت نظر الجاحدين له إلى دلائل حقيقته، استئصالاً للشك من النفوس، وحتى يضع الناس نصب أعينهم هذا اليوم وما فيه من أهوال تقشعر لها الأبدان، ليستقيم سلوكهم في هذه الحياة، باتباع الدين الحق الذي جاءهم به رسولهم صلى الله عليه وسلم.

إن الناس لو تأملوا سنن الله الكونية وجليل حكمته تعالى، وعظيم عنايته بالإنسان وتكريمه له، لدفعهم ذلك إلى الإيمان باليوم الآخر، فحينئذ لا تطل الأنانية بوجهها البغيض، ولا يكون تكالب على الحياة الدنيا، بل التعاون على البر والتقوى.

الفصل الأول

أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الغيبية التي ظهرت من عهد آدم إلى بعثته صلى الله عليهما السلام

لقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بما كان وبما هو كائن وبما سيكون إلى قيام الساعة، وذلك مما أطلعه الله عليه من الغيوب الماضية والحاضرة والمستقبلية، والأحاديث في هذا الفصل كثيرة جداً.

فمنها ما رواه حذيفة¹ رضي الله عنه، قال: "لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ عِلْمَهُ مِنْ عِلْمِهِ وَجَهْلَهُ مَنْ جَهْلَهُ إِنْ كُنْتُ لِأُرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَأَهُ فَعَرَفَهُ"².

ولم يكن ذلك خاصاً بحذيفة رضي الله عنه، بل لقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوماً كاملاً، ليبين للصحابه رضي الله عنهم ما كان وما سيكون إلى قيام الساعة.

¹ حذيفة بن اليمان حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، أبو عبد الله، واليمان لقب حسل (ت ٣٦ هـ = ٦٥٦ م): صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين، كان صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم في المناققين، لم يعلمهم أحد غيره. (الأعلام للزركلي، ٢/١٧١)
² "صحيح البخاري"، كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدرًا مقدرًا، (١١/٤٩٤) و"صحيح مسلم"، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب اخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة (٤/٢٨٩١)

فقد روى أبو زيد عمرو بن أخطب الأنصاري¹ رضي الله عنه قال: " صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتْ الظُّهْرُ فَنَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتْ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا"².

فهذه أدلة صحيحة على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أمته بكل ما كان وما هو كائن إلى قيام الساعة مما يخصهم .

¹ عمرو بن أخطب: أبو زيد الانصاري الخزرجي المدني الاعرج. من مشاهير الصحابة الذين نزلوا البصرة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث، وغزا معه ثلاث عشرة غزوة، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان.

²صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة، (٤/٢٨٩٢).

المبحث الأول

بداية الخلق

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون العظيم بما فيه من كائنات غير حية، وحية ومنها الإنسان، وقد ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان عن باقي المخلوقات بنعمة العقل، وبدأ خلق الإنسان بآدم عليه السلام حيث خلقه الله سبحانه وتعالى من تراب الأرض، فقال تعالى: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) (طه: ٥٥)، ووضح الله سبحانه وتعالى مراحل خلق الإنسان في القرآن الكريم بالتفصيل لتتعرف عليها وليعرف الإنسان مما خلق، وما هي مراحل خلق الله سبحانه وتعالى للإنسان .

مراحل خلق الإنسان وخلق آدم عليه السلام

لقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن الأمور الغيبية، التي حدثت منذ أن خلق الله عز وجل البشرية، فذكر لنا صلى الله عليه وسلم مراحل خلق الإنسان، فقد روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَّ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ يَا رَبِّ عَلَقَةٌ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ

خَلَقَهُ قَالَ أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرُّزْقُ وَالْأَجَلُ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ
أُمِّهِ "1 .

قوله: (وَكُلُّ) بالتشديد، كما في قوله تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ
بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) (السجدة: ١١)، وظاهر قوله أن الله وُكِّلَ بالرحم
ملكاً يدل على أن بعثه إليه عند وقوع النطفة في الرحم، ولكن فيه اختلاف
الروايات ففي صحيح البخاري: عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: "إِنَّ أَحَدَكُمْ
يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ عُلِقَ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ
يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ بَرَزِقِهِ وَأَجَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ"2، وظاهره إرسال
الملك بعد الأربعين الثالثة وفي رواية يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في
الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يا رب شقي أو سعيد وعند مسلم:
"إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً أَوْ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَوْ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ"، وفي
أخرى: "إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ
سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجَلْدَهَا".

1 "صحيح البخاري"، كتاب الحيض، باب مخلقة وغير مخلقة، (١/٣١٢) مع شرح عمدة القاري
شرح صحيح البخاري، (١/٤٥٤)، و"صحيح مسلم"، كتاب القدر، باب كيفية الخلق والادمي
في بطن أمه، (٤/٢٦٤٦).

2 "صحيح البخاري"، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (٣/٣٠٣٦، ٣١٥٤، ٦٢٢١، ٧٠١٦)
صحيح مسلم" كتاب القدر، باب كيفية خلق الادمي في بطن أمه، (٤/٢٦٤٣)

وفي رواية حذيفة بن أسيد¹: "إِنَّ النُّطْفَةَ تَقَعُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَتَسَوَّرُ عَلَيْهَا الْمَلِكُ"، وفي حديث آخر: "أَنَّ مَلَكًا وَكَّلَ بِالرَّحِمِ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا يَأْذُنُ لَهُ لِبَضْعِ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً"، وجمع العلماء بين ذلك، بأن الملائكة لازمة ومراعية بحال النطفة في أوقاتها، وأنه يقول: يا رب هذه نطفة، هذه علقة، هذه مضغة في أوقاتها وكل وقت يقول فيه ما صارت إليه بأمر الله تعالى وهو أعلم، ولكلام الملك وتصرفه أوقات أحدها حين يكون نطفة، ثم ينقلها علقة وهو أول علم الملك أنه ولد إذ ليس كل نطفة تصير ولداً، وذلك عقيب الأربعين الأولى، وحينئذ يكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم للملك فيه تصرف آخر، وهو تصويره وخلق سمعه وبصره وكونه ذكراً أو أنثى، وذلك إنما يكون في الأربعين الثانية، وهي مدة المضغة، وقبل انقضاء هذه الأربعين وقبل نفخ الروح، لأن النفخ لا يكون إلا بعد تمام صورته؛ والرواية السالفة إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة ليست على ظاهره قاله عياض وغيره بل المراد بتصويرها وخلق سمعها إلى آخره أنه يكتب ذلك ثم يفعله في وقت آخر لأن التصوير عقيب الأربعين الأولى غير موجود².

فإن الله عز وجل خلق آدم من طين فهو أصل البشر وأما ذريته فجعلها تتكاثر وفق نظام مختلف وهو عن طريق نطفة تخرج من الرجل لتستقر في رحم المرأة لتتكاثر هذه النطفة بعد أن تلتقي بالبويضة داخل رحم الأم لتتكاثر إلى آلاف الخلايا الكامنة في

¹ حذيفة بن أسيد الغفاري أبو سريحة له صحبة نزل الكوفة أول مشهد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية روى عنه أبو الطفيل والشعبي، كتاب: الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت
² شرح عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب مخلقة وغير مخلقة، (٥٤/٥)،

تلك النطفة، (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ) (المؤمنون: ١٣)، فتستقر البويضة الملقحة من النطفة في رحم الأم، الذي جعله الله عز وجل بين عظام الحوض المحمية بها من التأثير باهتزازات الجسم، ومن كثير مما يصيب الظهر والبطن من لكمات وكدمات، ورجات وتأثرات، لتتطور إلى أطوار، والتعبير النبوي يجعل النطفة طوراً من أطوار النشأة الإنسانية، وهي حقيقة، ولكنها حقيقة عجيبة تدعو إلى التأمل فسبحان العليم الخبير.

خلق آدم عليه السلام

بدأت القصة عندما أخبر الله تعالى الملائكة عليهم السلام، بأنه سيخلق في الأرض بشراً يخلف بعضهم بعضاً، ولقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عن كيفية خلقه لآدم عليه السلام، وإن خلاصة القول أن الله سبحانه وتعالى قد خلق آدم عليه السلام من تراب، ثم صيره طيناً، ثم صوره بأحسن صورة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ أَذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلَيْكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسًا فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيُونَكَ فَإِنَّهَا تَحْيِيكَ وَتَحْيِي ذُرِّيَّتَكَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ
آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَ حَتَّى الْآنَ" ¹.

قوله: وذريته، أي وفي بيان خلق ذريته، وإنما سمي آدم لأنه خلق من أدمة الأرض وهي لونها، والأدمة في الناس السمرة الشديدة، وروى سعيد بن جبير ² عن ابن عباس ³: أن آدم خلق من أديم الأرض وهو وجهها، وقال قتادة ⁴ لا يكنى في الجنة إلا آدم يقال له يا أبا محمد إظهاراً لشرف نبينا ولا ينصرف آدم لأنه على وزن أفعل وهو معرفة وذكره الله تعالى في القرآن في سبعة وعشرين موضعاً وأما الذرية فأصلها

1 "صحيح البخاري"، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، (٣/٣١٤٨٩)، و"صحيح مسلم"، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام، (٤/٢٨٤١).

2 "سعيد بن جبير": (٤٥ - ٩٥ هـ = ٦٦٥ - ٧١٤ م) سعيد بن جبير الاسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق. وهو حبشي الاصل، من موالى بني والبة بن الحارث من بني أسد. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر (كتاب الأعلام للزركلي، (٣/٩٣).

3 عبد الله بن عباس ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الحبر البحر أبو العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه، قرأ القرآن على أبي وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمر وعثمان وعلي وأبي ذر ووالده وأبي سفيان رضي الله عنهم وغيرهم، قرأ عليه مجاهد وسعيد بن جبير والأعرج وعكرمة بن خالد وسليمان بن قتة شيخ عاصم الجحدري وأبو جعفر وغيرهم وحدث عنه عكرمة وعطاء وطاووس وأبو الشعثاء وعلي بن الحسين وخلق لا يحصون، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين، وكان أبيض طويلاً مشرباً صفرة جسيماً وسيماً مليح الوجه يخضب بالحناء مديد القامة، ومناقب ابن عباس غزيرة وسعة علمه إليه المنتهى ولم يكن على وجه الأرض في زمانه أحد أعلم منه، توفي بالطائف سنة ثمان وستين وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال اليوم مات رباني الأمة وقد كف بصره في أواخر عمره رضي الله عنه" كتاب معرفة القراء الكبار، باب الطبقة الثانية، (١/٤٥).

4 قتادة بن دعامة بن عكاشة بن عزيز بن كريم بن عمرو بن الحارث السدوسي، وكان أعمى، وكان من علماء الناس بالقرآن والفقه، وكان ولد ضريباً، فلما ترعرع شرع في تحصيل العلم، وصار من حفاظ أهل زمانه، جالس سعيد بن المسيب أياماً، فقال له سعيد: قم يا أعمى فقد أنزفتني، وجالس الحسن اثنتي عشرة سنة، يروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه. (٦١ - ٥١٨ - ٦٨٠ - ٧٣٦ م)، انظر كتاب للسمرعاني، (٣/٢٣٦).

من ذرا الله الخلق يذرؤهم ذرءاً خلقهم. قال الجوهري الذرية نسل الثقلين إلا أن العرب تركت همزتها والجمع الذراري، وذكر أبو منصور الجواليقي¹ في كتاب (المغرب²) ذرية الرجل أولاده ويكون واحداً وجمعاً، ومنه قوله تعالى: (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) (آل عمران: ٣٨)، صلصال طين خلط برممل فصلصل كما يصلصل الفخار وأشار بقوله: (صلصال)، إلى ما في قوله تعالى: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) (الرحمن: ١٤)، ثم فسر الصلصال بقوله طين خلط برممل وحقيقة الصلصال الطين اليابس المصوت؛ قوله: فصلصل أي صوت وعن ابن عباس الصلصال هو الماء يقع على الأرض فتنشق وتجف ويصير له صوت قوله الفخار بفتح الفاء وتشديد الحاء وهو ضرب من الخزف يعمل منه الجرار والكيان وغيرها³.

وإن من يتأمل تكوين الإنسان وتركيبه يسجد عقله لخالقه، ابتداءً من كيفية خلق آدم عليه السلام إلى مراحل خلق ذريته، فبمجرد أن تمت عملية النفخ صار التراب إنساناً عاقلاً مفكراً، له قلب ينبض، وله مشاعر وأحاسيس، وله شهوات ونزعات،

1 أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي اللغوي، فإنه كان من كبار أهل العلم، وكان ثقة صدوقاً، وأخذ عن الشيخ أبي زكريا يحيى الخطيب التبريزي، وكان يصلي إماماً بالإمام المقتفي لأمر الله. وصنف له كتاباً لطيفاً في علم العروض. وألف كتباً حسنة، منها: شرح أدب الكتاب، ومنها المغرب، ولم يعمل في جنسه أكبر منه، والتكملة فيما تلحن فيه العامة، إلى غير ذلك.

2 المغرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لموهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي أبو منصور.

3 انظر شرح عمدة القاري صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، باب خلق آدم وذريته عليه السلام، (١١٧/٢٣)،

وله إرادة واختيار، ذا طبيعة مزدوجة، مادة من تراب الأرض، ونفخة من روح الله، يتدرج إلى أعلى درجات التقوى، أو يتدنى إلى أسفل دركات الفجور .

هكذا تمت عملية خلق آدم عليه السلام، مع أن الله تعالى قادر أن يخلقه في لحظة أو جزء منها، أو بكلمة واحدة، ولكن الله تعالى يعلمنا أن أول كل أمر إنما هو الإعداد والترتيب والإحكام في كل شيء، فالتمام وبلوغ الكمال لا بد أن يتم على مراحل وخطوات متدرجة، وكذلك كان خلق الذرية .

وكما كان خلق آدم من تراب، فكذلك كل إنسان، لأن التراب الذي هو مادة الأرض هو مصدر كل غذاء، ويتحول الغذاء في جسم الإنسان إلى نطف، فماء الرجل وماء المرأة إنما هما مما يتغذاه الإنسان ذكراً كان أم أنثى، وإن القرآن الكريم شرح بالتفصيل العلمي الدقيق مراحل خلق الإنسان منذ أول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي: (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى) (الأعلى: ١ - ٢)، ولا عجب، فالإنسان هو موضوع هذا القرآن، لذا فهو يخاطب عقله ووجدانه، وينسجم مع فطرته وتكوينه، وهذا الذي ذكرته من أطوار خلق الإنسان على مراحل، إنما هو من تربية الله تعالى للعبد، فهو سبحانه رب العالمين، وتربيته لعباده لم تحدث فجأة، ولا في لحظة واحدة، وإنما كانت بالتدرج، ولعل ذلك إشارة إلى ما ينطوي عليه الإنسان من غرائز وميول، والهدف من خلق الإنسان هو توحيد الله وعبادته، ولعل من الحكم أن يعرف الإنسان أصله، ومم خلق؟ لكي لا يكفر بخالقه، ويعترف له بالعبودية، وكيلا يغتر بقوته وقدرته، وليستحيي من الله تعالى حق الحياء، كما جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ الْإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى وَلْتَذْكَرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ"¹، ولكي يستقر في ضميره أنه مخلوق من الأرض، وإلى الأرض يعود، ولكي يرتب أمور حياته وسعيه وترتيباته لأنه سائر إلى نهاية حتمية، لا مفر منها، وهي الموت.

¹ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (١/٣٤٧).

المبحث الثاني إبراهيم عليه السلام

هو خليل الله، اصطفاه الله برسالته وفضله على كثير من خلقه، كان إبراهيم يعيش في قوم يعبدون الكواكب، فلم يكن يرضيه ذلك، وأحس بفطرته أن هناك إلهاً أعظم، حتى هداه الله واصطفاه برسالته، فقال تعالى: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) (الأنعام: ٧٥) وأخذ إبراهيم يدعو قومه لوحداية الله وعبادته ولكنهم كذبوه فرموه في النار ليحترق فأجابه الله من بين أيديهم، فقال تعالى في كتابه العزيز: (قَالُوا احْرَقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ* قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) (الأنبياء: ٦٨ - ٦٩)، وجعل الله الأنبياء من نسل إبراهيم فولد له إسماعيل وإسحاق، قام إبراهيم ببناء الكعبة مع إسماعيل، هو أحد أولي العزم الخمسة الكبار الذين أخذ الله منهم ميثاقاً غليظاً، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، بترتيب بعثهم، فقال سبحانه وتعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ۗ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا) (الأحزاب: ٧)، وهو النبي الذي ابتلاه الله ببلاء مبين. بلاء فوق قدرة البشر وطاقة الأعصاب، ورغم حدة الشدة، وعنت البلاء، كان إبراهيم هو العبد الذي وفى، وزاد على الوفاء بالإحسان.

الإخبار عن والد النبي الله إبراهيم عليه السلام وفضائل إبراهيم عليه السلام

إبراهيم عليه السلام أوتي رشده منذ أن كان صغيراً، فأعطاه الله من الرشد ما كمل به نفسه، وأضاف الرشد إليه لكونه راشداً قد علت مرتبته، وإلا فكل مؤمن له من الرشد بحسب ما معه من الإيمان، لكن عند إبراهيم رشداً عظيماً، لأن إيمانه كان إيماناً عظيماً، وقد آتاه الله الحجة على قومه، فكسّر الأصنام، وأفحم القوم، وكانت أول دعوته لأبيه، وكان أبوه ممن يعبد الأصنام، وأحق الناس بالدعوة العشيّرة والأقربين، فقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخَذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الأنعام: ٧٤)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترَةٌ وغبرةٌ فيقولُ له إبراهيمُ ألم أفل لك لا تعصني فيقولُ أبوه فالיום لا أعصيك فيقولُ إبراهيمُ يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأبي خزي أخزي من أبي الأبعد فيقولُ الله تعالى إنني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجلِك فينظر فإذا هو بذيخ¹ ملتطخ² فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار"³.

1 بذيخ: الذيخ ذكر الضبع الكثير الشعر، أرى أباه على غير هيئته ومنظره ليسرع إلى التبرء منه." صحيح البخاري"، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، (٣/٣١٧٢)،

2 ملتطخ: متلوث بالدم ونحوه.

3 "صحيح البخاري"، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، (٣/٣١٧٢)، مع عمدة القاري، باب ولا تخزني يوم يبعثون، (٢٨/ص ٨٩).

قوله: "أباه" هو آزر، قوله "عليه الغبرة"، هي سواد كالدخان وهذا مقتبس من قوله تعالى: (وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ) (عبس: ٤٠)، أي تصيبها قفرة ولا يرى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه¹. وقوله: "فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأخي خزي أخزي من أبي الأبعد" وصف نفسه بالأبعد على طريق الفرض إذا لم تقبل شفاعته في أبيه، وقيل: الأبعد صفة أبيه أي أنه شديد البعد من رحمة الله لأن الفاسق بعيد منها فالكافر أبعد، ولقد مسخه الله عز وجل إلى ضبع، والحكمة في مسخه لتنفرد نفس إبراهيم منه، ولعلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على إبراهيم.

وقيل: الحكمة في مسخه ضبعاً أن الضبع من أحرق الحيوانات، وآزر كان من أحرق البشر، لأنه بعد أن ظهر له من ولده من الآيات البيّنات أصر على الكفر حتى مات، واقتصر في مسخه على هذا الحيوان لأنه وسط في التشويه، بالنسبة إلى ما دونه كالكلب والخنزير، وإلى ما فوقه كالأسد مثلاً، ولأن إبراهيم بالغ في الخضوع له وخفض الجناح فأبى واستكبر وأصر على الكفر، فعمول بصفة الذل يوم القيامة، ولأن للضبع عوجاً فأشير إلى أن آزر لم يستقم فيؤمن بل استمر على عوجه في الدين².

إن الأسلوب الراقي للدعوة والبدء بالأقربين هي سنة سنّها لنا نبي الله إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام عندما استخدم هذا الأسلوب الراقي مع أقرب الناس إليه، مع أبيه آزر، هذه السنة في الدعوة إلى الله تكسر حد الجهل والكبر عند

¹ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، باب ولا تخزني يوم يبعثون، (٢٨ / ٨٩).
² فتح الباري لابن حجر، كتاب تفسير القرآن، باب ولا تخزني يوم يبعثون (١٣ / ٤٣٩٦).

المدعوين وتجعل انقيادهم إلى ما يدعو إليه الداعية أسهل لإبراهيم عليه السلام بدأ بأبيه بأسلوب العطف والرفق ليهدئ من غضبه، ومع ذلك فإن الله لم يكتب الهداية لآزر الذي كان يعبد غير الله، ومع ذلك لم يتخل إبراهيم عليه السلام فصبر على أذى والده له فكان يستغفر الله عز وجل له وذلك في بداية الدعوة فاستحق بذلك أن يكون من خير البرية، فعن أنس بن مالك قال: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ"¹.

وعندما مات آزر وهو على الشرك تبرأ منه إبراهيم عليه السلام، وجعل إبراهيم عليه السلام من أسلوب دعوته إلى الله منارة لكل داعية إلى قيام الساعة، وهو أن يدعو الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يبدأ بالأقربين ثم الأبعد فالأبعد.

إبراهيم عليه السلام والكذبات الثلاثة

إن المعارض² تباح عند الحاجة الشرعية، وقد تسمى كذباً، لأن الكلام يعني به المتكلم معنى، ولقد جاء في الحديث النبوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكُذْبِ"³. وذلك المعنى يريد أن يفهمه المخاطب، فإذا لم يكن على ما يعنيه فهو الكذب المحض، وإن كان على ما

¹ "صحيح مسلم"، كتاب الفضائل، باب فضل إبراهيم عليه السلام، (٤/٢٣٦٩).

² (المعارض) جمع معراض من التعريض وهو أن يقول كلاماً يفهم منه شيء ويقصد به شيئاً آخر، "الجامع الصحيح المختصر، كتاب الأدب، باب المعارض مندوحة عن الكذب.

³ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب البر والصلة، باب المعارض مندوحة عن الكذب (٣٢/٤٢٦).

يعنيه ولكن ليس على ما يفهمه المخاطب فهذه المعاريض، وهي كذب باعتبار الأفهام، وإن لم تكن كذباً باعتبار الغاية السائغة¹، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: "لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلُهُ: إِنْ سَقِمْتُ (الصفات: ٨٩) وقوله: قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (الأنبياء: ٦٣)، وَقَالَ بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةٌ إِذْ أَتَى عَلِيَّ جِبَارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ فَأَرْسَلْ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَقَالَ مَنْ هَذِهِ قَالَ أُخْتِي فَأَتَى سَارَةَ قَالَ يَا سَارَةُ لَيْسَ عَلِيٌّ وَجْهَ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرِكَ وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتَهُ أَنَّكَ أُخْتِي فَلَا تُكَذِّبِينِي فَأَرْسَلْ إِلَيْهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأَخَذَ فَقَالَ ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضْرُكَ فَدَعَتِ اللَّهَ فَأَطْلِقِ ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأَخَذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ فَقَالَ ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضْرُكَ فَدَعَتِ اللَّهَ فَأَطْلِقِ فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ فَقَالَ إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ فَأَخَذَهَا هَاجِرًا فَاتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ مَهْيَا قَالَتْ رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْكَافِرِ أَوْ الْفَاجِرِ فِي نَحْرِهِ وَأَخَذَهَا هَاجِرًا"².

قال أبو هريرة تلك أمكم يا بني ماء السماء.

1 انظر مجموع الفتاوى، تقي الدين أبي العباس أحمد الحراني/ابن تيمية، كتاب الفقه، باب الجهاد (١٦/١٠١)

2 "صحيح البخاري"، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، (٣/٣١٤٧)، مع عمدة القاري، باب، (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، مع بعض التصرف بالشرح (٢٣/٢١٥)، و"صحيح مسلم"، كتاب الفضائل، باب فضل إبراهيم عليه السلام، (٤/٢٣٧١).

قوله: "ثلاث كذبات" استشكل بعضهم هذا الحصر في ثلاث لأنه جاء في رواية مسلم من حديث أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: أتى رسول الله يوماً بلحم فرفع إليه الذراع الحديث، وهو حديث طويل في الشفاعة وفيه اذهبوا إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام الحديث وفيه "وذكر كذباته"، الحديث وزاد في قصة إبراهيم قال وذكر قوله: في الكوكب (هذاري)، وقوله: (لآهتَم قَال بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) (الأنبياء: ٦٣)، وقوله: (فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) (الصفاء: ٨٩)، وجه الاستشكال أن ذكر الكوكب يقتضي أن كذباته أربع وهو يعارض الحصر في حديث الباب، وقال بعضهم في معرض الجواب الذي يظهر أنه وهم من بعض الرواة فإنه ذكر قوله في الكوكب بدل قوله في سارة والذي اتفقت عليه الطرق في ذكر سارة دون الكوكب، ووجه إطلاق الكذب على الأمور الثلاثة فهو ما قاله الماوردي أما الكذب فيما طريقه البلاغ عن الله عز وجل فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عنه. وأما في غيره فالصحيح امتناعه، فيؤول ذلك بأنه كذب بالنسبة إلى فهم السامعين، أما في نفس الأمر فلا، إذ معنى سقيم إنني سأسقم لأن الإنسان عرضة للأسقام أو سقيم بما قدر عليه من الموت، أو كانت تأخذه الحمى في ذلك الوقت، وأما فعله كبيرهم فيؤول بأنه أسند إليه لأنه هو السبب لذلك، أو هو مشروط بقوله: (إن كانوا ينطقون)، أو يوقف عند لفظ فعله أي فعله فاعله وكبيرهم، هو ابتداء الكلام، وأما سارة فهي أخته بالإسلام.

واتفق الفقهاء على أن الكذب جائز بل واجب في بعض المقامات كما أنه لو طلب ظالم وديعة ليأخذها غصباً وجب على المودع عنده أن يكذب بمثل أنه لا يعلم

موضعها، بل يحلف عليه، قوله: "فأخبرته أنك أختي فلا تكذبنيني"، وكانت عادة هذا الجبار أن لا يتعرض إلا إلى ذوات الأزواج؛ فلذلك قال لها إنني أخبرته أنك أختي، قوله: "فأخذ"، على صيغة المجهول أي اختنق حتى ركض برجله كأنه مصروع، وفي رواية مسلم، "فأرسل إليها فأتي بها قام إبراهيم يصلي فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يديه إليها فقبضت يده قبضة شديدة"، وعند أهل السير، فلما دخلت عليه ورآها، أهوى إليها فتناولها بيده، فبيست إلى صدره، قوله: "الثانية" وعند أهل السير فعل ذلك ثلاث مرات قوله فدعت وكان دعاؤها اللهم إن كنت تعلم أنني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي الكافر، قوله: "فدعا بعض حجبه"، بفتح الجيم والباء الموحدة جمع حاجب، وفي رواية مسلم: "ودعا الذي جاء بها"، قوله: "إنكم لم تأتونني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان"، وفي رواية مسلم: "فقال: إنما جئتني بشيطان ولم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر"، والمراد من الشيطان المتمرد من الجن، وكانوا قبل الإسلام يعظمون أمر الجن جداً، ويرون كل ما يقع من الخوارق من فعلهم وتصرفهم، قوله: (فأخدمها هاجر)، أي وهب لها خادماً اسمها هاجر وهي أم إسماعيل عليه الصلاة.

إذا هي لغة الحجة والإقناع، إذ أن إبراهيم عليه السلام لم يقصد أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، (على سبيل المثال) وإنما قصد تقرير نفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة والإقناع، ولذلك فإن الإقناع سلطة عند المخاطب في خطابه، ولكنها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تقنع

المخاطب، (ولذلك لابد من دراسة الإقناع بوصفه هدفاً واستراتيجية في الآن نفسه، يستعمل فيه المخاطب آليات وأدوات لغوية كثيرة ومتنوعة) ¹، منها الإقناع بالبراهين، ومنها بالأقوال الجدلية، ومنها بالأقوال الخطابية، ومنها بأسلوب التعريض، على حسب مقام المخاطب وفهمه وعقله، فمن الحكمة أن يخاطب الناس على قدر عقولهم.

اسماعيل عليه السلام وهو وليد

ذكر الله في كتابه الكريم، ثلاث مشاهد من حياة إسماعيل عليه السلام، كل مشهد عبارة عن محنة واختبار لكل من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وأول هذه المشاهد هو أمر الله سبحانه وتعالى لإبراهيم بترك إسماعيل وأمه في واد مقفر، لا ماء فيه ولا طعام. فما كان من إبراهيم عليه السلام إلا الاستجابة لهذا الأمر الرباني، والمتأمل لسيرة إبراهيم عليه السلام، سيجد أنه لم يكن ليتلقى أوامره من أحد غير الله، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لَمَّا كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ أَهْلِهِ 2 مَا كَانَ 3، خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ فَيَدِرُّ لَبْنُهَا عَلَى صَبِيهَا حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَهْلِهِ فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ حَتَّى لَمَّا بَلَغُوا كَدَاءَ نَادَتُهُ

¹ الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام، لبوصلاح فايزة (١٧٦)

² أهله: سارة عليه السلام.

³ ما كان: من خصومة بين الضرائر وذلك حين ولدت هاجر عليها السلام إسماعيل عليه السلام وغارت منها سارة فكان منها ما كان.

مِنْ وَرَائِهِ يَا إِبْرَاهِيمَ إِلَى مَنْ تَرَكْنَا قَالَ إِلَى اللَّهِ قَالَتْ رَضِيْتُ بِاللَّهِ قَالَ فَرَجَعَتْ
 فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ وَيَدِرُّ لَبْنُهَا عَلَى صَبِيهَا حَتَّى لَمَّا فَنِيَ الْمَاءُ قَالَتْ لَوْ
 ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أَحْسُ¹ أَحَدًا قَالَ فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتْ الصَّفَا فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ
 هَلْ تُحْسُ أَحَدًا فَلَمْ تُحْسُ أَحَدًا فَلَمَّا بَلَغَتْ الْوَادِي سَعَتْ وَأَتَتْ الْمُرْوَةَ فَفَعَلَتْ
 ذَلِكَ أَشْوَاطًا ثُمَّ قَالَتْ لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ تَعْنِي الصَّبِيَّ فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ
 فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ كَأَنَّهُ يَنْشَعُ² لِلْمَوْتِ فَلَمْ تُقْرِهَا نَفْسَهَا فَقَالَتْ لَوْ ذَهَبْتُ
 فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أَحْسُ أَحَدًا فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتْ الصَّفَا فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ فَلَمْ تُحْسُ
 أَحَدًا حَتَّى أَتَمَّتْ سَبْعًا ثُمَّ قَالَتْ لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ فَإِذَا هِيَ بِصَوْتِ فَقَالَتْ
 أَعِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ فَإِذَا جَبْرِيلُ قَالَ فَقَالَ بِعَقْبِهِ هَكَذَا وَغَمَزَ³ عَقْبَهُ عَلَى
 الْأَرْضِ قَالَ فَاِنْبَثَقَ الْمَاءُ فَدَهَشَتْ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ فَجَعَلَتْ تُحْفِرُ⁴ ، قَالَ فَقَالَ أَبُو
 الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ تَرَكْتَهُ كَانَ الْمَاءُ ظَاهِرًا⁵ ، قَالَ فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ
 مِنَ الْمَاءِ وَيَدِرُّ لَبْنُهَا عَلَى صَبِيهَا قَالَ فَمَرَّ نَاسٌ مِنْ جُرْهُمَ بَبَطْنِ الْوَادِي فَإِذَا هُمْ
 بِطَيْرٍ كَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا ذَاكَ⁶ وَقَالُوا مَا يَكُونُ الطَّيْرُ إِلَّا عَلَى مَاءٍ فَبَعَثُوا رَسُولَهُمْ
 فَنَظَرَ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ فَاتَاهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ فَأَتَوْا إِلَيْهَا فَقَالُوا يَا أُمَّ إِسْمَاعِيلَ أَتَأْذِنِينَ لَنَا

1 أحس: أجد.

2 ينشع: من النشع وهو الشهيق من الصدر حتى كاد يبلغ به الغشي أي يعلو نفسه من الشدة ما يرد عليه.

3 غمز: عصر وكبس.

4 تحفر: أي تسرع وتحث سيرها.

5 ظاهراً: يجري على وجه الأرض.

6 أنكروا ذلك: أي تعجبوا من وجود الطير واستغربوه لعلمهم انه لا يوجد في هذا المكان ماء.

أَنْ نَكُونَ مَعَكُمْ أَوْ نَسْكُنَ مَعَكُمْ فَبَلَغَ ابْنُهَا فَكَحَّ فِيهِمْ امْرَأَةً قَالَ ثُمَّ إِنَّهُ بَدَأَ
لِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لِأَهْلِهِ إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرَكَتِي قَالَ فَجَاءَ فَسَلَّمَ فَقَالَ أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ
فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ ذَهَبَ يَصِيدُ قَالَ قَوْلِي لَهُ إِذَا جَاءَ غَيْرَ عَتَبَةَ بِابِكَ فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ
قَالَ أَنْتِ ذَاكِ فَادْهَبِي إِلَى أَهْلِكَ قَالَ ثُمَّ إِنَّهُ بَدَأَ لِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لِأَهْلِهِ إِنِّي مُطَّلِعٌ
تَرَكَتِي قَالَ فَجَاءَ فَقَالَ أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ ذَهَبَ يَصِيدُ فَقَالَتْ أَلَا تَنْزِلُ
فَتَطْعَمُ وَتَشْرَبُ فَقَالَ وَمَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ قَالَتْ طَعَامُنَا اللَّحْمُ وَشَرَابُنَا
الْمَاءُ قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ قَالَ فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَرَكَةٌ¹ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ قَالَ ثُمَّ إِنَّهُ بَدَأَ
لِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لِأَهْلِهِ إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرَكَتِي فَجَاءَ فَوَافَقَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ وَرَاءِ زَمْرَمَ
يُصَلِّحُ نَبْلًا لَهُ فَقَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ رَبَّكَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا قَالَ أَطَعُ رَبَّكَ قَالَ
إِنَّهُ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ تُعِينَنِي عَلَيْهِ قَالَ إِذْنًا أَفْعَلُ أَوْ كَمَا قَالَ قَالَ فَقَامَا فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ
يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَيَقُولَانِ: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ
وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة: ١٢٧)، قَالَ حَتَّى ارْتَفَعَ
الْبِنَاءُ وَضَعَفَ الشَّيْخُ عَنْ نَقْلِ الْحِجَارَةِ فَقَامَ عَلَى حَجَرِ الْمَقَامِ فَجَعَلَ يُنَاوِلُهُ
الْحِجَارَةَ وَيَقُولَانِ: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ
أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة: ١٢٧)²

1 بركة: أي في طعام مكة وشراها.

2 صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب يزفون/الصفات ١٨٥/٣/٩٢)

الاستسلام والانقياد لكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه سبحانه وتعالى، وهذا هو حال نبي الله إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، ولقد ظهر لنا ذلك جلياً باستسلامه وانقياده لأمر الله عز وجل عندما أمره بترك زوجته هاجر مع ولده إسماعيل عليهما السلام بواد غير ذي ذرع، فاستجاب إبراهيم عليه السلام لربه جل جلاله دون تردد، بل لقد تجلت الطاعة بأسمى صورها عندما قالت هاجر عليها السلام لإبراهيم عليه السلام: "آله أمرك بهذا، فقال: نعم، فقالت: إذا لن يضيعنا، فكانت استفادتنا من نبي الله إبراهيم عليه السلام في حياته وبعد مماته، أما بعد مماته فكانت الاستفادة من هذه السيرة التي ذكرها الله لنا وأن الله لن يضيع عبداً توكل عليه، ويستفاد منه بكفالة أولاد المسلمين الذين ماتوا، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "أطفالُ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَبَلٍ فِي الْجَنَّةِ يَكْفَلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ إِلَى آبَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"¹.

وأخيراً ماذا عسانا نقول لأولئك الذين غلوا في طغيانهم وفجورهم، فلما هدى الله من أولادهم إلى الصراط المستقيم من قاموا لهم بالنصيحة، وبينوا لهم الطريق القويم، ولكن أخذتهم العزة بالإثم فلا يريدون الرجوع عن طريق الغواية إلى طريق الحق والهداية، ويصرون على الباطل، ويستهزئون بالولد الصالح وهو يدعوهم إلى الله تعالى، وإلى ترك الفجور والخنا على الكبر، والشيب، وترك الخمرة في نهاية

¹ "مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير" (١/٤٧٥).

العمر، ولكن لا فائدة، فأبي مصير ينتظرهم وهم المعرضون عن التذكير والنصح،
فتباً لتلك الأفعدة فما أقواها على النار.

المبحث الثالث

أيوب وموسى والخضر عليهم السلام

قصص الأنبياء، هي قصص من قصة الابتلاء والصبر، والإنعام بعد ذلك والفضل، وهي أيضاً بمثابة دلائل لرحمة ربنا جل وعلا، الذي يجزي من صبر، ويعطي لمن شكر، ويكافئ من ينجح في الاختبار ويصبر على هول الأقدار، وقصة نبي الله أيوب عليه السلام من هذه القصص، كذلك قصة نبي الله موسى مع الخضر عليهما السلام.

أيوب والجراد

لا غنى لأحد عن بركة الله تعالى وإحسانه على عباده، وإن تحصيل ذلك أمر مشروع عند الخلائق كلها حتى الأنبياء والرسل عليهم السلام، فقد رفع الله تعالى عن أيوب عليه السلام الشدة، وكشف ما به من ضرر رحمة منه ورأفة وإحساناً، وجعل قصته ذكراً للعابدين، تُصبر من ابتلى في جسده أو ماله أو ولده، فله أسوة بنبي الله أيوب عليه السلام، الذي ابتلى بما هو أعظم من ذلك، فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بَيْنَمَا أَيُّوبُ يُغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ¹ عَلَيْهِ رَجُلٌ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ يَحْتِثِي²

¹ فخر: سقط "صحيح البخاري" كتاب الغسل، باب من اغتسل وحده عرياناً وحده في الخلوة برقم (١/٢٧٥)

² يحتثي: يأخذ بيده ويرمي في ثوبه

فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَعْنَيْتَكَ عَمَّا تَرَى قَالَ بَلَى يَا رَبِّ وَلَكِنْ لَا
غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ¹.

ومما يستنبط منه؛ ما قاله ابن بطال² جواز الاغتسال عرياناً، لأن الله تعالى عاتب
أيوب عليه السلام على جمع الجراد، ولم يعاتبه على الاغتسال عرياناً، وقال
الداودي³ فيه فضل الكفاف على الفقر لأن أيوب عليه السلام لم يكن يأخذ ذلك
مفاخرًا ولا مكاثراً، وإنما أخذه ليستعين به فيما لا بد له منه ولم يكن الرب جل
وعلا ليعطيه ما ينقص به حظه، وفيه الحرص على الحلال، وفيه فضل الغنى لأنه
سماه بركة.

وإن من أعظم النعم على الإنسان أنه عبد مملوك لله سبحانه وتعالى، فهو سبحانه
وتعالى رحيم بعباده، إذا ابتلاهم فلحكمة يريد لها، فإذا صبر العبد على البلاء
والمصيبة، أعاد الله عليه نعمه الظاهرة والباطنة، فهذا نبي الله أيوب على نبينا

1 "صحيح البخاري"، كتاب الغسل، باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة، (١/٢٧٥)، ٣٢١١،
٧٠٥٥ (مع عمدة القاري شرح صحيح البخاري، باب من اغتسل عرياناً وحده في خلوه،
٥/٢٩٢)

2 ابن بطال: علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن (٤٤٩ هـ = ١٠٥٧ م): عالم
بالحديث، من أهل قرطبة.

"شرح صحيح البخاري" الجزء الأول منه والثالث والرابع في الأزهرية، والثاني (كتب سنة ٧٧٦)
في خزنة القرويين بفاس، والخامس (الأخير منه) في شستريتي (١٧٨٥) ومنه قطعة مخطوطة
في إسطنبول، أولها: باب زيادة الإيمان ونقصانه. من كتاب الأعلام للزركلي، (٤/٢٨٥).

3 عبدالرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود بن أحمد بن معاذ الداودي، البوشنجي
(٥٣٧٤هـ) سمع "الصحيح" و"مسند" عبد بن حميد وتفسيره، و"مسند" أبي محمد الدارمي من
أبي محمد بن حمويه السرخسي ببوشنج، وتفرد في الدنيا بعلو ذلك، وسمع بهراً من عبدالرحمن
بن أبي شريح، وبنيسابور من أبي عبد الله الحاكم، وابن يوسف، وابن محمش، وبيغداد من ابن
الصلت المجر، وابن مهدي الفارسي، وعلي بن عمر التمار، وكان مجيئه إلى بغداد سنة
(٣٩٩هـ)، فأقام بها أعواماً، وتفقه على أبي حامد، وعلى أبي الطيب الصعلوكي، وأبي بكر
القفال، وابن محمش (كتاب سير أعلام النبلاء، باب الداودي الإمام العلامة، (١٨/٢٢٣)).

وعليه الصلاة والسلام، ابتلاه الله بفقد ذلك كله، وابتلي بأنواع البلايا في جسده، حيث لم يبق موضع في جسده لم يسلم من الأذى سوى قلبه ولسانه، وكان يذكر الله بهما، ويسبح ليلاً ونهاراً، وصباحاً ومساءً، حتى عافه الجليس، واستوحش منه الأنيس، ولم يبق عنده سوى زوجته، فلجأ إلى الله بالدعاء ليفرج عنه فقال: (وَأَيُّوبُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (الأنبياء: ٨٣) فجاء الفرج من الله: (إِزْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) (ص: ٤٢) أي اضرب الأرض برجلك، فامتثل ما أمر به، فأنبع الله عيناً باردة الماء، وأمره أن يغتسل فيها، ويشرب من مائها، فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والسقم الذي كان في جسده ظاهراً وباطناً، وأبدله الله بعد ذلك صحة ظاهرة وباطنة، وجمالاً تاماً، ومالاً كثيراً، حتى صب له من المال مطراً عظيماً، جراد من ذهب¹، فالإنسان إذا التجأ إلى ربه، ودعا فإن الله يجيبه، وأن الله يأتي بالفرج بعد الشدة، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

موسى مع ملك الموت عليهما السلام

الله تعالى قص على نبيه صلى الله عليه وسلم من قصص الأمم السابقة ما يأخذ بمجامع القلوب والأرواح، والذي يحرك الوجدان والمشاعر، ويوقظ الفطر السليمة، ويحرك القلوب النقية التقية، ودروساً لأخذ العبر، ولذلك فإن قصص الأنبياء والحديث عنها غاية يتلمسها الدعاة والمصلحون من أجل أن يستضيئوا بضئائها

¹ قصص الأنبياء لأبن كثير (١/٣٦٧).

ويهدتوا بهديها وتثبيتاً لفؤادهم فيما يلاقونه في معترك الحياة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ¹، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ² ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةً قَالَ أَيُّ رَبِّ ثُمَّ مَاذَا قَالَ ثُمَّ الْمَوْتُ قَالَ فَلَا أَنْ فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ³ مِنْ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ⁴. قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ⁵ لِأُرَيْتَكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ⁶ الْأَحْمَرِ⁷."

"قال ابن خزيمة⁸: "أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وقالوا: "إن كان موسى عرفه فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقه عينه؟".

والجواب: أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ، وإنما بعثه إليه اختباراً، وإنما لطم موسى ملك الموت؛ لأنه رأى آدمياً دخل داره بغير إذنه، ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الشارع فقه عين الناظر في دار المسلم بغير إذن،

1 صكه: لطمه على وجهه فأصاب عينه وفاقها "صحيح البخاري" كتاب الجنائز، باب من أحب الدفن ليلاً في الأرض المقدسة (١/١٢٧٤)

2 متن: ظهر.

3 يدنيه: يقربه.

4 رمية بحجر: أي بحيث لو رمى رام حجر من الموضع لوصل إلى بيت المقدس.

5 ثم: هناك

6 الكثيب: الرمل المجتمع

7 صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب من أحب الدفن ليلاً في الأرض المقدسة، (١/١٢٧٤، ٣٢٢٦)، "وصحيح مسلم"، كتاب الفضائل، باب فضائل موسى، (٤/٢٣٢٧)

8 ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر. الحافظ الحجة الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف. وعني في حديثه بالحديث والفقه، حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان ولد سنة (٥٢٢٣) (كتاب سير أعلام النبلاء (١٤/٣٦٥)).

وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداءً، ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكل، ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه، وعلى تقدير أن يكون عرفه، فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصص بين الملائكة والبشر؟ ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصص من موسى فلم يقتص له؟¹. هذا وإن في قصص الأنبياء ما ينشط على العمل بالرغم من صعوبة الواقع، وإن الطباع البشرية مجبولة على كراهة الموت، مطبوعة عن النفور منه، محبة للحياة ومائلة إليها حتى أن الأنبياء عليهم السلام على شرف مقاديرهم وعظم أخطارهم ومكانتهم من الله ومنازلهم من محال قدسه وعلمهم بما تؤول إليه أحوالهم وتنتهي إليه أمورهم، أحبوا الحياة ومالوا إليها وكرهوا الموت ونفروا منه، ولكن لا بد من الموت²، ولا بد من الاستعداد للقاء ملك الموت وبأن ملاك الأمر هو التقوى إلى وقت توفيقهم، وحث للمؤمنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله.

موسى مع الخضر عليهما السلام

قصة عظيمة من قصص الأنبياء، قصة موسى صلى الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام مع الخضر عليه السلام، وفي سورة الكهف عرض لهذه القصة في آيات من كتاب الله، وسيقت هذه القصة ببيان أكمل، وتفصيل أوفى في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن السنة هي المبينة للقرآن، والمفصلة لمجمله.

¹ انظر "فتح الباري لابن حجر"، أحاديث الأنبياء، وفاة موسى عليه السلام وذكره بعده (١٠/٣١٥٥).

² كشف الغمة لابن أبي الفتح الإربلي (٢/٨١ - ٨٢)

فمن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس إن نَوْفًا الْبِكَالِيَّ¹ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرَ؟ فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ²، حَدَّثَنَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيْبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ³ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ⁴ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: أَحْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ⁵ فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ تَمٌّ، فَانْطَلِقْ، وَانْطَلِقْ بِفَتَاهُ يُوْشَعَ بْنِ نُونٍ، وَحَمَلًا حُوتًا فِي حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ، وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا، فَانْسَلَّ⁶ الْحُوتُ مِنَ الْمِكْتَلِ، فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا⁷ وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: (أَتِنَاغْدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا)⁸، وَكَمْ يَجِدُ مُوسَى مَسًّا⁹ مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: (أَرَأَيْتَ إِذَا وُيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَأَيُّ نَسِيئُ الْحُوتِ)، فَقَالَ مُوسَى: (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَنْجِي، فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا)، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِذَا

1 نوف البكالي: هو تابعي من أهل دمشق فاضل عالم لا سيما بالإسرائيليات وكان ابن امرأة كعب الأحمبار وقيل غير ذلك "صحيح البخاري"، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل (١/١٢٢)

2 كذب عدو الله: أي أخبر بما هو خلاف الواقع. ومراد ابن عباس رضي الله عنهما الزجر والتحذير لا المعنى الحقيقي لهذه العبارة.

3 فعتب: لم يرض منه بذلك وأصل العتب المؤاخظة..

4 بمجمع البحرين: ملتقى البحرين وفي تسمية البحرين أقوال..

5 مكتل: وعاء يسع خمسة عشر صاعاً..

6 فانسل: خرج برفق وخفة..

7 سرّباً: مسلكا يسلك فيه..

8 نصباً: تعباً..

9 مسا: أثرًا وفي رواية (شيئاً)..

رَجُلٌ مُسَجِّى¹، بِتَوْبٍ أَوْ قَالَ: تَسَجَّى تَوْبِهِ، فَسَلَّمَ مُوسَى، فَقَالَ الْخَضِرُ: (وَأَنْتَى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ)²؟ فَقَالَ: أَنَا مُوسَى، فَقَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا) قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا يَا مُوسَى، إِنَّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكُهُ، لَا أَعْلَمُهُ، قَالَ: (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا)، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفَ الْخَضِرُ، فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ³، فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقَرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ الْخَضِرُ يَا مُوسَى: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ، فَعَمَدَ⁴ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنَ الْأَوْاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَحَرَقْتَهَا لِتَغْرِقَ أَهْلَهَا؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا؟ قَالَ: (أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) قَالَ: (لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتَ)؛ فَكَانَتْ الْأُولَى⁵ مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا، فَانْطَلَقَا فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ مُوسَى: (أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً⁶ بِغَيْرِ نَفْسٍ) قَالَ: (أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)⁷ قَالَ ابْنُ عَبَّيْنَةَ: وَهَذَا

1 مسجى: مغطى..

2 وأنى بأرضك السلام: كيف تسلم وأنت في أرض لا يعرف فيها السلام..

3 نول: أجر..

4 فعمد: قصد..

5 الأولى: المسألة الأولى..

6 زكية: طاهرة لم تذنّب..

7 وهذا أوكد: أي قوله. (ألم أقل لك) لزيادة لك فهذا أوكد في العتاب..

عَيْنَةً: وَهَذَا أَوْكَدَ (فَانْطَلَقَا، حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا¹ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ)² قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ³ فَأَقَامَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: (لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا)، قَالَ: (هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ)، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقْصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا⁴)⁵. هذا الحديث يعلمنا موقف طالب العلم من العالم، إذ لا بد أن يكون موقف طالب العلم من العالم موقف أدب في الطلب، لا بد أن يطلب العلم منه بأدب، وأن يكون مؤدباً، انظروا إلى موسى صلى الله عليه وسلم كيف خاطب الخضر، قال له: (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا) (الكهف: ٦٦) أسلوب استفهام، مؤدب جداً هو يخيره، يقول: يعني: إذا كنت مشغولاً أو لا تريد أو لم تشأ فأنا لا ألزمك بهذا، وأنا تابع لك لا أخرج عنك، هل أتبعك اتباع، وقال له كذلك: (قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) (الكهف: ٦٩) أي سأكون عند حسن ظنك، كذلك يجب أن يكون موقف طلبة العلم من العلماء حسن الأدب، لا يرفع صوته فوق صوت العالم، ولا يحتج مع العالم، ولا يجهل العالم، ويسفه رأي العالم فالعلماء ورثة الأنبياء، ويعلمنا أيضاً التواضع في طلب العلم الشرعي، إذ لا بد أن يكون هناك تواضع في طلب العلم الشرعي، ولا بد

1 استطعما: طلبا طعاماً..

2 ينقض: يكاد يسقط..

3 قال الخضر بيده: أشار بها..

4 من أمرهما: من الأعاجيب والغرائب..

5 "صحيح البخاري"، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم، (١/١٢٢)،

"صحيح مسلم"، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، (٤/٢٣٨٠)

الشرعي، ولا بد أن يكون حريصاً على الاستفادة من الآخرين حتى لو كنت أعلم منه، فقد يكون الآخر أعلم منك بشيء آخر، فإذا ليس من الصحيح أن تقول: والله أنا أعلم من فلان، لماذا أذهب أتلقى عنه العلم؟ كيف أسأله؟ لا قد تخفى أحياناً مسائل على عالم وتظهر لطالب علم، حتى لو كانوا أصغر شأنًا أو أقل علمًا، والظاهر للخلق أن موسى عليه السلام أفضل من الخضر، لأن موسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، والخضر ليس من أولي العزم مع أنه من الأنبياء، لكن هل دفع موسى هذه المنزلة التي أعطاه الله إياها على التكبر على الخضر، ويقول: كيف أتبع هذا لا يمكن أن أتبعه، لا بل حرص على أن يتبعه، وسأل الله عز وجل كيف أستدل عليه، وكيف أذهب إليه؟ أيضاً فإن الإنسان مهما أوتي من علم فهو جاهل، قال الله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء)، أي: جاهل بالنسبة إلى علم الله مهما أوتي من علم فعلمه قليل، ولذلك يقول الخضر: (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) (الكهف: ٦٨) فعندما يسئل الإنسان عن شيء لا يعلمه ماذا يقول؟ الله أعلم، أو يقول: لا أدري، كذلك عدم الموقف السلبي من الشيء إلا بعد تعلمه، والوقوف على حقيقته، بمعنى: أن الناس أعداء ما جهلوا، ولذلك أحياناً يقف الناس من الداعية موقف العدا، قد لا يكون موقف العدا مجرد العدا والشر في النفس، ولكن يقفون منه موقف العدا لجهلهم به، لذلك يجب على الداعية أن يوضح دعوته للناس حتى لا يسبب العداوة منهم لدعوته.

الخضر والغلام

هذه الحادثة والتي ورد ذكرها في القرآن وردت للعبارة والعظة وإظهار السبب المباشر في الحدث، وهو القضاء والقدر، لكي ندرك أن وراء الأسباب مسبب ومقدر، لكي ندرك الحكمة من وراء موت الغلام الذي انتهى عمره ورزقه فعلاً في الدنيا كما حدده الله في علمه مسبقاً، وكان يمكن لله تبارك وتعالى أن ينهي حياة الطفل بأي سبب آخر وصورة أخرى للموت. والخضر عليه السلام لم ينقص من عمر الطفل شيئاً كما قد يتبادر للبعض، فقد امتثل للأمر الإلهي ونفذ ما هو مأمور به وهو إنهاء حياة هذا الغلام، وكان يمكن أن ينتهي عمر الغلام كما أشرنا بطريقة أخرى وبشكل آخر كأن يلدغه عقرب مثلاً، لكن أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون بهذه الصورة للفت الأنظار والانتباه وتجسيد القدر، وإظهار السبب الظاهر في عملية القضاء والقدر، فالخضر عليه السلام ما هو إلا أداة الله في تنفيذ قدره وحكمه، فعن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طَبِعَ كَافِرًا وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبُوهُ طُغْيَانًا وَكُفْرًا"¹.

جاءت القصة بموقف خارج عن المألوف قد يثير في النفس شيء لمن لا يدرك الحقيقة، فالحادثة قتل مع سبق الإصرار وجاءت على يد رجل صالح ومعه نبي

¹ "صحيح مسلم"، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، (٤/٢٦٦١)

مرسل، وبالرغم من أن الموعدة واردة في الآيات كما أخبر بها الخضر في نهاية الرحلة، وهي أن والدا هذا الغلام كانا مؤمنين فخشى من طغيانه عليهم ومجاراتهم له في كفره، فأراد الله أن يبدلها من هو خير منه، ومع العلم بكل هذا كما هو مذكور في القصة وواضح في الآيات إلا أنه قد يثير في النفس تساؤلاً، لماذا رزقهم الله بطفل كهذا وهم مؤمنين؟ وألا توجد طريقة أخرى لإنهاء حياة هذا الطفل؟ كأن يمرض فيموت أو يرسل الله له عقرباً أو ثعباناً فيلدغه فيريده قتيلاً ويكون هذا هو قدر الله له، فالقتل يصعب على النفس تقبلها، ولا ضير في ذلك فقد أصاب موسى هذا الشعور ونحن لسنا كموسى وهو يعلم أن هذا الإنسان صالح وأعلم منه ومؤيد من الله وجاء ليتعلم منه، وضرب في الأرض كي يلتقيه ويتعلم منه.

والجواب، من يلهمه الله الحقيقة ويعرف السبب الحقيقي يقتنع ويرتاح فعلاً ويسلم كل أموره إلى الله فهذا أمر إلهي ووحى من الله لهذا العبد الصالح ولا سبيل للشك والريبة في ذلك فلو مات هذا الطفل في سريره، أو لدغه عقرب، أو ثعبان مثلاً هل كان هذا العقرب، أو الثعبان يمكن أن يوصل إلينا أمر الله وحكمته في موت هذا الغلام؟ بالطبع لا، فكان لابد أن تنتهي حياته على يد من يستقبل الأمر من الله وينفذه ثم ينبأ بعد ذلك عن أمر الله وحكمته، فكان لابد أن تكون على يد إنسان وبهذه الطريقة العجيبة لتلفت الانتباه أكثر، فهناك ملايين من الأطفال يموتون في أسرتههم وبلدغ عقارب وثعابين وفي حوادث سيارات وسقوط من علو، هل هناك من يدرك الحكمة والموعدة وراء ذلك ويعلم أنها بقدر الله ومشئته ويسلم ويرضى بقدر الله؟. فما هي إلا الأسباب الظاهرة، لكن يدخل الشيطان ليقول للناس لو كان

كذا لكان كذا، وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من كلمة لو فإنها تفتح عمل الشيطان، فلا يغني حذر من قدر، وهذه ليست دعوة للتخلي عن الحيطة والحذر، بل لا بد أن نأخذ بكل أسباب الحذر والحيطة قدر المستطاع في كافة الأعمال ونعتمد على الله سبحانه وتعالى بأن تتعلق قلوبنا به سبحانه لا بالأسباب، وهذا لا يمنع من محاسبة المقصر والمخطئ وكذلك يفتح القرآن باباً للصفح والعفو¹.

آدم وموسى عليهما السلام

القاعدة الربانية التي لا استثناء لها، بل هي من قواعد العدل الإلهية العامة التي لم تتفاوت فيها الشرائع، هذه القاعدة هي ما ورد في قول الله عز وجل: (قُلْ أَغْبِرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (الأنعام: ١٦٤)، وذلك ما ينبغي اعتقاده في قصة آدم وذريته والخروج من الجنة، فقد أهبط آدم عليه السلام منها على وجه الكفارة للذنب الذي وقع فيه، وحذره الله منه، ولو تأملنا لوجدنا أنه سبحانه خلق آدم عليه السلام أول ما خلقه ليعبد الله في الأرض، وليكون خليفة فيها يعمرها بطاعة الله، وإنما كان ما جرى له في الجنة ابتلاء واختبار ليكون عبرة لمن بعده إلى قيام الساعة، وليس عقوبة لذريته على خطيئته السابقة، ثم إن العقوبة تستلزم أحد أمرين: إما إلحاق العذاب، أو الحرمان من خير أعطيه، وكلا المعنيين لم يقع في حال بني آدم، فالعيش في الأرض ليس عذاباً بحد ذاته، بل هو

¹ انظر صفحة الإعجاز الطبي في القرآن الكريم تاريخ ١٣/٢/٢٠١١ من موسوعة د. السيد نافع.

خير وسعادة إذا كانت بطاعة الله ورضاه وإقامة شرعه، وإنما هذا قدرهم أن يعيشوا دار الابتلاء، ليستحقوا دخول الجنة برحمة الله لهم، ثم باجتيازهم اختبار التكليف الذي تميز به الإنسان والجان عن سائر المخلوقات، فقد خلق الله عز وجل الإنسان ليعبده بإرادته الحرة، وأخبر الملائكة أنه سبحانه سيخلق خليفة في الأرض، يختلف في خلقه وتكوينه عن الملائكة، فاستخلاف البشر في الأرض أمر مقدر قبل خلق آدم عليه السلام، وقبل أكله من الشجرة، وإنما كانت المعصية سبباً لهذا المقدور، فإذا تخلف سبب معين، فقد يكتب سبب آخر لوقوع المقدور¹.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احتج آدم وموسى²، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا³ وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده⁴ أتلومني على أمر قدره الله علي⁵ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فحج آدم موسى⁶ فحج آدم موسى⁷".

1 انظر صفحة الإسلام سؤال وجواب تاريخ ١٣/٢٠٠٦/٦ للشيخ محمد صالح المنجد.
2 احتج آدم موسى: أي التقت أرواحهما في السماء فوق الحجاج بينهما قال القاضي عياض ويحتمل أنه على ظاهره وأنهما اجتمعا بأشخاصهما.
3 خيبتنا: أي أوقعتنا في الخيبة وهي الحرمان والخسران وقد خاب يخيب ويخوب ومعناه كنت سبب خيبتنا وإغوائنا بالخطيئة التي ترتب عليها إخراجك من الجنة ثم تعرضنا نحن لإغواء الشياطين والغي.
4 بيده: في اليد هنا مذهباً، أحدهما الإيمان بها، ولا يتعرض لتأويلها مع أن ظاهرها غير مراد، والثاني تأويلها على القدرة.
5 قدره الله علي: المراد بالتقدير، هنا الكتابة في اللوح المحفوظ، أو في صحف التوراة وألواحها.
6 فحج آدم موسى: هكذا الرواية في جميع كتب الحديث باتفاق الناقلين والرواة والشراح وأهل الغريب، فحج آدم موسى برفق آدم، وهو فاعل أي غلبه بالحجة وظهر عليه بها.
7 صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (٤/٢٦٥٢).

وهذا ليس احتجاجاً بالقضاء والقدر على فعل العبد ومعصية العبد، لكنه احتجاج بالقدر على المصيبة الناتجة من فعله، فهو من باب الاحتجاج بالقدر على المصائب لا على المعائب، ولهذا قال: "خيبتنا وأخرجتنا، ونفسك من الجنة"، ولم يقل: عصيت ربك فأخرجت من الجنة، فاحتج آدم بالقدر على الخروج من الجنة الذي يعتبره مصيبة، والاحتجاج بالقدر على المصائب لا بأس به، ولذلك يكون احتجاجه بالقدر على المصيبة الحاصلة احتجاجاً صحيحاً، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "حج آدم موسى"، يعني غلبه في الحجّة¹، ومن رحمة الله عز وجل بعباده أن جعل باب التوبة مفتوحاً على مصراعيه، فإذا تاب العبد تاب الله عز وجل عليه، فقد أخطأ آدم عليه السلام وتاب، فغفر الله له وقبل توبته، ولم يبق منها إلا التجربة التي يستفيد منها البشر إلى قيام الساعة.

¹ مجموع الفتاوى والرسائل للشيخ ابن عثيمين تاريخ ١٩/٢/٢٠١٩

المبحث الرابع سليمان عليه السلام

سليمان عليه السلام من الأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم، فبلغ عدد المرات التي ذكر فيها في القرآن الكريم ستة عشر آية، وذلك لكثرة المواقف والعبر المستفادة من قصصه مع قومه، ومراحل دعوته وحياته بجميع تفاصيلها، وقد أعطى الله سبحانه وتعالى لسيدنا سليمان عليه السلام مزايا فريدة، وصفات لم توجد في غيره من الأنبياء والرسل، حيث كان يتولى الحكم، وقد علمه الله منطلق الطير وسخر له الرياح، فقال سبحانه وتعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوْحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ^ط وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ^ط وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ^ط عَنْ أَمْرِ نَاذِقُهُ^ط مِّنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) (سبأ: ١٢) وكان قادراً على التحكم بالكثير من المخلوقات والكائنات كالإنس والجن والرياح والنحاس الذي يلين بين يديه.

سليمان عليه السلام مع نسائه

الله عز وجل من حكمته أن يبتلي، وربما ابتلى الممكن حتى لا يتعلق قلبه بالدنيا وما مكن فيه، وحتى لا يغتر بشيء من القوة التي عنده، ولقد كان لسليمان عليه السلام قوة عجيبة ولكن الله عز وجل ابتلاه، فكان الابتلاء هنا للتمكين وحتى لا يركن لقوته وأول الدروس التي نتعلمها هنا أن نتوكل على الله جل جلاله وأن نفوض الأمر إليه سبحانه وتعالى فننال الأجر والدرجات العلى، والقرآن الكريم يوجه النظر إلى ذلك كما في قوله تعالى: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا^ط * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ

وَأَذْكُرُّ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا) (الكهف: ٢٣ - ٣٤). فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قَالَ: سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لِأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ وَائِمِّ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ" 1.

قوله: لأطوفن الليلة، قال القرطبي الدوران حول الشيء وهو ههنا كناية عن الجماع، واللام فيه للقسمة، قوله أو تسع وتسعين شك من الراوي، وقوله بفارس وفي رواية بغلام، وقوله فقال له صاحبه قيل يريد به وزيره من الإنس والجن، وقيل الملك، وفي مسلم، فقال له صاحبه أو الملك، وهو شك من أحد رواته، وقال النووي قيل المراد بصاحبه هو الملك وهو الظاهر من لفظه، وقوله فلم يقل إن شاء الله، فلم يقل سليمان إن شاء الله بلسانه لا أنه غفل عن التفويض إلى الله تعالى بقلبه، فإنه لا يليق بمنصب النبوة، ومن الدروس التي نتعلمها من هذا الحديث، أن يكون المقصد الأول من الزواج والإنجاب هو أن ننجب العلماء، والعظماء، والدعاة الذي سيحملون همَّ الدين، وهمَّ الأمة، مع الأخذ بالأسباب الظاهرة، والاعتماد المطلق على مسبب الأسباب سبحانه وتعالى وهذا هو سمو المقصد، مع الاعتقاد

1 صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من طلب الولد للجهاد، (٣/٢٦٦٤، ٢٦٦٣، ٢٢٤٢)، مع صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الاستثناء، (٣/١٦٥٤).

بأن ما يختاره الله عز وجل للعبد هو لمصلحته ولو كانت النتائج مخالفة لطلبه، فالله عز وجل هو الحكيم العليم، وهناك فوائد أخرى غير ما تقدم يمكن أن تستنبط من الحديث، من ذلك أن إتباع اليمين بقول: إن شاء الله يسقط الكفارة عند عدم فعل ما تم الحلف عليه، وفيه أيضاً بيان أدب الأنبياء في التعبير عن الأمور المستقبحة كما في قول سليمان عليه السلام: (لأطوفن) للتعبير عن إتيان النساء، بالإضافة إلى جملة أخرى من الفوائد الفقهية التي بسطها العلماء في كتبهم¹.

سليمان عليه السلام والمرأتان

الفتنة والفهم والنباهة موهبة خالصة من الله يهبها لمن يشاء من عباده من غير أن يكون لكبر سن أو صغره مدخل في ذلك أو تأثير عليه، ففي الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه مصداقاً لذلك، فقد روى: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "كَانَتْ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذَّنْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ وَقَالَتْ الْأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَأَخْبَرَتَاهُ فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسَّكِينِ أَشَقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا²، فَقَضَى بِهِ

1 انظر "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، كتاب الجهاد والسير، باب من طلب الولد، (٢١/٢٤٢) بتصرف

2 هو ابنها: قالت ذلك حتى لا يشقه خوفاً عليه لأنه ابنها في الحقيقة. "صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ووهبنا لداود سليمان (٣/ ٣٢٤٤)

لِلصُّغْرَى". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتُ¹ بِالسُّكَّانِ قَطُّ إِلَّا يَوْمئِذٍ وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمُدِيَةَ².

الأمة اليوم تسير في صراع رهيب وعلى مسارين اثنين من النار، أما المسار الأول، فيمثل التيار المدني بكافة تشكيلاته، والثاني يمثل التيار الإسلامي السياسي، ذلك الصراع الذي دخل نفقاً دموياً، والذي يتفرق دمه بين الجميع بالتساوي فالمسار الأول عنيد، ومستكبر، والمسار الثاني متسرع ولا يستفيد من أخطاء الماضي بل يكررها باستمتاع غريب، ويخسر طواعية وبشكل مجاني، وللأسف ليس بين المسارين المتصارعين من يمثل الأم الحقيقية مهما كانت مبررات كل منهما، لأن كل واحد منهما متمسك بفكره وعناده، والضعف والهوان والفقر والجهل يأكل ثروات البلاد بهدوء عجيب بل بانتظام غريب ومريب وعبر فترات زمنية منتظمة، فالفطنة والفهم والنباهة موهبة خالصة من الله يهبها لمن يشاء من عباده من غير أن يكون لكبر سن أو صغره مدخل في ذلك أو تأثير عليه.

¹ إن سمعت: ما سمع.

² صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب إذا ادعت المرأة ابناً (٦/٢٤٨٥، ٣٢٤٤).

المبحث الخامس

زكريا وعيسى وداود عليهم السلام

أخبرنا الحق تبارك وتعالى أنه فضل بعض النبيين على بعض، قال جل وعلا:
(وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا
دَاوُدَ دُجُورًا) (الإسراء)، وقد أجمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء
عليهم جميعاً الصلاة والسلام، والرسل عليهم الصلاة والسلام بعد ذلك متفاضلون
فيما بينهم كما قال الله تعالى: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ
وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) (البقرة: ٢٥٣).

زكريا عليه السلام

العمل والمهنة ليست نقصاً، لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يمارسونها،
فهم قدوة للبشر أجمعين، وليبينوا أن العمل ليس عيباً، فقد كانوا يعملون في
مختلف الأعمال والمهن المتنوعة، ولا شك أن هذا خير من سؤال الناس، ولا شك
ولاريب أن هذا هو الخلق النبيل، ألا يخضع الإنسان لأحد، ولا يذل له، بل يأكل
من كسب يده، من تجارته أو صناعته أو حرثه، قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ
أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ

لَنْ تَحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى
وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا
مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرُّوا بِمَا قَرَّ اللَّهُ وَارْتَمُوا بِهَا حَسَنًا وَمَا تَقَدَّمُوا
لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ
رَحِيمٌ (المزمل : ٢٠) ولا يسأل الناس شيئاً، ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام
يعلمنا فضل العمل فيذكر لنا صنع نبي الله زكريا على نبينا وعليه أفضل الصلاة
والسلام فيقول كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه : أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : " كَانَ زَكَرِيَّا نَجَارًا "1 . لقد خلق الله سبحانه وتعالى
هذه الأرض وهؤلاء العباد، خلقهم متكاملين يساعد بعضهم بعضاً ويساند
بعضهم بعضاً، فيعيشون في هناء، وتبقى الأرض في سلام، ثم أرسل الله عز وجل
رسله صلوات ربي وسلامه عليهم للناس ليبينوا لهم كيف يسعدون في الدنيا
والآخرة، وليعمروا الأرض، وليبينوا للناس أن العمل في الحلال من سنن الله عز وجل
في إعمار هذه الأرض وفي سعادة العباد عليها، فالعمل أمر أساسي ورئيسي في
حياة كل إنسان .

1 صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب من فضائل زكريا عليه السلام، (٤/٢٣٧٩).

عداوة الشيطان للإنسان قديمة، وذلك منذ اللحظة الأولى التي خلق الله عز وجل آدم عليه السلام، وتجلت هذه العداوة بأبشع صورها عندما يعلن الشيطان الحرب على الإنسان لحظة ولادته فينخسه، فعداوته الشديدة للإنسان دفعته أن ينخس المولود، وكأنه يذكره بأنه عدو له، فما من مولود إلا ويبكي لحظة ولادته، إلا مريم وابنها عليهما السلام، فلم يحصل بكاء منهما بسبب مس الشيطان، لأن الشيطان لم يمسهما، وذلك لثبوت الحديث في ذلك عن المعصوم عليه الصلاة والسلام، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ¹ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهْلُ² صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنَهَا"³. ثم يقول أبو هريرة: (وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (آل عمران: ٣٦).

إن الله سبحانه وتعالى حفظ المسيح وأمه من نخس الشيطان ببركة دعاء أم مريم امرأة عمران حيث قالت: (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ

¹ يمسسه الشيطان: يناله بيده من غير حاجز. "صحيح البخاري"، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى واذكر في الكتاب مريم.. (٣/٣٢٤٨)

² فيستهل: يصوت عند ولادته..

³ صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم، (٣/٣٢٤٨)، مع صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، (٤/٢٣٦٦).

وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْإُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (آل عمران: ٣٦).

وظاهر الخبر أن إبليس مُمَكَّنٌ من مس كل مولود عند ولادته، بل قد توعد به بأن يبعده عن الدين، ويسهل عليه طريق المعصية، ويفسد عليه حياته من كل اتجاه وكل جانب حتى يدخله نار جهنم، لكن من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلاً، واستثنى من المخلصين مريم وابنها فإنه ذهب يمس على عادته فحيل بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص، ولا يلزم منه تسلطه على غيرهما من المخلصين، فالله عز وجل قد كرم الإنسان وخلقه بأحسن صورة وخلق منا رسولاً كريماً ينور لنا طريقنا ويهدينا بإرادة الله عز وجل للطريق إلى الجنة، ونهانا عن معصية الله واتباع الشيطان وإغوائه¹، حيث أن المسلم المؤمن بالإيمان الحق لا ينصاع لأوامر الشيطان ويبقى بإذن الله على طريق الهداية.

عيسى عليه السلام والسارق

هذه قصة صغيرة الحجم، عظيمة الفائدة، تدلُّ على المدى الكبير الذي بلغه الرسل والأنبياء في تعظيمهم لله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه

¹ فتح الباري لابن حجر، كتاب تفسير القرآن، باب وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، (١٢/٤٠٥).

وسلم قال: "رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ فَقَالَ لَهُ أُسْرِقْتَ قَالَ كَلَّا وَاللَّهِ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَقَالَ عِيسَى آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنِي" ¹ 2.

لقد حَسُنَ فعل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فحَسُنَ ظنه بالناس، مما حدا به
أن يكذب نفسه، ويتأول ما رآته عينه طالما أن المقابل حلف له بالله الذي لا إله إلا
هو أنه لم يسرق.

يقول ابن القيم ³ رحمه الله: "كان الله سبحانه وتعالى في قلب المسيح عليه السلام
أجل وأعظم من أن يحلف به أحد كاذباً، فلما حلف له السارق دار الأمر بين تهمته
وتهمة بصره فرد التهمة إلى بصره لما اجتهد له في اليمين، كما ظن آدم عليه السلام
صدق إبليس لما حلف له بالله عز وجل وقال: ما ظننت أحداً يحلف بالله تعالى
كاذباً" ⁴.

¹كذبت عيني: أي ما ظهر لي من كون المأخوذ سرقة فإنه يحتمل أن يكون الرجل أخذ ما له فيه
حق أو ما أذن له صاحبه في أخذه ونحو ذلك. وقيل قاله عليه السلام مبالغة في تصديق الحالف
بالله تعالى.

²صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم، (٣/٣٢٦)، مع صحيح
مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، (١/٢٣٦٨).

³ ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس
الدين: (٦٩١ - ٧٥١ هـ) من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في
دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، بل ينتصر له في
جميع ما يصدر عنه، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب
بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصى.. وأطلق بعد موت ابن تيمية، وكان حسن الخلق
محبوباً عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عدداً عظيماً، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً،
وألف تصانيف كثيرة منها (إعلام الموقعين - ط) و(الطرق الحكمية في السياسة الشرعية - ط)
و(شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - واغاثة اللفان من مصائد
الشیطان. (كتاب الأعلام للزركلي، ٦/٥٦).

⁴ إغاثة اللفان من مصائد الشيطان لابن القيم الجوزية

فالمؤمن الصادق إذا حلف له بالله صدق، لأن الصدق له سجية، فهو لا يكذب ولا يكذب. بينما المخادع المخاتل الذي اعتاد أن يحلف على الكذب مراراً وتكراراً لا يصدق من حلف له لأنه اعتاد الحلف كاذباً، فيظن أن الناس مثله كذبة.

صيام داود عليه السلام

الصيام يبعث في النفس محبة الخير ودوام التعلق بطاعة الله، كما تكسب النفس بغض المعصية والبعد من الوقوع فيما يسخط الله عز وجل، والصوم فريضة شرعية في كل دين سماوي، بل هو شعار المسلمين في كل زمن، ومن أفضل أبواب النوافل، ومن أجمع العبادات، بل هو فريضة ونافلة وكفارة ونذر، وهو إيمان وإسلام وخلق، ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "أَحَبُّ الصَّلَاةِ 1 إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَحَبُّ الصِّيَامِ 2 إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَيَصُومُ يَوْمًا وَيَفْطُرُ يَوْمًا 3".

لقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم نبي الله داود عليه السلام بأنه كان أعبد الناس، ومقام العبودية من أعلى المقامات، فكيف إذا كان الموصوف هو أعبد

1 أحب الصلاة: الصلاة المحبوبة من النوافل.

2 أحب الصيام: الصيام المحبوب من التطوع.

3 صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب من نام عند السحر، (١/١٠٧، ٧٩، ١١، ١، ١١، ٢، ١٨٧٣ - ١٨٧٩، ٣٢٣٦ - ٣٢٣٨، ٤٧٦٥، ٤٧٦٧، ٤٩، ٣، ٥٧٨٣، ٥٩٢١)، مع صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً، (٢/١١٥٩).

الناس، قال ابن المنير¹ "ولقد كان داود عليه السلام يقسم ليله ونهاره لحق ربه وحق نفسه، فأما الليل فاستقام له ذلك في كل ليلة، وأما النهار فلما تعذر عليه أن يجزئه بالصيام لأنه لا يتبعض، جعل عوضاً من ذلك أن يصوم يوماً ويفطر يوماً"².
فبين كذلك أن أفضل القيام قيام داود: كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه لأنه وقت التجلي في العبادة، حيث ينزل ربنا سبحانه في الثلث الأخير من الليل، وينام سدسه حتى يكون في صلاة الفجر على قدر من الخشوع، وقد أخذ قسطاً من الراحة.

ولكن الصيام كصيام داود عليه السلام لم يكن امتناعاً عن الطعام والشراب وسائر المفطرات فقط، فليس هذا هو المقصود، بل ليصل الإنسان إلى المرحلة الملائكية، لأن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ويفعلون ما يؤمرون، والغاية العظمى من الصيام بشكل عام هي تحقيق العبودية لله جل جلاله والتي هي الأصل في هذه العبادة، ومن الغايات الأخرى للصيام أيضاً، هي تعزيز وتقوية النفس الإنسانية للإحساس بالآخرين، فالمسلم مرهف الحس، ليس متبلد الأحاسيس، فلقد أكرمنا الله عز وجل بالصيام وفرضه علينا كل عام مرة، بل وجعل الصيام نافلة في كثير من أيام السنة، وذلك من خلال سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن خلال سنن من قبلنا، كصيام داود عليه السلام، وصيام يوم عاشوراء، وذلك رحمة بنا، وإنعاماً منه علينا ليرقينا

¹ أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي ناصر الدين ابن المنير الجذامي الجروي الإسكندراني قاضي الإسكندرية وعالمها وأخو زين الدين علي. (٦٢١ - ٦٨٣هـ)؛ كان مع علومه له اليد الطولى في الأدب وفنونه، وله مصنفات مفيدة وتفسير نفيس وهو سبط صاحب، وله تأليف على تراجم صحيح البخاري. وولي قضاء الإسكندرية وخطابتها مرتين، ودرّس بعدة مدارس.

² كتاب فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي، باب التهجد بالليل، (٢/٢١).

ويسمو بنا إلى معارج الفضيلة لنكون كما قال سبحانه وتعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (التين: ٤)، ولنتقي الله عز وجل فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٨٣)، فهذه الآية لخصت الغاية من هذه العبادة، فعبادة الصيام ليست حبساً للنفس عن الطعام والشراب من أجل تعذيبها، ولكنها حبس للنفس عن رعوناتها وشهواتها من أجل تهذيبها، فإذا لم يصل بها الإنسان الصائم إلى هذا التهذيب كانت له تعذيب فقط، فالصيام تطويع للنفس الأمانة إلى النفس المطمئنة (لعلكم تتقون)، فعبادة الصيام يجب أن تنتقل من الفم إلى القلب لأن التقوى محلها القلب، فإذا صلح القلب صلح الجسد كله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه النعمان بن بشير قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "الْحَلَالُ بَيْنَ وَبَيْنَ الْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَعَ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحْرَمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"¹ فمهما وجد في الطرقات من شهوات ومغريات لا يلتفت إليها الصائم لأنه صائم بالبصر عن الحرام، وصائم باللسان عن الكذب، وصائم بالسمع عن الغيبة والنميمة، ولقد أخبر سبحانه وتعالى أن هذه الجوارح مسؤولة يوم

¹ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (١/٢٨) مع صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٣/١٥٩٩).

القيامة عن صاحبها وهو مسؤول عنها فقال تعالى : (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ
السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولٌ) (الإسراء: ٣٦) .

المبحث السادس أحداث بني إسرائيل

عبارة (بني إسرائيل) تعبر عن نسل يعقوب عليه السلام الذي لقب بـ "إسرائيل"، ولقد كان بنو إسرائيل من أفضل الناس في بداية ظهورهم، حيث فضلهم الله على سائر الخلق، فقد فضلهم الله سبحانه وتعالى على عالمي زمانهم حسبما فسر العلماء قول الله سبحانه وتعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة: ٤٧) بأن أنعم عليهم نعماً عظيمة، نعماً دنيوية، وأخرى دينية، فقد جعل فيهم الأنبياء والرسل هذا من الناحية الدينية، أما من الناحية الدنيوية فقد جعلهم ملوكاً، وهو كذلك لم يؤت أحداً من العالمين مثل النعم التي آتاها لبني إسرائيل في ذلك الوقت، غير أنهم عصوا ربهم، وقتلوا أنبياءهم الذين بعثهم الله فيهم، وأشركوا في عبادة الله وأوغلوا في العصيان حتى بلغ بهم العناد والعلو مبلغه. ولذلك فعندما يذكر النبي صلى الله عليه وسلم الأحاديث المتعلقة ببني إسرائيل فمن أجل أن تأخذ أمتة العبرة والموعظة منها.

النبي الذي أحرق قرية النمل

الرحمن الرحيم هذان الاسمان هما من أسماء الله عز وجل، اللذان يدلان على صفة الرحمة التي هي لله سبحانه وتعالى، وهي رسالة نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم للبشر كافة، فقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧)، ولقد حض النبي صلى الله عليه وسلم الأمة على التراحم فيما بينها، بل وحض

النبي صلى الله عليه وسلم الأمة على الرحمة بالحيوان، ونهى عن تعذيبه، وحبسه، وحرقه بالنار، وأمر بالرفق بالحيوان، فكان النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من أسس للرفق بالحيوان فضلاً عن الإنسان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ نَمْلَةً قَرَصَتْ نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأَحْرَقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَفِي أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَهْلَكَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ"¹.

وفي رواية أخرى عنه رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نَزَلَ نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمَرَ بِسَيْتِهِنَّ فَحَرَّقَ عَلَى مَا فِيهَا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ فَهَلَّا نَمْلَةً وَاحِدَةً"²³.

لقد ظهر في الآونة الأخيرة بعض الجماعات الإسلامية (داعش)⁴ على سبيل المثال، تقوم على حرق أعدائها بالنار سواء أكانوا من المسلمين أم من غيرهم، فكان هناك مؤيد ومعارض، فرأيت أن أبين الحكم الشرعي في المجيزين والممانعين فهذه المسألة كباقي مسائل الفقه التي فيها خلاف، إلا أن الخلاف فيها ضعيف كما سيتبين بإذن الله تعالى، وإن كانت الأحكام الفقهية لا يقف عندها معزولة عن

1 صحيح مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن قتل النمل، (٤/٢٢٤١).

2 فهلا نملة واحدة: أي فهلا عاقبت نملة واحدة هي التي قرصتك لأنها الجانية وأما غيرها فليس لها جناية.

3 مرجع سابق.

4 داعش، أو تنظيم الدولة الإسلامية، أو الدولة الإسلامية، أو الدولة الإسلامية في العراق والشام: كان يسمى تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام الذي يعرف اختصاراً بـ (داعش)، وهو تنظيم مسلح يتبع فكر جماعات السلفية الجهادية، ويهدف أعضاؤه - حسب اعتقادهم - إلى إعادة "الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة"، ويوجد أفرادها وينتشر نفوذها بشكل رئيسي في العراق وسوريا مع أنباء بوجوده في المناطق دول أخرى هي جنوب اليمن وليبيا وسيناء وأزواد والصومال وشمال شرق نيجيريا وباكستان. وزعيم هذا التنظيم هو أبو بكر البغدادي.

الفقه العام وعن الوضع العام للجماعة المسلمة وللأمة المسلمة، لغيابة الأمة المسلمة، ففقه الأمة له علاقة كبيرة بسياسة دولتها.

ثبت الخلاف: قال الإمام ابن حجر رحمه الله: "اختلف السلف في التحريق، فكره ذلك عمر وابن عباس وغيرهما مطلقاً، سواء كان ذلك بسبب كفر أو في حال مقاتلة أو كان قصاصاً، وأجازه علي وخالد بن الوليد وغيرهم"¹.

أدلة المانعين من التحريق:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْثٍ فَقَالَ إِنْ وَجَدْتُمْ فَلَانًا وَفُلَانًا فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَحْرِقُوا فَلَانًا وَفُلَانًا وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذَّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا"².

٢ - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تُعَذَّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ"³.

أدلة المجيزين للتحريق:

١ - عن عكرمة ثم أن علياً رضي الله عنه حرق قومًا، فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تُعَذَّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ"

¹ فتح الباري لابن حجر، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، (٩/٢٧٩٣).

² صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله (٣/٢٨٥٣).

³ مرجع سابق برقم (٣/٢٨٥٤).

اللَّهِ" ، ولقتلتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ"¹ ،
والجزء المرفوع من هذا الحديث هو من أدلة المانعين للتحريق .

١ . قالوا: وقد سمل النبي صلى الله عليه وسلم أعين العرنيين بالحديد المحمي² .

٢ . قالوا: وقد حرق خالد بن الوليد بالنار ناساً من أهل الردة وأكثر علماء المدينة
يجيزون تحريق الحصون والمراكب على أهلها قاله الثوري والأوزاعي³ .

٣ . أخرج الطبراني عن معاذ وأبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهما أن
يعلما الناس، فزار معاذ أبا موسى فإذا عنده رجل موثق بالحديد فقال يا أخي أو
بعثت تعذب الناس إنما بعثنا نعلمهم دينهم ونأمرهم بما ينفعهم فقال أنه أسلم ثم
كفر فقال والذي بعث محمداً بالحق لا أبرح حتى أحرقه بالنار . فأتى بحطب
فألهب فيه النار فكتفه وطرحه فيها، لأن النهي يقتضي التحريم إلا لدليل ناهض
صارف عن التحريم، ولا دليل يقوى علة صرف هذا النهي الصريح⁴ .

الترجيح: لا شك أن الواجب هو الرجوع بالخلاف إلى كتاب الله تعالى وسنة رسول
الله لقوله تعالى: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (الشورى: ١٠) ، والمتقرر أن القرآن والسنة لا يرجح عليهما غيرهما،
ولو كان من الخلفاء الراشدين، كما قال ابن عباس، وورد عن ابن عمر رضي الله
عنهم: " يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال الله قال رسوله

¹ مرجع سابق برقم (٣/٢٨٥٤) .

² فتح الباري لابن حجر " نفس المرجع

³ مرجع سابق .

⁴ مرجع سابق، باب حكم المرتد والمتردين واستتابتهم، (١٢/١٩٦٤)

تقولون: قال أبو بكر قال عمر¹، هذا إذا لم يخالف، فما بالك وقد اختلف الصحابة، فخالف عمر وابن عباس، علياً وخالداً رضي الله عنهم واحتجا بالسنة. ثم إن علياً صدق إنكار ابن عباس عليه، فبقي في المجيزين من الصحابة خالد بن الوليد فقط، وهو رضي الله عنه ليس من فقهاءهم وأهل الفتوى فيهم، وأيضاً العلة التي علل بها النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن التحريق لا يمكن أن نحمل معها النهي على الكراهة، وأن التعذيب بالنار من اختصاصاته ولأن في ذلك تجويز التشبه بالله تعالى في أفعاله. فينهي عنه. فكل أدله المجيزين معترضة، أو محتملة، أما حديث الباب فظاهر النهي فيه التحريم وهو نسخ لأمره المتقدم سواء كان بوحى إليه أو باجتهاد منه وهو محمول على من قصد إلى ذلك في شخص بعينه. وعليه فإنه يحرم تحريق الأحياء وتعذيبهم بالنار؛ عذاب الله تعالى سواء كان إنساناً أو حيواناً ولو حشرة، كالنمل والبراغيث².

الثالثة من بني إسرائيل

من عرف الله في الرخاء عرفه الله في الشدة، وهكذا كل من تعرف إلى الله في حال الرخاء واليسر، فإن الله تعالى يعرفه في حال الشدة والضيق والكرب فيلطف به ويعينه ويسر له أموره، قال الله تعالى: (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ

¹ كتاب الحج من زاد المعاد، (١/ص ١٣٥).

² حكم التحريق بالنار - أبو محمد بن عبد الله - موقع "طريق الإسلام"

مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)
(الطلاق: ٢ - ٣) .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " خَرَجَ ثَلَاثَةَ¹ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ قَالَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ فَقَالَ أَحَدُهُمُ اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبُوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ أُخْرِجُ فَأَرَعَى ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحَلَابِ² فَآتَى بِهِ أَبِي فَيَشْرَبَانِ ثُمَّ أَسْقِي الصَّبِيَةَ وَأَهْلِي³ وَأَمْرَاتِي فَاحْتَبَسْتُ⁴ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ قَالَ فَكْرَهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصَّبِيَةَ يَتَضَاغُونَ⁵ عِنْدَ رِجْلِي فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِي وَدَابَّهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ اللَّهُمَّ إِن كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ قَالَ فَافْرُجْ عَنْهُمْ وَقَالَ الْآخِرُ اللَّهُمَّ إِن كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَحَبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ فَقَالَتْ لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا⁶ حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا

1 ثلاثة: من الناس من الأمم السابقة. من " صحيح البخاري"، كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي، (٢/٢٠٢١) بفرق: مكيال يسع ثلاثة أصع.

2 الحلاب: الإناء الذي يجلب فيه أو اللبن المحلوب.

3 أهلي: أقربائي كأختي وأخي وغيرهما.

4 فاحتبست: تأخرت بسبب أمر عرض لي.

5 يتضاغون: يصيحون من الضغاء.

6 لا تنال ذلك منها: لا تحصل على مرادك.

تَفْضُ الخَاتِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ¹ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجَهْكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً قَالَ فَفَرَجَ عَنْهُمْ التُّلُثِينَ وَقَالَ الْآخِرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرْقٍ² مِنْ ذُرَّةٍ فَأَعْطَيْتَهُ وَأَبَى ذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرْقِ فزَرَعْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرَاعِيَهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي فَقُلْتُ انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ وَرَاعِيَهَا فَإِنَّهَا لَكَ فَقَالَ أَتَسْتَهْزِئُ بِي قَالَ فَقُلْتُ مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجَهْكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ³.

هذا الحديث من الأحاديث الغيبية المهمة التي أخبرنا بها المصطفى صلى الله عليه وسلم عن من كان قبلنا والتي نجد فيها فوائد وعبر كثيرة غيرها من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم منها:

١ - فضيلة بر الوالدين، وأنه من الأعمال الصالحة التي تفرج بها الكربات، قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِرَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) (الإسراء: ٢٣). وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: "الصلاة على وقتها"،

1 لا تفض الخاتم إلا بحقه: لا تزل البكارة إلا بحلال وهو النكاح.

2 بفرق: مكيال يسع ثلاثة أصع.

3 صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي، (٢/٢١)، ٢١٥٢، ٢٢، ٨، ٣٢٧٨، ٥٦٢٩، مع صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، (٢٧٤٣/٤)

قال: ثم أي؟ قال: "ثم بر الوالدين"، قال: ثم أي؟ قال: "الجهاد في سبيل الله" ¹.

٢ - فضيلة العفة عن الزنا، وأن الإنسان إذا عَفَّ عن الزنا مع قدرته عليه، فإن ذلك من أفضل الأعمال، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ"، وذكر منهم: "وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ" ².

٣ - في الحديث دليل على فضل الأمانة وإصلاح العمل للغير، فإن هذا الرجل كان بإمكانه لما جاءه الأجير أن يعطيه أجره ويبقي هذا المال له، ولكن لأمانته وإخلاصه لأخيه ونصحته له، أعطاه كل ما أثمر أجره له، قال تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) (المؤمنون: ٨).

٤ - أن من أعظم الأسباب التي تدفع بها المكاره الدعاء، فإن الله سمع دعاء هؤلاء واستجاب لهم؛ قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة: ١٨٦).

٥ - أن الإخلاص من أسباب تفريغ الكربات، لأن كل واحد منهم يقول: "اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك، فافرج عنا ما نحن فيه".

¹ صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، (١/٥ . ٤) مع صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله أفضل الأعمال (١/٨٥).

² صحيح البخاري، كتاب الجماعة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة... (١/٦٢٩) مع صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (٢/١ . ٣١).

٦ - مشروعية التوسل إلى الله بالعمل الصالح، فإن كل واحد منهم توسل إلى الله بعمله الصالح أن يزيل الله عنهم ما بهم من الضر والشدة.

مسح أمة من بني إسرائيل فارة

لقد ورد المسخ في حق اليهود في القرآن الكريم في أكثر من آية، كعقوبة لهم من الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَ كُفْرًا فَمَا سِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَاةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ) (المائدة: ٥٩ - ٦٠) وقد مسخ الله الشباب من اليهود إلى قردة ومسح كبار السن منهم إلى خنازير، ولكنهم لم يتكاثروا حيث بقوا على حالهم قردة وخنازير إلى أن ماتوا، أما بالنسبة لمسحهم إلى فئران فالظاهر أنهم يتكاثرون إلى يومنا هذا وهم الفئران الموجودة حالياً.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فُقِدَتْ أُمَّةٌ¹ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يُدْرَى مَا فَعَلَتْ وَإِنِّي لَا أَرَاهَا² إِلَّا الْفَارَ إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الْإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْ³ وَإِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ⁴ شَرِبَتْ فَحَدَّثَتْ كَعْبًا⁵ فَقَالَ أَنْتَ

1 فقدت أمة: ذهب طائفة منهم لا يعلم ما وقع لهم. "صحيح البخاري"، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، (٣/٣١٢٩)،
2 لا أراها: لا أظنها مسخها الله تعالى إلا لجنس الفأر.
3 لم تشرب: أي وقد كانت هذه الألبان محرمة على بني إسرائيل.
4 الشاء: الغنم جمع شاة.
5 كعبًا: هو كعب بن ماتع المشهور بكعب الأخبار.

سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ لِي مَرَارًا¹ فَقُلْتُ أَفَأَقْرَأُ
التَّوْرَةَ² 3.

المسخ لا يقع إلا إلى الحيوان الخبيث لوجود الشبه بين المسوخ والممسوخ إليه، ثم لا يزال هذا الشبه يقوى ويتزايد حتى يصير ظاهراً على الوجه، ثم يقوى حتى يقلب الصورة الظاهرة، كما قلب الهيئة الباطنة، فإذا نظرنا إلى اليهود رأينا أنهم يتصفون بالجبن والخوف الشديد، فقد جرت العادة عندهم بعدما دخل الإسلام إلى المدينة المنورة أن يجعلوا بيوتهم حصوناً خوفاً من المسلمين، والناظر اليوم إلى بيوتهم في فلسطين ليرى جلياً كيف يقومون ببنان التكتلات الإسمنتية لبيوتهم، بل لقد قاموا منذ فترة بسيطة ببناء جدار حول الشعب الفلسطيني لأنهم يخافون من حجارة صغيرهم فضلاً عن كبيرهم، فتجدهم يهرولون هاربين منها بالرغم من أنهم يحملون أعتى السلاح، وقد قال الله تبارك وتعالى عن حالهم (لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) (الحشر: ١٤).

1 قال لي مراراً: أي كثر سؤاله مرات.

2 أفأقرأ التوراة: الفائل أبو هريرة يرد على كعب أي هل أنا أقرأ التوراة حتى أنقل منها؟ لا أقول إلا ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. والظاهر من الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك اجتهداً منه وظناً قبل أن يخبر من الله تعالى أنه لم يجعل لمسخ نسلًا ولا عقباً كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم وعليه فهذه الحيوانات كانت قبل أن يكون المسخ لبعض الأمم ومن مسخ منهم قردة أو خنازير أو غيرها فقد انقرض ولم يبق له وجود.

3 صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، (٣/٣١٢٩)، مع صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الفأر وأنه مسخ، (٤/٢٩٩٧).

ولكن هذا الجبن الشديد من جهة اليهود لو قوبل بجبن أكبر من المسلمين فسترجح الكفة لصالح اليهود، لكن على العكس كان الرسول يقف في صلابة وفي قوة وفي بأس واضح، ومعه مجموعة من المؤمنين على قلب رجل واحد، وحدة المسلمين هي القوة التي وقف بها الرسول في مواجهة اليهود، والثبات على المبدأ، وتسابق الصحابة بشتى طوائفهم على السمع والطاعة لقائد واحد، وزعيم واحد بمنهج واحد، كان له أثر كبير في إيقاع الرهبة في قلوب اليهود، ولذلك عندما جلس اليهود على طاولة المفاوضات مع النبي صلى الله عليه وسلم، دبَّ الرعب في قلوبهم من اللحظة الأولى، فقبلوا بهذه الشروط، لذا فعندما ترى بأس اليهود وقوتهم على المسلمين في زماننا، فاعلم أن المسلمين خالفوا شرع ربهم، ولذلك هانوا على الله، فهانوا على اليهود وعلى غيرهم من الناس، لذلك لا بد أن يعود المسلمون إلى أصولهم حتى يستردوا مجدهم وعزتهم، لأنه لا بد للحق من قوة تحميه، والإسلام قوة ومنعه¹.

حديث نبوي من أنبياء الله عن الغلول

الحجة على العباد قامت ببيان النبي صلى الله عليه وسلم ونصحه، وأعداره، وإنذاره، فالنبي صلى الله عليه والسلام يحذر الأمة من الخزي والفضيحة يوم القيامة، وأن لا يستهينوا من الغلول بشيء، ولا يحتقروا من أموال الناس شيئاً، فإن

¹ انظر: طبائع اليهود والنفسية اليهودية، د. راغب السرجاني، موقع طريق الإسلام (٢٩/٨/٢٠١٣)

من أخذ من أموال الناس ولو كان قليلاً آتى يوم القيامة يحمله على رقبته فضيحة وخزياً على رؤوس الأشهاد. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ لَا يَتَّبِعَنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بَضْعٌ¹ امْرَأَةً وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِي بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ وَلَا آخِرُ قَدْ بَنَى بِنِيَانًا وَلَمَّا يَرْفَعُ سَقْفَهَا وَلَا آخِرُ قَدْ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ² وَهُوَ مُنْتَظَرٌ وَلَادَهَا³ قَالَ فَغَزَا فَأَدْنَى لِلْقَرْيَةِ⁴ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ لِلشَّمْسِ أَنْتِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا⁵ عَلَيَّ شَيْئًا فَحَبِسَتْ عَلَيْهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ فَجَمَعُوا مَا غَنِمُوا فَأَقْبَلَتِ النَّارُ⁶ لِتَأْكُلَهُ فَأَبَتْ أَنْ تَطْعَمَهُ فَقَالَ فِيكُمْ غُلُولٌ فَلْيَبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ فَبَايَعُوهُ فَلَصِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ فَقَالَ فِيكُمْ الْغُلُولُ فَلْتَبَايِعْنِي قَبِيلَتِكَ فَبَايَعْتُهُ قَالَ فَلَصِقَتْ بِيَدِ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ فَقَالَ فِيكُمْ الْغُلُولُ أَنْتُمْ غَلَلْتُمْ قَالَ فَأَخْرَجُوا لَهُ مِثْلَ رَأْسِ بَقْرَةٍ⁷ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ فَوَضَعُوهُ فِي الْمَالِ وَهُوَ بِالصَّعِيدِ

1 بضع: بضم الباء هو فرج المرأة أي ملك فرجها بالنكاح.

2 خلفات: جمع خلفه ككلمة وكلمات وهي الحامل من الإبل.

3 ولادها: أي نتاجها وقال النووي وفي هذا الحديث أن الأمور المهمة ينبغي أن لا تفوض إلا إلى أولي الحزم وفراغ البال لها ولا تفوض إلى متعلق القلب بغيرها لأن ذلك يضعف عزمه ويفوت كمال بذل وسعه.

4 فأدنى للقرية: أي قرب فمعناه أدنى جيوشه وجموعه للقرية، وإما أن يكون أدنى بمعنى حان أي قرب فتحها من قولهم أدنت الناقة إذا حان نتاجها ولم يقلوه في غير الناقة.

5 اللهم احبسها: فقيل ردت على أدراجها وقيل وقفت ولم ترد، وقيل أبطئ حركتها.

6 فأقبلت النار: أي من جانب السماء لتأكله كما هو في السنة من الأمم الماضية لغنائهم وقرابينهم المتقبل.

7 فأخرجوا له مثل رأس بقرة: أي كقدره أو كصورته من ذهب كانوا غلوه وأخفوه.

فَأَقْبَلَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهُ فَلَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِنَا ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجَزَنَا فَطَيَّبَهَا لَنَا" ¹.

إن فتن الدنيا تدعو النفس إلى الهلع من الانغماس فيها، وبين محبة البقاء لأن من
ملك بضع امرأة ولم يدخل بها، أو دخل بها وكان على قرب من ذلك فإن قلبه
متعلق بالرجوع إليها ويجد الشيطان السبيل إلى شغل قلبه عما هو عليه من
الطاعة، وكذلك غير المرأة من أحوال الدنيا، وفي قول النبي عليه الصلاة والسلام:
"اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ" دليل على أنه لا يدعو إلا الله، ولا يستغاث – فيما لا يقدر
عليه إلا الله – إلا به عز وجل .

وقال ابن المنير: " جعل الله علامة الغلول إصاقي يد الغال، وفيه تنبيه على أنها يد
عليها حق يطلب أن يتخلص منه، أو أنها يد ينبغي أن يضرب عليها ويحبس
صاحبها حتى يؤدي الحق إلى الإمام، وهو من جنس شهادة اليد على صاحبها يوم
القيامة" ².

البقرة والدب

منذ أن بزغ فجر الوجود الإنساني على هذه البسيطة، وبدأ الإنسان يلتمس طريقه
بهذا العلم وقعت عيناه على الحيوانات فأنس أليفها وخشي خطرها، ولم يكن
يدري أنه سيأتي عليه زمان يتكلم مع بعضها، ولقد أخبرنا رسول الله صلى الله

¹ صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، (١٤٧٤ / ٣)
² فتح الباري لابن حجر"، كتاب فرض الخمس، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم أحلت لكم
الغنائم.. (٩/٢٨٩٢).

عليه وسلم بأحاديثه الشريفة عما كان، وعما هو كائن إلى يوم القيامة، حتى لا تضطرب أفكارنا وتطيش مع الأمور العظيمة أفعدتنا، فعن سعيد بن المسيب¹ أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً لَهُ قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا التَّفْتَتَ إِلَيْهِ الْبَقْرَةَ فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، وَلَكِنِّي إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ تَعَجَّبًا وَفَرَعًا أَبْقَرَةً تَكَلَّمُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنِّي أُوْمِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ"².

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بَيْنَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا عَلَيْهِ الذَّنْبُ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذَّنْبُ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّعْيِ يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟ فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنِّي أُوْمِنُ بِذَلِكَ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ"³.

فهذان الحديثان يصرحان بكلام الذئب والبقرة، وهو خارق للعادة، لذا تعجب الصحابة رضي الله عنهم من ذلك، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أنه وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما يؤمنون بحصول ذلك، وفي هذا الحديث لطيفة عجيبة،

¹ سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، (١٣ - ٥٩٤)، سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاءً، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأقضيته، حتى سمي راوية عمر. (الأعلام للزركلي ٣/١٠٢).

² صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٤/١٨٥٧).

³ مرجع سابق.

وهي قول الذئب من لها يوم السَّبْع، يوم لا راعي لها غيري، فقد ذكر بعض العلماء أن المراد بيوم السبع، أيام الشدائد والفتن التي تشغل الناس فيذهلون عن غنمهم .

ليس هناك أي إشارة في الحديث ترشد إلى زمان تلك الخوارق، ولعلها تكون بين يدي الساعة، أو خلال الفتن والملاحم العظمى، وقد يستغرب البعض أو يستهجن أو يستبعد حصول ذلك، أو يميل إلى تأويله مع أننا في عصر رأينا فيه عجائب لو ذكرت لمن قبلنا لاعتبروها من الخوارق كالجُمادات التي تتكلم، أو تعرض صورة حية، بل أصبحت قطعة صغيرة (الهاتف النقال) كفيلة بربطك بأي مكان بالعالم بالصوت والصورة، وهناك أجهزة تصنت صغيرة جداً أقرب في الحجم من شراك النعل أو عذبة السوط، وهذه الأجهزة تقوم بالتسجيل بالصوت والصورة، وأصبح الأمر بديهياً في هذا العصر، فإذا كانت هذه قدرة البشر مع أن المقدر الحقيقي لها هو الله سبحانه وتعالى، فهل نستغرب من حصول تلك العجائب بقدرة الله في آخر الزمان، ونحن أصلاً نعيش في زمن عجائب المخلوق، فكيف بقدرة الخالق، والأصل في المؤمن أن يتمثل قول الله سبحانه وتعالى: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمًّا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة: ٢٥٩)، ولا يتعجب من حصول أي خارق ما دام هناك دليل صحيح يرشد إليه، لأن قدرة الله مطلقة، يقول الله سبحانه وتعالى على لسان الملائكة التي تخاطب زوج إبراهيم بعد تبشيرها بإسحاق، وتعجبها من

هذا الأمر الخارق : (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَ كَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ
إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) (هود: ٧٣) فسبحان من أنطق لسان الإنسان، وأعجم لسان السباع،
وسبحان من ينطق ألسنة السباع في آخر الزمان .

البعي التي سقت كلباً

مهما أوغلت النفوس البشرية في بحار الذنوب وظلمات الغي، ومهما أسرف أصحابها على أنفسهم بالمعاصي والموبقات، فسيظل فيها بارق من خير يلوح في جنباتها بين الحين والآخر، يسوقها سوقاً إلى أعمال بر وألوان عطف وإحسان، والنبي صلى الله عليه وسلم يبين لنا سعة عفو الله ورحمته سبحانه وتعالى، حتى أمام أهل الكبائر، وامتنانه على خلقه بكمال الرحمة والغفران، فعن أبي صالح السمان رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بَعْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثٌ¹ يَأْكُلُ الشَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبَعْرُ فَمَلَأَ حُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا فَقَالَ نَعَمْ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ"² 3 .

¹ يلهث: وهو الذي أخرج لسانه من شدة العطش والحر.

² في كل كبد رطوبة أجر: معناه في الإحسان إلى كل حيوان حي يسقيه ونحوه أجر وسمي الحي ذا كبد رطوبة لأن الميت يجف جسمه وكبده.

³ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (٥/٢٢٣٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا¹ رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يَطِيفُ² بِيئْرٍ قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا³ فَغَفِرَ لَهَا"⁴.

خرج آدم عليه السلام من الجنة بذنوب واحد (فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُؤُا) (طه: ١٢٠)، وخُلد إبليس بالنار بذنوب واحد (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) (الأعراف: ١٢)، ودخلت بغي الجنة بعمل صالح واحد، فلا يستهن العبد المؤمن بذنوب ولا بطاعة واحدة، فلا أحد يدري فلعل الطاعة البسيطة هي التي تنجي، وفاعلها يحترقها ويستصغرها، وفي هذين الحديثين الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم، كافرهم ومؤمنهم، ولجميع البهائم والرفق بها، وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، وأن يستعملها في أبناء جنسه وفي كل حيوان، وإن كان الحيوان في غير ملكه، وربما بعض الناس قد يتعجب من حديث المرأة البغي ومن معناه فيقال: مغفرة الله لتلك المرأة في ظل هذه الذنوب التي ارتكبتها، وهي البغاء، شيء يدل على منافاة العدل الإلهي، وأقول: ما لغرابة في هذا المعنى الجليل الذي يتضمنه

¹ بغيا: البغي هي الزانية والبغاء بالمد هو الزنى.

² يطيف: أي يدور حولها يقال طاف به وأطاف إذا دار.

³ بموقها: الموق هو خف فارسي معرب، ومعنى نزعته له بموقها أي استنقت يقال نزعت بالدلو إذا استنقت به من البئر ونحوها ونزعت الدلو أيضا.

⁴ صحيح مسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها، (٤/٢٢٤٤، ٢٢٤٥).

هذا الحديث النبوي الشريف، وهو الأجر العظيم على الرفق بالحيوان، فهذا الحديث قد تعرض لشيء أكبر من العدل ألا وهو الفضل والكرم، فإن حق الصنح والغفران قد خلص لله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيه غيره، ونحن على علم بين لا يختل بأن الله سبحانه وتعالى قد سبقت رحمته غضبه وبأنه هو القائل: (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا) (النساء: ١٤٧)، وعليه فإن العقوبة إذا أصبحت لله وحده فله وحده سبحانه وتعالى أن يوقعها أو يعفو عنها، بل إنه ليمد لعباده في أسباب التوبة حتى يتوبوا، فان تابوا قبل منهم، وأصرح من ذلك في رحمة الله سبحانه وتعالى أنه يقبل التوبة من قبل أن يتوب العبد أو يأخذ في أسبابها، وإلا فما معنى قوله تعالى: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (التوبة: ١١٨)، ثم إن سقي الماء من أعظم القربات إلى الله سبحانه وتعالى، هذا وإن من أبرز أسماء الله سبحانه وتعالى "الرحمن الرحيم" وهما أشهر الأسماء بعد لفظ الجلالة "الله"، وما حظ العبد من اسم "الرحيم" ألا يدع فاقة محتاج إلا ويسدها بقدر طاقته، بل هي رحمة تتجاوز الإنسان الناطق إلى الحيوان الأعجمي، فلما رحمت هذه المرأة رحمت كما أنه من لا يرحم لا يرحم.

زيارة الأخ في الله

أخوة الصدق يلزمها حقائق عملية وأمور تطبيقية، فهي ليست مجرد شعار يرفع أو كلمات رنانة تقال، والوصول إلى ذلك يحتاج إلى إرادة صادقة ومجاهدة فعالة، لأن تحقيقها ليس سهلاً على النفس، يقول الشافعي: من صدق في أخوة أخيه، قبل عِلَّه، وسدَّ حَلَّه، وغفر زلله¹ الأخوة الصادقة تعرف في المواقف لا سيما بمواطن الابتلاء والمحن ونوائب الدهر، وتغير الزمان على الخلان، كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: إذا تغير أخوك وحال عما كان، فلا تدعه لأجل ذلك، فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى، وكان يقول: داو أخاك ولا تطع فيه حاسداً، فتكون مثله². فإذا صحت الأخوة بين اثنين قال أحدهما للآخر يا أنا، فما أحوجنا اليوم ونحن في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها الأمة من حرب وقتل وتشريد، ما أحوجنا اليوم إلى أخوة صادقة، فالأخوة في الله هي البند الثاني بعد التوحيد، فتو حيد الأمة يحتاج إلى عقيدة صافية، وإلى إلى أخوة صادقة، ولقد ربي النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على التوحيد والإيمان، وعلى الأخوة في الله فبعد أن ثبتَّ التوحيد في قلوبهم في مكة وهاجر إلى المدينة المنورة، آخى بين المهاجرين والأنصار، فلا يمكن على الإطلاق أن تنجح الأمة في تحقيق الأخوة الصادقة إلا إذا نجحت بتحقيق التوحيد لله سبحانه وتعالى، فالصراع اليوم والتنافس ومصالح الدول

1 "طبقات الشافعية الكبرى"، الطبقة الأولى، باب قاعدة في المؤرخين (٢/١٣٨)

2 "قوت القلوب في معاملة المحبوب"، (٢/٣٦٧). للشَّيخ أبي طالب المكي (ت: ٥٣٨٦هـ)، دار صادر، بيروت.

على سوريا سببه الإيمان الناقص بين أبناء الشعب السوري، وليس اتحاد الدول الكبرى علينا هو من باب الأخوة فيما بينهم، لا، بل هي أخوة زائفة أخوة مصالح كحال كثير من الناس اليوم، فهي التقاء مصالح اليوم وتبادل منافع، فإذا انتفت المصلحة والمنفعة انتفت الأخوة الزائفة بينهم، فلا بد من أخوة صادقة تجمع الصف وتوحد الأمة وتنفي حب الأنا، وحب الزعامة التي هي من الأسباب الرئيسية للتباعد والتباغض بين إخوة الدم والإيمان، ولقد بين النبي صلى الله عليه وسلم بين لنا عظيم أجر الأخوة في الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ 1 اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ 2 مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا 3 قَالَ لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ" 4.

هذا الحديث يدل على منزلة المحبة في الله عز وجل، ويدل أيضاً على أهمية التزاور الذي يكون بنية صافية خالصة ليس من أجل الدنيا وحطامها الفاني، وإنما يزوره الله وفي الله، وإن للزيارة في الله بكل أنواعها أحكاماً شرعية وآداباً رفيعة عالية ينبغي أن يتحلى بها الزائر، ومن أهم ذلك:

1 فأرصد: أي أقعده يرقبه.

2 على مدرجته: المدرجة هي الطريق سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها أي يمشون ويمشون.

3 تربها: أي تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك.

4 صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الحب في الله، (٤/٢٥٦٧). مع شرح المفردات.

أولاً: أن لا يكون في الزيارة مخالقات شرعية كالاختلاط وأن لا تكون فرصة للغيبة والنميمة والكلام في أعراض الناس .

ثانياً: أن تستغل الزيارة فيما ينفع من الأمر بالمعروف، كالحث على المحافظة على الصلوات وسائر الأركان والواجبات، والتمسك بالسنة والرجوع إلى العلماء الربانيين عند النوازل، وكذلك النهي عن المنكر بالحث عن الكف عن سائر البدع والمعاصي والمحرمات .

ثالثاً: أن يراعي الزائر الوقت المناسب الذي ليس فيه إحراج ولا مشقة على المزار، وليستأذنه بالزيارة قبل المجيء، وإذا جاء فعليه بعد أن يسلم على من قصده أن يسمع كلامه ويجلس في المكان الذي حدده له .

قصة جريج

الابتلاء فيه خير للعبد في دنياه وأخراه، إذا صبر وأحسن واتقى الله في حال الشدة والرخاء، والنبي صلى الله عليه وسلم يخبرنا عن الراهب جريج، أنه كان بعد البلاء أفضل عند الله وعند الناس منه قبل الابتلاء، فقد تربص به المفسدون، وحاولوا إيقاعه في الفاحشة، ثم تشويه سمعته بالباطل، وهكذا هم أهل الفجور في كل زمان ومكان، لا يهتأ لهم بال، ولا يطيب لهم عيش إلا بأن يشاركهم الآخرون في غيهم وفسادهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نَادَتْ امْرَأَةٌ ابْنَهَا وَهُوَ فِي صَوْمَعَةٍ قَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، قَالَ: اللَّهُمَّ أُمَّيْ

وَصَلَاتِي¹، قَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، قَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، قَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، قَالَ:
اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، قَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا يَمُوتُ جُرَيْجٌ حَتَّى يَنْظُرَ فِي وَجْهِهِ
الْيَامِسِ²، وَكَانَتْ تَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ³ رَاعِيَةً تَرَعَى الْغَنَمَ فَوَلَدَتْ، فَقِيلَ لَهَا:
مَنْ هَذَا الْوَلَدُ، قَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ، نَزَلَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ⁴ قَالَ جُرَيْجٌ: أَيْنَ هَذِهِ الَّتِي
تَزْعُمُ أَنَّ وَلَدَهَا لِي، قَالَ: يَا بَابُوسُ⁵ مِنْ أَبُوكَ، قَالَ: رَاعِي الْغَنَمِ⁶

يتبين لنا في هذا الحديث خطورة عقوق الوالدين وترك الاستجابة لأمرهما، وأنه
سبب لحلول المصائب على الإنسان، وأن كل هذه المحن والابتلاءات التي تعرض لها
ذلك العبد الصالح، كانت بسبب عدم استجابته لنداء أمه .

كما يؤكد هذا الحديث أن مجرد النظر إلى وجوه الفاجرات، والعاهرات، يؤدي
قلوب الأولياء والصالحين، ويعتبرونه نوعاً من البلاء والعقوبة، فكان أقصى ما دعت
به أم جريج على ولدها أن يرى وجوه المومسات، وقارن ذلك بحال كثير في هذا
العصر الذي انفتح الناس فيه على العالم عبر وسائل البث والاتصال الحديثة، التي
تعرض المومسات صباح مساء، فأصبحوا بمحض اختيارهم وطوع إرادتهم يتمتعون
بالنظر الحرام، لا إلى وجوه المومسات فقط، بل إلى ما هو أعظم من ذلك، ولا شك

1 أمي وصلاتي: اجتمع إجابة أمي وإتمام صلاتي فأيهما أرجح وأفعل.

2 اليامس: جمع مومسة وهي الفاجرة المجاهرة بالزنا أو الزانية مطلقاً.

3 تأوي إلى صومعته: ترعى قرب صومعته.

4 نزل من صومعته: أي وأحبلني.

5 بابوس: اسم للرضيع بتلك اللغة.

6 صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب إذا دعت الأم ولدها في الصلاة، (١/١١٤٨)، ٢٣٥.

٣٢٥٣، ٣٢٧٩)، مع صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تقديم بر الوالدين على

التطوع بالصلاة، (٤/٢٥٥)، مع شرح المفردات من البخاري

أن ذلك من العقوبات العامة التي تستوجب من المسلم أن يكون أشد حذراً على نفسه من الوقوع في فتنة النظر، فضلاً عن ارتكاب الفاحشة¹، بل إن هذا الحديث يكشف عن جزء من مخططات الأعداء في استخدامهم لسلاح المرأة والشهوة، لشغل الأمة وتضييع شبابها، ووأد روح الغيرة والتدين، وهو مخطط قديم وإن تنوعت وسائل الفتنة والإغراء.

أول فتنة بني إسرائيل

أعظم الفتن التي يتعرض لها الإنسان هي فتنة المرأة، فحين تحدث القرآن عن الشهوات التي زينت للإنسان قال الله تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) (آل عمران: ١٤)، ولقد أدرك أعداء هذا الدين عظيم أثر فتنة النساء، ودورها في سقوط الأمة وانحلالها، فكانت قضية المرأة الخنجر المسموم الذي طعنوا به أمة الإسلام، فإذا بها تتغير معالمها وتتشوه هويتها حتى صار المنكر معروفاً والمعروف منكراً، وصارت النظرة الغربية للمرأة: هي النظرة المثالية، الدالة على المدنية والرقى، ولقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من فتنة النساء، حتى نكون على حذر فقال كما جاء في الحديث الذي رواه أبو سعيد

¹ دراسات أدبية من الحديث، (٥٣ - ٥٤)، للدكتورة رحمة زهدى الريمي، جامعة أم القرى

الخدري رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ¹
خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا
النِّسَاءَ² فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ
لَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"³.

لقد حذرنا نبينا صلى الله عليه وسلم من الدنيا والنساء بل خص النساء في كثير
من المواضع، حتى جعل فتنتهن سبب سقوط بني إسرائيل وفسادهم، فلا جرم أن
نرى اليهود اليوم يهتمون بالمرأة شديد الاهتمام، لا صوتاً لها وتعليماً، ولا اعتناء
بها وتقويماً، ولا اعترافاً بحقوقها وتسليماً، ولكن لجعلها أداة الحرب الأخلاقية ضد
المسلمين، وسبيل نشر الرذائل والإباحية بينهم، وإغراق الشباب في الغواية
والشهوات، وملء حياتهم بالملذات والنزوات، فهي في الإشهارات عارية، وفي
الأفلام والمسلسلات غاوية، وعلى صفحات المجلات فاضحة مفضوحة، بل صوروها
على السلع الوضيعة متبرجة رخيصة، لا شيء يغضبهم مثل عفة المرأة، ولا شيء
يستثيرهم مثل حجاب المرأة، حتى أصدروا أخيراً في إحدى الدول الغربية قراراً بمنع
المسلات المتحجبات من السباحة العمومية، ورأوا ذلك منافياً للأخلاق الحميدة

¹ إن الدنيا حلوة خضرة: يحتمل أن المراد به شيئان أحدهما حسنهما للنفس ونضارتها ولذتها
كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفس تطلبها طلباً حثيثاً فكذا الدنيا والثاني سرعة فنائها
كالشيء الأخضر في هذين الوصفين.

² فاتقوا الدنيا واتقوا النساء: اجتنبوا الافتتان بها وبالنساء وتدخل في النساء الزوجات وغيرهن
وأكثرهن فتنة الزوجات لدوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن.

³ صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل
النار النساء، (٤/٢٧٤٢). مع شرح المفردات.

ودستور البلاد، كما صرح بذلك أحد كبار مسؤوليهم. فانظر كيف صار الحق عندهم باطلاً، والباطل حقاً¹.

الرجل الذي طلب أن يحرق بعد موته

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسوق لأصحابه الأحاديث حتى عن الأمم السابقة، والتي يبين فيه التحذير من الحكم على الناس بالردة والكفر، ويبين لهم سعة الإسلام، وسعة العذر في الإسلام، والحديث الذي سأذكره يبين لنا سعة رحمة الله عز وجل حتى بمن شك بقدرة الله عز وجل بأن يرجعه حياً، والشك في قدرة الله كفر، والشك بالآخرة كفر، والإنكار بأن الله عز وجل لا يعيد الناس بعد موتهم كفر، ومع ذلك غفر الله لذلك الرجل الذي سيأتي ذكره بالحديث لأن الله عز وجل عذره بجهله، ولأن الخوف من الله وعذابه قد ملء قلبه، فهذه الحسنة غفر الله له بها تلك السيئة، وليس معنى هذا أن يتساهل الإنسان بالشك، لا أبداً، فالنبي صلى الله عليه وسلم ذكر لنا هذه القصة على سبيل بيان سعة الله عز وجل بعبادة العصاة، لذلك يجب على المسلم أن يطير إلى الله بجناحين الأول الخوف والثاني الرجاء فقال الله عز وجل: (وَإِذَا كُنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكُمْ قَالِعِدَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) (الأعراف: ١٥٦)، وها هو النبي صلى الله عليه وسلم يذكر لنا

¹ شبكة الألوكة، بعنوان القائل عند فتنة النساء: إني أخاف الله، د. محمد ويلاي، تاريخ (٥/٩/٢٠١٦).

قصة ذلك الرجل الذي أذنب وخاف من الله سبحانه وتعالى بسببه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ¹ اللَّهُ مَا لَّا فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حَضَرَ² أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ قَالُوا خَيْرَ أَبٍ قَالَ فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي³ ثُمَّ ذَرُونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ قَالَ مَخَافَتِكَ فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ⁴"

وفي رواية مسلم: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَشَهُ اللَّهُ مَا لَّا وَوَلَدًا⁵ فَقَالَ لَوْلَدِهِ لَتَفْعَلَنَّ مَا أَمْرُكُمْ بِهِ أَوْ لِأَوْلَادٍ مِيرَاثِي غَيْرِكُمْ إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي وَأَكْثَرُ عَلَيَّ أَنَّهُ قَالَ ثُمَّ اسْحَقُونِي وَادْرُونِي فِي الرِّيحِ فَإِنِّي لَمْ أَبْتَهِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا وَإِنَّ اللَّهَ يَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ يُعَذِّبَنِي قَالَ فَأَخَذَ مِنْهُمْ مِيثَاقًا فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ وَرَبِّي فَقَالَ اللَّهُ مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ مَا فَعَلْتَ فَقَالَ مَخَافَتِكَ قَالَ فَمَا تَلَفَاهُ غَيْرَهَا⁶"

في هذين الحديثين تأكيد على رحمة الله عز وجل، ولا يشك مسلم في سعة رحمة الله، ولا يشك مؤمن أن رحمة الله محيططة بالإنسان في كل لحظة من لحظاته من

¹ رغسه: أعطاه وبارك له فيه من الرغس وهو البركة والنماء والخير.

² حضر: حضره الموت.

³ اسحقوني: من السحق وهو أشد الدق.

⁴ صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم، (٣/٣٢٩١)، مع شرح المفردات

⁵ رآشه ما لا وولدا: هذه اللفظة رويت بوجهين في صحيح مسلم أحدهما رآشه والثاني رأسه قال القاضي والأول هو الصواب، وهو رواية الجمهور ومعناه أعطاه الله ما لا وولداً قال ولا وجه للمهملة هنا.

⁶ صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم، (٣/٣٢٩١)،

حين كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة، ثم رضيعاً ثم فطيماً ثم
ثم إلخ.. ولكن هذه الأحاديث تذكر من لا يتذكر، فالله عز وجل يقول: (وَذَكِّرْ
فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذاريات: ٥٥)، فتزيدهم إيماناً وثقةً و يقيناً وعبرة،
ودفعاً إلى الخيرات والطاعات، وإن رحمة الله تعالى بعباده ثابتة ثبوت المكتوب في
لوح لا تبديل فيه ولا تغيير عند مالك الملك وخالق الكون الذي إذا قال فعل والذي
لا يتخلف عنده ما وعد وما كتب، وقد كتب فيما كتب إن رحمتي تغلب غضبي
وتغطي عليه وتسبقه، وهي كثيرة شاملة لم ينزل منها للخلائق في الأرض إلا جزءاً
واحداً من مائة جزء من هذا الجزء تتراحم المخلوقات الإنسان والحيوان والطيور
والهوام، أما التسعة والتسعون جزءاً فهي لي أرحم بها في الدنيا وأرحم بها في
الآخرة بل وأضم إليها في الآخرة جزء المخلوقات فأرحم بالمائة جزء وأنا الرحمن
الرحيم، ويؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المعنى ويرسخه في نفوس
أصحابه ليبعث في نفوسهم الرجاء بعد أن رأهم وقد غلب عليهم الخوف فيعطيههم
جرعة سارة مبشرة من الأمل فذكر لهم الحديثين المذكورين آنفاً، وهذا الرجل
المذكور يعلم أن الحساب قريب وهو مقدم عليه إنه فعل من الشر ما لم يفعله أحد
فقال لأبنائه: إن الله سيعذبني عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، ولعله كان جاهلاً
بالبعث، وإن كان مؤمناً بوقوعه ظن أنه إن تحول إلى طحين وذرات ثم ذرى في يوم
شديد الريح على البحار والأراضي سيضيع جسمه وسيغيب وسيتعذر جمعه فلا
يعذب فوصى أولاده أن يحرقوه بعد موته ثم يطحنوه ثم يذرونه في الهواء إن لم
يفعلوا ذلك لم يستحقوا شيئاً من ثروته ففعلوا ما أمرهم به فقال الله للأرض:

اجمعي ما وصل إليك منه وقال للبحر: اجمع ما لديك منه ثم قال له: كن فقام الرجل واقفًا فقال له: لماذا فعلت ما فعلت وأوصيت بما أوصيت قال: خوفًا من عذابك وعدلك قال شملتك رحمتي وغفرت لك. هذا تصوير لما سيحدث لهذا الرجل ساقه صلى الله عليه وسلم لأصحابه لئلا يقنطوا من رحمة الله يقول تعالى: (يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) (يوسف: ٨٧) وهذا تعليم منه صلى الله عليه وسلم لأمته بعدم اليأس والقنوط من رحمته سبحانه وتعالى¹.

الرجل الذي قتل تسعة وتسعين رجلاً

التوبة بابها مفتوح، وأن الجريمة وإن عظمت فعفو الله أعظم وكرمه أكثر، فمن تاب تاب الله عليه، وإن كانت الجريمة عظيمة، فالقتل جريمة عظيمة، وأعظم منها الكفر بالله، فإذا تاب العبد من الكفر الذي هو أعظم الذنوب تاب الله عليه إذا تاب توبة صادقة، فهكذا القتل والزنا وسائر المعاصي، وقد ذكر النبي هذا وأقره، وأنه لا مانع من توبته، ولقد ذكر لنا النبي صلى الله عليه وسلم حديث عمن كان قبلنا حدثنا فيه عن توبة قاتل تاب إلى الله، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ فَاتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ لَا فَقَتَلَهُ فَجَعَلَ يَسْأَلُ

¹ فتح المنعم شرح صحيح مسلم، باب سعة رحمة الله وأنها تغلب غضبه (١٠/٣١٢ - ٣١٣)، دار الشروق، الطبعة الأولى (٥١٤٢٣ - ٢٠٠٢م).

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ أَنْتِ قَرْيَةٌ كَذَا وَكَذَا فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ هَذِهِ أَنْ تَقْرَبِي وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي وَقَالَ قَيْسُوا مَا بَيْنَهُمَا فَوَجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرِ فُغْفِرَ لَهُ" 1.

قوله: ثم خرج يسأل أي عن التوبة والاستغفار وفي رواية مسلم من طريق هشام² عن قتادة يسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، قوله فأتى راهباً، الراهب واحد رهبان النصراني وهو الخائف والمتعبد قيل فيه إشعار بأن ذلك كان بعد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام، لأن الرهبانية إنما ابتدعتها أتباعه كما نص عليه في القرآن، قوله فقال له هل من توبة يعني فقال للراهب هل من توبة لي، قوله فقتله أي قتل الراهب الذي سأله وأجابه بلا، قوله فجعل يسأل أي من الناس ليدلوه على من يأتي إليه فيسأله عن التوبة، قوله فقال له رجل أنت قرية كذا وكذا، وزاد في رواية هشام فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا كان نصف الطريق أتاه الموت، قوله فأدركه الموت أي في الطريق والفاء فيه فصيحة تقديره فذهب إلى تلك القرية فأدركه الموت، والمراد

1 صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم، (٣/٣٢٨٣) مع عمدة القاري (٢٣/٤٨ص)، مع صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، (٤/٢٧٦٦).

2 هشام الدستوائي أبو بكر بن سنبر البصري، الحافظ، الحجة، الإمام، الصادق، أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سنبر البصري، الربيعي مولاها، صاحب الثياب الدستوائية، كان يتجر في القماش الذي يجلب من دستوا. ولذا قيل له: صاحب الدستوائي، ودستوا: بليدة من أعمال الأهواز. من كتاب سير أعلام النبلاء، (١٣/١٧٢).

إدراك أمارات الموت، قوله فناء بنون ومد وبعد الألف همزة أي مال بصدره إلى ناحية تلك القرية التي توجه إليها للتوبة والعبادة، قوله فاخصمت فيه، وزاد في رواية هشام فقالت ملائكة الرحمة جاءنا تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه حكماً بينهم، فقال قيسوا ما بين الأرضين فيألى أيهما كان أدنى فهو لها، قوله فأوحى الله إلى هذه أي إلى القرية المتوجه إليها أن تقربي، قوله وأوحى إلى هذه أي إلى القرية المتوجه منها أن تباعدي، قوله فغفر له أي غفر الله له فإن قيل حقوق الآدميين لا تسقط بالتوبة بل لا بد من الاسترضاء، وأجيب بأن الله تعالى إذا قبل توبة عبده يرضى خصمه وفي الحديث مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى من قتل النفس، وما روي عن بعضهم من تشديد في الزجر وتقنيط عن التوبة، فإنما روي ذلك لئلا تجترأ الناس على الدماء

قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) (النساء: ٤٨) فكل ما دون الشرك يجوز أن يغفر له، وأما قوله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (النساء: ٩٣) فمعناه جزاؤه أن جازاه وقد لا يجازى بل يعفو عنه، وإذا استحل قتله بغير حق ولا تأويل فهو كافر يخلد في النار إجماعاً، وفيه فضل العالم على العابد لأن الذي أفثاه أولاً بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير، وأما الثاني فغلب عليه العلم فأفثاه بالصواب ودله على طريق النجاة، وفيه حجة من

أجاز التحكيم وأن المحكمين إذا رضيا جاز عليهما الحكم وفيه أن للحاكم إذا تعارضت عنده الأحوال وتعذرت البيّنات أن يستدل بالقرائن على الترجيح، وفيه من جواز الاستدلال على أن في بني آدم من يصلح للحكم بين الملائكة وفيه رجاء عظيم لأصحاب العظام.

الرجل الذي يتقلب في الجنة

يعيش الإنسان المسلم حياته في صراع داخلي مع الخير والشر، مع أنه يعتقد ويؤمن بالآخرة والحساب، فلا يغيب عن باله ولا لحظة أنه سيسأل عن كل صغيرة وكبيرة يوم القيامة، وأن ثمرة هذه الأعمال سيجنيتها في الآخرة، يقول الله عز وجل: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الزلزلة: ٨) فعلى الإنسان أن يستقيم ما أمكن وأن يجاهد حب الدنيا ويترك شهواتها وملذاتها، وأن لا يقع في الهوى، فمجاهدة النفس أعظم درجات الجهاد عند الله تعالى، فهي تهذب النفس وتأخذ بها إلى الصلاح والفلاح، فعندما يصل الإنسان بنفسه إلى درجة عالية من جهاد النفس ينجلي القلب من أمراضه، ويشعر الإنسان بتزكية نفسه وروحه وقربه من الله تعالى، ويعيش في طمأنينة وسعادة، ويستشعر حينها، قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد: ٢٨)، ويغدو بنفسه نقياً بعيداً عن الصغائر فضلاً عن الكبائر، محتسباً ذاكراً مكرساً حياته وعمله لله تعالى ولنصرة دينه ويبذل وقته وماله لذلك، فبمجاهدة النفس يرتقي الإنسان إلى

العلم والمعرفة والصدق في أمور الحياة والتعاملات مع الآخرين، وما أحوجنا اليوم للصادقين في القول والعمل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ¹ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَأَنَّهُ تُوذِي النَّاسَ"².

وعنه أيضاً: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَّرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ"³.

ونرى من خلال هذه الأحاديث النبوية فضل إمطة الأذى عن الطريق، وبرغم بساطة هذا العمل إلا أنه يمكن أن يكون سبباً للنعيم في الجنة فلا تستهن ولا تستصغر من الخير شيئاً، فأعمالك وإن كانت صغيرة إلا أنها يمكن أن تبعد عنك وعن الآخرين السوء والأذى، فتقيدك في قواعد المرور هي سلامة لك ولغيرك، وحرصك على أن تحافظ على رمي القمامة في مكانها المناسب هي سلامة لك ولغيرك، وهنا يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم فضل هذه الأعمال البسيطة والتي لا تكلفنا شيئاً، ولكنها ربما تكون سبباً لنعيم الآخرة، فعلياً أن ننهل من هذه التربة الحمضية لنفوز في الدنيا والآخرة.

¹ يتقلب في الجنة: أي يتنعم في الجنة بما لاذها بسبب قطعه الشجرة.

² صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، (٤/١٩١٤).

³ مرجع سابق

المبحث السابع الكهنة والكهانة

يشهد هذا العصر طفرة في مجال التقدم العلمي والتكنولوجي، كما أنه يشهد في الوقت ذاته عودة للخرافات والخزعبلات والشعوذة والسحر والدجل، والعجيب أن بعض الرؤساء والأمراء العرب كالرئيس السابق جمال عبد الناصر، والرئيس السابق حسني مبارك، وكالرئيس السوداني السابق جعفر نميري، قد طالتهم شائعات اللجوء إلى العرافات والمنجمات، لتخبرهم بالمستقبل الغامض الذي ينتظرهم كما قال أحد الصحفيين، والإيمان بالسحر لم يقتصر على رؤساء وأمراء العرب فقط فهناك العديد من رؤساء الدول الأجنبية الذين اعتقدوا بالسحر وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي الأسبق كارتر، والرئيس الأمريكي السابق جورج بوش، والروسي بوتين، والفرنسي السابق ساركوزي، وغيرهم.

الكهنة

إن الكهانة موجودة منذ القدم وكانت موجودة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبله وبعده، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إتيان الكهان، وعن سؤالهم، فقال عليه الصلاة والسلام: "مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً"¹، وسأله بعض الناس عن إتيان الكهان فقال عليه الصلاة والسلام: "لَا تَأْتَهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ" وقالوا يا رسول الله: إنهم يصدقون في بعض

¹ صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (٤/١٧٥١).

الأحيان؟ قال: "تلك الكلمة يسمعونها الشيطان الجنّي من السماء وهو يسترق السمع، فيقرأها في أذن وليه من الإنس، وهو الكاهن والساحر، فيصدق في تلك الكلمة، ولكنهم يكذبون، ويزيد مائة كذبة" وفي رواية: "أكثر من مائة كذبة" فيقول الناس: إنه صدق يوم كذا وكذا، فيكون ذلك وسيلة إلى تصديقه في كذبه كله. فالكهان لهم أصحاب من شياطين الجن، ويسمى الرئيس، يعني: صاحب من الجن الذي يخبره عن بعض الغيبات، وعن بعض ما يقع في البلدان وهذا معروف في الجاهلية وفي الإسلام، فيقول لصاحبه من السحرة والكهنة، وقع كذا في بلد كذا وليلة كذا، لأن الجن يتناقلون الأخبار فيما بينهم والشياطين منهم كذلك، بسرعة هائلة من سائر الدنيا، فلهذا قد يغتر بهم من يسمع صدقهم في بعض المسائل، وقد يسترقون السمع، فيسمعون بعض ما يقع في السماء بين الملائكة مما تكلم الله عز وجل به من أمور أهل الأرض، وما يحدث فيها، فإذا سمعوا تلك الكلمة قروها في أذن أصحابهم من الكهنة والسحرة والمنجمين، فيقولون سوف يقع كذا وكذا... إلى آخره. ولا يكتفي الكاهن والساحر بهذا، بل يكذب معها الكذب الكثير حتى يروج بضاعته، ويأخذ أموال الناس بالباطل بسبب هذه الحوادث، والناس بسبب هذا يصدقون الكهنة والمنجمين ويأتونهم، والمرضى يتعلقون بخيط العنكبوت، ويتشبثون بكل شيء بسبب ما قد سمعوا عنهم أنهم صدقوا في كذا وكذا. فالواجب عدم إتيانهم، وعدم سؤالهم، وعدم تصديقهم.

إن الأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى مزيد من الوقت، وإلى كثير من الصراع مع المناخ الثقافي السائد من ناحية، والصراع مع الذات من ناحية أخرى، للخروج من دائرة الفكر الأسطوري، والأخذ بناصية العلم والمعرفة والتكنولوجيا والتعامل مع مكونات هذا العالم بقدر أكبر من العلم والثقة والأمان والواقعية لئنشئ أجيالاً وشعوباً لا تنجر وراء الأوهام والخرافات والسحر والدجل، وأن يسلكوا في علاج المرضى ما شرع الله من القراءة والدواء المباح مما يعرفه الأطباء، هذه هي الأسباب والوسائل الشرعية، وفيها غنية إن شاء الله عما حرمه الله تعالى¹.

¹ كتاب مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، بعنوان حقيقة الكهنة والمشعوذين وحكم إتيانهم، الجزء التاسع، لعبد العزيز بن عبدالله بن باز.

المبحث الثامن هلاك الأقباط

مرور النبي صلى الله عليه وسلم بأرض ثمود

أرض ثمود نزل عليها العذاب الشديد، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن دخولها وحذرنا من المرور بأرضها إلا باكين خاشعين، فكيف بهؤلاء الذين خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الزمان وحولوها إلى مكان لإقامة الحفلات الترفيهية الماجنة، وكأن لسان حالهم يقول: إن الحديث النبوي هو خرافة وأنه لا حرج من إقامة الحفلات الراقصة فضلاً عن المرور بهذه الأرض، وأنه لم ولن يصيبنا شيء مما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم،؟ وهذا الفعل يهدف إلى الطعن بحديث النبي صلى الله عليه وسلم وازالت قدسيته من القلوب حول خطر الإقامة فيها فضلاً عن تنظيم الحفلات، فهذا استهداف للدين الحنيف أولاً، وجعل السنة النبوية هدفاً وخصماً صريحاً ثانياً.

عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنهم: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال: "لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ ثُمَّ تَفْنَعَ بَرْدَانِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ" ¹.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضَ ثَمُودَ الْحِجْرَ فَاسْتَقَوْا مِنْ بَيْرِهَا وَاعْتَجَنُوا بِهِ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ

¹ الرحل: ما يوضع على البعير مثل السرج للفرس.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُهَرِّقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بَعْرِهَا وَأَنْ يَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ
وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرُدُّهَا النَّاقَةُ" ¹.

الناظر إلى حديثي النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الاختصاص يتبين له أنه لا يجوز لأحد أن يذهب لديار ثمود ليتفرج وينظر مساكنهم، لأن ذلك وقوع في معصية الرسول صلى الله عليه وسلم إلا رجلاً يريد أن يذهب للعبرة ويكون باكباً عند مروره بتلك الأماكن فإن لم يكن باكباً فإنه لا يجوز أن يدخل عليهم لأنه ربما يصيبه ما أصابهم ولما مر النبي صلى الله عليه وسلم بواديهم قنع رأسه يعني خفضه وأسرع السير حتى تجاوز الوادي وبه نعرف خطأ هؤلاء الجهال الذين يذهبون إلى ديار ثمود للتفرج والتنزه ويبقون فيها أياماً ينظرون آثارهم القديمة، بل ويطعمون الحفلات الراقصة بل ويجعلون أرض البكاء تهتز طرباً، فإن ذلك معصية للرسول صلى الله عليه وسلم ومخالفة لهديه وسنته فإنه صلى الله عليه وسلم لما مر بهذه الديار أسرع وقنع رأسه صلى الله عليه وسلم حتى جاوز الوادي وحذر من أن يسكن الإنسان في مساكن الذين ظلموا أنفسهم والذين أهلكتهم الله في هذه الأرض خوفاً أن يصيب الإنسان ما أصابهم من عذاب الله إما بكفره بالله عز وجل حتى يستحق هذا العذاب وإما بعقوبة يعاقب بها وإن لم يكفر وإذا لقي الله تعالى يوم القيامة فالله بصير بالعباد، وإن غداً لناظره قريب ².

¹ صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم (٣/١٩١٢)، مع صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، (٤/٢٩٨).

² انظر: شرح رياض الصالحين للإمام النووي، شرح محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ٥١٤٢١)

أصحاب الأئمة

التضحية في سبيل الله، حتى لو أدى ذلك إلى ذهاب النفس واجب الجميع، والمؤمن الحق الذي ذاق طعم الإيمان، وتغلغل في قلبه، فإنه سيبدل الغالي والنفيس في سبيل إعلاء كلمة لا إله الا الله، ولذلك فإننا نرى أهل الإيمان منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى عهدنا، نراهم يسطرون أروع الملاحم والتضحية في سبيل الله سبحانه وتعالى، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأئمة خير شاهد ودليل على أثر الإيمان إذا لامس شغاف القلب فإنه يصنع الأعاجيب، فعن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن صهيب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعَلَّمَهُ السَّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يَعْلَمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ، وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ فَقَالَ الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرَ أَفْضَلَ أَمْ الرَّاهِبَ أَفْضَلَ فَأَخَذَ حَجْرًا فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَأَقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ أَيُّ بَنِي أَنْتَ

الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَىٰ فَإِنْ ابْتَلَيْتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي فَقَالَ إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، قَالَ كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ فَبِعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ فَقَالَ الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرَ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ فَأَخَذَ حَجْرًا فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمُضِيَ النَّاسُ فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ أَيُّ بَنِي أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَىٰ فَإِنْ ابْتَلَيْتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي فَقَالَ إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ فَاْمَنْ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ فَأَتَى الْمَلِكَ

فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ قَالَ رَبِّي قَالَ
وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي قَالَ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ
فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ أَيُّ بَنِي قَدِّ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ
وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ فَقَالَ إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ
يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا
بِالْمُنْشَارِ فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ
الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ¹ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ
حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ
أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ
فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ اللَّهُمَّ
اكَفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ² فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ
الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ
اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرُقُورٍ³ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا
فَاقْدِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكَفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ
فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ

1 بالمنشار: مهموز في رواية الأكثرين ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء وروى المنشار بالنون وهما لغتان صحيحتان

2 فرجف بهم الجبل: أي اضطرب وتحرك حركة شديدة.

3 قرقور: القرقور السفينة الصغيرة وقيل الكبيرة.

فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ تَجْمَعُ
النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِدْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعِ
السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ
ذَلِكَ قَتَلْتَنِي فَجَمَعَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِدْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ
كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ رَمَاهُ
فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ فَقَالَ
النَّاسُ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ
أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حِذْرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأَخْذِ فِي
أَفْوَاهِ السُّكَّكِ¹ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النَّيْرَانَ وَقَالَ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَن دِينِهِ فَأَحْمُوهُ
فِيهَا² أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ
تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ يَا أُمَّهُ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ³.

إن الناظر للحديث يرى بوضوح أن رمي الملك للغلام بتهمة "السحر" تكررت كثيراً مع الدعاة منذ عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم وحتى يومنا هذا، فمن يدعو إلى الله يقذف بأبشع الصفات من أجل إبعاد الناس عنه وقد حصل هذا حينما وصف كفار قريش حبيبتنا المصطفى صلى الله عليه وسلم بالساحر أو المجنون،

¹ نزل بك حذر: أي ما كنت تحذر وتخاف.

² أفواه السكك: أي أبواب الطرق.

³ صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب، (٤/٣٥٠٠). مع شرح المفردات

واليوم يوصف الدعاة بالتطرف والتزمت والإرهاب، ولذلك يجب على الداعية إلى الله سبحانه وتعالى أن يعتقد اعتقاداً جازماً أنه كلما زاد بطش أعداء الله بهدف صد الناس عن دين الله كلما زاد تقرب الناس إلى الله.

وإن تدافع الناس إلى الحفرة "الأخدود"، وعدم التراجع عن دين الله وذلك لأنهم اقتنعوا بسلامة وصحة وصدق هذا الدين على أرض الواقع وذلك في مشهد "استشهاد" الغلام الداعية من أجل دين الله، لذلك يجب على الدعاة أن يكونوا أول الناس في معارك الدفاع عن دين الله وأن يترجموا أقوالهم وخطبهم ودروسهم وندواتهم ومواعظهم واقعاً عملياً حتى ينالوا صفة "الداعية الحق". بل يجب على الدعاة ان يتعلموا فنون الدعوة من الغلام والتي تجلت في عدة مواقف أهمها:

أولاً: رغم أن الغلام كان يميل إلى تصديق الراهب أكثر من الساحر إلا أنه كان باحثاً عن الحقيقة حينما طلب من الله أن يبين له من الحق أثناء وقوفه في وجه الدابة وكان له ما أراد فجاءه اليقين من ربه بقتل الدابة على الفور.

ثانياً: على الرغم من أن الغلام "كان يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء" وأنه استطاع "بعون الله" أن يبرئ جليس الملك من سقمه إلا أنه كان يقول أن "الشافى هو الله" أي يرجع الأمر إلى ربه ولا يربطه بنفسه.

ثالثاً: التوكل على الله صفة لازمت الغلام كثيراً رغم فتنة القتل التي هدده بها الملك أكثر من مرة إن لم يعد عن دينه الحق.

رابعاً: التضحية بالنفس في سبيل الدعوة إلى الله دفع هذا الغلام إلى أن يبين للملك كيفية قتله، حيث تجلت عند الغلام كل صفات "المكر والدهاء والذكاء" في سبيل

اعلاء كلمة الحق حينما طلب من الملك أن يجمع الناس في صعيد واحد ليشهدوا على بطلان ألوهية الملك على أرض الواقع وهذا ما حدث عندما قال "بسم رب الغلام" وألقى بالسهم فجاء في نحره وقتله فهتف الناس بصوت واحد "آمنا برب الغلام" وكان الغلام بموته قد أحيا أمة بأكملها وأخرجها من الظلمات إلى النور¹.

هلاک قوم عاد

الله عز وجل عندما خلق الحياة الدنيا جعلها دار ابتلاء وامتحان، وجعلها ميداناً للعمل الذي سيحاسب عليه الناس في الآخرة، فقال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (الملك: ٢)، فليست تصرفات الناس في الدنيا واحدة، هناك من يظلم وهناك من يقتل وهناك من يعتدي، وإن العدالة تقتضي وجود يوم للقيامة، فعن ابن عباس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَاهْلِكْتُ عَادٌ بِالدَّبُورِ"³4.

1 شبكة فلسطين للحوار، المحاور العامة، المحور الشرعي، قصة أصحاب الأخدود، عبر وعظات، للأستاذ عصام ربحان، بتاريخ (٩/٥/٢٠٠٨).

2 نصرت بالصبا: هي الريح التي تهب من مشرق الشمس، ونصرت بها صلى الله عليه وسلم كانت يوم الخندق، إذا أرسلها الله تعالى على الأحزاب باردة في ليلة شاتية فقلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم وقلبت قدورهم وكان ذلك سبب رجوعهم وانهمامهم.

3 الدبور: هي الريح التي تهب من مغرب الشمس، وبها كان هلاك قوم عاد كما قص علينا القرآن الكريم.

4 صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا (١/٩٨٨، ٣٠٣٣، ٣١٦٥، ٣٨٧٩)، مع شرح المفردات من نفس المرجع، مع صحيح مسلم، كتاب الاستسقاء، باب في الصبا والدبور (٢/٩٠).

وفي حديث آخر: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح¹ قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، قَالَتْ وَإِذَا تَخِيلَتْ² السَّمَاءُ تَغْيِيرَ لَوْنِهِ وَخَرَجَ وَدَخَلَ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ عَادٍ: (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ وَهَذَا عَارِضٌ مُمَطِّرٌ نَابِلٌ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الأحقاف: ٢٤) 3

من الآيات العظيمة التي نصر الله بها رسوله، وأهلك بها الكفار "الريح" قال تعالى: (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ* فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيَقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَحْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ) (فصلت: ١٥ - ١٦)، فقد أرسل الله عليهم العاصفة المحتاحة الباردة في أيام نحس عليهم، وهو الخزي في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أحزى، وكانت الريح تعمل في غزوة الأحزاب قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا)

1 عصفت الريح: أي اشدت هبوبها.

2 تخيلت: تخيلت من الخيلة بفتح الميم وهي سحابه فيها رعد وبرق، يخيل إليه أنها مطرة ويقال أخالت إذا تقيمت.

3 صحيح مسلم، كتاب الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر (٢/٩٠). مع شرح المفردات

(الأحزاب : ٩) ، قال مجاهد رحمه الله : " سلط الله عليهم الريح ، فكفأت قدورهم ، ونزعت خيامهم ، حتى أضعنتهم " أي : جعلتهم يرتحلون .

فإذا ما قارنا بين الحادثتين علمنا جند الله تعالى ، عندما يرسلها على الكفار كيف يكون مفعولها ، الرعب والريح ، فإذا ما نظرنا إلى واقعنا رأينا أن التاريخ يتكرر ، فإننا نرى هؤلاء الكفار المعاصرين يقولون : نحن القوة العظمى ، من أشد منا قوة ؟ نحن القطب الواحد في العالم ، والمسلمون مساكين ضعفاء ، وليس لهم راية نقية ، ولا قائد مسلم موحد يقودهم ، لكنه صف مختلط ، فيهم السني والمبتدع ، والمسلم والمشرك والمرتد ، فيهم وفيهم ، ونحن لا زلنا نتحدث عن مصيبة ، مصيبة نزلت بديار الإسلام ، قصف وتشريد ، وقتل وجرح ، لا شك قائم إلى الآن ، ومذابح وربما تزداد ، وبالرغم من هذا فإن الله عز وجل سيرينا الآيات فيهم إن عدنا إلى الله .

الفصل الثاني

أحاديث غيبية ظهرت وانتهت وأخرى لم تنته بعد

أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الغيبية؛ التي ظهرت في عهده وانتهت وأحاديث ظهرت ولم تنتهي إلى زماننا. أحاديث ذكرها العلماء كثيراً، وسأذكر ما ثبت منها في صحيح البخاري ومسلم، وترك ما لم يثبت باستثناء بعض الشواهد وهي قليلة جداً.

وسأورد الأحاديث في هذا الفصل مع محاولتي الترتيب ما استطاعت، وذلك بذكر ما نص عليه العلماء، ثم أتحرى ذكر الأحاديث الباقية بتقديم ما تقتضي الحوادث تقديمه على غيره؛ فعلى سبيل المثال، ظهور الفتن مقدم على لبس الحرير؛ فالفتن ظهرت في عهد الصحابة، وجعل فتح القسطنطينية مقدماً على قتال اليهود في زمن عيسى عليه السلام، لأن فتحها قبل ظهور الدجال، وهكذا.

ومما ينبغي أن يعلم أن كثيراً من هذه الأحاديث التي سأذكرها لاحقاً، وقد ظهرت مبادئها من عهد الصحابة رضي الله عنهم، وهي في ازدياد، ثم صارت تكثر في بعض الأماكن دون بعض، والذي يعقبه قيام الساعة هو استحكام ذلك، فيكون مثلاً قبض العلم لا يقابله إلا الجهل الصرف، ولا يمنع ذلك وجود طائفة من أهل العلم، لأنهم يكونون حينئذ مغمورين في أهل الجهل، وقس عليه غيره من الأحاديث.

ومما ينبغي التنبيه عليه أيضاً أن بعض الناس ربما قد يفهم من هذه الأحاديث والتي هي من علامات الساعة أنه محذور وممنوع، وهذه القاعدة غير سليمة، فإنه ليس

كل ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بكونه من علامات الساعة يكون محرماً أو مذموماً، فإن تناول الرعاء في البنيان، وفشو المال، ليس بحرام بلا شك، وإنما هذه علامات، والعلامات لا يشترط فيها شيء من ذلك، بل تكون بالخير والشر، والمباح، والمحرم، والواجب، وغيره¹.

أجواء الأزمات والإحباط والتي غالباً ما تنجم أو تؤدي إلى حالات من الانحطاط النفسي والحضاري، ينتشر التعويل في كل المجتمعات على الغيبيات والغرائب وكل ما يمكن أن يبعث الأمل والرجاء في النفوس، بعض الأمم تتخلص من هذه الحالة بسرعة، وتحاول أن تعمل عقلها وجهدها للخروج من الأزمة والحالة السيئة التي تعيشها، وبعض الأمم يطول مكثها في هذه المراحل، والأمة الإسلامية تعيش جو من أجواء الإحباط منذ فترة طويلة، وما زالت تبحث عن مشاريع للنهضة، مشاريع للتحرك، مشاريع للاستقلال منذ ما يزيد على القرن من الزمان، ولكن للأسف الشديد لا يبدو أن هناك الكثير من الضوء في الوقت الراهن.

إن هناك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة الباعثة للأمل من ناحية، والتي يأتي بعثها للأمل من خلال الحديث عن قادم الأيام، ويصر البعض على أنها أيامنا هذه المقصودة في هذه الأحاديث، بعضها باعث على الأمل، وبعضها أيضاً أحاديث باعثة على الإحباط، تتنبأ بالمزيد من السوء في حالات ليست قليلة، ولذلك إذا تأملنا في الأحاديث التي تتكلم عن الأمور الغيبية، سنجد هنالك عدداً من الأهداف تغطيها هذه الأحاديث، منها جانب تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم

¹ انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب العتق، باب ام الولد (١٩/٤٩٠).

لما أخبر به وهذا بعد عقدي واضح، لكن فيه جانب منها بعد تربوي للترغيب والترهيب لجزر الناس عن بعض الشرور، وهذه كثيراً ما ترد بصيغة ارتباطها بعمل معين، إذا عمل الناس كذا سيكون كذا، وبالتالي هي تحذير للناس من أن يعملوا كذا، السنين ستصيب الناس إذا منعوا الزكاة، الزنا سيفشو في المجتمعات إذا تعطل الشرع وابتعد الناس عن الشرع، وما شابه ذلك، هذه الأحاديث الغرض منها تربوي لتحذير الأمة، وبالتالي الأمة مدعوة إلى منهج تربوي لتنشئة الأجيال، لكن فيه جانب منها آخر، فيه شيء من البشارات، وكما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام ستمر في فترات مد، فتوح، وانتصار، وتقدم، وحضارة وما إلى ذلك، وستر في فترات ضعف، وهنا تأتي بعض هذه النصوص ويكون الهدف منها تبشير هذه الأمة بأنها ستنهض، وأن هنالك عوامل للنهوض¹، من هذه الأحاديث التي ذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم ما ستؤول إليه الأمة، حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة² من آدم³؛ فقال: "اعدد ستاً⁴ بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس⁵ ثم موتان⁶ يأخذ فيكم كقعاص الغنم⁷ ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة

1 انظر برنامج الشريعة والحياة على قناة الجزيرة، ضيف الحلقة محمد عويضة، تاريخ الحلقة ٢٠٠٣/٧/٢٧)

2 قبة: كل بناء مدور.

3 آدم: جلد مدبوغ.

4 اعدد ستا: من العلامات.

5 سيتم الحديث عن فتح بيت المقدس لاحقاً.

6 موتان: موت كثير الوقوع بسبب طاعون أو نحوه.

7 كقعاص الغنم: داء يصيب الغنم فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة.

دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ¹ فَيَعْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ²
اثنًا عشر ألفًا³.

قوله: موتي، فيه إشارة واضحة على أنه صلى الله عليه وسلم سيموت كما يموت
البشر، لأن الله عز وجل لم يكتب الخلود في هذه الحياة الدنيا لأحد من الخلق، بل
هي دار ممر لا دار مقر، كما قال تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الْبَشَرَ مِنْ قَبْلِكَ الْخَالِدِينَ إِنَّمَا مَتَّ فُهُمُ
الْخَالِدُونَ* كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)
(الأنبياء: ٣٤ - ٣٥)، وكان موته كما قال القرطبي: "أول أمر دهم الإسلام ثم
بعده موت عمر، فموت النبي انقطع الوحي، وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر
بارتداد العرب، وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير، وأول نقصانه"⁴.

وما فهم الصحابة في يوم من الأيام أحاديث الفتن من باب أن تنزل على وقائع معينة
ليجلسوا ينتظروا حتى تتحقق هذه الوقائع وتقع هذه النتائج بناء على أمر قُدري
خارج عن إرادة الناس، بل بالعكس، المسألة في دائرة الناس، الإنسان مكلف بأن
يعمل ما في وسعه لتحقيق هذه البشارات، ولنيل هذه المرغبات وهذه المبشرات
التي أخبر بها النبي عليه الصلاة والسلام⁵، لذلك علينا مدافعة القدر بالقدر،

1 بني الأصفر: هم الروم.

2 غاية: راية سميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف وإذا مشت مشى.

3 صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب ما يحذر من الفتن (٣/٥٠٠٣). مع شرح المفردات

4 "التذكرة" للقرطبي، (ص ٦٢٩ - ٦٣).

5. انظر برنامج الشريعة والحياة على قناة الجزيرة، ضيف الحلقة محمد عويضة، تاريخ الحلقة

(٢٧/٧/٢٠٠٣)

مثلما ندافع قدر المرض بقدر التداوي ولا نترك المريض يموت، وكذلك لا نترك الدعوة مهما حصل، فعلمنا بما سيجري وفق أحاديث الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، لا يعني الاستسلام وإنما يعني أن نؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره، مع أخذنا بالأسباب، وعدم ترك العمل، وأن نجعل لنا منارات من أهل العلم الصادقين الذين لا يخافون في الله لومة لائم، لنستضيء بنورهم وعلمهم لحاضرنا ومستقبلنا، وحتى لا ننجر ونسقط أمام الفتن التي هي كقطع الليل المظلم، وأن نعلم يقيناً بأن المستقبل لهذا الدين، وأن النصر آت ولو بعد حين، قال تعالى: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) (الصفات: ١٧١ - ١٧٣).

ولقد نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن السؤال الذي يستجلب التشدد للأمة في تفصيلاته وزياداته، فعن أنس رضي الله عنه: "سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَحْفَوْهُ¹ الْمَسْأَلَةَ فَغَضِبَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ لَا تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيْنَتْهُ لَكُمْ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لَأَفُّ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي فَإِذَا رَجُلٌ كَانَ إِذَا لَأَحَى² الرِّجَالَ يُدْعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبِي قَالَ حَذَافَةٌ ثُمَّ أَنْشَأَ³ عُمَرُ فَقَالَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

1 أحفوه المسألة: ألحوا عليه في السؤال وأكثروا من سؤاله فيما يكره الجواب عنه.

2 لآحى: خاصم ونازع.

3 أنشأ: شرع.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَيْتُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَالْيَوْمِ قَطُّ إِنَّهُ صُوِّرَتْ لِي الْجَنَّةُ وَالنَّارُ حَتَّى رَأَيْتُهُمَا وَرَأَى الْحَائِطُ"¹، وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن نَسَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (المائدة: ١٠١)، وسبب غضبه صلى الله عليه وسلم كان بسبب أنه سئل عن أشياء كرهها، فكلما أكثرها منها غضب عليه الصلاة والسلام، ثم قال للناس: "لَا تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيْنَتْهُ لَكُمْ"، لأن غضبه عليه الصلاة والسلام ليس عن عجز عن الإجابة ولأنه لو كان عن عجز عن الإجابة لما طلب منهم أن يسألوه.

ونلاحظ اليوم أن بعض من يسأل يغضب، لأنه سؤال يعرفه، وسؤال يخفى عليه، فلا يريد أن يظهر بالمظهر الذي لا يعرف، وليس عنده من الورع ما يحمله على قول: لا أدري فيغضب، أما النبي عليه الصلاة والسلام فطبيعة الأسئلة التي كانوا يسألونها كانت مكروهة، فغضب من أجلها عليه الصلاة والسلام، ولما كانت الإجابة عنده حاضرة طلب منهم أن يسألوه والغضب موجود، أي ما دتم مصرين على هذه الأسئلة المكروهة فسلوني وتحملوا الإجابة، وبعضهم يسأل تعنتاً، وبعضهم يسأل استهزاء، كبعض المنافقين يسأل استهزاء، وبعضهم يسأل أسئلة لو

¹ صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من الفتن (١/٥٠٦، ٦٦٧٨، ٤٣٤٥) مع شرح المفردات، مع صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله (٢٣٥٩/٤).

ظهر جوابها على خلاف ما حاله عليه ساءه ذلك، فيقول: من أبي¹ مثلاً، ويقول الرجل يضل ناقته: أين ناقتي؟ ولذا جاء النهي عن السؤال (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء) ومطلوب من قبل المتعلمين لشيوخهم، لا مانع من أن يسأل المتعلم شيخه عن كل ما يدور في باله، ما لم يكن متعنتاً يطلب تعجيز الشيخ، أو يظهر نفسه مظهر الفاهم، وأن عنده ما ليس عند غيره، لأن هذا قدح وخلل في النية، لذلك لما أكثروا السؤال على النبي عليه الصلاة والسلام "غضب" وسبب غضبه عليه الصلاة والسلام تعنتهم في السؤال وتكلفهم فيما لا حاجة لهم فيه، وهذا هو الشاهد من الحديث.

لقد أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أحاديث غيبية ظهرت في عهده صلى الله عليه وسلم وانتهت وأحاديث ظهرت ولم تنته إلى زماننا، وهي كما سيأتي لاحقاً.

¹ هو عبد الله ابن حذافة بن قيس السهمي القرشي، صحابي أسلم قديماً، "ت ٥٣٣ - ٦٥٣م" وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى. وهاجر إلى الحبشة، وقيل: شهد بدرًا، وأسرته الروم في أيام عمر، ثم أطلقوه، وشهد فتح مصر، وتوفي بها في أيام عثمان، وكانت فيه دعاة.

المبحث الأول

الغيب

أجواء الأزمات والإحباط والتي غالباً ما تنجم أو تؤدي إلى حالات من الانحطاط النفسي والحضاري، ينتشر التعويل في كل المجتمعات على الغيبيات والغرائب وكل ما يمكن أن يبعث الأمل والرجاء في النفوس، بعض الأمم تتخلص من هذه الحالة بسرعة، وتحاول أن تعمل عقلها وجهدها للخروج من الأزمة والحالة السيئة التي تعيشها، وبعض الأمم يطول مكثها في هذه المراحل، والأمة الإسلامية تعيش جو من أجواء الإحباط منذ فترة طويلة، وما زالت تبحث عن مشاريع للنهضة، مشاريع للتحرك، مشاريع للاستقلال منذ ما يزيد على القرن من الزمان، ولكن للأسف الشديد لا يبدو أن هناك الكثير من الضوء في الوقت الراهن.

الإخبار ببعض الغيبات

هناك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة الباعثة للأمل من ناحية، والتي يأتي بعثها للأمل من خلال الحديث عن قادم الأيام، ويصر البعض على أنها أيامنا هذه المقصودة في هذه الأحاديث، بعضها باعث على الأمل، وبعضها أيضاً أحاديث باعثة على الإحباط، تتنبأ بالمزيد من السوء في حالات ليست قليلة، ولذلك إذا تأملنا في الأحاديث التي تتكلم عن الأمور الغيبية، سنجد هنالك عدداً من الأهداف تغطيها هذه الأحاديث، منها جانب تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم لما أخبر به وهذا بعد عقدي واضح، لكن فيه جانب منها بعد تربوي للترغيب

والترهيب لزجر الناس عن بعض الشرور، وهذه كثيراً ما ترد بصيغة ارتباطها بعمل معين، إذا عمل الناس كذا سيكون كذا، وبالتالي هي تحذير للناس من أن يعملوا كذا، السنين ستصيب الناس إذا منعوا الزكاة، الزنا سيفشو في المجتمعات إذا تعطل الشرع وابتعد الناس عن الشرع، وما شابه ذلك، هذه الأحاديث الغرض منها تربيوي لتحذير الأمة، وبالتالي الأمة مدعوة إلى منهج تربيوي لتنشئة الأجيال، لكن فيه جانب منها آخر، فيه شيء من البشارات، وكما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام ستمر في فترات مد، فتوح، وانتصار، وتقدم، وحضارة وما إلى ذلك، وستمر في فترات ضعف، وهنا تأتي بعض هذه النصوص ويكون الهدف منها تبشير هذه الأمة بأنها ستنهض، وأن هنالك عوامل للنهوض، من هذه الأحاديث التي ذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم ما ستؤول إليه الأمة، حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة¹ من آدم² فقال: "اعدد ستاً³ بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس⁴ ثم موتان⁵ يأخذ فيكم كقعاص الغنم⁶ ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون

1 قبة: كل بناء مدور.

2 آدم: جلد مدبوغ.

3 اعدد ستا: من العلامات.

4 سأيتم الحديث عن فتح بيت المقدس لاحقاً.

5 موتان: موت كثير الوقوع بسبب طاعون أو نحوه.

6 كقعاص الغنم: داء يصيب الغنم فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة.

بينكم وبين بني الأصفر¹ فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية² تحت كل غاية
اثنا عشر ألفاً³ .

¹ بني الأصفر: هم الروم.

² غاية: راية سميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف وإذا مشت مشى.

³ "التذكرة" للقرطبي، (ص ٦٢٩ - ٦٣).

المبحث الثاني

غيبيات الإسراء والمعراج

الإسراء والمعراج رحلة نبوية برفقة ملائكية وبأمر رباني، جبراً لخاطر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، والتي تمت بزمن يسير هو في زماننا معجزة مع وجود الطائرات والتطور التكنولوجي، فكيف بزمن لا يوجد فيه من وسائل النقل إلى الدواب كالخيل والإبل، فكانت بداية الرحلة مكة بعد صلاة العشاء ودامت إلى ما قبل صلاة الفجر، وتخلل الرحلة مرحلتان، الأولى إلى بيت المقدس حيث المسجد الأقصى، ثم المرحلة الثانية كانت من المسجد الأقصى إلى هناك حيث لا هناك هناك إلى حيث التجلي الأعظم من رب العزة جل جلاله على حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم، هاتان المرحلتان كانتا محطة مهمة في حياته صلى الله عليه وسلم.

الإسراء والمعراج

أسرى الله تعالى بحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم بجسده وروحه من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماوات العلا، وعاد بنفس الليلة إلى مكة المكرمة، لم يقلق الله أن محمداً صلى الله عليه وسلم سرى بنفسه، بل قال: سبحان الذي أسرى بعبده؛ إذ الفعل لا ينسب لمحمد صلى الله عليه وسلم، بل ينسب لله تبارك وتعالى القادر المقتدر والذي قدرته لا حدود لها؛ فكيف لبشر أن

ينكر الإسراء والمعراج ما دام الله هو الذى فعل ذلك، إن إنكار الإسراء والمعراج هو إنكار لقدرة الله سبحانه وتعالى .

روى أنس بن مالك رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أُتِيْتُ بِالْبُرَاقِ¹ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضٌ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَعْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مَنْتَهَى طَرَفِهِ، قَالَ فَرَكَبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ²، قَالَ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ³ الَّتِي يَرْبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ قَالَ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ⁴ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَلَّالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَا لِي

1 أُتِيْتُ الْبُرَاقِ: البراق اسم الدابة التي ركبها صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء. انظر شرح المفردات بصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، (١/١٦٢).

2 بيت المقدس: معناه بيت المكان الذي جعل فيه الطهارة أو بيت مكان الطهارة وتطهيره إخلاؤه من الأصنام وإبعاده منها.

3 فربطته بالحلقة: المراد حلقة باب مسجد بيت المقدس.

4 اخترت الفطرة: أي الإسلام والاستقامة ومعناه اخترت علامة الإسلام والاستقامة وجعل اللبن علامة لكونه سهلاً طيباً سائغاً للشاربين سليم العاقبة وأما الخمر فإنها أم الخبائث وجالبة لأنواع من الشر في الحال والمآل.

بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مِنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ
قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ
إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ
الْحُسَيْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ
عَلَيْهِ السَّلَامَ قِيلَ مِنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَالَ وَقَدْ بُعِثَ
إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ: (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ
قِيلَ مِنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ
بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِبَهَارُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ
ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامَ قِيلَ مِنْ هَذَا قَالَ
جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا
فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ
السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مِنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا
بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمُعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ

كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يُعْرَدُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى¹ وَإِذَا
وَرَفُّهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ² قَالَ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ
تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا
أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ ارْجِعْ إِلَى
رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا
فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ
إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ
عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً وَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ فَإِنْ
عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا
كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ قَالَ فَنَزَلَتْ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

1 إلى السدرة المنتهى: قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم سميت سدرة المنتهى، لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحكي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنها سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى.

2 كالقلال: جمع قلة والقلة جرة كبيرة تسع قربتين أو أكثر.

فَأَخْبَرْتَهُ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ"¹.

– وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فُرج² عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُتَلَيٍّ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا"³.

وعن عبد الله بن نمير رضي الله عنه قال: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم، انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال: (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) (النجم: ١٦)، قال فراش من ذهب⁴، قال فأعطني رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً أعطني الصلوات الخمس، وأعطني خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحّمات⁵6.

¹ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، (١/١٦٢).

² فرج: فتح فيه فتحة.

³ صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، (١/٣٤٢، ١٥٥٥، ٣١٦٤، وانظر ٣. ٣٥)، مع (صحيح مسلم)، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (١/١٦٣).

⁴ فراش من ذهب: الفراش دويبة ذات جناحين تتهافت في ضوء السراج واحدها فراشه.

⁵ المقحّمات: معناه الذنوب العظام الكبائر التي تهلك أصحابها وتورد لهم النار وتقحمهم إياها، والتقحم الوقوع في المهالك ومعنى الكلام من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له المقحّمات.

⁶ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر سدرة المنتهى، (١/١٧٣).

عرج برسول الله إلى السموات العلا من بيت المقدس، ولو شاء الله سبحانه وتعالى لعرج به من مكة المكرمة، وهناك حكم كثيرة للإسراء والمعراج ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما صلى بالأنبياء إماماً في بيت المقدس فهي إشارة إلى أن القيادة قد آلت للمسلمين وستظل، وانتهت من بني إسرائيل، وكأن هذه الإشارة لزمنا للمحافظة على هذه القيادة من يد الطامعين وعلى رأسهم اليهود، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الإسراء والمعراج هو اختبار للمسلمين ليميز الله المؤمن الحق من المؤمن الهش، والله لا يرضى للمسلم أن يكون إيمانه هشاً، ولأن الإسلام لا حاجة له بالكم ولكن العبرة بالكيف فقد يكون عدد المسلمين كثير لكن لا وزن لهم، وقد يكون عددهم قليل لكن لهم وزنهم في المجتمع، فالواجب على المسلمين أن يحافظوا على أرض معراج النبي صلى الله عليه وسلم من غدر اليهود واستيلائهم عليها، ولا يكون ذلك إلا برفع راية الجهاد من جديد بعدما خبي أوارها وتقاعس الحكام والمحكومين إلا من رحم الله.

وفي الإسراء والمعراج معجزات كثيرة، منها قطع المسافات في لحظات، وما حدث الآن من طفرات في مجال قطع المسافات وسرعة الصوت والضوء وغير ذلك، إنما يؤكد صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ومن المعجزات أيضاً الإشارة إلى إمكان ارتياد البشر للفضاء والخروج عن جاذبية الأرض، وهذا ما حدث في هذا العصر لكن ذلك بسُلطان الله عز وجل، وبذلك يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب وصف علماء الفضاء أول رائد فضاء في تاريخ العالم كله، لأنه صلى الله عليه وسلم أول من اخترق السبع الطباق.

وصف بيت المقدس

بيت المقدس هو مهبط النبوة قبل نبوته صلى الله عليه وسلم، فأنبىء بني إسرائيل بعثوا في تلك الأرض المقدسة، وهناك القبلة الأولى التي كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يستقبلونها، إذًا فهناك ربط بين هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبيئته وبلدته الجديدة، وبين مهبط النبوة السابقة لها أيضاً، وفيه إشعار بأن هذا النبي صلى الله عليه وسلم مكمل و متمم لرسالات الأنبياء قبله، وهو خاتمهم .
فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ¹ فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، فَطَفَقْتُ² أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ³ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ"⁴.

إن إظهار العناد من أعداء الدين للنبي صلى الله عليه وسلم، يحتاج إلى حجة دامغة وبيان وإيضاح لإخماد هذا العناد، فلما ذكر أنه أُسري به إلى بيت المقدس سأله أن يعطيهم علامات ودلائل على صدق دعواه، فطلبوا منه أن يصف لهم بيت المقدس وهم الذين كانوا يضربوا أكباد الإبل شهراً كاملاً ليصلوا إليه، وهم يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذهب إليه ولم يره قط، ثم يدعى أن ذهب إلى هناك في ليلة واحدة بل وعاد بنفس الليلة، فلما أخبرهم، كان ذلك زيادة في إيمان

1 الحجر: ما تحت ميزاب الرحمة المحاط بجدار قصير.

2 طففت: أخذت وشرعت.

3 آياته: علاماته وأوضاعه وأحواله.

4 صحيح البخاري، كتاب فضل الصحابة، باب حديث الإسراء، (١/٣٦٧٣) مع صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، (١/١٧٠).

المؤمن، وزيادة في شقاء الجاحد والمعاند، واللطفية الجميلة هي أن الرحلة بدأت من المسجد الحرام وانتهت بالمسجد الأقصى، وهذا دليل على المكانة السامية التي يتبوؤها المسجد الأقصى في الإسلام، فالاهتمام بالجيل الذي سيحمل راية الإسلام في المرحلة المقبلة يجب أن يبدأ من المساجد، كما حمل الصحابة الراية من قبل رضي الله تعالى عنهم جميعاً، فالأقصى أمانة في أعناق الأمة كما كان أمانة في عنق عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما خرج ليتسلم مفاتيح القدس بنفسه متعهداً أمام أهلها بالحفاظ عليها ومنع اليهود من سكنها، فهو رمز وحدة شعوب الأمة، والمحرك لمشاعرها، والموحد لجماهيرها، فهو يمثل العلامة الحيوية للأمة أو لضعفها، فإذا قويت الأمة كان المسجد تحت حفظها ورعايتها، أما إذا ضعفت سلب المسجد من بين أيديها، والأقصى هو الدليل الحي على فشل الأنظمة العربية التي رفعت دعاوى القومية أو الاشتراكية أو ألفت بنفسها في أحضان الغرب، فكل ذلك أدى إلى ضياع المسجد الأقصى واغتصاب فلسطين، والنتيجة أنه لا إسلام بدون مكة والمدينة، ولا كرامة للأمة ولا حرية لها ولا استقلال بدون الأقصى وفلسطين، فمكة والمدينة هما القلب لهذه الأمة الذي يضخ في عروقها إسلام الوجه والقلب لله رب العالمين، وأما الأقصى وفلسطين فهما الرئتان التي تتنفس بهما، وتمدها بالقدرة على مقاومة الغزاة والطامعين من صليبيين وتتار في تاريخها الوسيط، والاستعمار الصهيوني والغربي في العصر الحديث.

رؤية جبريل عليه السلام

أوكل الله سبحانه وتعالى إلى جبريل عليه السلام مهمة عظيمة وهي مهمة تلقي الوحي من رب العزة، وإنزاله إلى رسل الله تعالى وأنبيائه، فهو الوسيط الأمين بين رب العزة وأنبيائه ورسله، فلقد نزل بالقرآن الكريم على صدر النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وإن الصفة الخلقية لجبريل عليه السلام عظيمة، فقد رآه النبي محمد عليه الصلاة والسلام يوماً على صورته التي خلقه الله عليها، له ستمئة جناح، قد سد ما بين الأفقين، ولأن هذه الصورة مما لا يعتاده البشر، فقد كان عليه السلام يتمثل في صورة الرجال إذا أراد أن يوصل رسالة من الله إلى الناس، وكثيراً ما كان يتمثل في صورة أحد الصحابة وهو دحية الكلبي¹ رضي الله عنه الذي اشتهر بحسنه ووضاءة وجهه، كما تمثل يوماً في صورة رجل شديد بياض الثياب، شديد بياض اللحية عندما أتى إلى النبي عليه الصلاة والسلام وهو جالس بين أصحابه ليعلم الصحابة أمور دينهم، فعن مسروق² رضي الله عنه قال: قُلْتُ لِعَائِشَةَ فَأَيْنَ قَوْلِهِ: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى)،

¹ دحية الكلبي ابن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي القضاعي. صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، ورسوله بكتابه إلى عظيم بصرى ليوصله إلى هرقل. أسلم دحية قبل بدر ولم يشهدها، وكان يشبهه بجبريل، بقي إلى زمن معاوية (سير أعلام النبلاء، ٢/٥٥٠)

² مسروق ابن الاجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر بن سلمان بن معمر، ويقال: سلمان بن معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله، الإمام، القدوة، العلم، أبو عائشة الوادعي، الهمداني، الكوفي، حدث هو عن أبي بن كعب، وعمر، وعن أبي بكر الصديق - إن صح - وعن أم رومان، ومعاذ بن جبل، وخباب، وعائشة وغيرهم (ت: ٥٦٢) (سير أعلام النبلاء، ٤/٦٣).

قَالَتْ إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجَالِ وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ
الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ أَفُقَ السَّمَاءِ¹

وفي رواية أخرى عن مسروق قال: قال: كُنْتُ مُتَكِنًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا
عَائِشَةَ ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ قُلْتُ: مَا هُنَّ؟
قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَكِنًا
فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي وَلَا تَعْجَلِينِي أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
(وَلَقَدْ رَأَوْهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) (التكوير: ٢٣)، (وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزْلَةً أُخْرَى)، فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ
هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ،
لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا
عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، فَقَالَتْ: أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ)، قالت: ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من كتاب
الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)،
قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول:
(قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)².

1 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله تعالى "ولقد رآه نزلة.." (١/١٥٩).

2 مرجع سابق.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم: "رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتْمِائَةَ مِائَةِ جَنَاحٍ"¹.

وإن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام على حقيقته الملائكية إنما ليظمن النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أن هذا رسول من عند الله حقاً، وأنه نبي لله حقاً، بعد هذه الهيئة التي نزل عليها، وجاء بها جبريل عليه السلام، وهذه هي المرة الثانية بالنسبة لرؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام على صورته الحقيقية. فالمرّة الأولى كانت في البطحاء بعد فترة الوحي، والثانية عند سدرة المنتهى، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى عليه، وفيها حكم يضيق المقام عن شرحها، ولكن يذكر الباحث منها: كونه يكون على خلقته التي خلقها الله تعالى، ومع ذلك يتقاصر دون درجة محمد صلى الله عليه وسلم، هذا أعظم من أنه كان على خلقة رجل ثم يكون أقل، لكن على نفس الحلقة التي هي أعظم خلقة له، ومع ذلك فإن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم يبلغ إلى درجة أعلى منه عليه السلام، فهذا منتهى التكريم للنبي صلى الله عليه وسلم².

وصف النبي صلى الله عليه وسلم لربه بأنه نور

النور صفة ذاتية لله عز وجل، وأنه سبحانه نور السماوات والأرض، فهو نور، وحجابه نور، وإن لم يكن ذلك محسوساً لنا، قال تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ

¹ صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين.. (٣/١١٨١)، مع صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر سدرة المنتهى (١/١٥٨).

² شرح العقيدة الطحاوية/ الحوالي"، باب الإسراء والمعراج (ص ١٨٤٣) بتصرف.

وَالْأَرْضُ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ
دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نَارٌ تَنُورُ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ) (النور: ٣٥)، فإنه سبحانه وتعالى قد أخبر أنه نور، وأخبر أنه كمشكاة
فيها مصباح، ومعلوم أن المصباح الذي في المشكاة له نور يقوم به، ونور منبسط
على ما يصل إليه من الأرض والجدران، فالنور من أسماء الله الحسنى، فعن ابن
عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قام إلى
الصلاة من جوف الليل: "اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ
الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ
فِيهِنَّ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ
وَالسَّاعَةُ حَقٌّ اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ وَبِكَ
خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ أَنْتَ
إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ"¹.

¹ صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى "وهو الذي خلق السموات والأرض". (٦/٦٩٥٠) مع صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١/٧٦٩).

وعن أبي موسى¹ الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ"² يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ³ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ⁴ حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ"⁵6.

1 أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ومعازدا على زبيد، وعدن، وولي إمرة الكوفة لعمر، وإمارة البصرة (ت: ٤٤٢هـ)

2 لا ينام ولا ينبغي له أن ينام: معناه أنه سبحانه وتعالى لا ينام، وأنه يستحيل في حقه النوم فإن النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الإحساس، والله تعالى منزّه عن ذلك، وهو مستحيل في حقه جل وعلا.

3 يخفض القسط ويرفعه: المراد، أن الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة، ويوزن من أرزاقهم النازلة

4 يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل: معناه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار الذي بعده وعمل النهار قبل عمل الليل الذي بعده.

5 حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه: السبحات جمع سبحة قال صاحب العين والهروي "وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين، معنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه، أما الحجاب، فأصله في اللغة المنع والستر، وحقيقة الحجاب إنما تكون للأجسام المحدودة والله تعالى منزّه عن الجسم والحد، والمراد هنا المانع من رؤيته، وسمي ذلك المانع نوراً أو ناراً لأنهما يمنعان من الإدراك في العادة لشعاعهما، والمراد بالوجه الذات، والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه، جميع المخلوقات، لأن بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات، ولفظة من لبيان الجنس لا للتبعيض، والتقدير لو أزال المانع من رؤيته، وهو الحجاب المسمى نوراً أو ناراً وتجلي لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته.

6 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله عليه السلام إن الله لا ينام وفي قوله حجاب النور (١/١٧٩). مع شرح المفردات

صاحب العين: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليمحمدي، وهو من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، صاحب كتاب العين في اللغة، ومعاني الحروف وجملة آلات العرب وتفسير حروف اللغة وكتاب لعروض، ت: ١٧٠هـ "سير أعلام النبلاء" ٢/٣١٤

الهروي: وهو الحافظ الإمام المجود، العلامة، شيخ الحرم، صاحب التصانيف ت: ٥ - ٥٨ "سير أعلام النبلاء" ١٧/٥٥٤

لقد اختص الله عز وجل أهل الإيمان بأن جعل لهم من الخصائص ما يميّزهم عن غيرهم من البشر، فمن هذه الخصائص أن أهل الإيمان قد وسِموا بالأنوار، فقد نورَ الله عز وجل وجوههم، ونورَ قلوبهم وأعضاءهم، فأصبحوا نوراً على نور، وأما أهل النفاق والشقاق والكفر فهؤلاء يتخبطون في الظلمات، فترى وجوههم مسودة والعياذ بالله.

رؤية الله عز وجل بالمجتمعة

أعظم نعيم من الله لعباده المؤمنين في الجنة وأجزلها أن يتفضل عليهم برؤيته سبحانه وتعالى، فما يرون نعيماً أفضل من أن يروا ربهم تبارك وتعالى، فالجنة وما فيها من حور وقصور وأنهار، وكل النعيم الذي فيها يتقاصر أن يصل إلى نعمة رؤية الله تبارك وتعالى، واعتقاد أهل السنة والجماعة بأن أهل الإيمان سيرون الله عز وجل يوم القيامة كما يرون الشمس في رابعة النهار، وكما يرون القمر وقد إكتمل بدرًا، وسأسوق الأدلة على هذه الرؤية من الكتاب والسنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا، قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا، قال: فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، قال: فيلقى العبد

فَيَقُولُ أَيُّ فُلٍ¹، أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأَسْوَدَكَ² وَأَزَوَّجَكَ وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ
وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ³ وَتَرَبُّعُ⁴؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟
فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي⁵، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَّ فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍ،
أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأَسْوَدَكَ وَأَزَوَّجَكَ وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرَبُّعُ؟
فَيَقُولُ: بَلَى أَيُّ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا فَيَقُولُ: فَإِنِّي
أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ
أَمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرِسَالِكَ وَصَلَّيْتُ وَصَمَّمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَيَشْنِي بِخَيْرٍ مَا
اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ هَاهُنَا إِذَا⁶، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ،
وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ لِفَخْذِهِ
وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ⁷ مِنْ
نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ⁸.

1 أي فل: معناه يا فلان وهو ترخيم على خلاف القياس وقيل هي لغة بمعنى فلان حكاها القاضي.

2 أسودك: أي أجعلك سيذا على غيرك.

3 ترأس: أي تكون رئيس القوم وكبيرهم.

4 ترابع: أي تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة وهو ربعها يقال ربعتهم أي أخذت ربع أموالهم ومعناه ألم أجعلك رئيسا مطاعا قال القاضي بعد حكايته نحو ما ذكرته عندي أن معناه تركتك مستريحا لا تحتاج إلى مشقة وتعب من قولهم اربع على نفسك أي ارفق بها.

5 فإنني أنساك كما نسيتني: أي أمنع الرحمة كما امتنعت من طاعتي.

6 ههنا إذا: معناه قف ههنا حتى يشهد عليك جوارحك إذ قد صرت منكرا.

7 ليعذر: من الإعذار والمعنى ليزيل الله عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة أعضائه عليه بحيث لم يبق له عذر يتمسك به.

8 صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (٤/٢٩٦٨). مع شرح المفردات

– وفي رواية أخرى عن جرير¹ قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة يعني البدر " فقال: "إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تَضَامُونَ² فِي رُؤْيَيْهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا³ عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا⁴ فَافْعَلُوا ثُمَّ قَرَأَ (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) 5.

إن نعم الله على عباده لا تحصى، وقد خص سبحانه المؤمنين بمزيد من الإِنعام في الدنيا بأن من عليهم بالإسلام، واصطفاهم بالقرآن، وسيخصهم في الجنة بأعظم نعمة أنعم عليهم بها، ألا وهي تشریفهم وإكرامهم بالنظر إلى وجهه الكريم في جنة عدن، كما قال تعالى: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (القيامة: ٢٢ - ٢٣)، أي: أن وجوه المؤمنين تكون حسنة بهية مشرقة مسرورة بسبب نظرها إلى وجه ربها كما قال الحسن رحمه الله: " نظرت إلى ربها فنضرت بنوره ". وعن ابن عباس رضي الله عنهما: " (وجوه يومئذناضرة) قال: من النعيم (إلى ربها ناظرة) قال تنظر إلى وجه ربها نظراً. وهذا قول المفسرين من أهل السنة والحديث. وقال جل شأنه: (لَهُمْ

1 جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن حشم بن عوف، الامير النبيل الجميل. أبو عمرو، من أعيان الصحابة. وبيع النبي صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم"ت: ٥٥١". (سير أعلام النبلاء. ٢/٥٣٠).

2 لا تضامون: لا ينالكم صيم أي تعب أو ظلم.

3 لا تغلبوا: بأن تستعدوا لقطع أسباب الغلبة المنافية للاستطاعة من نوم أو شغل.

4 قبل طلوع الشمس وقبل غروبها: أي صلاتي الفجر والعصر.

5 "صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، (١/٥٢٩، ٥٤٧، ٤٥٧٠، ٦٩٩٧) مع شرح المفردات، مع صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر (١/٦٣٣).

مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) (ق: ٣٥) فالمزيد هنا هو: "النظر إلى وجه الله عز وجل .
 "كما فسره بذلك علي وأنس بن مالك رضي الله عنهما، وقال سبحانه: (لِلَّذِينَ
 أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ) (يونس: ٢٦)، فالحسنى الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم، كما
 فسرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد جاء في الحديث الذي رواه
 الصحابي الجليل صهيب¹ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا
 دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فِيَقُولُونَ
 أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا
 أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ وَهِيَ الزِّيَادَةُ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ
 الْآيَةَ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ"².

فإذا علمت أن أهل الجنة لا يعطون شيئاً فيها أحب إليهم من النظر إلى وجه ربهم
 جل وعلا تبين لك مدى الحرمان، وعظيم الخسران، الذي ينتظر المجرمين الذين
 توعدهم الله بقوله: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (المطففين: ١٥)، فالمنطوق
 أن الكفار لا يرون الله ولا يتمتعون برؤيته لأنهم ليسوا من أهل الدار الطيبة، وإذا
 حجب الله أعداءه تجلى لأوليائه وهم المؤمنون في الجنة .

¹ صهيب بن سنان بن مالك، من بني النمر بن قاسط" ت ٥٣٨": وكان يعرف بصهيب الرومي، وهو صحابي، من أرمى العرب سهما، وله بأس، وهو أحد السابقين إلى الإسلام، وهو الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم ربح صهيب ربح صهيب لأنه تصدق بماله كله، شهد بدرًا وأحد والمشاهد كلها، له ٣٠٧ أحاديث. "الأعلام للزركلي، ٣/٢١٠"
² شرح العقيدة الطحاوية" باب قوله والرؤية حق لأهل الجنة، (١/١٨٨).

المبحث الثالث أحوال الميت

الموت هو خروج الروح من جسم الإنسان والانتقال إلى مرحلة الحياة الأخرى، وإن السبب الذي من أجله خلق الله تعالى الموت هو البعث، أي انتهاء الحياة في الأرض وبداية الحياة في دار الآخرة، فالموت أمر جميل لأنه لولا وجوده لا يكون هناك بعث، فالموت هو الطريق أو الباب الذي يؤدي إلى البعث، بمعنى أصبح هو الممر من الحياة الدنيا إلى الآخرة، وهو الذي يوصلنا إلى الهدف الأول والأخير الذي خلق الإنسان من أجله، ألا وهو خلوده في الجنة، إذًا من دون وجود الموت لا وجود لحياة في الدنيا ولا حياة في الآخرة، لذلك فإن الموت هو من أعظم ما خلقه الله لنا كي نستطيع الرجوع إلى جنتنا الأبدية.

إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن نهاية أعمار قرنه

حديث من أعلام نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم بإخبار أمته بأمر مستقبلي، ولقد وقع كما أخبر، فهو صلى الله عليه وسلم يخبر أن الناس الموجودين في ذلك العصر لن يعيش أحد منهم أكثر من مائة سنة، وهذا ما حصل فعلاً، فأخر الصحابة موتاً كانت وفاته سنة عشر ومائة أي بعد مائة عام من وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام وهو أبو الطفيل بن واثلة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته، فلما سلم

قام، فقال: **أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ¹ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ²**. قال ابن عمر: فوهل الناس³ في مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد، يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن⁴. 5.

وقال ابن بطال: إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه المدة تخترم الجيل الذين هم فيه فوعظهم بقصر أعمارهم وأعلمهم أن أعمارهم ليست كأعمار من تقدم من الأمم ليجتهدوا في العبادة. وقال النووي: المراد أن كل من كان تلك الليلة على الأرض لا يعيش بعد هذه الليلة أكثر من مائة سنة سواء قل عمره قبل ذلك أم لا، وليس فيه نفي حياة أحد يولد بعد تلك الليلة مائة سنة⁶.

الموت تلك الكلمة التي هزت الجبابرة والقياصرة، وهزت الأغنياء والفقراء، وذلك لجهلهم بموعدهم معه، فلقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن يكون انتهاء الأجل من الأمور التي لا يطلع عليها أحد من خلقه سواه، فجعلها سبحانه وتعالى من الأمور

¹ رأس مائة سنة: أي بعد مرور مائة سنة.

² ممن هو على ظهر الأرض: أي تلك الليلة.

³ فوهل الناس: أي غلطوا يقال وهل يهل وهلاً كضرب يضرب ضرباً أي غلط وذهب وهمه إلى غير الصواب، وأما وهلت بكسرهما أهل بفتحها وهلاً بفتحهما كحذرت أخطر حذرًا فمعناه فزعت والوهل بالفتح الفزع.

⁴ ينخرم ذلك القرن: أي ينقطع وينقضي.

⁵ صحيح البخاري، كتاب العلم، باب السمر في العلم، (١/١١٦، ٥٣٩)، (٥٧٦) مع شرح المفردات، مع (صحيح مسلم) كتاب فضائل الصحابة، باب قوله صلى الله عليه وسلم لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض (٤/٢٥٣٧).

⁶ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، باب ذكر العشاء والعتمة. (٧/٤٦٠).

الغيبية التي اختص بها وحده سبحانه وتعالى، وذلك ليبقى الإنسان مستعداً ومرتقياً لتلك اللحظة، فلا يتمادى بظلمه وعصيانه لأنه لا يعلم متى تأتيه المنية، فربما أتته وهو على المعصية، ولذلك فستراه دائم الحذر والخوف والترقب، بل سيحاول أن يجعل من الأعمال الصالحة منهجاً له لعل ساعته تكون على طاعة، وهذا من بعض حكم الله عز وجل في إخفاء موعد اللقاء بين الموت والإنسان، فيجب على الواحد منا أن ينظر إلى الدنيا كأنه يعيش أبداً وينظر إلى الآخرة كأنه يموت غداً.

خروج الروح من الجسد إلى عرض المقام في القبر

سكرة الموت هي من أشد اللحظات حرماً على الإنسان، فهو يتأرجح بين عالم الدنيا وعالم الآخرة، فهو يرى من في الدنيا ويرى من في الآخرة، ولقد وصف لنا النبي صلى الله عليه وسلم حال المحتضر ابتداء من رؤيته لملك الموت وما يعتري من معالجته للروح ومروراً بعالم القبر وما فيه من نعيم أو عذاب، ولقد جاء في سنة النبي صلى الله عليه وسلم عدداً من الأحاديث الشريفة والتي تصف حال المحتضر وذكر مقامه في قبره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَلَمْ تَرَوْا الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ شَخْصَ بَصْرَهُ قَالُوا بَلَى قَالَ فَذَلِكَ حِينَ يَتَّبِعُ بَصْرُهُ نَفْسَهُ"¹.

¹ صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب شخوص بصر الميت يتبع نفسه (٢/٩٢١).

قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى: (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ لَهَا مَنِ رَبُّكَ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالتَّقَتِ السَّقَّ بِالسَّقِّ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) (القيامة: ٢٦ - ٣٠). فلولا إذا بلغت أي: الروح، الحلقوم أي: الحلق، وذلك حين الاحتضار، وقال تعالى أيضاً: (وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ) (الواقعة: ٨٤)، فإذا وصلت الروح إلى الحلقوم، لأنها تسحب من الأسفل إلى الأعلى، غرغر، فإذا غرغر انقطعت التوبة، ولا يستطيع بل ولا يمكن من أن يتوب، ولو تاب ما قبلت توبته، وقال الله عز وجل: (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) (المنافقون: ١٠) فماذا يحدث عند نزول الموت؟ يندم المفرط على تفريطه، ويتمنى الرجعة إلى الدنيا، ولو شيئاً يسيراً ليستعقب، ويستدرك ما فات، وهيئات، فلا يمكن الرجوع، ولذلك فقد حضنا النبي عليه الصلاة والسلام على التفكير في الموت في أحاديث تزيد على السبعين حديثاً على التفكير في الموت وفيما يبدو أن المتفكر بالموت يكتسب حافزاً إلى الله عز وجل، والتفكير بالموت يجعل له سياقاً يبقيه في طاعة الله، وفي منهج الله، فالتفكير في الموت من جهة هو دافع وحافز إلى طلب رضوان الله عز وجل، والاستقامة على أمره، والعمل الصالح، ومن جهة ثانية التفكير في الموت هو سياق يحول بينك وبين الخروج عن منهج الله، فكأنه سياق محكم ودافع فعال، وهذا التفكير لا علاقة له بسنن السنين، فالإنسان لا يدري متى يكون الأجل، فذكر الموت كأنه مكبح يكبح الإنسان عن الاسترسال في الدنيا، وإذا كان في ضيق، وحاجة، ومشكلة فإن ذكر الموت يخفف

وقعها عليه، ويجعله يرضى بقضاء الله، ويتعلق بما وعده الله به من إكرام في قبره وفي دار النعيم، فهو في شوق للقبر كما أن القبر في شوق له، على عكس الكافر، ولكن الشوق عادة يكون بين المخلوقات، بين الابن وأبيه، والزوج وزوجته، وحتى بين الحيوانات تجد شوق الصغار لأهمهم، ولكن العجب يملأ الفؤاد حينما يكون الشوق من جنازة إلى قبر، تلك الحفرة العجيبة، ذات التراب، وذات الديدان، فالجنازة الصالحة تحب القبر، لما تعلم من أن القبر سيتقبلها بالأنوار، وتفتيح أبواب الجنان، والروح والريحان، وبالتالي فإن القبر ينتظر الرجال والنساء وهو في قمة الحب لهم والشوق ليسكنوا فيه إن كانوا صالحين وصالحات، والعكس صحيح إن كان الميت من أهل الدنيا والمعاصي فإنه يكره القبر مما قد يراه فيه؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا وُضِعَتِ الْجِنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا الرَّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ قَدِّمُونِي وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ يَا وَيْلَهَا أَيُّنَ يَذْهَبُونَ بِهَا يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ" ¹.

فينبغي أن يفرح المؤمن بالموت وبلقاء الله عز وجل وخاصة عندما ذكر لنا النبي صلى الله عليه وسلم أحوال المؤمن في قبره، وعذاب أهل الشرك، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ

¹ صحيح البخاري كتاب الجنائز، باب حمل الرجال للجنازة دون النساء (١/١٢٥١، ١٢٥٣، ١٣١٤).

عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ¹ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ² إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ³ يَوْمَ الْقِيَامَةِ⁴.

فمن خصائص المؤمن أنه يفرح برضوان الله، وبطاعته لله، يفرح بعمل صالح ساقه الله إليه، يفرح بخير عميم أجراه الله على يديه، يفرح إذا شعر أن الله يحبه، يفرح إذا شعر أن الله يرضى عنه، قال تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس: ٥٨).

فإذا ما أنزل الميت إلى قبره فإما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى⁵ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرَعَ نِعَالِهِمْ⁶ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ

1 عرض عليه مقعده: أري مكانه.

2 بالغداة والعشي: وقت الصباح ووقت المساء.

3 هذا مقعدك حتى يبعثك الله: هذا مكانك الذي تبعث إليه يوم القيامة.

4 صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه بالغداة والعشي، (١/١٣١٣، ٣، ٦٨٠،

٦١٥٠) مع شرح المفردات، مع صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد

الميت من الجنة أو النار عليه (٤/٢٨٦٦).

5 تولى: تولى مشيعوه وذهبوا.

6 قرع نعالهم: صوتها عند المشي.

فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيَقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ¹ ثُمَّ يُضْرَبُ
بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صِيحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا
الثَّقَلَيْنِ² 3.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى
بدر ثلاثاً، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال: " يَا أَبَا جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، يَا أُمِيَّةَ بْنَ
خَلْفٍ، يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟
فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا، فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنْى يُجِيبُوا وَقَدْ جِيفُوا⁴ قَالَ:
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا،
ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأَلْقُوا فِي قَلْبِ 5 بَدْرِ⁶ 7.

1 لا دريت ولا تليت: دعاء عليه أي لا كنت دارياً ولا تاليا فلا توفق في هذا الموقف ولا تنتفع بما
كنت تسمع أو تقرأ.

2 الثقلين: الإنس والجن سموا بذلك لثقلهم على الأرض.

3 صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، (١/١٢٧٣، ١٣. ٨) مع شرح
المفردات، مع صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو
النار عليه (٤/٢٨٧٠).

4 كيف يسمعون وأنى يجيبوا وقد جيفوا: هكذا هو في عامة النسخ المعتمدة كيف يسمعون وأنى
يجيبوا من غير نون وهي لغة صحيحة وإن كانت قليلة الاستعمال، وقوله جيفوا أي أنتنوا وصاروا
جيفاً.

5 القليب: البئر

6 فسحبوا فألقوا في قليب بدر: وفي الرواية الأخرى في طوى من أطواء بدر والقليب والطوى
بمعنى وهي البئر المطوية بالحجارة، وقيل بأن هذا السحب إلى القليب ليس دفناً لهم ولا صيانة
وحرمة بل لدفع رائحتهم المؤذية.

7 صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه
(٤/٢٨٧٤). مع شرح المفردات.

ويفهم من الحديثين الأخيرين أن هناك لأهل القبور حياة غير حياتنا الدنيا، ولا تتبع لنواميسها، فهم يسمعون ويتألمون، ويتنعمون، ولكن ضمن نواميس ذلك العالم، فالعالم الذي هو فيه لا يمكن أن يقاس على عالمنا فلكل قواعده، وهذا العالم هو عالم البرزخ.

العبد يعذب ببكاء أهله

البكاء تعبير عن حاجة إنسانية يلجأ إليها الإنسان بطبيعته، عندما تكتنفه صعوبات الحياة وآلامها، فلا يملك إزاءها حولاً ولا قوة تعينه على الفرار منها خصوصاً في اللحظات الحرجة فيتنفس عبر البكاء، أو عندما يفاجأ بفقدان حبيب أو خسارة مادية أو معنوية، فيختل توازنه النفسي فيندفع تلقائياً وبلا شعور فيستفرغ احتصاره وكتبته عن طريق البكاء، وهذه الحاجة لا تختص بعقيدة دون أخرى، لأن منشأ البكاء نفسي وفطري، فلا يستطيع الإنسان وذلك بجبلته أن يملك نفسه عن الحزن وعن الفرح، فهذه طبيعته وجبلته، ولذلك فالنهي عن البكاء على الميت إنما المقصود به الجزع المذموم، وهو ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة، ولطم الصدور والوجوه، وتمزيق الثياب، فعن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة¹ قال: توفيت ابنة لعثمان رضي الله عنه بمكة، وجئنا لنشهدها وحضرها ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم، وإني لجالس بينهما أو قال جلست إلى أحدهما،

¹ أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة القرشي التيمي قاضي مكة زمن ابن الزبير، أدرك ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كان إماماً فقهياً متفقاً على ثقته مات سنة (٥١٧هـ) (تفسير الطبري، ٤/٨٤).

ثم جاء الآخر فجلس إلى جنبي، فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لعمر بن عثمان: ألا تنهى عن البكاء؟ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ"، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: قد كان عمر رضي الله عنه يقول بعض ذلك، ثم حدث¹ قال صدرت² مع عمر رضي الله عنه من مكة حتى إذا كنا بالبيداء³ إذا هو بركب⁴ تحت ظل سمره⁵، فقال: اذهب فانظر من هؤلاء الركب؟ قال: فنظرت فإذا صهيب فأخبرته، فقال: ادعه لي، فرجعت إلى صهيب فقلت: ارتحل فالحق أمير المؤمنين، فلما أصيب عمر دخل صهيب يبكي يقول: وأخاه وأصحابه، فقال عمر رضي الله عنه: يا صهيب أتبكي علي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ"، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما مات عمر رضي الله عنه ذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها، فقالت: رحم الله عمر والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ" وقالت: حسبكم القرآن⁶ (ولا تزروا زرة وزر أخرى)، قال ابن عباس رضي الله عنهما عند ذلك: والله هو أضحك وأبكى.

1 ثم حدث: أي ابن عباس رضي الله عنهما.

2 صدرت: رجعت من حج.

3 بالبيداء: مفازة بين مكة والمدينة.

4 بركب: أصحاب إبل مسافرين عشرة فما فوقها.

5 سمره: شجرة عظيمة.

6 حسبكم القرآن: يكفيكم بيان القرآن في أنه لا يؤخذ أحد بذنوب غيره.

قال ابن أبي ملكية: والله ما قال ابن عمر رضي الله عنهما شيئاً¹.

وفي رواية أخرى أن حفصة رضي الله عنها بكت على عمر، فقال مهلاً يا بنية، ألم تعلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**². قوله: **"إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ"** وفي رواية ببعض بكاء أهله عليه. وفي رواية ببكاء الحي. وفي رواية يعذب في قبره بما نوح عليه. وفي رواية من يبكي عليه يعذب. قال الإمام النووي: وهذه الروايات من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما³. وأنكرت عائشة ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه عليهما وأنكرت أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك.

واحتجت بقوله تعالى: **(ولا تزرر وازرة ووزر أخرى)** قالت: وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم في يهودية إنها تعذب وهم يبكون عليها، يعني تعذب بكفرها في حال بكاء أهلها لا بسبب البكاء.

واختلف العلماء في هذه الأحاديث، فتأولها الجمهور على من وصى بأن يبكي عليه ويناح بعد موته فنفذت وصيته فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم لأنه بسببه ومنسوب إليه، قالوا فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه، فلا

¹ صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يعذب الميت ببعض بكاء أهله، (١/١٢٢٦، ١٢٢٨، ١٢٣)، مع شرح المفردات، مع صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩).

² صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٢/٩٢٧) مع شرح الإمام النووي مع بعض التصرف.

³ شرح النووي على مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٢/٩٢٧)

يعذب لِقول الله تعالى: (ولاتزرزوازره ووزراخرى) قالوا وكان من عادة العرب الوصية بذلك ومنه قول طرفة بن العبد¹:

إذا مت فانعيني بما أنا أهله وشقي على الجيب يا ابنة معبد

وقالت طائفة معنى الأحاديث، أنهم كانوا ينوحون على الميت ويندبون به بتعديد شمائله ومحاسنه في زعمه وتلك الشمائل قبائح في الشرع يعذب بها، كما كانوا يقولون يا مرملة النسوان ومخرب العمران ومفرق الأخدان ونحو ذلك مما يروونه شجاعة وفخراً وهو حرام شرعاً.

ولقد اتفق العلماء على أنه ليس المراد من هذه الأحاديث مطلق البكاء، بل المراد بالبكاء هنا النياحة ورفع الصوت، فقال النووي: "وأجمعوا كلهم على اختلاف مذاهبهم على أن المراد بالبكاء هنا البكاء بصوت ونياحة لا مجرد دمع العين"².

من حاسب عذب

سمى الله تعالى يوم القيامة، واليوم الآخر، والأحوال والأهوال تلك كلها حساباً فقال: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ) (الأنبياء: ١)، سماه بيوم الحساب، فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) (ص: ٢٦)، بين أن حسابهم على الله حساب الخلق على الخالق، وبين لخلق قدرته

¹ طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن عباد بن صعصعة بن قيس بن ثعلبة. ويقال إن اسمه عمرو، وكان أحدث الشعراء سنناً وأقلهم عمراً، قتل وهو ابن عشرين سنة، (كتاب الشعر والشعراء، باب طرفة بن العبد، ١/٣٣)

² شرح النووي على مسلم: كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٢/٩٢٧).

على ذلك وكفايته في حسابهم جميعاً، فقال: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) (الأنبياء: ٤٧).

١ - حديث من حوسب عذب:

الله عز وجل يحاسب كل الخلق من أولهم إلى آخرهم كما يحاسب نفساً واحدة لا يطول الحساب لكثرة عددهم، يحاسب كل العباد كنفس واحدة، ولكن أهل الإيمان يحاسبون حساباً يسيراً، وأهل العصيان يناقشون ويكون الحساب عسيراً، لأن المناقشة معناها أن يحاسب فيطالب بهذه النعم التي أعطاه الله إياها، لأن الحساب الذي فيه المناقشة معناه أنك كما تأخذ تعطي، ولكن حساب الله لعبده المؤمن يوم القيامة ليس على هذا الوجه، بل إنه مجرد فضل من الله تعالى إذا قرره بذنوبه وأقر واعترف، قال: "سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ".
وكلمة: "نوقش" تدل على هذا لأن المناقشة الأخذ والرد في الشيء والبحث على دقيقه وجليله، وهذا لا يكون بالنسبة لله عز وجل مع عبده المؤمن، بل إن الله تعالى يجعل الحساب للمؤمنين مبنيًا على الفضل والإحسان لا على المناقشة والأخذ بالعدل¹.

فعن نافع بن عمر قال: حدثني ابن أبي ملكية: أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي صلى الله

¹ مرجع سابق (مجموع الفتاوى، بن عثيمين).

عليه وسلم قال: "مَنْ حُوسِبَ¹ عُدِّبَ" قالت عائشة: فقلت: أوليس يقول الله تعالى: (فسوف يحاسب حساباً يسيراً)² قالت: فقال: "إِنَّمَا ذَلِكَ³ الْعَرْضُ⁴ وَلَكِنْ مِنْ نُوقَشِ⁵ الْحِسَابِ يَهْلِكُ"⁶.

هناك في ساحة العرض على الله تعالى عندما يقف الناس في الزحام الشديد الذي يكاد وحده أن يخنق الأنفاس، والشمس فوق الرؤوس كمقدار ميل، هناك من لا يحاسب أبداً فيدخل الجنة بلا حساب وعذاب، ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً وهو العرض، ومنهم من يناقش الحساب ومن نوقش الحساب عذب، فالعاقل من اتبع رضوان الله عز وجل في الحياة الدنيا لينجو عند الله باستقامته.

عذاب القبر وقتنه

الحديث عن القبر وما فيه من نعيم أو جحيم، يجعل الإنسان المؤمن بالله عز وجل وبرسوله، يجعله منقطعاً عن الدنيا مقبلاً على الآخرة، وذلك لأن القبر إما روضة من رياض الجنة لأهل الإيمان، وإما حفرة من حفر النار لأهل الكفر والنفاق، وعذاب القبر ثابت في القرآن الكريم وفي الأحاديث الصحيحة، فمن عذب بالقبر فذلك

1 من حوسب: نوقش الحساب.

2 يسيراً: سهلاً (والآية من سورة الانشقاق: ٨).

3 ذلك: أي الحساب اليسير.

4 العرض: عرض الناس على الميزان.

5 نوقش: استقصي معه الحساب.

6 صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، (٣/١١)، ٤٦٥٥، (٦١٧١، ٦١٧٢) مع صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب اثبات الحساب، (٤/٢٨٧٦)

لجهلهم بالله، وإضاعتهم لأوامره، وارتكابهم لمعاصيه، فلا يعذب الله روحاً عرفته، وأحبته وامتثلت أمره، واجتنبت نهيه، ولا بدناً كانت فيه أبداً، فان عذاب القبر، وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار، ثم لم يتب ومات على ذلك، كان له من عذاب البرزخ، بقدر غضب الله وسخطه عليه، فمستقل ومستكثر، ومصداق ومكذب .

أما المفصل¹: فقد أخبر النبي عن الرجلين الذين رأهما يعذبان في قبورهما، فكان يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس، ويترك الآخر الاستبراء من البول، فهذا ترك الطهارة الواجبة، وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه، وإن كان صادقاً، وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم العداوة بالكذب، والزور والبهتان أعظم عذاباً، كما أن في ترك الاستبراء من البول، تنبيهاً على أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض واجباتها، وشروطها فهو أشد عذاباً²، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بحائط³ من حيطان المدينة أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ⁴، ثُمَّ قَالَ: بَلَى⁵ كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ⁶ مِنْ بَوْلِهِ

1 المفصل: أي أن المؤلف قد أجاب بجواب مجمل ومفصل.

2 لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ٥١١٨هـ)، (باب ضغطة القبر وظلمته، ٢/١٨).

3 بحائط: بستان من النخل إذا كان له جدار.

4 في كبير: أمر يشق عليهما الاحتراز عنه.

5 بلى: أي كبير من حيث ما يترتب عليه من إثم.

6 لا يستتر: لا يستبرئ منه ولا يتحفظ عن الإصابة به.

وَكَانَ الْأَخْرُ يُمَشِي بِالنَّمِيمَةِ¹ ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ² فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا قَالَ لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا أَوْ إِلَى أَنْ يَيْبَسَا³.

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دخلت علي عجزوزان من عجزز يهود المدينة فقلتا لي: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما⁴ فخرجتا، ودخل علي النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له: يا رسول الله إن عجزوزين وذكرت له فقال لي: "صَدَقْتَا إِنَّهُمَا يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا"⁵، فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر.

عن البراء بن عازب عن أبي أيوب رضي الله عنهم قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس⁶ فسمع صوتاً فقال: "يَهُودٌ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا"⁷.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر من التعوذ من عذاب القبر، فعن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن يهودية

1 يمشي بالنميمة: ينقل الكلام لغيره بقصد الإضرار.

2 بجريدة: غصن النخل الذي ليس عليه ورق.

3 صحيح البخاري كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، (١/٢١٣، ٢١٥، ١٢٩٥، ١٣١٢، ٥٧، ٥٧، ٨)، مع شرح المفردات، مع صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، (١/٢٩٢).

4 ولم أنعم أن أصدقهما: لم أحسن في تصديقهما أي ما صدقتهما.

5 صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر، (٥/٦، ٥)، مع صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر (١/٥٨٦).

6 وجبت الشمس: غربت.

7 صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، (٩/١١٣). مع شرح المفردات

جاءت تسألها¹ فقالت لها: أعاذك² الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم أيعذب الناس في قبورهم؟ فقال رسول الله عائداً بالله من ذلك ثم ركب رسول الله ذات غداة³ مركباً فحسفت الشمس، فرجع ضحى فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ظهراني الحجر⁴ ثم قام يصلي، وقام الناس ورائه فقام قياماً طويلاً، ثم ركع ركوعاً طويلاً، ثم رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم رفع فسجد، ثم قام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم قام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم رفع فسجد وانصرف فقال ما شاء الله أن يقول، ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر⁵.

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به⁶ فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: **أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟** فقال رجل أنا، قال: **فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟** قال: ماتوا في الإِشْرَاقِ، فقال: **إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تَبْتَلِي فِي قُبُورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا**

1 تسألها: لما أعطتها السيدة عائشة ما سألته دعت لها فقالت في دعائها أعاذك الله أي أبارك من عذاب القبر.

2 أعاذك: أبارك.

3 ذات غداة: في غداة وهي أول النهار.

4 بين ظهراني الحجر: بينها وهي بيوت أزواجه صلى الله عليه وسلم.

5 صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف، (٢/١٨٠) مع شرح المفردات، مع صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب ذكر عذاب القبر في صلاة الكسوف، (٣/٩٠٢)

6 حادت به: أي مالت عن الطريق ونفرت.

تَدَافَنُوا¹ لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أُسْمِعُ مِنْهُ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال².

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: أتيت عائشة وهي تصلي، فقلت ما شأن الناس³، فأشارت إلى السماء فإذا الناس قيام، فقلت سبحان الله قلت آية⁴؟ فأشارت برأسها أي نعم، فقلت حتى تجلاني الغشي⁵، فجعلت أصب على رأسي الماء، فحمد الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم وأثنى عليه ثم قال: "مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرَيْتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ⁶ فِي قُبُورِكُمْ (مثل أو قريب⁷ لا أدري) أي ذلك قالت أسماء: من فتنة المسيح الدجال يقال ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو المؤمن لا أدري بأيهما

¹ فلولا أن لا تدافنوا: أصله تتدافنوا فحذفت إحدى التاءين، وفي الكلام حذف يعني لولا مخافة أن لا تدافنوا

² صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر (٤/٢٨٦٧).

³ ما شأن الناس: ما الذي حصل لهم حتى قاموا مضطربين فزعين.

⁴ آية: أي هذه علامة على قدرة الله تعالى يخوف بها عباده.

⁵ تجلاني الغشي: أصابني شيء من الإغماء.

⁶ تفتنون: تختبرون وتمتحنون.

⁷ قريب: هكذا في رواية بدون تنوين على نية الإضافة لفظا ومعنى وفي رواية (قريباً) بالتنوين.

قالت أسماء: فيقول: هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا واتبعنا هو محمد ثلاثاً، فيقال: نم صالحاً قد علمنا إن كنت لموقناً به، أما المنافق أو المرتاب¹ لا أدري أي ذلك قالت أسماء: فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته².

فالقبر سنُّ للبشر منذ أن خلق الله عز وجل آدم عليه السلام، ومنذ ذلك اليوم والناس يقبر بعضهم بعضاً، والأصل في القبر الظلام، والمؤمن يدرك ذلك فهو حريص في دنياه على الإكثار من الأعمال الصالحة حتى ينير الله قبره، لأن القبر أول منزلة من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه، فحياتك في الآخرة من سعادة أو شقاء تبدأ من القبر فإما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، فتعلق قلب الإنسان بالدنيا وزينتها، قد يحول بينه وبين ربه عز وجل، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"³، فالإكثار من ذكر الموت يمنع من الأشر والبطر والتوسع في لذات الدنيا، والإكثار من ذكر الموت ونزول القبر يحثان على التوبة واستدراك ما فات، والإكثار من ذكر الموت والقبر يرققان القلوب، ويجعلان العين تدمع، ويجلبان

1 المرتاب: الشاك المتردد.

2 صحيح البخاري، كتاب العلم، باب أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، (١/٨٦، ١٨٢، ٨٨، ٥. ١، ٦. ١، ١٢. ١، ١١٧٨، ٢٣٨٤، ٦٨٥٧، وانظر ٧١٢) مع صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف، (٢/ ٩. ٥).

3 صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (١/٥٢) مع صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٣/١٥٩٩).

باعث الدين، ويطردان باعث الهوى، ويدعون للتواضع، وترك الكبر والظلم، ويدعون لسبل الأحقاد، ومسامحة الإخوان، وقبول أعتذارهم، فالموت الذي لا مفر منه ولا مهرب، هو الحقيقة المنتظرة وخاتمة الأعمال الذي نسيه الناس أو تناسوه، فلا بد أن يقف الإنسان مع نفسه أكان يرضيه أن يقابل الله وهو على هذه الحالة ويستعرض شريط حياته، فكل نفس بما كسبت رهينة، وما نذكر الموت والقبر إلا لنعلم أننا في هذه الحياة سائرون، ومن ظن أنه مخلد فهو أحمق، فليعد الإنسان لهذا اليوم عدته فمن نظر في نفسه فوجد غفلة فعليه أن ينظر إلى القبر، ويتصور نفسه إذا وضع فيه فإنه أعظم واعظاً .

المبحث الرابع الشهادة والشهداء

الشهادة في سبيل الله

مكانة الشهادة والشهيد عند الله مكانة عظيمة فلقد ورد ذكرها في القرآن الكريم، فقال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ) (آل عمران: ١٦٩)، وهي بذل النفس في سبيل الله عز وجل، فالمؤمن الصادق هو الذي يبذل نفسه في سبيل الله عندما يقتضي الأمر دون تردد، لأنه بهذا العمل يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وينال بالشهادة أعلى الدرجات في الجنة، ولقد وصفهم الله عز وجل بأنهم أحياء بعد موتهم تكريمًا لهم ولذكراهم حتى وإن اعتبرهم الناس أمواتًا، وقد وعد الله سبحانه وتعالى الشهداء بجنة عرضها السماوات والأرض، فالشهادة هي عز المؤمن ومصدر فخاره وقوته، لذلك يجب على كل مسلم ومسلمة أن يغرسوا حلها في قلوب أولادهم لأنه من شب على شيء شاب، لذلك فإن الشارع قد جعل لشهادة في سبيل الله فضل عظيم لا يعلمه إلا الله، والنبى صلى الله عليه وسلم قد بين لنا بعضاً من فضل الشهادة والشهيد الذي يقاتل في سبيل الله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَا مِنْ عَبْدٍ يُمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ¹ يَسُرُّهُ أَنْ

¹ له عند الله خير: ثواب مدخر على عمل صالح عمله في الدنيا.

يَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلَّا الشَّهِيدَ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ
فَإِنَّهُ يَسْرُهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى" 1.

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ² أَنْفُسُهُمْ
بِأَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي³ وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي
سَبِيلِ اللَّهِ" 4.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أَخَذَ الرَّأْيَةَ
زَيْدٌ فَأَصِيبَ ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأَصِيبَ ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأَصِيبَ وَإِنَّ
عَيْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَذَرِفَانِ ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ
غَيْرِ امْرَأَةٍ⁵ فَفُتِحَ لَهُ⁶" 7.

1 صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين وصفتهن، (٣/٢٦٤٢، ٢٦٤٣، ٢٦٤٦،
٢٦٤٩، ٢٦٥٤، ٢٦٦١، ٢٦٦٤، ٢٦٦٦) مع شرح المفردات، مع صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب
فضل الشهادة في سبيل الله (٣/١٨٧٧).

2 لا تطيب نفوسهم: يسيئهم.

3 أن يتخلفوا عني: لا يخرجوا معي ويقعدوا خلافي في المدينة لعدم توفر النفقة لديهم أو السلاح
أو العتاد.

4 صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب تمني الشهادة، (٣/٢٦٤٤)

5 من غير امرأة: تأمير من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من الجند معه.

6 ففتح له: فكان نصر المسلمين وخلصهم على يديه وكان هذا في غزوة مؤتة على حدود بلاد
الشام.

7 صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه، (١/١١٨٩، ٢٦٤٥،
٢٨٩٨، ٣٤٣١، ٣٥٤٧، ٤، ١٤). مع شرح المفردات

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى¹ هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة² إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما إنه من أهل النار" فقال رجل من القوم: أنا صاحبه³، قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه⁴ بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أشهد أنك رسول الله قال: "وما ذاك" قال: الرجل الذي ذكرت آنفاً أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك⁵ فقلت: أنا لكم به فخرجت في طلبه ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو

1 التقى: في غزوة خيبر، وقال ابن الجوزي: كان في يوم أحد قوله: وفي أصحاب رسول الله رجل، واسمه قزمان، وهو معدود في المنافقين، وكان تخلف يوم أحد، فعيّره النساء وقلن له ما أنت إلا امرأة، فخرج فكان أول من رمى بسهم، ثم كسر جفن سيفه، ونادى يا آل الأوس قاتلوا على الأحساب، فلما خرج مر به قتادة بن النعمان فقال له هنيئاً لك الشهادة، فقال إني والله ما قاتلت على دين ما قاتلت إلا على الحفاظ، ثم قتل نفسه، فقال رسول الله: "إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر".

2شاذة ولا فاذة: ما صغر وما كبر، أي لا يدع لهم شيئاً إلا أتى عليه، والشاذة في الأصل هي التي كانت في القوم ثم شذت منهم، والفاذة من لم يختلط معهم أصلاً.

3 أنا صاحبه: ألزمه لأرى ما يجري له.

4 ذبابه: طرفه الذي يضرب به.

5 فأعظم الناس ذلك: استعظموه واستكروه.

لِلنَّاسِ وَإِنَّهُ لِنَ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو¹ لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ
الْجَنَّةِ" 2.

ولقد جهد رسول الله كل جهد، واستوفى غاية وسعه في ترسيخ جذور هذا المعنى
العظيم، وتعميق مفهوم هذا المصطلح الجهادي في نفوس أصحابه الكرام رضوان الله
عليهم أجمعين ثم في نفوس أمتهم من بعدهم، سالكاً في ذلك عدة مسالك:

أحدهما: إفصاح بين وإيضاح جلي لما يعتمد في ذات نفسه الشريفة من حب
عميق للشهادة حملة على التمني أن يرزق بها مرات متعددة، كما جاء في
الحديث السابق الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ
لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ
أُقْتَلُ" وإنها لأمنية ويا لها من أمنية كيف انبعثت من هذا القلب الطهور معبرة أبلغ
التعبير عن هذا الحب العميق، إلى هذا الباب العظيم من أبواب جنات النعيم.

والمسلك الثاني: في ترسيخ مفهوم الشهادة وإحيائه في القلوب وبعثه في النفوس
ما ثبت عنه صلوات الله وسلامه عليه في صحيح السنة الشريفة من بيان محكم
وإيضاح دقيق لفضل الشهادة ومنازل الشهداء في دار الكرامة عند مليك مقتدر،
في الطليعة من ذلك بيان صفة حياة الشهداء عند ربهم، فعن مروان أنه قال: سألنا
عبد الله عن هذه الآية (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ

¹ يبدو: يظنه.

² صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا يقول فلان شهيد، (٣/٢٧٤٢، ٣٩٦٦، ٣٩٧)،
٦١٢٨، ٦٢٣٣)، مع صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وفي كتاب
القدر، باب كيفية خلق الأدمي، (١/١١٢).

يُرَزَقُونَ) (آل عمران: ١٦٩)، فقال: أما إننا قد سألنا عن ذلك رسول الله فقال: "أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأتي إلى تلك القناديل" 1 2.

المسلك الثالث: وفيه جواز البكاء على الميت، وفيه أن الرحمة التي تكون في القلب محمودة، وفيه جواز تولي أمر القوم من غير تولية إذا خاف ضياعه، وحصول الفساد بتركه، وقال الخطابي لما نظر خالد بن الوليد بعد موت القادة الثلاثة في غزوة مؤتة، وهو في ثغر مخوف وبإزاء عدو عددهم جم وبأسهم شديد، خاف ضياع الأمر وهلاك من معه من المسلمين فتصدى للإمارة عليهم وأخذ الراية من غير تأمير وقاتل إلى أن فتح الله على المسلمين، فرضي رسول الله فعله إذ وافق الحق وإن لم يكن من رسول الله إذن ولا من القوم الذين معه بيعة وتأمير فصار هذا أصلاً في الضرورات إذا وقعت من معازم أمر الدين في أنها لا تراعى فيها شرائط أحكامها عند عدم الضرورة 3.

المسلك الرابع: أنه يجب على الناس أن يتبعوا في الأمور الغيبية ما دلّ عليه الدليل من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يقفون ما ليس لهم به علم ولا يقولون على الله عز وجل ما لا يعلمون امتثالاً لقوله سبحانه: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)

1 صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء، (٣/١٨٨٧).

2 مرجع سابق "طريق الإسلام، سعد العثمان ١٢/٢٠١٨"

3 عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الإذن بالجنائز، (١٢/١٦٦).

(الإسراء: ٣٦). فحرم الله عز وجل القول عليه بلا علم، ومن القول عليه بلا علم أن يشهد في أمر غيبي أن الله عز وجل لا يغفر لفلان، أو أن فلاناً من أهل الجنة، يعني قد غفر له، أو أنه من أهل النار أو أن فلاناً شهيد، فقد قال على الله بلا علم وتجراً على الله جل جلاله، فالواجب اتباع النص وتقديس الله عز وجل وتعظيم صفات الله جل جلاله¹.

بشارة النبي صلى الله عليه وسلم لعمر وعثمان بالشهادة وباجنة

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم سداً منيعاً في وجه الفتن، وكذلك خليفته الصديق رضي الله عنه، ولكن عندما طعن الفاروق عمر رضي الله عنه وذلك عندما كان خليفة للمؤمنين، كانت هذه الطعنة هي الباب المغلق الذي كسر، والذي ولجت من خلاله الفتن، فلما قتل رضي الله عنه، ظهرت الفتن العظيمة، وظهر أهل النفاق والشقاق الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر والحقد على الإسلام والمسلمين.

¹ شرح العقيدة الطحاوية للشيخ صالح بن عبد العزيز ابن محمد آل الشيخ (٢/٦٤١ - ٦٤٢).

فمن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحداً وأبا بكر وعمر وعثمان فرجف¹ بهم فقال: "اثبت أحدُ فإنما عليك نبيٌ وصديقٌ² وشهيدان³"⁴.

وفي حديث آخر: عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند عمر رضي الله عنه، فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة؟ قلت: أنا كما قاله، قال: إنك عليه أو عليها لجري⁵، قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي، قال: ليس هذا أريد ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر، قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها باب مغلقاً، قال: أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر، قال: إذاً لا يغلق أبداً قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما أن دون الغد الليلة إنني حدثته بحديث ليس بالأغليط، فهبنا أن نسأل حذيفة فأمرنا مسروقاً فسأله فقال: الباب عمر⁶.

1 فرجف: اضطرب وذلك معجزة.
2 صديق: صيغة مبالغة من الصدق والمراد به أبو بكر رضي الله عنه.
3 شهيدان: هما عمر وعثمان رضي الله عنهما وقد ماتا شهيدين.
4 صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً (٣/٤٧٢، ٣/٤٨٣، ٣/٤٩٦).
5 لجري: لجسور ومقدام.
6 الباب عمر: أي إن الحائل بين الفتنة والإسلام عمر رضي الله عنه وهو الباب فما دام حيا لا تدخل فيه الفتن فإذا مات دخلت وهذا ما كان.
7 صحيح البخاري، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الفتن التي تموج كموج البحر (١/٥)، ١٣٦٨، ١٧٩٦، ٣٣٩٣، ٦٦٨٣ مع صحيح مسلم، باب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وفي الفتن وأشراط الساعة باب الفتنة التي تموج كموج البحر (٤/١٤٤).

بل ولقد بشرهما النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، فعن سعيد بن المسيب قال :
أخبرني أبو موسى الأشعري أنه توضأ في بيته ثم خرج، فقلت : لألزم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولأكونن معه يومي هذا، قال : فجاء المسجد، فسأل عن النبي
صلى الله عليه وسلم، فقالوا: خرج ووجه ههنا¹، فخرجت على إثره² أسأل عنه
حتى دخل بئر أريس³، فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضأ فقممت إليه، فإذا هو جالس على بئر أريس
وتوسط قفها⁴ وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر، فسلمت عليه ثم انصرفت
فجلست عند الباب فقلت : لأكونن بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم،
فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت : من هذا؟ فقال : أبو بكر، فقلت : على رسلك⁵،
ثم ذهبت فقلت : يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن؟ فقال : " ائذَن لهُ وَبَشِّرْهُ
بِالْجَنَّةِ "، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه
في القف ودلى رجله في البئر كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم وكشف عن
ساقيه، ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي⁶ يتوضأ ويلحقني فقلت : إن يرد الله
بفلان خيراً (يريد أخاه) يأت به فإذا إنسان يحرك الباب فقلت : من هذا؟ فقال :

1 وجه ههنا: المشهور في الرواية وجه بتشديد الجيم وضبطه بعضهم بإسكانها وحكى القاضي
الوجهين ونقل الأول عن الجمهور، ورجح الثاني لوجود خرج أي قصد هذه الجهة.

²إثره: عقبه.

³ أريس: هو بستان في المدينة قريب من قباء.

⁴ قفها: حافتها.

⁵ على رسلك: تمهل ولا تعجل.

⁶ أخي: كان لأبي موسى رضي الله عنه أخوان هما أبو رهم وأبو بردة رضي الله عنهما.

عمر بن الخطاب فقلت: على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقلت: هذا عمر ابن الخطاب يستأذن؟ فقال: "أئذَنَ لَهُ وَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ" فجئت فقلت: ادخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، فدخل فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجله في البئر، ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلان خيراً يأتي به فجاء إنسان يحرك الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: "أئذَنَ لَهُ وَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ"¹، فجئته فقلت له: ادخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاههم² من الشق الآخر، قال شريك: قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم³ 4.

ولقد وقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فرزق الله سبحانه وتعالى الشهادة للصحابين الجليلين عمر وعثمان رضي الله عنهما، فقد كان مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاجعة لا كالفواجع، لأنه كان حصن الإسلام، ودرع الأمة، وباب الفتنة الذي ظل مغلقاً حتى كسر بقتله، فخرجت الفتنة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وقال زيد بن وهب رحمه الله تعالى: "أتينا ابن

¹بلوى: بلية وهي التي صار بها شهيد الدار عندما داهمه الثوار الآثمون

²وجاههم: بكسر الواو وضمها أي قبالتهم.

³فأولتها قبورهم: أي فسرت جلستهم على تلك الهيئة بما كان من تجاوز قبورهم بعد موتهم وكون قبر عثمان رضي الله عنه بعيداً عنهم في البقيع.

⁴صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً، (٣/٣٤٧١، ٣٤٩٠، ٣٤٩٢، ٥٨٦٢، ٦٦٨٤، ٦٨٣٤)، مع شرح المفردات، مع صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان رضي الله عنه، (٣. ٤/٢٤).

مسعود، فذكر عمر، فبكى حتى ابتل الحصى من دموعه وقال: إن كان عمر حصناً حصيناً للإسلام، يدخلون فيه ولا يخرجون منه، فلما مات عمر انثلم الحصن، فالناس يخرجون من الإسلام"1. وبكى سعيد بن زيد رضي الله عنه وقال: "على الإسلام أبكي، إن موت عمر ثلم الإسلام ثلثة لا ترتق إلى يوم القيامة"2. وقال حذيفة رضي الله عنه أمين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما كان مثل الإسلام أيام عمر مثل امرئ مقبل، لم يزل في إقبال، فلما قتل أدبر، فلم يزل في إدبار"3، وقال أنس رضي الله عنه: "ما من أهل بيت من العرب حاضر وباد، إلا قد دخل عليهم بقتل عمر نقص"4. لقد كان أعداء الإسلام يعلمون ما لعمر رضي الله عنه من مكانة عند المسلمين، ويدركون قوة الإسلام بحكمه وعدله، فكان لابد من قتله.

وإن هذه الآثار وغيرها عن جل الصحابة وفقهائهم رضي الله عنهم وأرضاهم لتبين حجم الخسارة بقتل عمر رضي الله عنه إذ في وقته ما كان لمنافق أن يطلع قرنه، ولا لمفسد أن ينشر فساده، هيبة لعمر وخوفاً منه، فلما قتل ظهرت الفتن، وعمل المنافقون والمفسدون على هدم الإسلام، حتى قتل في هذه الفتن ظلماً وعدواناً الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه، ووقع السيف في أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

1"الطبقات الكبرى لابن سعد"، ذكر استخلاف عمر رحمه الله (٣/٣٧١).

2 المصدر نفسه (٣/٣٧٢).

3 المصدر نفسه (٣/٣٧٣).

4 المصدر نفسه (٣/٣٧٤).

لقد كان لمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقعاً كبيراً في الأمة الإسلامية، وذلك لأن الذي قتله كانوا يدعون الإسلام والإصلاح والإسلام منهم براء، فبخروجهم عليه وقتلهم له ظلماً كانت الفتنة قد أضمرت، واشتد أوارها، ونزفت الدماء بين المسلمين بل ومازالت إلى يومنا هذا، ولن يتوقف نزفها إلا عندما تنتهي بظهور المهدي عليه السلام عندها ستتوحد الأمة بعد شتات.

أرواح الشهداء في الجنة والذي قاتل رياء أو ليسرق

منزلة الشهداء منزلة لا يدانيها منزلة إلا منزلة الأنبياء، فالناس عندما يموتون تبلى أجسادهم وينسى ذكركم، أما الشهداء فهم ليسوا كغيرهم، فأجسادهم لا تبلى وذكركم لا ينسى في الدنيا، وأما في الآخرة فقد أعد الله عز وجل لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض أحوالهم ومكانتهم في الجنة وأنهم أحياء يرزقون، وأن أرواحهم في الجنة في جوف طير خضر، فعن عبد الله بن مرة عن مسروق قال: سألنا عبد الله (هو ابن مسعود) عن هذه الآية (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عند ربِّهم يُرْزَقُونَ) (آل عمران: ١٦٩) قال: أما إنا سألنا عن ذلك، فقال: "أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأتي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يَتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا ، قَالُوا : يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ
أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ
حَاجَةٌ تَرَكَوْا" 1 .

يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يُغْفَرُ
لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ " 2 .

إذا ما نظرنا إلى الحديثين السابقين لوجدنا أن الحديث الأول يبين لنا فيه النبي صلى
الله عليه وسلم مكانة الشهيد عند الله عز وجل ، وأن الشهيد يتمنى الرجوع إلى
الدنيا لما يراه من فضل ومكانه عند الله عز وجل ، والمقصود يتمنى الرجوع إلى
الدنيا، حتى يطيع الله وأن هذا الإنسان لا يطلب أي شيء غير أن يعود إلى الدنيا
ويقتل مرة أخرى لما يراه من كرامة وعزة .

وهذا يبين فضل الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله وأن لهم الجنة، كما قال الله
تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ
فَأَسْتَبْشِرُوا بِيْبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ١١١) .

1 صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفر خطاياهم إلا الدين (٣/١٨٨٦).
2 صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون،
(٣/١٨٨٧).

وأنهم يبشرون عند الموت في الدنيا بالفوز عند الله، والشهيد يشفع لأهل بيته لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الشَّهِيدُ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ"¹. وأنه يطير في الجنة مع الملائكة، فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "هَنِيئًا لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَبُوكَ يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ"².

وأما الحديث الثاني فيتحدث عن الشهيد وما يغفر له وما لا يغفر له، وإن الشهادة تكفر كل شيء من الأعمال إلا الدين، ويقصد بالدين حقوق العباد ومظالمهم، وأن الله سبحانه وتعالى يتجاوز لعبده عما اقترفه من ذنوب في حقه، أما مطالب العباد فهي منقولة للعباد، ودين الإسلام بين لنا مدى حرص الإسلام على حقوق الآخرين وأنه جاء لينظم علاقة الإنسان بالله عز وجل³، وأوضح لنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم خطورة من تداين بدين بأنه مثل المفلس فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟) قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع له؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الْمُفْلِسُ مَنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ

¹ صحيح ابن حبان، تحقيق الأرنؤوط"، كتاب السير، باب فضل الشهادة، (١٠/٤٦٦٠).

² عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب جعفر بن أبي طالب الهاشمي، (٢٤/٣٤٤).

³ الشبكة العنكبوتية، صفحة ملتقى الأمانى، بعنوان يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدين (بتاريخ ١٩/١/٢٠١٠).

حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصَّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ
فَطَرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طَرِحَ فِي النَّارِ"1.

النبى صلى الله عليه وسلم يحذرنا في هذا الحديث الشريف وفي غيره من خطر
الدَّيْنِ والتساهل في سداده، ويذكر لنا عاقبة من يستدين من الناس ولا يعيد المال
لأصحابه بأن عاقبته إلى النار، فالإسلام يحض المسلم المؤمن على قضاء حوائج
الناس، ومن هذه الحوائج أن يمد يد المساعدة لأخيه المسلم إن احتاج أن يستقرض
منه بعض المال وكذلك يحذر من خطورة التساهل والمماطلة في أداء الدَّيْنِ وأن
هذه المماطلة ستكون عليه وبالاً في الدنيا والآخرة.

وأما من قاتل رياء :

عن سليمان بن يسار قال : تفرق الناس عن أبي هريرة فقال له : ناتل أهل الشام²
أيها الشيخ حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نعم
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ ، فَأَتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا ؟ قَالَ :
قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنَّ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ
قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ
وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأَتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا ؟ قَالَ :

¹صحيح ابن حبان، كتاب الحدود، باب الزنى وحده، (١٠/٤٤١١).
² ناتل أهل الشام: وفي الرواية الأخرى فقال له ناتل الشامي وهو ناتل بن قيس الحزامي
الشامي من أهل فلسطين وهو تابعي وكان أبوه صحابيا وكان ناتل كبير قومه.

تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ" ¹.

النبى صلى الله عليه وسلم يذكر لنا ثلاثة من أصناف الناس في الحديث السابق، الأول شهيد، والثاني قارئ للقرآن، والثالث منفق للمال، ثم بين لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم أنهم في النار، مع أن هذه الأعمال التي عملوها من أجل وأفضل الأعمال عند الله سبحانه وتعالى، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم بين لنا العلة في دخولهم النار، بأن عملهم لم يكن خالصاً لوجه الله تعالى، بل كان الرياء دافعاً لهذا الأعمال، فكانت أعمالهم حجة عليهم لا لهم، وهذا الأمر من أخطر الأشياء على الإنسان أن يكون هناك انفصال ما بين الأقوال والأفعال والنية، فالمرائي بعمله ينال الثناء من الناس والأجر منهم في الدنيا، وأما في الآخرة فكان جزاؤه أن يفضح وتكشف سريرته في ساحة العرض على الله، ثم يقذف في النار.

وما يحصل في بلاد المسلمين اليوم من اختلاف وفرقة، وتنازع في الأقوال، وتراشق بالتهمة، وانتشار للأهواء، وازدياد الفتنة في وقت عصيب عسير ليستدعي التوبة

¹ صحيح مسلم، كتاب الإمارة، من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، (١٩/٣٠٥). مع شرح المفردات

الجماعية إلى الله تعالى، والتجرد من الأهواء، والتزام بالكتاب والسنة، والإخلاص بالعمل لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، والابتعاد عن الرياء، والسعي الحثيث إلى ما يجمع الكلمة، ويرأب الصدع، لهو من أجل وأعظم الأعمال، وأرجاها للقبول عند الله في الدنيا والآخرة.

وأما الرجل الشهيد في النار بعباءة غلها:

الظلم ظلمات في الدنيا والآخرة، والغلول ظلم، وذلك لأنه يأخذ حقاً ليس له، والغلول إذا قتل في الحرب، فالشهادة لا تشفع له يوم القيامة، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: فلان شهيد فلان شهيد حتى مروا على رجل، فقالوا: فلان شهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كَلَّا إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ 1 غَلَّهَا 2 أَوْ عَبَاءَةٍ"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ"، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ أَلَّا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ 3.

إن الرجل الذي أخذ عباءة بغير حقها ثم استشهد في إحدى المعارك، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد نفى عنه هذه الصفة العظيمة وهي الشهادة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كلا، يعني ليس بشهيد، لأنه غل هذا الشيء البسيط،

1 في بردة: البردة كساء مخطط وهي الشملة والنمرة وقال أبو عبيد هو كساء أسود فيه صور وجمعة برد وقوله في بردة أي من أجلها وبسببها.

2 غلها: الغلول هو الخيانة في الغنيمة خاصة، وقيل هي الخيانة في كل شيء ويقال منه غل يغل.

3 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، (١/١١٤).

فأحبط جهاده، نسأل الله العافية، وصار في النار، قال الله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ
يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (آل
عمران: ١٦١)، ففي هذا دليل على أنه لا ينبغي لنا أن نحكم على شخص بأنه
شهيد، وإن قتل في معركة بين المسلمين والكفار، لا نقول: فلان شهيد لاحتمال
أن يكون غل شيئاً من الغنائم أو الفبيء، ولو غل قرشاً واحداً، أو مسماراً زال عنه
اسم الشهادة، وكذلك لاحتمال أن تكون نيته غير صواب، بأن ينوي بذلك الحمية
أو أن يرى مكانه¹.

وفي عصرنا هذا أصبح لقب الشهادة سهلاً ويسيراً، كل يعطى هذا الوسام، حتى لو
قتل ونحن نعلم أنه قتل حمية وعصبية وجاهلية بل من المرتزقة، ونعلم عن حاله
بأنه ليس بذاك الرجل المؤمن، مع ذلك يقولون: فلان شهيد، استشهد فلان.
لذلك؛ من سلك طريق الجهاد في سبيل الله صادقاً ومخلصاً في سلوكه وطلبه،
فعليه بالصبر والثبات على القيم والتعاليم الإسلامية لينال شرف الشهادة ومقامها،
فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ
صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ"²، فالشهيد حي عند ربه جل جلاله قد نال مبتغاه
من الشهادة، ففي الدنيا استراح من ألم نزع الروح، لأنه لا يشعر بألم خروج الروح
إلا كآلم قرصة النحل، فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: "مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ

¹ مرجع سابق "شرح رياض الصالحين" محمد بن صالح بن محمد العثيمين
² صحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، (٣/١٩٠٨).

الْقَرْصَةَ¹ هذا من جهة وممن جهة أخرى فإنه لا يسأل في قبره، فعن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال: "كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فَتْنَةً"² ونال مبتغاه في الآخرة برضوان الله سبحانه وتعالى فهم الأحياء بنص القرآن الكريم، ونحن الموتى لأننا نلهث وراء حطام الدنيا.

انظار المعسر

انظار المعسر من أعظم القربات عند الله عز وجل، ولقد تعلمنا في مدارسنا أن "كان": فعل ماض ناقص، أي أنه يتحدث عن زمن ماضي، ولكن "كان" تأتي أحياناً تامه، أي لا تحتاج إلى اسم وخبر فتصبح بمعنى "وُجِدَ"، فإذا قرأنا القرآن الكريم فلا بد لنا أن نفقه المعنى، فلقد قال تعالى في كتابه العزيز: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٢٨٠)، المعسر هو من لا يجد شيئاً يملكه يقضي به دينه، ومعنى "كان"، في الآية الكريمة هي "تامه" بمعنى "وجد" أي إن وجد ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة، أي ليس لك إلا أن تنظره، فإنظار المعسر هو من أعظم القربات إلى الله سبحانه وتعالى، وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تَلَقَّتْ³ الْمَلَائِكَةُ

¹ سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب مسند عبد الرحمن بن صخر (أبي هريرة) (٤/١٩٠).

² مسند الصحابة في الكتب التسعة، باب عبادة بن قرظ، (٥١/٢٥٧).

³ تلقت: استقبلت عند الموت لتقبضها.

رُوحَ رَجُلٍ مِّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالُوا أَعْمَلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا قَالَ كُنْتُ أَمْرُ فِتْيَانِي¹ أَنْ
يُنْظَرُوا² وَيَتَجَاوَزُوا³ عَنِ الْمَوْسِرِ، قَالَ: قَالَ: فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ" وَقَالَ أَبُو مَالِكٍ عَنْ
رَبِيعٍ⁴ " كُنْتُ أُيَسِّرُ عَلَى الْمَوْسِرِ وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ"⁴.

فالشريعة الإسلامية جاءت لتربط المسلم بأخيه المسلم بأواصر الأخوة والمحبة
والتسامح، فأمرت الدائن بانظار المدين المعسر، وذلك لما يعانيه المعسر من هم وذل
بسبب الدين الذي هو هم بالليل وذل بالنهار، وبالمقابل فإن الشريعة السمحة قد
وضعت ضوابط للمسلم الفقير أولاً، ثم للغني ثانياً، بعدم الإسراف في المأكل
والمشرب وشدت على الفقر بالاقتصاد في كل شيء حتى لا يضطر للاستدانة
فيصاب بالحرَج والذل، ؛ فقال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأعراف: ٣١) ومن شأن هذا
التوسط والاعتدال ألا يحوج المسلم إلى الاستدانة، وخصوصاً أن النبي صلى الله
عليه وسلم كرهها للمسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يدعو في
صلاته فيقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ"، فقال له قائل: ما أكثر ما
تستعيذ يا رسول الله من المغرم؟ قال: "إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ

1 فتيانى: جمع فتى وهو الأجير والخادم

2 ينظروا: من الإنظار وهو الإمهال.

3 يتجاوزوا: يتسامحوا في الاقتضاء والاستيفاء.

4. صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، (٢/١٩٧١، ٢٢٦١)،
مع شرح المفردات، مع صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، ١٥٦/٣،
وانظر (١٥٦٢، ١٥٦٣).

فَأَخْلَفَ¹. فبين ما في الاستدانة من خطر على الأخلاق نفسها، وكان صلى الله عليه وسلم يحذر أصحابه والأمة من الدين، وأن الرجل إذا مات وعليه دين فإن حله موقوف بين يدي حتى وإن كان شهيداً، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدُّيْنَ"².

فإذا اضطر المسلم لأن يستدين فيجب عليه أن تكون نيته السداد في الموعد المحدد الذي هو متفق عليه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم وعد المدين أن يسدد الله عنه دينه إن كانت نيته أن يعيد المال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ"³.

فإن تأخر في سداد الدين لسبب قاهر فإن الإسلام يعلمنا أن يرحم بعضنا بعضاً وذلك بإمهال المعسر وإعطائه الفرصة للسداد فإن عجز لفقره فإن السرعة الحنيف جعل لكل هم فرجاً وذلك عندما فتح باب الصدقة وباب الزكاة على مصراعيه فوعد المتصدق بدعاء يقوله ملكان كريمان كل يوم للمتصدق على الفقر والمعسر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَا مِنْ يَوْمٍ

¹ صحيح البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر، باب من استعاض من الدين، (٧/٤٦٠).

² صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياها إلا الدين، (٣/١٨٨٦).

³ صحيح البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها. (٢/٢٢٥٧).

يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِلَّهِمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا¹
وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا² تَلْفًا³ 4.

وإذا اتضح لنا معنى دعاء الملك: (اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا) بأن لنا معنى دعاء الآخر: (اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا)، فالتلف هو العقوبة التي يجازي الله بها المسكين، وهو لا ينحصر في خسارة المال أيضاً، ولكنه قد يتناول البدن، أو الأهل أو الولد أو العلاقة بالناس، وقد يكون قلق النفس، وشك القلب، وضيق الصدر مما يفسد على المرء حياته، ويحرمه الاستمتاع بماله الوفير، ويحييه في عذاب مقيم. فضلاً عما ادخره الله لمثله في الآخرة.

1 خلفاً: عوضاً عما أنفقه.

2 ممسكاً: عن الإنفاق.

3 تلفاً: أتلف ما لديه.

4 صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، (٢/١٣٧٤)، مع صحيح مسلم كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، (١/٢٠١).

المبحث الخامس

بشائر النبي صلى الله عليه وسلم

هلاک کسرى

هلاک کسرى وقيصر كما أخبر الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، ولكن في كل زمان يخرج لنا كسرى وقيصر، ولكن بصورة أخرى، كالمعسكر الشرقي الملحد تارة، والمعسكر الغربي الكافر تارة أخرى، وهؤلاء يملكون من الكنوز الكثيرة، والتي جمعت من حرام، أو ربما جمعها الكفار من أموال المسلمين، جمعوها ليقاوموا بها الدين والإسلام، فالله عز وجل سيجعلها غنيمة للإسلام والمسلمين، يستعينون بها على الجهاد في سبيل الله إن عدنا إلى تعاليم الإسلام. فالنبي صلى الله عليه وسلم قد وعد الأمة بأن كنوز كسرى وقيصر ستنفق في سبيل الله بعد هلاكهما وقد كان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "هَلَكَ كِسْرَى ثُمَّ لَا يَكُونُ كِسْرَى بَعْدَهُ وَقَيْصَرٌ لِيَهْلِكَنَّ ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ وَلَتُقْسَمَنَّ كُنُوزُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَسَمَى الْحَرْبَ خَدَعًا"¹.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أعطانا درساً لكل زمان ومكان بهذا الحديث، وهو أننا إذا تمسكنا بهذا الدين فسننفق كنوز أعدائنا في سبيل الله بعد أن نتصر عليهم، والناظر إلى أمة الإسلام اليوم، سيرى تغييراً أساسياً في الأمة، وهو رجوعها إلى العلم وإلى طلب العلم، وإلى الدعوة وإلى الخير، وهؤلاء العلماء وهؤلاء الدعاة

¹ "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، ٢٢/٨٨.

هم الذين حركوا الأمة، فهم العصب الذي يحرك هذه الأمة ويجمعها، ويوحدها على الخير بإذن الله سبحانه وتعالى، فهذه سنن ربانية، ولا بد أن تتحقق بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع، ولكن لا بد من إعداد خطة أو منهج، ثم الصبر عليه حتى يؤتي ثماره، دون استعجال، ونحث الهمة ونرفعها، ونجتهد في أن نحقق أكبر قدر، وأكبر نصيب من الخير، فالأمة تحتاج أولاً إلى الدعوة والعلم والإعداد للجهاد، والجهاد لا نقصد به جهاداً معيناً في بلد معين، بل الجهاد باعتباره حالة دائمة، فالأمة الإسلامية في جميع عصورها في حالة استنفار دائم، ويجب أن تكون مناهجها مناهج جهادية، وحياتها حياة جهادية، فالجهاد عندنا هو الأساس.

بشارة النبي لأُمَّته

الدنيا حلوة خضرة والنفس البشرية جبلت على حبها، وعلى حب ما فيها، ولكنها في حقيقة الأمر ليست جيدة حتى يتكالب عليها البشر، وكأن الله عز وجل حببها إلى قلوب البشر امتحاناً وابتلاءً لهم، مع أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم يحذر الناس من فتنها ومباهجها، ويحث الأمة على العطاء والحذر من الانجرار وراء مفاتها، ثم ضبط دخول الجنة بكلمة التوحيد والتوبة من المعاصي قبل الموت، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وحده وليس معه إنسان، قال: فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد، قال: فجعلت أمشي في ظل القمر، فالتفت فرآني فقال: (مَنْ هَذَا)، قلت: أبو ذر جعلني الله فداك، قال: (يَا

أَبَا ذَرٍّ تَعَالَ)، قال: فمشيت معه ساعة، فقال: (إِنَّ الْمَكْثَرِينَ هُمُ الْمَقْلُونِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا فَفَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ وَعَمَلَ فِيهِ خَيْرًا) قال: فمشيت معه ساعة، فقال لي: (اجْلِسْ هَا هُنَا)، قال: فأجلسني في قاع¹ حوله حجارة فقال لي: (اجْلِسْ هَا هُنَا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ) قال: فانطلق في الحرة² حتى لا أراه فلبث عني³ فأطال اللبث، ثم إنني سمعته وهو مقبل وهو يقول: (وَأِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى)، قال: فلما جاء لم أصبر حتى قلت: يا نبي الله جعلني الله فداءك من تكلم في جانب الحرة ما سمعت أحداً يرجع إليك شيئاً؟ قال: (ذَلِكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ، قَالَ بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مِنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟، قَالَ: نَعَمْ)، قال قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: (نَعَمْ وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ)⁴.

لقد دل الحديث على محبة الله عز وجل لعباده، وإن كانوا عصاة، بل ويدل على سعة رحمة الله سبحانه وتعالى بهم، فمرتكب الكبيرة إذا تاب منها غفر الله له وكأنها لم تكن، وإن مات وهو على معصيته قبل أن يتوب منها، فإنه سيحاسب يوم القيامة وسينال الجزاء على مقترفة يدها بحق نفسه وبحق الله عز وجل، فالموحدون العصاة سيحاسبون ويدخلون النار ولكن ليس دخولاً أبدياً، إنما بحسب

¹ قاع: أرض سهلة ليس فيها جبال.

² الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت.

³ فلبث عني: أقام غائباً عني.

⁴ صحيح البخاري، كتاب الرقائق، بابا لمكثرون هم المقلون، (٥/٢٢٥٨، ٦. ٧٨)، مع شرح المفردات مع صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة، (٢/٩٤).

الجرم الذي ارتكبه، ثم يدخلون الجنة بعد ذلك، ولكن من ظن أن مجرد النطق بكلمة التوحيد تنجيه من النار وتدخله الجنة ولو لم يستيقن بها قلبه، وتعمل بهذا اليقين جوارحه، فقد أخطأ في ظنه، لأن كثيراً ممن يقعون في نواقض الإسلام يقولونها، وكثير ممن يحاربون الإسلام وأهله من المنافقين يقولونها، ومنافقو عهد الرسالة الذين مردوا على النفاق كانوا يقولونها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم حقناً لدمائهم وأموالهم، ومع ذلك أخبر الله أن المنافقين بفعلهم هذا يخادعون الله وهو خادعهم، فكان جزاؤهم أنهم في الدرك الأسفل من النار، واتباع الهوى من أعظم ما يعارض كلمة التوحيد، لأن لا إله إلا الله تقتضي عدم طاعة الهوى، فدل هذا على أن كل من أحب شيئاً وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه، إلا من تاب من ذلك قبل أن يموت لذلك عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم " وإن سرق وإن زنى " فكان المقصود قبل أن يتوب .

بشيرة السيدة فاطمة عليها السلام

فاطمة الزهراء رضي الله عنها أقرب الناس خلقاً وخلقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبنت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وزوج علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وأم الحسن والحسين رضي الله عنهما سيدي شباب أهل الجنة، فمن يدانيها بالشرف والرفعة بعد هذا الشرف، ومع ذلك فقد امتحنها الله عز وجل بموت أمها وهي صغيرة، ثم زاد ألمها بموت إخوتها وأخواتها جميعاً، بل لقد بلغ الألم ذروته عندما مات أبوها المصطفى صلى

الله عليه وسلم، ولكن عزاءها أنه صلى الله عليه وسلم قد بشرها بأنها أول الناس
لحوقاً به، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي
النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَرْحَبًا بِابْنَتِي" ثم
أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرَّ إليها حديثاً فبكت، فقلت لها: لم
تبكين؟ ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب إلى
حزن¹، فسألتهما عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي² سرَّ رسول الله صلى الله عليه
وسلم، حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم، فسألتهما فقالت: أسرَّ إلي: (إِنَّ
جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ³ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ
إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي⁴ وَإِنَّكَ أَوْلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ
تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ⁵).

هذا الحديث من الأحاديث النبوية الكثيرة التي تبين للقصصي والداني صدق النبي
صلى الله عليه وسلم، وعلمه بالغيب الذي أطلعه الله عز وجل عليه، فالنبي صلى
الله عليه وسلم يخبر الزهراء بأنه سيموت في مرضه هذا؛ وقد كان، ويخبرها أيضاً
أنها أول أهل بيته لحوقاً به، فلم يمضي على وفاته صلى الله عليه وسلم ستة أشهر إلا
والزهراء رضي الله عنها تلحق بأبيها صلوات ربي وسلامه عليه، ويخبرها أيضاً بأنها

1 فرحاً أقرب إلى حزن: أي كان الفرح قريب الحزن.

2 لأفشي: من الإفشاء وهو الإظهار.

3 يعارضني القرآن: وهي من المعارضة وهي المقابلة في القراءة عن ظهر قلب. أي يدارسني

4 حضر أجلي: قرب موتي.

5 صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٣/٣٤٢٦)، مع شرح
المفردات، مع صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه
وسلم (٤/٢٤٥).

سيدة نساء أهل الجنة، ولقد جعل الله عز وجل نسل المصطفى صلى الله عليه وسلم وذريته منها وسيتم هذا النسل الطاهر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

بشارته صلى الله عليه وسلم لسبطه الحسن بن علي رضي الله عنهما

يخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث عن بعض الأمور الغيبية المستقبلية بأن ابنه الحسن بن علي رضي الله عنهما له منزلة السيادة في الأمة، ومن سيادته إصلاحه بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وذلك ما وقع فعلاً، فقد كان بين أهل الشام بقيادة معاوية رضي الله عنه وأهل العراق بقيادة علي بن أبي طالب رضي الله عنه نزاع كبير، وحروب شديدة، واستمر الأمر إلى أن استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فتولى بعده ابنه الحسن بن علي رضي الله عنه، وسار بجيشه ليوواجه جيش معاوية رضي الله عنه، فحصل حوار بينهما، انتهى بتنازل الحسن بن علي رضي الله عنه عن الإمارة لصالح معاوية، فكان في هذا الاتفاق حقن للدماء، وسلامة للأمة، ودرء لحروب طويلة لا يعلم شرها إلا الله عز وجل¹، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمعت الحسن يقول: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب² أمثال الجبال، فقال عمرو ابن العاص، إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها³، فقال له معاوية "وكان الله خير الرجلين⁴، أي عمرو": إن قتل

1 مرجع سابق" للشيخ محمد صالح المنجد، شرح حديث إن ابني هذا سيد، ١١/٩/٢٠١٩

2 بكتائب: جمع كتيبة وهي الجيش ويقال الكتيبة ما جمع بعضها إلى بعض.

3 أقرانها: جمع قرن وهو الكفء والنظير في الشجاعة والحرب.

4 خير الرجلين: أراد بالرجلين معاوية وعمراً وأراد بخيرهما معاوية وقال ذلك لأن عمراً كان أشد من معاوية في الخلاف مع الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين.

هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمر الناس، من لي بنسائهم، من لي بضيعتهم¹، فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز، فقال اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالوا له فطلبنا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال² وإن هذه الأمة قد عاثت³ في دمائها، قالوا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك قال: فمن لي بهذا⁴؟ قالوا: نحن لك به فما سألهما شيئاً إلا قالوا: نحن لك به فصالحه، فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكر يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: "إنَّ ابني⁵ هذا سيدٌ ولعلَّ الله أن يُصلحَ به بينَ فئتينِ عظيمتينِ من المسلمين"⁶.

دماء المسلمين غالية، لا تقدر بثمن كيف لا وإنما لأغلى من الكعبة المشرفة، وما نراه اليوم من اقتتال بين المسلمين كما في سورية والعراق ومصر وليبيا والسودان واليمن ليدمي القلب وإن من أعظم الصلح الصلح بين المسلمين المتقاتلين المتصارعين، حقناً للدماء، وصيانة للأنفس والأموال والأعراض، فإن إراقة الدماء بين

¹ بضيعتهم: أي من يقوم بأفعالهم وضعفائهم الذين لو تركوا بحالهم لضاعوا لعدم قدرتهم على الاستقلال بالمعاش.

² أصبنا من هذا المال: أي أيام الخلافة حصل لدينا مال كثير وصارت عادتنا الإنفاق على الأهل والحاشية فإن تركنا هذا الأمر قطعنا عادتنا.

³ عاثت: قتل بعضها بعضاً فلا يكفون إلا بالمال.

⁴ فمن لي بهذا: يتكفل لي بالذي تذكرانه.

⁵ ابني: المراد ابن ابنته ويطلق على ولد الولد أنه ابن.

⁶ صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله عنهما (٢/٢٥٥٧، ٣٤٣، ٣٥٣٦، ٦٦٩٢).

المسلمين من أعظم الكبائر، ومما يفرق الصفوف أشد تفريق، ولذلك قال ربنا سبحانه: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الحجرات: ٩)، فمن سعى في حقن دماء المسلمين بالصلح بينهم فقد حاز المجد والشرف الأسمى، كما حازه الحسن بن علي رضي الله عنهما حين صالح معاوية رضي الله عنه، وتنازل عن الخلافة له، فأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وأخمد الله تعالى نار الفتنة على يديه، وهذه الفضائل المتقدمة لأهل البيت عليهم السلام وغيرها تشمل فقط من كان مستقيماً، أما من كان غير ذلك وخاصة في زماننا فهو إما أن يكون مبعضاً للسنة، وإما أن يكون هاشمياً وقد أصبح شيعياً، أو مرتشياً، فلا نستطيع أن ننفي نسبة إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لكن الفضيلة لا تشملها، بل الفضيلة للمتمسكين بكتاب الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من أهل بيت النبوة، وأسعد الناس من كان من أهل بيت النبوة وهو من أهل السنة¹.

1 انظر "تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب"، لأبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوداعي، "ت - ١٤٢٢هـ" باب فضائل آل بيت النبوة، "الصفحة: ١٦"، الطبعة الأولى - دار الآثار صنعاء

بشارته صلى الله عليه وسلم للسيدة زينب عليها السلام بالكرم والجود

الكرم والجود خصلتان عظيمتان من الخصال الحميدة والتي حث الإسلام عليها، والنبى صلى الله عليه وسلم يشير إلى ذلك إشارة جميلة يدعو إلى البذل والإنفاق، ويرغب في الكرم والسخاء، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَسْرَعُكُمْ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُمْ يَدًا قَالَتْ فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيُّهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا قَالَتْ فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ"¹.

ومعنى الحديث أنهن ظنن أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية وهي الجارحة فكن يذرعن أيديهن بقصبة فكانت سودة أطولهن جارحة وكانت زينب أطولهن يداً في الصدقة وفعل الخير فماتت زينب أولهن فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود²، وفيه معجزة باهرة لرسوله صلى الله عليه وسلم ومنقبة ظاهرة لزينب.

وفي هذا الحديث إشارة من النبي صلى الله عليه وسلم إلى فضل الصدقة والحث على فعلها، وللكرم والجود صور عديدة، ومجالات متنوعة كثيرة، فيها يتنافس المتنافسون، ويجتهد المجتهدون، كل على حسب طاقته واستطاعته، ومن صور الجود والكرم بذل المسلم وعطاؤه من مال الله الذي آتاه الله إياه وأنعم به عليه من

¹ صحي مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله تعالى عليه، باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها، (٤/٢٤٥٢).

² شرح النووي على مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها، (٨/٤٤٩٠).

كل ما ينتفع به المرء، من مأكّل أو مشرب أو ملبس، أو مسكن أو دواء أو غير ذلك من أنواع الخير والبر والإحسان، وبذل المرء وعطاؤه من علمه ومعرفته، فالكريم من لا يكتّم علماً ولا معرفة، بل يعلم الناس ويدلهم على الخير، والبخيل هو الذي يحتفظ بمعارفه وعلومه لنفسه، بخلاً ورغبة في الاستئثار والانفراد، ومن صور الكرم والجود بذل النصيحة لمن هو في حاجة إليها، فالكريم لا يبخل على إخوانه بأي نصيحة تفيدهم وتنفعهم في دينهم أو دنياهم.

بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بفضل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هم أفضل خلق الله بعد النبيين، فسبحان الله العظيم الذي خلق الخلق وجعل من الناس المؤمن والكافر ومنهم مفتاح للخير ومنهم مفتاح للشر، يوم كان يغزو صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون من بعدهم البلاد كانت تفتح لهم البلاد وتلين لهم قلوب العباد وذلك لما كانوا عليه من التقوى والصلاح، فكان وجود الصحابة والتابعين لهم بإحسان بركة للأمة وعزة لها ورفع شأن، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يَأْتِي زَمَانٌ يَغْزُو فِتْنَامٌ¹ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ فِيكُمْ مِنْ صَحْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُقَالُ نَعَمْ فَيُفْتَحُ عَلَيْهِ² ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ فَيُقَالُ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُقَالُ نَعَمْ فَيُفْتَحُ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ

1 فتنام: جماعة ولا واحد له من لفظه.

2 فيفتح: عليكم ببركته.

فَيُقَالُ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ صَاحِبَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُقَالُ نَعَمْ
فَيُفْتَحُ" 1 .

هذا الحديث أية من آيات النبوة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر عن أمور
لم تكن في عهده، ووقعت كما أخبر بها، ففي الحديث دلالة على أن كثيراً من
البلاد فتحت من غير حرب، ومنها بلاد دخلت في الإسلام تأثراً بما عرفه أهلها من
حسن أخلاق المسلمين وتواضعهم لله عز وجل وأن الدين الذي جاءوا به منقذاً لما
هم فيه من حياة الضنك وظلم الحكام، فهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورضى الله عنهم أجمعين، وقد مدحهم الله عز وجل في أكثر من موضع من كتابه
الكريم فقال سبحانه: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ
مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ
يُعِجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح: ٢٩) . فكان وجود الصحابة والتابعين لهم بإحسان بركة
للأمة وعزة لها ورفع شأن، حتى تغيرت الأمور وانقلبت الأحوال فتولى أمور
المسلمين أناس أهلكوا العباد وعاثوا في الأرض الفساد . قال تعالى: (فَخَلَفَ مِنْ
بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) (مريم: ٥٩) .

1 صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب
(٣/٢٧٤٠، ٣٣٩٩، ٣٤٤٩)، مع شرح المفردات، مع صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب
فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (٤/٢٥٣٢)

بشائر النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب اليهود من خيبر وأنه من أهل الجنته

لقد بعث الله عز وجل نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، فقال سبحانه وتعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧)، فهو رحمة لجميع الخلائق بلا استثناء، وهذه الرحمة ترافقت مع مكارم الأخلاق التي جاء النبي صلى الله عليه وسلم ليتممها، وتجلت هذه الأخلاق مع اليهود بكل أمانة وعهد، فعاملهم معاملة الأخ لأخيه، والجار لجاره، فأمر بإعطاء اليهود حقوقهم كاملة، وتشهد على ذلك الوثيقة الموقعة معهم، ولكن اليهود وهم قتلة الأنبياء، أصحاب الغدر والخيانة، غدروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وغدر بالمسلمين، بل إن معظم الغزوات التي خاضها النبي صلى الله عليه وسلم، كان يسبقها تأمر من اليهود ضد النبي صلى الله عليه وسلم، أو ضد المسلمين، أو تحالفوا مع أعداء الإسلام، ليقتلوا شأفته، فأجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة تطبيقاً لحكم الله عز وجل، جزاء نكالا على ما قدموا، بل لقد تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب بأنه سيخرجهم ويجليهم من خيبر وقد كان كما أخبر به الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما فدع¹ أهل خيبر عبد الله بن عمر، قام عمر خطيباً فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أموالهم وقال: "نُقِرُّكُمْ مَا أَفَرَّكُمْ اللَّهُ"، وإن عبد

¹ فدع: من الفدع وهو ميل المفاصل وزوالها عن بعضها.

الله بن عمر خرج إلى ماله هناك¹ فعدي عليه² من الليل ففدعت يدها ورجلاه وليس لنا هناك عدو غيرهم هم عدونا وتهمتنا³، وقد رأيت إجلاءهم، فلما أجمع عمر على ذلك، أتاه أحد بني أبي الحقيق⁴، فقال: يا أمير المؤمنين أخرجنا وقد أقرنا محمد صلى الله عليه وسلم وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا، فقال عمر: أظننت أنني نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كَيْفَ بَكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْ خَيْبَرَ تَعْدُو بِكَ قَلُوصُكَ⁵ لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ"، فقال: كانت هذه هزيمة⁶ من أبي القاسم، قال: كذبت يا عدو الله، فأجلاهم عمر وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالا وإبلاً وعروضاً⁷ من أقتاب⁸ وحبال وغير ذلك⁹.

واليوم يعيد التاريخ نفسه، ففي فلسطين حيث الاحتلال اليهودي، فإننا نرى كيف يتعامل اليهود مع المسلمين وكيف يتآمرون عليهم مع أعداء الإسلام والمسلمين، فاليهود هم اليهود، أهل الخسة والغدر والندالة، ولكن في وقتنا الحالي لا يستطيع المسلم لضعفه ولبعده عن دينه أن يجلي اليهود كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأمير المؤمنين عمر هو الذي أجلى اليهود من خيبر، وهو الذي بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، فعن أبي هريرة

1 ماله هناك: أرضه ونخيله في خيبر.

2 فعدي عليه: ظلموه وتعدوا عليه.

3 تهمتنا: الذين نتهمهم بالتعدي.

4 بني أبي الحقيق: وهم من زعماء اليهود ورؤسائهم.

5 قلووصك: الناقة الصابرة على السير وقيل أنثى الإبل أول ما تتركب.

6 هزيمة: تصغير هزلة واحدة الهزل وهو ضد الجد.

7 عروضاً: أمتعة.

8 أقتاب: جمع قتب وهو ما يوضع حول سنام البعير تحت الراكب.

9 صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك، (٢/٢٥٨٠)

رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتَنِي فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَيَّ جَانِبَ قَصْرِ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا قَالُوا هَذَا لِعُمَرَ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا فَبَكَى عُمَرُ وَهُوَ فِي الْمَجْلِسِ ثُمَّ قَالَ أَوْ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغَارُ"1؟

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يلي أبا بكر الصديق في الفضل، فهو أفضل الناس على الإطلاق بعد الأنبياء وأبي بكر، وهذا ما يلزم المسلم اعتقاده في أفضليته رضي الله عنه وهذا هو معتقد الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة، بل لقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أعظم الصحابة غيرة على النساء، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم غيرته في الرؤيا التي رأى فيها قصر عمر بن الخطاب في الجنة، وهذه الغيرة محمودة في الإسلام وصفة من الصفات المطلوبة المحبوبة لله رب العالمين، وإلا لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عنها، ولكن في هذا الزمان انعدمت فيه الغيرة على النساء إلا من رحم الله، وإن الناظر إلى أفراد المجتمع اليوم ليرى التساهل وعدم الغيرة والذي يوصل الأمة إلى الدرك الأسفل من النار، وكل هذا بسبب البعد عن القرآن والسنة المطهرة، والذي أدى بالمسلمين إلى الانخراط بأهل الكفر والمجون، وبدلاً من أن يكونوا دعاة لهؤلاء إلى الإسلام وذلك تطبيقاً لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا فريسة سهلة لعادات وتقاليد الغرب، فأصبح التبرج حضارة، وأصبحت الرذيلة والاختلاط تقدماً، وأصبح الالتزام بتعاليم

1 صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضائل عمر رضي الله عنه، (٤/٢٣٩٥).

الدين تخلفاً وجهلاً، فأخذ خلق الغيرة يضعف شيئاً فشيئاً، حتى أصبحت الغيرة عند الكثيرين مذمومة .

بشرى النبي صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه بالفتح

علي بن طالب رضي الله عنه من خيرة الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، ومن أفاضل الصحابة، بل هو أفضلهم بعد الثلاثة، بعد الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم هو الأفضل، وهو الرابع، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، إن في هذا الحديث الذي سيذكر منقبة كبيرة لعلي كرم الله وجهه، فمن جهة أن الله فتح على يديه، ومن جهة أن الرسول صلى الله عليه وسلم وصفه بأنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، وهذا لا شك فيه، وهو من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وهو المعروف بالشجاعة والإقدام والفضل العظيم، والعلم الكبير رضي الله عنه وكرم الله وجهه، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كان علي رضي الله عنه تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر، وكان به رمد¹، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج علي فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم، فلما كان مساء الليلة التي فتحتها² في صباحها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَأَعْطِينَ الرَّأْيَةَ³ أَوْ قَالَ: لَيَأْخُذَنَّ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ،

¹ رمد: داء يكون في العين.

² فتحتها: فتح خيبر.

³ الرأية: ثوب يجعل في طرف الرمح ويخلى تصفقه الريح ويتولاها صاحب الحرب.

أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيِّ وَمَا نَرَجُوهُ، فَقَالُوا:
هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ" ¹.

كان علي رضي الله عنه صاحب منزلة رفيعة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيف لا وهو ابن عمه ومن الأكرمين عند الله عز وجل، إنه علي زوج فاطمة بنت خير الأنبياء والمرسلين ووالد الحسن والحسين سبطي رسول الله، فقد كفله النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني سنوات وكان أول من آمن من الصبيان، فقد كان صاحب دعوة قريش، وقد فدى الرسول فنام في فراشه ليلة مكر المشركين ومحاولتهم قتله، وهو مؤدي أمانات النبي في مكة بعد الهجرة، وقد خرج مع عبيدة وحمزة للخصوم في غزوة بدر، وهو من واجه أحد صناديد العرب يوم الخندق وفتحت على يديه خيبر، وكان من المدافعين عن الرسول في أحد، فقد كان من منزلة هارون لموسى عند النبي، ولكن لا يستقيم هذا مع بعض الفرق، لأن هناك فرقة من الفرق يغفلون فيه، وبعضهم يجعله إلهاً مع الله بل ويعبدونه، ولا يجوز أن يُعبد من دون الله فهو بشر، وإذا كان الرسل وهم أفضل الخلق لا يُعبدون، فعلي وغيره من باب أولى أن لا يُعبد، بل عبادته والتعلق به والزعم أنه إله والاستغاثة به، أو الزعم أنه يعلم الغيب، كل هذا كفر بالله، وشرك أكبر، فهو صحابي جليل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه وزوج ابنته البتول، فيصيبه من الأمراض والأعراض ما يصيب البشر، ولقد وقع شهيداً في السنة الأربعين من

¹ صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في لواء النبي صلى الله عليه وسلم، (٣/٢٨١٢، ٣٤٩٩، ٣٩٧٢) مع صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٧/٤٢٤).

الهجرة، والذي قتلوه هم الخوارج، وهذا دليل على هؤلاء الذين يزعمون أنه إله، فلو كان إله لدفع عن نفسه القتل، ولكنهم لا يعقلون.

بشرى النبي صلى الله عليه وسلم لطلحة والزبير رضي الله عنهما

فضل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لا ينكره إلا منافق، أو حاقد، أو جاحد، فقلوب الصحابة رضوان الله عليهم عامرة بحب الله عز وجل وبحب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقلوبهم للصدق والإخلاص عنوان، وها هو النبي صلى الله عليه وسلم يبشر هؤلاء الأطهار ببشارات كثيرة وكل بحسب بذله وعطاءه عند الله عز وجل، فمنهم من بُشر بدخول الجنة بلا حساب ولا عذاب، ومنهم من بُشر بالمغفرة التامة، ومنهم من بُشر بالشهادة، ومن هؤلاء الأطهار الذين بشروا طلحة والزبير رضي الله عنهما، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء¹ هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدٌ"².

قال ابن المنير: قيل: الحكمة في ذلك: أنه لما أرجف أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين أن هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى عليه السلام لما

¹ حراء: جبل من جبال مكة.

² صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما، (٤/٢٤١٧).

حرفوا الكلم، وأن تلك رجفة الغضب؛ ولهذا نص على مقام النبوة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانة، فأقر الجبل بذلك، فاستقر¹.

وهذا الحديث من الأمور الغيبية التي أخبرنا بها النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت كما أخبر، فقد أخبرنا بأن الجبل ارتجف طرباً بمن عليه من خير خلق الله على الإطلاق، فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن قال للجبل "اهدأ" وذكر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم من كان معه على الجبل وذكر حاله ومآله، فكان كما ذكر، فقد استشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد أبي لؤلؤة الجوسي، واستشهد عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد الخوارج الذين تسوروا داره وهو يقرأ القرآن، وهؤلاء لا يعرفون من الدين إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه، واستشهد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على يد عبد الرحمن بن ملجم وهو يصلي بالمحراب، واستشهد طلحة والزبير رضي الله عنهما في موقعة الجمل، بعدما اعتزلا الفتنة، وبعدهما حكّموا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، هذه الفتنة التي كانت بين جيش علي كرم الله وجهه وبين جيش طلحة والزبير ومعهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم وأرضاهم جميعاً، فهذه الفتن التي بدأت بعد استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه والتي أكلت الأخضر واليابس، وستستمر إلا ما شاء الله لن تنتهي إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فنحن اليوم نعيش فتناً كقطع الليل المظلم وهذه الفتن تمتد، فقد بدأت في تونس مروراً بمصر وليبيا، ثم استقرت في سوريا سنوات عدة، وهي الآن تنشر إلى باقي

1 حاشية السندي على صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضائل أصحاب النبي، (٢/١٨).

الدول العربية، ولكننا لا نتعلم من تجاربنا الماضية والحاضرة، إذ أن الجميع قد ابتعد عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فكان ما كان، فهل من معتبر.

اهتز العرش لموت سعد بن معاذ رضي الله عنه

سعد بن معاذ رضي الله عنه، صحابي جليل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلم على يد سفير الإسلام إلى المدينة المنورة مصعب بن عمير رضي الله عنه وعن جميع الصحابة، ولكن حياته في ظل الإسلام لم تستمر إلا ست سنوات، بعدما خاض مع الرسول صلى الله عليه وسلم بدرًا، وأحدًا، والخندق لينال بعدها شرف الشهادة في سبيل الله تعالى، بعدما أقر عينه بجلاء اليهود من بني قريظة عن المدينة المنورة، عندما أصدر سعد رضي الله عنه حكمه عليهم وفقًا لكتاب الله عز وجل، لتفرح ملائكة السماء بصعود روحه الطاهرة إلى جنة عرضها السماوات والأرض بعد إصداره للحكم، وليهتز عرش الرحمن فرحًا لقدمه، فعن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ"¹.

اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث، فقالت طائفة هو على ظاهره، واهتزاز العرش تحركه فرحًا بقدوم روح سعد، وجعل الله تعالى في العرش تمييزًا حصل به هذا، ولا مانع منه كما قال تعالى: (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَائِبَةً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) (البقرة: ٧٤)،

¹ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه، (٤/٤٢٦٦).

وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار، وقال آخرون المراد اهتزاز أهل العرش وهم حملته وغيرهم من الملائكة، فحذف المضاف، والمراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول، ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم، لا يريدون اضطراب جسمه وحركته، وإنما يريدون ارتياحه إليها وإقباله عليها¹، وهذا أكبر دليل على أن الصلة بين العبد وربّه لا تكون بكثرة العبادة مع انتفاء النية الصادقة والإخلاص وبذل النفس في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله، وليس هناك أوضح مثلاً ولا أتمودجاً، على النية الصادقة والإخلاص والتجرد من مناصب الدنيا من أجل الله من سعد بن معاذ رضي الله عنه وأرضاه، فقد ترك الدنيا ومباهجها ومناصبها والتحق بركب النبي صلى الله عليه وسلم مخلصاً لله الدين حنيفاً، لينال هذه المرتبة العالية عند الله عز وجل وعند رسوله صلى الله عليه وسلم، وليهتز له العرش فرحاً بقدمه إلى جنة الرضوان، فمتى سنتخذ من معاذ وأصحابه نبراساً لنا في التضحية والبذل والعطاء وترك الدنيا ومناصبها لأجل الله ورسوله؟ لنحقق للأمة النصر والتمكين، قال تعالى: (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ* بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (الروم: ٤، ٥).

تظليل الملائكة لعبد الله بن عمرو بن حرام

الشهادة مرتبة عالية عند الله عز وجل لا ينالها إلا من باع نفسه وماله لله عز وجل، ولقد أكرم الله سبحانه وتعالى الشهيد بمكارم عديدة منها أنه حي عند ربه

¹ شرح النووي على مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه، (٨/٤٥١٢).

سبحانه، وأن الملائكة تظلمه بأجنتها كما فعلت بعبد الله بن عمرو بن حرام، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما كان يوم أحد، جيء بأبي مسجي¹ وقد مثل² به، قال فأردت أن أرفع الثوب فنهاني قومي، ثم أردت أن أرفع الثوب فنهاني قومي، فرفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر به فرفع، فسمع صوت باكية أو صائحة، فقال: "مَنْ هَذِهِ؟" فقالوا بنت عمرو أو أخت عمرو، فقال "وَلِمَ تَبْكِي؟ فَمَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تُظَلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا³ حَتَّى رُفِعَ"⁴.

فكرامة الشهيد عند ربه كبيرة جداً، بل إن من كرامته عند ربه أنه سبحانه وتعالى أن الشهيد لا يشعر بخروج الروح كما يشعر الإنسان الذي يموت على فراشه، فكم من صور لشهداء رأيناهم على شاشات التلفاز وقد أصيبوا إصابات بالغة والابتسامة تعلو محياهم وقد فارقت الروح أجسادهم، وهذا مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم مخبراً عن ذلك: "مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنَ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنَ الْقَرْصَةِ يُقْرِصُهَا"⁵، فشعور الشهيد بألم خروج الروح كشعور من قرصته نحلة أو نملة، وهذا الألم إذا قورن بألم النزاع عند غير الشهيد فهو ألم لا يقارن أبداً، فشتان

1 مسجي: أي مغطى.

2 مثل: يقال مثل بالقتيل والحيوان يمثل مثلاً كقتل يقتل قتلاً إذا قطع أطرافه أو أنفه أو أذنه أو مذاكيره ونحو ذلك.

3 تظله بأجنتها: هو عنوان فضله وما أعد الله تعالى له عنده من الكرامة.

4 صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام، (٤/٢٤٧١) وانظر "صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه، (١/١١٨٧)، (١٢٣١، ٢٦٦١، ٣٨٥٢). مع شرح للمفردات.

5 سنن الترمذي، "كتاب فضائل الجهاد، باب فضل المرابط، (٤/١٦٦٨).

من يشعر بألم القرصة وبين من يشعر وكأنه يشم الهواء من خرم إبرة، فأسأل الله عز وجل أن يرزقنا الشهادة مقبلين غير مدبرين .

بشرى النبي صلى الله عليه وسلم لأنس رضي الله عنه بالولد

المال والبنون نعمتان من نعم الله على عباده، ونعم الله كلها تستحق منا التقدير والاحترام، والعناية، والرعاية، والمال والأولاد كما في القرآن الكريم زينة الحياة الدنيا قال تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (الكهف: ٤٦)، وهم نعمة تستحق الشكر فقال تعالى: (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا* وَبَنِينَ شُهُودًا* وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيدًا) (المدثر: ١٢ - ١٤)، وفي نفس الوقت هم مسؤولية يجب العناية بهم لاسيما فيما يصلحهم، ولقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأنس بكثرة الأموال والأولاد فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاءت بي أمي أم أنس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد آزرني بنصف خمارها ورددني بنصفه، فقالت يا رسول الله: هذا أنيس ابني أتيتك به يخدمك فادع الله له، فقال: "اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ"، قال أنس: فو الله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون¹ على نحو المائة اليوم². هذا الحديث من معالم نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم لما فيه من معجزة إجابة الدعوة وحصول أمر نادر هو اجتماع كثرة المال مع كثرة الولد وكون بستانه يثمر في السنة مرتين دون غيره. قال أنس: "فو الله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي

¹ ليتعادون: معناه يبلغ عددهم نحو المائة.

² صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أنس بن مالك، (٤/٢٤٨١)

ليتعادون علي نحو المائة اليوم". وقال: "دعالي رسول الله ثلاث دعوات، قد رأيت منها اثنتين في الدنيا وأنا أرجو الثالثة في الآخرة" ولم يبينها وهي المغفرة كما بينها سنان بن ربيعة¹ بزيادة²، وتحدث أنس رضي الله عنه بهذه المواهب التي من الله بها عليه استجابة لدعوة نبيه عليه الصلاة والسلام من باب التحدث بنعم الله وشكره عليها، وكل هذه النصوص وغيرها كثير دلت على فضل تربية الأولاد وهو فرع من تربية الفرد الذي يسعى الإسلام إلى إعداده وتكوينه ليكون عضواً نافعاً وإنساناً صالحاً في الحياة، بل هو مدار بعثة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة: ٢)، والتزكية هي التربية وأعظم بل أسمى ما يربى عليه الفرد تحقيق العبودية لله رب العالمين وإخلاص العبادة له والسلامة من الشرك، ولذا اهتم العلماء المسلمون بتربية الأولاد، ويتضح ذلك من مؤلفاتهم وكتبهم سواء ما يتعلق بأهمية التربية أو بيان وسائلها أو ثمراتها.

بشرى النبي لعبد الله بن سلام بحسن الخاتمة

إن مما زرع في أذهان الناس في زماننا، نسبُ حياة الإنسان، ومستقبله، ومصيره إلى جماد لا قرار فيه ولا اختيار، كنسبه إلى ما ورثه من أبويه ومجتمعه، فهو مسلم لأن أبواه كذلك، لیسحب البساط من تحت أرجل الناس بدعوى أن الإنسان

¹ سنان بن ربيعة الباهلي أبو ربيعة البصري، تابعي وأحد رواة الحديث النبوي من أهل البصرة، انظر كتاب "تهذيب التهذيب، باب حرف السين المهملة، ١٤/٢٩٨".

² فتح الباري لابن حجر، كتاب الصوم، باب من زار قومًا فلم يفطر عندهم، (٦/٢٥٨).

منفعل وليس فاعل، تمهيداً للإلغاء المسؤولية عنه في الاختيار ومن ثم المصير. وهذا الطرح فاسد لا يصح، ويدعم هذا الكلام قصة عبد الله بن سلام رضي الله عنه الذي انتقل من فريق كبار علماء اليهود إلى كبار الصحابة علماً وديناً، بعد أن أعمل عقله واختار طريقه على عكس ما يروج له دعاة نظرية اللامسؤولية. فهو ذلك الرجل الذي بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، فعن يزيد بن عميرة رضي الله عنه، إنه سمع معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه يقول: سمعت رسول الله يقول: لعبد الله بن سلام: "إِنَّهُ عَاشِرُ عَشْرَةِ فِي الْجَنَّةِ"¹، ليكون بذلك هذا الصحابي الجليل، عاشر المبشرين بالجنة، حجة على كل من زعم أنه لا يستطيع الدخول في الإسلام وترك دين آباءه، لقسوة ظروفه، وعظيم ضرر ذلك عليه

وفي حديث آخر: عن قيس بن عباد رضي الله عنه قال: كنت جالساً في مسجد المدينة، فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة فصلى ركعتين تجوز فيهما²، ثم خرج وتبعته فقلت: إنك حين دخلت المسجد قالوا: هذا رجل من أهل الجنة، قال: والله لا ينبغي لأحد³ أن يقول ما لا يعلم وسأحدثك لم ذلك⁴، رأيت رؤيا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقصتها عليه ورأيت كأنني في روضة ذكر من سعتها وخضرتها وسطها عمود من حديد أسفل في الأرض وأعلاه في السماء في أعلاه عروة⁵ فقبل لي ارقه قلت: لا أستطيع

1 عمدة القارس شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن سلام رضي الله عنه، (٢٤/٤٥٢).

2 تجوز فيهما: خففهما.

3 لا ينبغي: قال ذلك تواضعاً أو كراهة الثناء على أحد بالقطع له بالجنة.

4 لم ذلك: أي لماذا قالوا ذلك القول.

5 عروة: ما يستمسك به كالحلقة.

فأتاني منصف¹ فرفع ثيابي من خلفي فرقيت حتى كنت في أعلاها فأخذت بالعروة فقيل لي: استمسك، فاستيقظت وإنها لفي يدي² فقصصتها على النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تلك الروضة الإسلام وذلك العمود عمود الإسلام وتلك العروة عروة³ الوثقى فأنت على الإسلام حتى تموت وذلك الرجل عبد الله بن سلام"⁴.

ولقد تحققت نبوءة وتأويل النبي صلى الله عليه وسلم له، فقد لزم عبد الله بن سلام رضي الله عنه المدينة المنورة، يعظ ويفتي ويشرح أمور الدين حتى تقدم به العمر، سنة ٥٤٣ هـ وقد قارب السبعين من عمره، ودفن في المدينة المنورة، ومن جميل ما يذكرهنا عظيم فضل الله عز وجل على من أسلم بعد كفر، إذ جعل الإسلام يجب ما قبله ويهدم ما سبق من ذنوب ومعاصي، فإذا أسلم الرجل غفر الله له كل ما سبق من ذنبه أيام كفره، ليدخل الإسلام نقياً من الذنوب، طاهراً من أدران المعاصي، لأن الإسلام دين الرحمة والتسامح، الذي يستوعب الإنسانية جمعاء بكل آثامها وشروها مطهراً ومصححاً ومعيداً لها للفطرة السليمة والعقيدة الصحيحة، وهذا من كمال العدالة الانتقالية لأي نظام حياة يتغنى بالحق ويدعوا له، ليسود العدل مكان الظلم، والنور مكان الظلام..

1 منصف: هو الخادم.

2 وإنها لفي يدي: أي العروة أي استيقظ قبل أن يتركها في المنام وهذا أفاد أنه أخذ الإسلام ولن يتركه.

3 عروة الوثقى: الإيمان والإسلام.

4 صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن سلام (٤/٣٦)، ٢، ٦٦، ٨، (٦٦١٢) مع صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن سلام رضي الله عنه (٤/٢٤٨٤).

بشرى النبي لأبي هريرة رضي عنه بمحبة الناس له وبعدم النسيان

أبو هريرة رضي الله عنه، صحابي جليل تصدى لمهمة علمية جلييلة أفادت الأمة من بعده، فعززت رواياته روايات أخرى رواها صحابة آخرون، وساهم في نشر سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم لأجيال جاءت بعده، بل لقد استجاب الله دعاء الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فترى محبة الناس لأبي هريرة ولأمه رضي الله عنهما عظيمة وهذا ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، قلت يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ" فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله صلى الله عليه وسلم، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف¹، فسمعت أمي خشف² قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة³ الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال قلت: يا رسول الله أبشر قد

1 مجاف: أي مغلق.

2 خشف: أي صوتهما في الأرض.

3 خضخضة: خضخضة الماء صوت تحريكه.

استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال خيراً قال قلت: يا رسول الله ادع الله أن يحبني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ"، فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني¹.

وأما عن دعاء النبي له بعدم النسيان فقد جاء: أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: يقولون إن أبا هريرة قد أكثر والله الموعد، ويقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه؟ وسأخبركم عن ذلك، إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أرضيهم، وإن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً: "أَيُّكُمْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ فَيَأْخُذُ مِنْ حَدِيثِي هَذَا ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْسَ شَيْئًا سَمِعَهُ"، فبسطت بردة علي، حتى فرغ من حديثه²، ثم جمعتها إلى صدري، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به، ولولا آيتان أنزلهما الله في كتابه، ما حدثت شيئاً أبداً (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى) (البقرة: ١٥٩).

رغم إجلال هذا الصحابي لدى عموم علماء الأمة منذ عصر الصحابة والتابعين وحتى عصرنا هذا، فقد عرفت كتب التراث المتأخرة قصصاً قليلة اختلقها الرواة

¹ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي، (٤/٢٤٩١).
² مرجع سابق رقم (٤/٢٤٩٣).

تحاول الطعن بهذا الصحابي، معظمها من فرق مناوئة لأهل السنة، وفي العصر الحديث تم توجيه سهام التجريح لهذا الصحابي من قبل بعض من يرون أنفسهم "باحثين"، ومعظمهم ممن لا يقيمون وزناً للسنة النبوية المنقولة، أو لا يأخذون بها مصدراً للتشريع وفهم الدين، وفي هذه الكلمات ستناقش أهم المحاور التي تُطرح حول أبي هريرة رضي الله عنه، والتي سنتعرف من خلالها على أبي هريرة كحافظ للحديث وناشر له، ومدى مصداقية ما رواه.

كيف روى أبو هريرة ٥٣٧٤ حديثاً في ثلاث سنوات من ملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم ومع أن الرسول لم يكن أكثر في الحديث، فالسنوات الثلاث ليست مدة قصيرة، بل هي كافية لهذا العدد وأكثر منه، ومع ذلك فإن هذا العدد غير دقيق، فهو في الواقع رقم تقديري لمرويات أبي هريرة في كتب السنة، ولكنه مع الأسف عدد تلك المرويات مع التكرار! يعني لو أن أبا هريرة جلس للتحديث ونقل من الحاضرين حديثاً واحداً له كل بروايته، فإن كل رواية ستنتقل في كتب الحديث عن أحد هؤلاء التابعين ستعتبر "حديثاً" ضمن ال ٥٣٧٤ حديثاً! فمثلاً: لو حدث (أ) عن (ب) عن (ج) عن أبي هريرة، وحدث (هـ) عن (و) عن (ز) عن أبي هريرة بنفس الحديث؛ سيتم عدّ روايتين! وبعد حذف المكرر من تلك الروايات سنصل إلى نحو ١٥٠٠ - ١٦٠٠ رواية فقط! هي عدد الأحاديث التي رواها أبو هريرة لم ينته الأمر بعد، فهذه الروايات فيها الصحيح وفيها الضعيف، فعلياً أن نحذف الضعيف إذا أردنا إحصاء ما صح منها، لم ينته الأمر بعد، فبعض هذه المرويات موقوف على أبي هريرة، أي هو من كلامه وفقهه ولم ينسبه للرسول صلى

الله عليه وسلم . لم ينته الأمر بعد، فعدد كبير من تلك الأحاديث رواه أبو هريرة بالواسطة، أي أنه كان يرويها عن غيره من الصحابة، كأبي بكر وعمر وغيرهم رضي الله عنهم . ومن ثم فهذه الروايات لا ينبغي أن تكون بالضرورة خلال تلك السنوات الثلاث التي لازم فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعضها قد يكون من أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم قبل إسلام أبي هريرة، ومما ينبغي ملاحظته أيضاً أن ما رواه أبو هريرة ليست فقط سنة قولية، أي ليس فقط مما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، بل يدخل ضمن الأحاديث: صفات الرسول، تقريراته (أي أقوال وأفعال شهدها الرسول وأقرها)، أفعاله، فهذه كلها من السنن ولكنها ليست أقوالاً . والعجيب الذي لا يعرفه كثير من الناس أن هذا العدد الذي رواه أبو هريرة نحو (١٥٠٠) لم يتفرد به، فالغالبية الساحقة منه أحاديث رواها غيره من الصحابة، وما تفرد به هو نحو ١١٠ أحاديث فقط¹ .

المرأة التي أخفت الرسالة وبشارة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل بدر

حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه صحابي جليل ارتبط ذكره بغزوة فتح مكة، وذلك لما ذكر في الحديث الشريف "كما سيأتي"، أنه أرسل إلى المشركين في مكة يخبرهم بعزم النبي صلى الله عليه وسلم على غزوهم، وهذا العمل في الظاهر يُعد تجسساً لصالح المشركين، ونشر أخبار عسكرية تضر بالمسلمين، فضلاً عما فيه من

1 الشبكة العنكبوتية "مدونات الجزيرة" ما لا تعرفه عن أبي هريرة رضي الله عنه، // <https://blogs.aljazeera.net/blogs/٢٠١٨/٤/٢٣>. بتصرف.

خصوصية إفشاء سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن فيه موالاة للمشركين، فماذا حدث؟؛ عن عبيد الله بن أبي رافع وهو كاتب علي رضي الله عنه قال: سمعت علياً رضي الله عنه وهو يقول: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزيير والمقداد، فقال: "اَتُّوا رَوْضَةَ خَاخٍ¹ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً² مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا"، فانطلقنا تعادى³ بنا خيلنا، فإذا نحن بالمرأة، فقلنا: أخرجني الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَا حَاطِبُ مَا هَذَا"؟ قال: لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت امرأً ملصقاً في قريش، (قال: سفيان كان حليفاً لهم ولم يكن من أنفسها) وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفوراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "صَدَقَ" فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ". فأنزل الله عز وجل: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ

¹ روضة خاخ: وهي بين مكة والمدينة بقرب المدينة.

² فإن بها ظعينة: الظعينة هنا الجارية وأصلها اليهودج وسميت بها الجارية لأنها تكون فيه.

³ تعادى: أي تجري.

حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (المتحنه):
١٦.

هذا العمل في الظاهر مخالف لمقتضى الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ونصرة الإسلام والمسلمين، لذا فقد عده عمر بن الخطاب رضي الله عنه من النفاق، وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن له بقتله، لكن النبي صلى الله عليه وسلم سأل حاطباً رضي الله عنه عن السبب الذي دفعه للقيام بهذا الفعل، فأخبره أنه لم يفعل ذلك خيانة لله ورسوله، وإنما فعله لمصلحة دنيوية، فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ورضي منه قوله ولم يكفره ولسابقته في الإسلام والجهاد لم يعاقبه وعفا عنه ونهى عن قتله. غير أن فئة من المعاصرين الذين يحكمون على كل من وقع في موالة الكفار بالكفر الأكبر المخرج من الملة، يستدلون على مذهبهم هذا بحديث حاطب ولم ينكر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك، لكنهم يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكفره لأحد أمرين:

إما لأنه شهد بداراً أو لأنه كان متأولاً، وهذا التأول يجعلونه خاصاً بحاطب، لأن الله تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على صدق حاطب فصدقه، ولا سبيل إلى معرفة حال المتأول بعد حاطب، لأن الوحي قد انقطع وعليه فكل من وقع في موالة الكفار فهو كافر.

والذي عليه الأئمة الأعلام كالشافعي وغيره، وجمهور علماء المسلمين من السابقين واللاحقين أن فعل حاطب محتمل للكفر ومحتمل لما هو دون الكفر، وليس كفرةً

¹ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن ابي بلتعة، (٤/٢٤٩٤).

في ذاته بإطلاق، وأن المعترف في ذلك هو قول حاطب نفسه في ذلك، فحيث نفى موالاتة المشركين على دينهم، وبينوا أن شهوده بدمراً ليس مانعاً من تكفيره لو كان الفعل كفراً، لأن الكفر محبط للعمل، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه ولم يعاقبه على تجسسه لسابقته تلك، وبينوا كذلك أن هذا الأمر ليس خاصاً بحاطب رضي الله عنه، إذ لا دليل على الخصوصية، لذا فإن فقه ما في حديث حاطب رضي الله عنه من الفوائد والأحكام، ومعرفة أقوال أهل العلم الراسخين في العلم فيها: أمر غاية في الأهمية، ويقي من انحرافات الغلاة الذين يكفرون بمطلق الموالاتة، بل ويسارعون في تكفير المسلمين بأدنى تهمة، ويستبيحون دماءهم وأموالهم دون سؤال أو تثبت، ولا يقبلون منهم أي عذر، مخالفين في ذلك هدي النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله رحمة للعالمين¹.

بشرى النبي صلى الله عليه وسلم للناس بدخول الحجّة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا قعوداً حول رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا أبو بكر وعمر في نفر، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا، فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا² وفزعنا، فقمنا فكننت أول من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النجار فدرت به أجد له باباً فلم أجد فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة، (والربيع الجدول) فاحتفرت كما يحتفز الثعلب، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه

¹ الشبكة العنكبوتية، "موقع على بصيرة"، <http://alabasirah.com/node>. بتصريف.

² وخشينا أن يقتطع دوننا: أي يصاب بمكروه من عدو.

وسلم، فقال: "أَبُو هُرَيْرَةَ"؟ فقلت: نعم يا رسول الله قال: "مَا شَأْنُكَ"؟ قلت: كنت بين أظهرنا فقممت فأبطأت علينا فخشينا أن تقطع دوننا ففزعنا فكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفرت كما يحتفز الثعلب¹، وهؤلاء الناس ورائي، فقال: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ" (وأعطاني نعليه) قال: "اذْهَبْ بِنَعْلِي هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ"، فكان أول من لقيت عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة، فقلت: هاتان نعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة، فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لأستي²، فقال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهشت بكاء، وركبني عمر³ فإذا هو على أثري، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ"؟ قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به، فضرب بين ثديي ضربة خررت لأستي، قال ارجع، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَا عُمَرُ مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ مَا فَعَلْتَ"؟ قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: "نَعَمْ" قال: فلا تفعل فإنني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فَخَلِّهِمْ"⁴.

1 فاحتفرت كما يحتفز الثعلب: معناه تضاممت ليسعني المدخل.

2 لأستي: هو اسم من أسماء الدبر.

3 وركبني عمر: فمعناه تبعني ومشى خلفي في الحال بلا مهلة.

4 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على من مات على التوحيد دخل الجنة، (١/٣١).

إن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أهل العلم في كل زمان ومكان بما كشفه الله عز وجل له من أمور غيبية بأن يتواضعوا ولا يستعلوا على طلابهم، فقد بسط النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لأصحابه، يعلمهم ويخرج معهم إلى البساتين، ويفيدهم، وهكذا ينبغي لصاحب العلم أن يهتم بتعليم الناس والخروج لهم بما لديه من الخير لينشره لا كما يفعل بعض ممن ينتسبون إلى أهل العلم، من جعل الناس تقدسهم تقديساً أشبه ما يكون بالتأليه مما يؤدي إلى الطعن بهذا الدين الحنيف بسببهم، وفي الحديث أيضاً أن التلفظ بالشهادتين لا يكفي في الإيمان إذا لم يصاحبه اعتقاد القلب، فقول النبي صلى الله عليه وسلم "مُسْتَيَقِنًا بِهَا قَلْبُهُ" أي أن يكون الإيمان قد لا مس شغاف القلب فإن صدق في ذلك فله الجنة.

البشارة بفضل ماء زمزم

قال أبو ذر رضي الله عنه: خرجنا من قومنا غفار وكانوا يحلون الشهر الحرام، فخرجت أنا وأخي أنيس وأمنا فنزلنا على خال لنا، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا فحسدنا قومه، فقالوا: إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس فجاء خالنا فنثأ¹ علينا الذي قيل له، فقلت: أما ما مضى من معروفك فقد كدرته ولا جماع لك فيما بعد فقربنا صرمتنا² فاحتملنا عليها وتغطى خالنا ثوبه فجعل يبكي،

¹ فنثأ: أي أشاعه وأفشاه.

² صرمتنا: الصرمة هي القطعة من الإبل وتطلق أيضاً على القطعة من الغنم.

فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة فنافر¹ أنيس عن صرمتنا وعن مثلها²، فأتيا الكاهن فخير أنيساً فأتانا أنيس بصرمتنا ومثلها معها، قال: وقد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين قلت: لمن؟ قال: لله، قلت: فأين توجه؟ قال: أتوجه حيث يوجهني ربي أصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقى كأي خفاء³ حتى تعلقني الشمس، فقال أنيس: إن لي حاجة بمكة فاكفني، فانطلق أنيس حتى أتى مكة فراث علي⁴، ثم جاء فقلت: ما صنعت؟ قال: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعر كاهن ساحر، وكان أنيس أحد الشعراء، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقرء الشعر⁵ فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون، قال: قلت: فاكفني حتى أذهب فأنظر، قال: فأتيت مكة فتضعفت⁶ رجلاً منهم، فقلت: أين هذا الذي تدعونه الصابئ⁷؟ فأشار إلي فقال: الصابئ، فمال علي أهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً علي، قال: فارتفعت حين ارتفعت كأني نصب

1 فنافر: قال أبو عبيد وغيره في شرح هذا المنافرة المفاخرة والمحاكمة فيفخر كل واحد من الرجلين على الآخر ثم يتحاكمان إلى رجل ليحكم أيهما خير وأعز نفرًا وكانت هذه المفاخرة في الشعر أيهما أشعر.

2 عن صرمتنا وعن مثلها: معناه تراهن هو وآخر أيهما أفضل وكان الرهن صرمة ذا وصرمة ذاك فأيهما كان أفضل أخذ الصرمتين فتحاكما إلى الكاهن فحكم بأن أنيساً أفضل وهو معنى قوله فخير أنيساً أي جعله الخيار والأفضل.

3 خفاء: هو الكساء وجمعه أخفية ككساء وأكسية.

4 فراث علي: أي أبطاً.

5 أقرء الشعر: أي طرقه وأنواعه.

6 فتضعفت: يعني نظرت إلى أضعفهم فسألته لأن الضعيف مأمون الغائلة دائماً.

7 الصابئ: منصوب على الإغراء أي انظروا وخذوا هذا الصابئ.

أحمر¹، قال: فأتيت زمزم فغسلت عني الدماء وشربت من مائها ولقد لبثت يا ابن أخي ثلاثين بين ليلة ويوم ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني² وما وجدت على كبدي سخفة جوع³، قال: فبينما أهل مكة في ليلة قمراء⁴ إضحيان⁵ إذ ضرب على أسمختهم⁶ فما يطوف بالبيت أحد وامرأتين⁷ منهم تدعوان إسافاً ونائلة، قال: فأتتا علي في طوافهما، فقلت: أنكحا أحدهما الأخرى، قال: فما تناهتا⁸ عن قولهما، قال: فأتتا علي فقلت: هن مثل الخشبة⁹ غير أنني لا أكني، فانطلقتا تولولان¹⁰ وتقولان: لو كان ههنا أحد من أنفارنا¹¹، قال: فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما هابطان قال: "مَا لَكُما"؟ قالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها قال: "مَا قَالَ مَا لَكُما"؟ قالتا: إنه

1 نصب أحمر: يعني من كثرة الدماء التي سالت مني بضر بهم والنصب والنصب الصنم والحجر كانت الجاهلية تنصبه وتذبح عنده فيحمر بالدم وجمعه أنصاب ومنه قوله تعالى وما ذبح على النصب.

2 عكن بطني: جمع عكنة وهو الطي في البطن من السمن معنى تكسرت أي انثنت وانطوت طاقات لحم بطنه.

3 سخفة الجوع: بفتح السين وضمها هي رقة الجوع وضعفه وهزاله.

4 قمراء: أي مقمرة.

5 إضحيان: أي مضيئة منورة يقال ليلة إضحيان وإضحيانة وضحيان ويوم أضحيان.

6 أسمختهم: هكذا هو في جميع النسخ، وهو جمع سماخ، وهو الخرق الذي في الأذن يفضي إلى الرأس يقال سماخ وسماخ والصاد أفصح وأشهر، والمراد بأسمختهم هنا آذانهم أي ناموا.

7 وامرأتين: هكذا هو في معظم النسخ بالياء وفي بعضها وامرأتان بالألف والأول منصوب بفعل محذوف أي ورأيت امرأتين.

8 فما تناهتا: أي ما انتهتا.

9 هن مثل الخشبة: الهن والهنة بتخفيف نونهما، هو كناية عن كل شئ وأكثر ما يستعمل كناية عن الفرج والذكر، فقال لهما أو مثل الخشبة في الفرج وأراد بذلك سب إساف ونائلة وغيظ الكفار بذلك.

10 تولولان: الولولة الدعاء بالويل.

11 أنفارنا: الأنفار جمع نفر أو نفير وهو الذي ينفر عند الاستغاثة.

قالتا: إنه قال لنا كلمة تملأ الفم¹، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استلم الحجر وطاف بالبيت هو وصاحبه ثم صلى فلما قضى صلاته، قال أبو ذر: فكننت أنا أول من حياه بتحية الإسلام، قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فقال: "وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ" ثم قال: "مَنْ أَنْتَ"؟ قال: قلت: من غفار قال: فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته، فقلت في نفسي: كره أن انتميت إلى غفار فذهبت آخذ بيده فقد عني² صاحبه، وكان أعلم به مني ثم رفع رأسه ثم قال: "مَتَى كُنْتَ هَاهُنَا"؟ قال: قلت: قد كنت ههنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم، قال: "فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ"؟ قال: قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما أجد على كبدي سخفة جوع، قال: "إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامٌ طُعِمَ"³، فقال أبو بكر: يارسول الله ائذن لي في طعامه الليلة، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وانطلقت معهما، ففتح أبو بكر باباً فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف وكان ذلك أول طعام أكلته بها، ثم غبرت ما غبرت⁴، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "إِنَّهُ قَدْ وَجَّهَتْ لِي أَرْضٌ⁵ ذَاتُ نَخْلٍ لَا أَرَاهَا⁶ إِلَّا يَثْرِبَ فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ

1 تملأ الفم: أي عظمة لا شيء أقبح منها كالشيء الذي يملأ الشيء ولا يسع غيره وقيل معناه لا

يمكن ذكرها وحكايتها كأنها تسد فم حاكيتها وتملؤه لاستعظامها.

2 فقد عني: أي كفني يقال قدعه وأقدعه إذا كفه ومنعه.

3 طعام طعم: أي تشبع شاربها كما يشبعه الطعام.

4 غبرت ما غبرت: أي بقيت ما بقيت.

5 وجهت لي أرض: أي أريت جهتها.

6 أراها: ضبطوه أراها بضم الهمزة وفتحها.

يَنْفَعُهُمْ بِكَ وَيَأْجُرُكَ فِيهِمْ" فَأَتَيْتُ أَنْيَسًا، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي
قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَقْتُ، قَالَ: مَا بِي رَغْبَةً عَنْ دِينِكَ¹ فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَقْتُ،
فَأْتَيْنَا أَمْنَا فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةً عَنْ دِينِكُمَا فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا²
حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غَفَارًا فَأَسْلَمَ نَصْفَهُمْ وَكَانَ يُؤْمَهُمْ إِيمَاءُ بْنُ رَحْضَةَ الْغَفَارِيِّ وَكَانَ
سَيِّدَهُمْ، وَقَالَ نَصْفَهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا،
فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأَسْلَمَ نَصْفَهُمُ الْبَاقِي، وَجَاءَتْ أَسْلَمُ
فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِخْوَتُنَا نَسَلِمُ عَلَى الَّذِينَ أَسْلَمُوا عَلَيْهِ فَأَسْلَمُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "غَفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا وَأَسْلَمُ سَأَلَهَا اللَّهُ"³.

وفي حديث آخر عن فضل ماء زمزم: عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه
فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ
الشیطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه⁴ ثم أعاده في
مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره⁵) فقالوا: إن محمداً قد قتل
فاستقبلوه وهو منتقع اللون⁶، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في
صدره⁷.

1 ما بي رغبة عن دينكما: أي لا أكرهه بل أدخل فيه.

2 فاحتملنا: يعني حملنا أنفسنا ومتاعنا على إبلنا وسرنا.

3 صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه، (٤/٢٤٧٣).

4 ثم لأمه: جمعه وضم بعضه إلى بعض.

5 ظئره: هي المرضعة ويقال أيضاً لزوجة المرضعة ظئر.

6 منتقع اللون: أي متغير اللون.

7 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم. (١/١٦٢).

ماء زمزم ماء مباركة، وذلك بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيف لا وهي همزة جبريل عليه السلام للسيدة هاجر وإسماعيل عليهما السلام، عندما تركهما نبي الله إبراهيم عليه السلام في واد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم وذلك بأمر من الله سبحانه وتعالى، فبعر زمزم الذي لا يبعد عن الكعبة المشرفة إلا عدة أمتار بسيطة يستمد ماءه من جهتين، أما الجهة الأولى فهي من جهة الكعبة، والثانية من جهة جبل أبي قبيس والصفاء، ومن أوصاف هذا البئر أن الطحالب لا تنمو فيه ولا تعيش، وكذلك الجراثيم والمكروبات، فمأؤه نظيفة لا يعكره شيء من الملوثات، فهي بركة لمن أراد التبرك به، وشفاء لمن كانت نيته الاستشفاء، وطعام لم كان الجوع يعرض بطنه، وسنة لمن أراد الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما طريقة شرب ماء زمزم والاستشفاء به فقد ذكر في رواية عن أحد الصحابة وجاء فيها أن ابن عباس رضي الله عنهما قال لرجل: إذا شربت من زمزم فاستقبل الكعبة واذكر اسم الله وتنفس ثلاثاً وتضع منها فإذا فرغت فاحمد الله عز وجل فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ آيَةَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّهُمْ لَا يَتَضَلَّعُونَ مِنْ زَمْزَمَ). وروى الدارقطني أن عبد الله كان إذا شرب منها قال: اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاء من كل داء¹.

¹ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب الحج، باب ما جاء في زمزم، (١٥/١٨).

البشارة بفضل يوم الجمعة

لقد اختص الله سبحانه وتعالى يوم الجمعة بصلاة الجمعة، وجعلها من أفضل الصلوات، إذا جعل الله سبحانه وتعالى المحافظة على صلاة الجمعة سبباً لتكفير الذنوب والآثام دون الكبائر، وجعل القدوم إلى المسجد باكراً من أعظم الصدقات والمبرات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: "مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ¹ ثُمَّ رَاحَ فَكَانَ قَرَبَ بَدَنَةٍ² وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ³ فَكَانَ قَرَبَ بَقْرَةٍ وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ فَكَانَ قَرَبَ كَبْشًا أَقْرَنَ وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَانَ قَرَبَ دَجَاجَةٍ وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَانَ قَرَبَ بَيْضَةٍ فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ⁴ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ⁵ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ"⁶.

وفي حديث آخر، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ"⁷.

1 غسل الجنابة: أي غسل كغسل الجنابة.

2 قرب بدنة: ذبحها وتصدق بها والبدنة واحدة الإبل ذكراً أم أنثى.

3 الساعة الثانية: المراد بالساعات هنا أوقات ما بين أول النهار إلى الزوال.

4 خرج الإمام: دخل المسجد وصعد المنبر للخطبة.

5 حضرت الملائكة: دخلت المسجد وتركت كتابة من يأتي بعد ذلك فتقوته فضيلة التكبير لا ثواب الجمعة.

6 صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، (١/٨٤١، ٨٨٧، ٣، ٣٩) مع صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال وباب الطيب والسواك يوم الجمعة (٨٥/٢)

7 صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، (٢/٨٥٤، ٨٥٦).

وفي حديث آخر، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "نحن الآخرون¹ السابقون² يوم القيامة بيد³ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم⁴ الذي فرض عليهم فأختلفوا فيه فهدانا الله فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد⁵".

كما أن الله عز وجل قد فضل الجمعة بأفضل لا تعد ولا تحصى كذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلقد فضل النبي صلى الله عليه وسلم هذا اليوم بأفضل عديدة، لما له مكانة في الإسلام عند الله عز وجل، حيث أن فضائل يوم الجمعة تمثلت ببعض الأحاديث المذكورة آنفاً: وقد ذكر الله هذا اليوم في كتابه العزيز فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الجمعة: ٩)، فهذا نداء صريح من الله عز وجل للمسلمين بأن يتركوا كل شيء ويلبوا النداء لصلاة الجمعة، ولقد جاء عن القاضي عياض⁶: إن الأحداث المعدودة في الأحاديث ليست كلها لذكر الفضائل، وإنما إشارة إلى

1 الآخرون: زماناً.

2 السابقون: منزلة وفضلاً.

3 بيد: غير.

4 يومهم: الذي فرض عليهم تعظيمه والاجتماع فيه.

5 صحيح البخاري، كتاب الجمعة، فضل الجمعة، (١/٨٣٦، ٨٥٦، ٣٢٩٨، وانظر ٢٣٦، ٦٦٣) مع صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٢/٨٥٥).

6 القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ = ١٠٨٣ - ١١٤٩ م)، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ولي قضاء سبته، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة، وتوفي بمراكش مسموماً، قيل: سمه يهودي، من تصانيفه "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى - ط" و"الغنية - خ" في ذكر مشيخته، و"ترتيب المدارك، وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك - ط" "أربعة أجزاء وخامس للفهارس، و"شرح صحيح مسلم... من كتاب الأعلام للزركلي (٥/٩٩).

الأمر العظام التي حدثت وستحدث فيه، فأخرج آدم من الجنة ليس فضيلة، في حين نجد أن ابن العربي¹ في شرحه لسنن الترمذي أشار إلى أن ذلك كله من الفضائل، فخرج آدم من الجنة هو سبب لوجود هذا النسل البشري العظيم ووجود الأنبياء والصالحين²، وقيام الساعة الذي هو سبب لتعجيل جزاء الصالحين، وإظهار كرامتهم عند لقاء الله تعالى وهذا يدل على مكانة هذا اليوم عند الله، وعظيم الرحمة التي ينزلها على عباده، فقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ"³، فقد امتن الله سبحانه وتعالى على من مات من أهل الملة يوم الجمعة أو ليلتها بالوقاية من فتنة القبر وهذا من عظيم ما أخبرنا عنه صلى الله عليه وسلم من الأمور الغيبية.

1 (أبو بكر ابن العربي: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الاشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، (٤٦٨ - ٤٥٣ هـ = ١٠٧٦ - ١١٤٨ م)، ورحل إلى المشرق، وبرع في الادب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين.

وصنف كتباً في الحديث والفقه والاصول والتفسير والادب والتاريخ، ولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها، من كتبه (العواصم من القواصم - ط) جزآن، و(عارضه الاحوذى في شرح الترمذي - - ط) و(أحكام القرآن - ط) مجلدان، و(القبس في شرح موطأ ابن أنس - خ) في الرباط (٢٥ جلاوي) و(الناسخ والمنسوخ - خ) في القرويين (الرقم ٨٠ / ٧٢) و(المسالك على موطأ مالك - خ) جزء منه في القرويين، و(الانصاف في مسائل الخلاف) عشرون مجلداً، و(أعيان الأعيان) و(المحصل) في أصول الفقه، و(كتاب المتكلمين)..الأعلام للزركلي (٦/٢٣٠).

2 شرح النووي على مسلم"، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، (٣/١٤١١).

3 الضياء اللامع من صحيح الكتب الستة وصحيح الجامع"، (٢٩/١).

بشائر الرؤية الصالحة في آخر الزمان

الرؤيا الصالحة هي من البشارات الربانية خصوصاً في زمننا في زمن الابتلاءات وخصوصاً إن كان من يراها هم المجاهدون والصالحون، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، فكون رؤيا المؤمن في آخر الزمان لا تكاد تخطئ، أو تكذب، وذلك لأن الناس لضعفهم في زماننا فهم بحاجة إلى تثبيت لذلك فقد أيدهم الله بالرؤيا، فعن محمد بن سيرين¹ أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ² لَمْ تَكُذَّبْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ كُذِبَ³ وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةِ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ وَمَا كَانَ مِنَ النَّبُوءَةِ فَإِنَّهُ لَا يَكْذِبُ"⁴. قال محمد⁴: وأنا أقول هذه⁵، قال: وكان يقال الرؤيا ثلاث، حديث النفس، وتخويف الشيطان وبشرى من الله، فمن رأى شيئاً يكرهه فلا

1 محمد بن سيرين البصري، الأئصاري بالولاء، أبو بكر: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي، من أشراف الكتاب، مولده ووفاته في البصرة. (٣٣ - ١١٠ هـ = ٦٥٣ - ٧٢٩ م)، نشأ بزازا، في أذنه صمم، وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا.

2 اقترب الزمان: انتهت مدته بدنو قيام الساعة.

3 لم تكذ رؤيا المؤمن تكذب: تقع غالباً على الوجه المرئي لا تحتاج إلى التعبير فلا يدخلها الكذب.

4 قال محمد: هو ابن سيرين.

5 هذه: أي المقالة قال العينبي ووقع في شرح ابن بطلال، وأنا أقول هذه الأمة يعني أن رؤيا هذه الأمة صادق كلها صالحها وفاجرها ليكون صدق رؤياهم زجراً لهم وحجة عليهم لدروس أعلام الدين وطموس آثاره بموت العلماء وظهور المنكر.

يقصه على أحد وليقم فليصل، قال: وكان يكره¹ الغل² في النوم وكان يعجبهم القيد، ويقال: القيد ثبات في الدين³ 4.

الرؤيا هي ما يراه الإنسان حال نومه، والنوم آية من آيات الله تبارك وتعالى، وذلك أن الإدراك والشعور يرتفع فيه، مع أن الروح لا تفارق البدن مفارقة تامة، كما هو في الموت، وإنما يبقى لها تعلق بالجسد، لكنه يرتفع معه الإدراك، فهذه الروح لها أحوال، وتنقلات، وتحولات، وأمور غيبية لا ندرکہا، فتنتقل في الملاء الأعلى، وترى أموراً في نومها، قد تكون من الله جل جلاله، وقد يكون ذلك من تلاعب الشيطان، وقد يحصل للإنسان شيء في منامه يراه مما كان يحدث به نفسه، ويشغل به قلبه، كما ذكر محمد بن سيرين في الحديث، فمن هذه الآيات المتصلة بالنوم في هذه الحالة العجيبة، أن الإنسان يرى أموراً يطلعه الله عليها، ويكشف له عن أشياء قد تكون في المستقبل مما يقع له، أو يقع لغيره من الناس، وبما أننا اليوم في زمن غربة وزمن الغربة بالنسبة للمؤمن فإنه بحاجة إلى المبشرات، وإلى ما يثبتته، والوحي قد انقطع، ومن جهة أخرى، فإن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بعده نبي، والأنبياء كانوا يسوسون الأمم التي قبلنا في كل وقت، فلا يخلو وقت من

¹ وكان يكره: قيل القائل هو أبو هريرة، وقيل هو مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما هو ظاهر رواية مسلم، وقيل الحكمة من اختصاص ذلك بآخر الزمان، أن المؤمن في ذلك الوقت يكون غريباً، فيقل أنيس المؤمن ومعينه في ذلك الوقت، فيكرم بالرؤيا الصادقة.

² الغل: الحديد الذي يجعل في العنق، وكرهه لأنه من صفات أهل النار، وقد يفسر بأداة تؤذي أو بالكفر وإذا انضم إليه القيد - وهو الحديد الذي في اليدين - يدل على زيادة المكروه. وأما رؤية القيد وحده فإنه محمود.

³ ثبات في الدين: يمنع الخطايا ويقيد عنها.

⁴ صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب القيد في المنام، (٦/٦٦١٤، ٦٥٨٧) مع صحيح مسلم، كتاب أوائل الرؤيا، (٤/٢٦٦٣). مع شرح المفردات.

نبي، وأما في هذه الأمة فإنه لا يوجد نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا كان آخر الزمان فإن رؤيا المؤمن لا تكاد تخطئ، يقول: لم تكذ رؤيا المؤمن تكذب، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوءَةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ، قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ"¹، وقوله لم يبق من النبوة إلا المبشرات، هذا باعتبار الغالب، يعني لم يبق بعد النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته إلا المبشرات، وهي: الرؤيا، فسميت بالمبشرات باعتبار الغالب، وذلك أن الرؤيا لا تكون دائماً مبشرة، بل قد تكون منذرة، محذرة، منبهة للإنسان على أمر من الأمور، بمعنى أنه ليس فيها تبشير أحياناً، ليس كل رؤيا فيها تبشير، الرؤيا الصحيحة، هي الرؤيا التي من الله سبحانه وتعالى².

ستر الله للعبد في الدنيا والآخرة

الخوف من ساعة الحساب يشترك فيه المؤمن وغير المؤمن، ممن يعتقدون بوجود يوم الحساب، وكل بحسب معتقده، ولكن رحمة الله عز وجل بعباده المؤمنين أنه سبحانه وتعالى لا يحاسبهم أمام الخلائق، وإنما يكون الحساب والسؤال بين العبد وربّه على انفراد، وذلك كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم، فالله عز وجل يستر

¹ سبق تخريجه (٦/٦٥٨٩).

² انظر موقع الدكتور خالد بن عثمان السبت، بعنوان شرح حديثي لأبي هريرة لم يبق من النبوة وحديث إذا اقترب الزمان لم تكذ رؤيا المؤمن، ٢٠١٨/١١/٢٠.

المؤمن في الدنيا ولا يفضحه بالآخرة، فعن صفوان بن محرز المازني¹ قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما أخذ بيده، إذ عرض رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى²؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ³ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيُّ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ⁴، قَالَ: سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ: الْأَشْهَادُ⁵ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ"⁶.

¹ صفوان بن محرز المازني البصري، العابد، أحد الأعلام، حدث عن أبي موسى الأشعري، وعمران بن حصين، وحكيم بن حزام، وابن عمر، روى عنه جامع بن شداد، وبكر المزني، وقتادة وثابت، ومحمد بن واسع، وعاصم الأحول، وعلي بن زيد بن جدعان، وآخرون، قال ابن سعد (١): ثقة، له فضل وورع. من كتاب سير أعلام النبلاء (٥/٢٠٦).

² النجوى: هي التكاليم سرًا والمراد ما يقع بين الله تعالى وبين عبده المؤمن يوم القيامة من إطلاعه على معاصيه سرًا فضلًا منه سبحانه.

³ كنفه: ستره وحفظه.

⁴ هلك: باستحقاقه العذاب على ذنوبه.

⁵ الأشهاد: جمع شاهد وشهيد وهم الرسل والملائكة والمؤمنون من الإنس والجن.

⁶ صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب قول الله تعالى أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ، (٢٣/٩، ٤٤، ٨، ٥٧٢٢، ٧٦.٧)، مع صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، (٤/٢٧٦٨).

هذا الحديث فيه حجة لأهل السنة، أن أهل الذنوب من المؤمنين لا يكفرون بالمعاصي كما زعمت الخوارج¹، وفيه حجة أيضاً على المعتزلة² في مغفرة الذنوب إلا الكبائر، كما دلَّ عليه الحديث الشريف، انظروا إلى الفرق بين المستتر بسيئاته والمجاهر بمعاصيه، ناس مردوا على النفاق يجاهرون بالمعاصي، ويفتحون أمكنتها، ويدعون إليها، ويجاهرون بشتيم أهل الطاعة والإيمان، وانتقاد شريعة الرحمن، والطعن في الأحكام، مجاهرة علانية، مقالات، كلمات، ثم إذا عمل من الفواحش ما عمل صورها، ونشرها، وتحدث بها في المجالس، وفاخر بها، قال عليه الصلاة والسلام: "وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ: الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَيَّ رَبِّيهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ"، فمن ستره الله في الدنيا فكشف ستر الله تعرض لمقته وعذابه، وحرى به أن يكشف الله عنه ستره في الآخرة كما كشف ما ستر الله المسبل عليه في الدنيا، كالمجاهر الذي أظهر معصيته، وكشف ما ستر الله عليه. قال عليه الصلاة والسلام: "كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ"، يحدث أصحابه، يحدث الناس، وينشر في الانترنت ووسائلها حتى لغير الأصحاب، "يَا فُلَانُ

1 الخوارج: هم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين، خرجوا على علي رضي الله عنه حيث اعتقدوا أنه يعرف قتلة عثمان رضي الله عنه، ويقدر عليهم، ولا يقتص منهم لرضاه بقتله أو مواطأته إياهم، يقولون بكفر مرتكب الكبائر.
2 فهم اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، "كتاب أصول وتاريخ الفرق، ١/٢٩٥"

عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ" ¹،
ومن قصد إظهار المعصية والمجاهرة بها كما قال العلماء أغضب ربه فلا يستره، ومن
قصد التستر حياء من ربه، ومن الناس فهو إلى مشيئة الله، فيمكن أن يستره،
وظاهر الحديث أن هناك السؤال إنما هو عن الذنوب التي لم يطلع عليها العباد في
الدنيا لقوله: "سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا"، ويمكن أن يكون عاماً في كل الذنوب
حتى التي اطلع عليها الخلق على أن يكون الستر كناية عن عدم المؤاخذة وفائدة
التقرير في هذا الموقف إبراز فضل الله ورحمته بالمؤمن حيث ستر في الدنيا.

¹ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، (٥/٥٧٢١).

المبحث السادس

تحذيرات النبي صلى الله عليه وسلم من بعض الفتن

مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه

الاقتتال الداخلي بين المسلمين فتنة ما بعدها فتنة، فهي تطل برأسها كالأفعى السامة، يسري سمها في جسد المسلمين، وإن بذور الفتنة تصنع في مصانع اليهود، وتزرع في بلاد المسلمين لتحصد أرواحهم وتوجد بينهم قاتلاً ومقتولاً، والفتنة التي حدثت بين الصحابة رضوان الله تعالى عليه أجمعين، كانت بسبب اجتهاد كل فريق من الفريقين، ولكن إذا ما نظرنا إلى أصل هذه الفتنة لوجدنا أنها مكيدة من مكائد اليهود عندما دخل بعضهم في الإسلام بغية دس السم في الدسم فكانت البداية والتي تضمنها مقتل الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتبعها فتن أدت إلى الاقتتال بين المسلمين والتي نتج عنها مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه.

مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هم مصابيح الهدى التي أضاءت طريق الإسلام وعزت دينهم على الرغم من وقوع بعض الخلافات بينهم والتي كان جل سببها التأويل والاجتهاد ولكن البعض منهم رضي الله عنهم جميعاً كان اجتهاده قد جانب الصواب فلما علموا ذلك استغفروا الله عز وجل، ولقد كان القتال أبغض

شيء إلى قلوبهم، ولكن كان أمر الله قدراً مقدوراً. فعن عكرمة، قال لي ابن عباس ولابنه علي، انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه، فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى¹، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد فقال، كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فينفض التراب عنه ويقول: "وَيْحَ عَمَارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ³ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ" قال: يقول عمار أعوذ بالله من الفتنة⁴.

ويتبين لنا أن طاعة أمير المؤمنين هي سبيل من السبل لدخول الجنة، وأما الخروج عليه فهو سبيل من السبل لدخول النار، إلا إن فعلها بتأويل سائغ فهو معذور. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ثم (إن عماراً تقتله الفئة الباغية) ليس نصاً في أن هذا اللفظ لمعاوية وأصحابه، بل يمكن أنه أريد به تلك العصابة التي حملت عليه حتى قتلتها، وهي طائفة من العسكر، ومن رضي بقتل عمار كان حكمه حكمها، ومن المعلوم أنه كان في المعسكر من لم يرض بقتل عمار: كعبد الله بن عمرو بن العاص وغيره، بل كل الناس كانوا منكرين لقتل عمار، حتى معاوية، وعمرو⁵".

1 احتبى: شد ساقيه وفخذيته إلى ظهره بثوب أو بيديه.

2 ويح: كلمة ترحم تقال لمن وقع في ملة لا يستحقها.

3 الفئة الباغية: الجماعة التي خرجت عن طاعة الإمام العادل.

4 صحيح البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب التعاون في بناء المسجد، (١/٣٤٦، ٢٦٥٧)، وانظر

في صحيح مسلم (١/٢٩١٥).

5 "مجموع الفتاوى" (٣٥/٧٧).

وأخيراً فإن على المجتمعات أن تسعى لفض النزاعات بينها، والعمل على تحقيق السلام والتماسك الاجتماعي، والسعي للإصلاح بين الناس فالمسلم عليه أن يتحمل مسؤولية المجتمع الذي يعيش فيه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

تقي، الأرض أفلاذ أكباؤها

النبى صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم، فكانت العبارة تخرج من فمه الشريف لتعطي تشبيهاً ومعنى لا مثيل له، ولقد أخبرنا النبى صلى الله عليه وسلم بأمر غيبي نراه الآن عين اليقين في زماننا هذا، والذين سماه المصطفى بعبارة (تقي الأرض) كما سنقرأ في الحديث، فالنبى صلى الله عليه وسلم شبه استخراج الذهب والفضة والنفط وباقي الكنوز بالرجل الذي يتقياً، وعندما يرى الناس كثرة النفط والذهب والفضة يزهدون فيه، ويندمون على ما اقترفت أيديهم من الذنوب والآثام في سبيل الحصول على هذا العرض التافه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَازَ كَبِدِهَا¹ أَمْثَالَ الْأُسْطُوانِ² مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ قَالَ فَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ فِي مِثْلِ هَذَا³ قُطِعَتْ

¹ تقيء الأرض أفلاذ كبدها: الأفلاذ جمع فلذ ككتف والفلذ جمع فلذة وهي قطعة من الكبدة مقطوعة طولاً وخص الكبدة لأنها من أطايب الجزور ومعنى الحديث أنها تخرج ما في جوفها من القطع المدفونة فيها.

² أمثال الأسطوان: جمع أسطوانة وهي السارية والعمود وشبهه بالأسطوانة لعظمه.

³ في مثل هذا: أي من أجل هذا وبسببه.

يَدِي وَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ فِي هَذَا قَتَلْتُ وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ فِي هَذَا قَطَعْتُ
رَحْمِي ثُمَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا" ¹.

هذا الحديث من الأحاديث النبوية التي أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما شاهدناه بزماننا وهو خروج النفط من باطن الأرض، هو من كنوز الأرض وأنه في عصرنا الحالي مصدر للثروة في العديد من الدول كدول الخليج العربي، والمداهش والعجيب في النبوءة هو تشبيه خروجه بالقيء وهو تشبيه دقيق جداً، فالإنسان يتقيأ ما أكله من الطعام، والبتروال تكون من النباتات والحيوانات التي كانت تعيش في المحيطات والغابات من ملايين السنين وعندما ماتت هذه الكائنات هبطت أجسادها إلى طبقات الأرض وتحللت وتكون منها النفط والغاز الطبيعي، فكأنما هذه الكائنات بعد موتها طعام أكلته الأرض وهضمته فكونت منه النفط والغاز الطبيعي وبطبيعة الحال فعندما يخرج النفط مرة أخرى من بطن الأرض بعد ملايين السنين فكأنما هي تخرج ما في بطنها من طعام فيكون أدق لفظ يمكن استخدامه هنا هو تقيء الأرض. والأمر العجيب أن الناس اليوم يطلقون لفظ الذهب الأسود على النفط بل ويوضع النفط في براميل أسطوانية الشكل من غير اطلاع منهم على الحديث النبوي الشريف فاستخدموا نفس التشبيه اللغوي الدقيق في وصف النفط فوصفوه كما ذكرت بالذهب الأسود ويوضع في براميل أسطوانية الشكل، وما نراه اليوم من تكالب الأمم علينا في العراق وفي بلاد الشام وخاصة في شمال شرق سوريا إلا من أجل الذهب الأسود. وسيأتي زمان على الناس سيزهدون فيه وبالمال

¹ صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، (٢/١٣).

لكثرة استفاضتهما وذلك في آخر الزمان ويألمون لأنهم ارتكبوا الذنوب والمعاصي في سبيل الحصول على هذا العرض التافه، وبأنه قتل من أجله وقطع الأرحام بل وقطعت يده بسبب هذا المال وبسبب الذهب الأسود ثم يدعه ولا يأخذ منه شيئاً، وهذا مصداقاً للحديث النبوي الشريف

وجوب ملازمة الجماعة والتحذير من تركها

الرجال في تاريخ الإسلام أثناء صفائه ونقائه، في عهد النبوة والخلافة الراشدة، كانوا دعاة هداية للناس كافة، ينشرون الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، يعبدون الله كما يحب الله، ويحسنون إلى خلق الله، يدعون إلى الخير، دعوتهم لتوحيد الله صافية، فسادوا العباد، وفتحوا البلاد. وإن هذا الحديث الذي سيذكر من أعلام النبوة، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أخبر حذيفة رضي الله عنه بأمر مختلف من الغيب، لا يعلمها إلا من أوحى إليه بذلك من أنبيائه الذين هم صفوة خلقه، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر¹ مخافة أن يدركني²، فقلت يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: "نعم"³. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: "نعم وفيه

¹ أسأله عن الشر: أستوضحه عنه.

² مخافة أن يدركني: خوفاً من أن أقع فيه أو أدرك زمنه.

دَخَنٌ¹ . قلت : وما دخنه؟ قال : " قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيٍ تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتَنْكِرُ² .
قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال : " دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا
قَذَفُوهُ فِيهَا " . قلت : يا رسول الله صفهم لنا؟ فقال : " هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ
بِأَلْسِنَتِنَا " . قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال : " تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ³
وَأِمَامَهُمْ⁴ " قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال : " فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ
كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ⁵ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ "6 .

هذا الحديث فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين، وترك
القيام على أئمة الجور، ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم وصف أئمة زمان الشر،
فقال : " دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا؟ " فوصفهم بالجور
والباطل والخلاف لسنته، لأنهم لا يكونون دعاة على أبواب جهنم، إلا وهم على
ضلال، ولم يقل فيهم " تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتَنْكِرُ "، كما قال في الأولين، وأمر مع ذلك
بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ولم يأمر بتفريق كلمتهم وشق عصاهم⁷، وأما
الدعاة الذين على أبواب جهنم من المسلمين، وأئمة الضلالة من هذه الأمة

1 دخن: من الدخان أي ليس خيرا خالصا بل فيه ما يشوبه ويكرهه وقيل الدخن الأمور المكروهة.
2 تعرف منهم وتنكر: أي ترى منهم أشياء موافقة للشرع وأشياء مخالفة له.
3 جماعة المسلمين: عامتهم التي تلتزم بالكتاب والسنة.
4 إمامهم: أميرهم العادل الذي اختاروه ونصبوه عليهم.
5 تعض بأصل شجرة: أي حتى ولو كان الاعتزال بالعض على أصل شجرة والعض هو الأخذ
بالأسنان والشد عليها والمراد المبالغة في الاعتزال.
6 صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، (٢/٣٤١١، ٦٦٧٣)، مع صحيح مسلم،
كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (٣/١٨٤٧).
7 شرح صحيح البخاري لابن بطال، "كتاب الغسل"، (١٠/٣٣).

والمعاصرين منهم فلن أذكرهم إلا بالصفات لا بالأسماء، لأن ذلك قد يثير الفتن، ويورث القلوب العصبية والبغضاء، وقد يرجع هؤلاء إلى الله ويتوبون، لهذا وغيره، وحتى لا تضيع النصيحة من التحذير منهم، سأذكر لكم بعض الصفات أو الأصناف التي وردت بالحديث الشريف وما ثبت عن فقهاء الأمة التي تغني عن ذكر الأسماء، فعندما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لحذيفة عن الدخن فقال: "قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ"، أي انهم يدلون الناس بغير طريقتي، ويتخذون سيرة غير سيرتي، وترى فيهم ما تعرفه أنه من دينه صلى الله عليه وسلم، بل وترى أيضاً ما تنكر أنه دينه، إنهم الأئمة الذين لا يحكمون بكتاب ولا سنة إنما الغاية الملك والرئاسة والإمارة من دعوتهم، وعلى وفق أهوائهم، وإكراههم الناس على ذلك، ويدخل فيهم الدعاة على غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم، ومن لا يعترف بسنته، ولا يسير في دعوته على طريقتة، كالمبتدعة، وخوارج العصر، ونحوهم، فالعلماء الزائغون عن الحق، والمنافقون المجادلون المبتدعون، وأمراء الجور هم الذين يضعفون أركان الإسلام ويعطلونها بأعمالهم. فعندما قال حذيفة: صفهم لنا يا رسول الله قال: "هُمُ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا"، أي من قومنا ومن أهل ملتنا ولساننا أي ممن يتكلمون بالعربية أو يتكلمون بالمواعظ والعبر، أو بما قال الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في قلوبهم شيء من الخير، وقال القاضي: معناه أنهم في الظاهر على ملتنا، وفي

الباطن مخالفون في أمورهم وشؤونهم¹، وهؤلاء لا يرحمون شيخاً كبيراً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة ولا عجوزاً، يحبون أن يتسببوا في سفك الدماء وزهق الأرواح، ويتباكون على خذلان الناس لهم، وعدم نصرتهم إياهم، يثيرون الفتن، ويوقدون نارها، ويتفرجون ويستمتعون بنتائجها، قلوبهم قلوب الشياطين، وأجسادهم أجساد إنس، وهذا ما يهدم الإسلام، ويؤدي إلى الخذلان في الدنيا، وإلى النيران في الآخرة.

وإن الوقاية من ذلك كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم هو الاعتصام بالكتاب والسنة، ولزوم جماعة المسلمين، واعتزال الفتن وأسبابها، والفرق وأهلها، كما أرشد النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة رضي الله تعالى عنه بأن يلزم جماعة المسلمين وطريقتهم وحضور جمعتهم وجماعتهم وأن يلزم إمامهم فإن لم يكن لهم إمام يجتمعون عليه أو جماعة، أو الاثنين معاً، فأشار صلى الله عليه وسلم إلى اعتزال تلك الفرق الضالة كلها، الواقعة على خلاف الحق، من طريق أهل السنة والجماعة، ولو كان الاعتزال بالعض، والتمسك بما يصبرك وتقوى به فإن ذلك هو الخير لك حتى يدركك الموت وأنت على ذلك أي على اعتزالك.

¹ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٢٤/١٦٦).

الخوف من الصلاة الجهرية

لقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأمر مستقبلي، وفي ذلك علم من أعلام النبوة من الإخبار بالشيء قبل وقوعه، ومن الأخبار التي وصلتنا بأحاديث صحيحة، أن فتناً ستكون كموج البحر من حيث الكثرة والتتابع خلف بعضها البعض، ومن هذه الفتن أن يخاف المؤمن الصلاة أمام الناس، وهذا ما يقع الآن في بعض الدول العربية فترى المؤمن لا يصلى إلا في حِلْسِ بيته خوفاً من الأعين أن تراه، وخوفاً من العسس، وهذا مصداقاً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الذي قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أَحْصُوا¹ لِي كَمْ يَلْفِظُ الْإِسْلَامَ²"، قال: فقلنا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال: "إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّكُمْ أَنْ تَبْتَلُوا قَالَ فَاَبْتَلِينَا حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا لَا يُصَلِّي إِلَّا سِرًّا"³.

النبي صلى الله عليه وسلم نبه أصحابه ليأخذوا حذرهم، وأخبرهم بما خافه شفقة عليهم، وفيه إشارة إلى ما وقع في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه من ولاية بعض أمراء الكوفة كالوليد بن عقبة، حيث كان يؤخر الصلاة أو لا يقيمها على وجهها،

¹ أحصوا: معناه عدوا.

² يلفظ الإسلام: الإسلام مفعول يلفظ بإسقاط حرف الجر أي يلفظ بالإسلام ومعناه كم عدد من يتلفظ بكلمة الإسلام وكم هنا تفسيرية ومفسرها محذوف وتقديره كم شخصاً يلفظ بالإسلام.

³ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإستسرار بالإيمان للخائف، (١/١٤٩).

وكان بعض الورعين يصلي وحده سرّاً ثم يصلي معه خشية من وقوع الفتنة، وقيل: كان ذلك حين أتم عثمان رضي الله عنه الصلاة في السفر وكان بعضهم يقصر سرّاً وحده خشية الإنكار عليه، ووهم من قال أن ذلك كان أيام قتل عثمان رضي الله عنه لأن حذيفة رضي الله عنه لم يحضر ذلك" ¹.

ولقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من الإغترار بالكثرة فإنه لا يعلم الإنسان ما سيكون، فالكثرة لا تعتبر من الأسباب الرئيسية للنصر فلقد خاطب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم في قرآنه الكريم فقال: (كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ) (البقرة: ٢٤٩) وقال أيضاً: (وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) (الأنفال: ١٩)، والعجب أن القرن الأول عملوا وخافوا، ثم إن أهل هذا الزمان آمنوا مع التقصير واطمأنوا، أتراهم عرفوا من كرم الله تعالى ما لم يعرفه الأنبياء والصالحون، ولو كان هذا الأمر يدرك بالمنى، فلم تعب أولئك وكثر بكأؤهم.

التحذير من فعل الشيطان بالنائم

الشيطان هو العدو الرئيسي لبني آدم، وقد أعلنها إبليس اللعين منذ أن خلق الله عز وجل آدم عليه السلام فقال تعالى وهو يصف يهديد إبليس لبني آدم عليه السلام فقال تعالى: (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) (الأعراف: ١٦) يشكل

¹ "فتح الباري لابن حجر"، كتاب الجهاد والسير، باب كتابة الإمام الناس، (٩/٢٨٣٢).

عالم الشياطين العدو الخفي والأشد ضراوة على بني آدم، فهو لا يفتأ يفسد أخلاق بني آدم وعقائدهم، ويورث بينهم العداوة والبغضاء، وأوضح الله طرائق إضلالهم وإغوائهم في بيان جلي أقام به الحجة على الخلق، وأزال به كل عذر لمعتذر، فمن تلك الآيات قوله تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (فاطر: ٦)، وهذا إعلان صريح بعداوة الشيطان لبني آدم عداوة لا هوادة فيها ولا مجاملة، ومن الأمور التي يقوم بها الشيطان ضد الإنسان المؤمن أن يعقد على ناصيته وهو نائم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يَعْقِدُ¹ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ² رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ³ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدُ⁴ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ⁵ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ⁶ كَسَلَانَ⁷".

إذا نظرنا إلى هذا الحديث لعلمنا من سياقه أن الشيطان قد علم أن قافية الإنسان هي المسؤولة عن مركز التحكم في اليقظة والنوم، ولذلك فإنه يعقد على مؤخرة رأس النائم ثلاثة عقد، ثم يضرب عليها ليبقى الإنسان نائماً، ليصده عن قيام

1 يعقد: يربط فيثقل عليه النوم.

2 قافية: مؤخرة العنق أو القفا.

3 يضرب كل عقدة: يحكم عقدة ويؤكد.

4 فارقد: فتم ولا تعجل بالقيام.

5 طيب النفس: مرتاح النفس لما وفقه الله تعالى إليه من القيام.

6 خبيث النفس: مكثباً يولم نفسه على تقصيره في ترك الخير والقيام في الليل.

7 صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب عقدة الشيطان على قافية الرأس، (١/١٠٩١، ٣/٩٦)، مع صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، (١/٧٧٦).

الليل وصلاة الفجر وذلك بإنزال النعاس عليه، فيستيقظ بعدها خبيث النفس كسولاً، أما إن استيقظ وذكر الله وتوضأ وصلى ركعات من قيام الليل، فإن هذه العقد تحل بإذن الله، ولقد أثبت العلماء في زماننا أن مركز التحكم واليقظة والنوم هو في الناصية، وهذا مصداقاً للحديث الشريف، ودليل واضح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مؤيداً من الله بالوحي، لقد أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث الشريف إلى علاج فعال لحل هذه العقد، منها ذكر الله سبحانه وتعالى عند الاستيقاظ وأن يتوضأ لتتحل العقدة الثانية، وأخيراً الصلاة فإذا ما فعل العبد هذه الأمور بعد الاستيقاظ مباشرة أصبح نشيطاً طيب النفس لسروره بما وفقه الله الكريم له من الطاعة، ووعده به من ثوابه مع ما يبارك له في نفسه، مع ما زال من عقد الشيطان وتثبيطه، فإذا ما أخذ الإنسان هذا العلاج الناجع فإنه لا يصبح خبيث النفس كسلان.

التحذير من وساوس الشيطان

لما عصى إبليس أمر ربه تعالى، حكم عليه بالطرد والإبعاد عن رحمته ودخول جنته، إلا أنه طلب من ربه الإنظار إلى يوم القيامة، ونصب لآدم وذريته العداوة، وأخذ على نفسه العهد بأن يصرف بني آدم عن ذكر الله تعالى وشكره مهما قدر واستطاع، وأن يأتيهم من كل جانب وجهة، لجلبهم إلى صفه، قال تعالى: (ثُمَّ لَا يَأْتِيهِمْ مِنَ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (الأعراف: ١٧)، ولذا حذر الله تعالى آدم وذريته من وسوسته، وأخبرهم أنه لهم

عدو مبين، قال تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (فاطر: ٦)، ومن العجيب أن أسلحة الشيطان في ذلك لا تخرج عن التأثير النفسي، وهو ما سماه الله بـ "الوسوسة" وهي حديث النفس والكلام الخفي الذي لا يسمع، فالشيطان يوسوس في صدور الناس ويأمرهم بالمنكر وينهاهم عن المعروف، وقد مكّنه الله من مخاطبة النفس والإيحاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ" 1.

وفي رواية أخرى: عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَأْتِي الشَّيْطَانَ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ، مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا حَتَّى يَقُولَ لَهُ مَنْ خَلَقَ رَبِّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَه" 3.

وفي رواية أخرى: وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ 4 حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النَّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا تُوبَ 5 بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ حَتَّى إِذَا قَضَى التَّوْبَةَ أَقْبَلَ

1 فليقل آمنتم بالله: معناه الإعراض عن هذا الخاطر الباطل الذي تعالى في إذهابه.

2 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها (١/١٣٤).

3 مرجع سابق.

4 وله ضراط: تمثيل لشدة خوفه عند إداره أو يكون ذلك حقيقة لشدة خوفه أيضاً.

5 توب: أقم للصلاة وهو المراد هنا.

حَتَّى يَخْطُرَ¹ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ أَذْكَرُ كَذَا أَذْكَرُ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكَرُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى "2.

أشار النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه إلى أمر في غاية الأهمية، ألا وهو أن لا يسأل الإنسان عما لا يعنيه، وأن هذا الفعل مذموم شرعاً، لأن شياطين الإنس والجن لم يزلوا ولن يزلوا يوردون الكثير من الشبه على أهل الإسلام وغيرهم، للتشكيك في الحق، وإخراج المسلم من النور إلى الظلمات، وتثبيت الكافر على عقيدته الباطلة، وما ذاك إلا لما سبق في علم الله وقدره السابق من جعل هذه الدار دار ابتلاء وامتحان وصراع، حتى يتبين الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق، فيبتلي الله سبحانه وتعالى مدعي الإيمان بشيء من الفتن، ليتبين صدقه في إيمانه وعدمه، فالشياطين يوحون إلى أوليائهم من أنواع الشبه وزخرف القول ما يغرونهم به، ليجادلوا به أهل الحق، ويشبهوا به على أهل الإيمان، وليشككوا الناس في الحق، ويصدوهم عن الهدى، لكن من رحمته سبحانه وتعالى أن قيض لهؤلاء الشياطين وأوليائهم من يكشف باطلهم وزيغهم ووساوسهم، وإن استنكار العبد لهذه الوسوس ومحاربتها لها هو صريح الإيمان، لأن إيمانه الصادق بالله، وبكمال أسمائه وصفاته، وأنه لا شبيه له ولا ند له، وأنه الخلاق العليم الحكيم الخبير، يقتضي منه إنكار هذه الشكوك والوساوس ومحاربتها واعتقاد بطلانها، وأما الكافر فإنه يأتيه من حيث شاء ولا يقتصر في حقه على الوسوسة بل يتلاعب به كيف أراد، وعلى

¹ يخطر: يوسوس ويشغل المصلي عما هو فيه

² صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التأذين، (١/٥٨٣، ١١٦٤، ١١٧٤، ١١٧٥، ٣١١١) مع صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، (١/٣٨٩).

من وجد شيئاً من هذه الوسواس أو ألقى إليه شيء منها أن يستعظمها وينكرها من أعماق قلبه إنكاراً شديداً، وأن يعلم أن كنه ذاته وكيفيتها وكيفية صفاته سبحانه وتعالى من الأمور الغيبية التي لم يطلعنا عليه، فالواجب علينا فيه الإيمان والتسليم وعدم الخوض في ذلك وأن يقول: آمنت بالله، وليستعد بالله من الشيطان الرجيم وأن ينتهي عنها وي طرحها، كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك في الأحاديث السابقة، فأحسن علاج للقضاء على ذلك والسلامة منه هو امتثال ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم والتمسك به والتعويل عليه وعدم الخوض في ذلك، فالاستعاذة بالله سبحانه واللجوء إليه وعدم الخوض فيما أحدثه الموسوسون وأرباب الكلام الباطل من الفلاسفة ومن سلك سبيلهم، هو طريق السلامة والنجاة والعافية من مكائد شياطين الإنس والجن، كما ويعرض الشيطان له في وضوئه وصلاته فلا يدري كم توضع ولا كم صلى، أو أنه طلق وهو لم يطلق، أو حلف وهو لم يحلف، ونحو ذلك فهذه وسواس مصدرها من الشيطان وإلقائه الخفي في نفس الإنسان، وهي تختلف باختلاف الشخص ومدافعتة وتكرارها عليه، ومدى استسلامه لها من عدمه، ويظل العبد معها أحياناً في نزاع ومحاربة، بحسب قوة اعتماده على ربه ومن ثم اجتهاده، فإن استعاذ العبد من الشيطان وانتهى عن التفكير بها تغلب عليه، وإن استجاب له العبد وكان ضعيفاً شدد عليه الشيطان وأكثر من وسواسه وتمكن منه حتى يشككه في دينه وربيه ونبيه ويهجم على قلبه ويضعف عزيمته، ولهذا كان الشيطان يخنس عند ذكر الله ويوسوس عند الغفلة عن ذكر الله ولهذا سمي الوسواس الخناس فإنه جاثم على فؤاد ابن آدم فإن ذكر الله خنس، فقال

تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) (الناس: ١-٦).¹

التحذير من مكائد الشيطان وتخريره للعلاقة بين الزوجين

إفساد العلاقة الزوجية وخراب العلاقة الأسرية هي من أهم مهمات الشياطين، وإن فساد العلاقة الزوجية هو فساد لعلاقات أخرى فغالباً ما يكون ذلك الفساد سبباً للخلاف والشحناء والتهاجر بين أقارب الزوج وأقارب الزوجة فتكبر الهوة الخلافية وتنقطع العلاقات وهذا يلقي بظلاله على العلاقات العامة بين المسلمين فيضعف ترابطهم، ولقربن الإنسان من الجن دور في إفساد العلاقة بين الزوجين، فعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلاً، قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع فقال: "مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ أُغْرَتِ؟" فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَقْدُ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ؟" قالت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: "نَعَمْ" قلت: ومع كل إنسان؟ قال: "نَعَمْ"، قلت: ومعك؟ يا رسول الله قال: "نَعَمْ وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ"²، فلكل إنسان قرين كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ

¹ "مجموع فتاوى ومقالات متنوعة" عبد العزيز بن عبد الله بن باز، تحقيق: محمد بن سعد، ١/٥٧، دار القاسم للنشر، الرياض.

² مرجع سابق.

إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ" ، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: "وَأَيَّيَ إِلَّا أَنْ
اللَّهِ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ¹ فَلَا يَأْمُرَنِي إِلَّا بِخَيْرٍ"².

هذا وإن لإبليس اللعين شياطين مقربون إذا ما فتنوا الأزواج وجعلوا الطلاق حلهم،
فمن الأعمش³ عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: "إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ
مَنْزِلَةً أَعْظَمَهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ
شَيْئًا قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكَتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ قَالَ
فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ نَعَمْ أَنْتَ"⁴ قال الأعمش أراه قال فيلتزمه⁵.

وفي رواية أخرى: "إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ"⁶.

¹ فأسلم: برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع قال معناه أسلم أنا من شره
وفتنته، ومن فتح قال إن القرين أسلم من الإسلام وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير، واختلفوا في
الأرجح منهما، فقال الخطابي الصحيح المختار الرفع، ورجح القاضي عياض الفتح وهو المختار
لقوله صلى الله عليه وسلم "فلا يأمرني إلا بخير" واختلفوا على رواية الفتح، قيل أسلم بمعنى
استسلم وانقاد، وقد جاء هكذا في غير صحيح مسلم فاستسلم، وقيل معناه صار مسلماً مؤمناً،
وهذا هو الظاهر. (قال القاضي، وأعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم
من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه).

² مرجع سابق.

³ "سليمان الاعمش"، سليمان بن مهران الاسدي بالولاء، أبو محمد، الملقب بالاعمش، (٦١ -
١٤٨ هـ = ٦٨١ - ٧٦٥ م): تابعي، مشهور، أصله من بلاد الري، ومنشأه ووفاته في الكوفة، كان
علماً بالقرآن والحديث والفرائض، يروي نحو ١٣٠٠ حديث، قال الذهبي: كان رأساً في العلم،
النافع والعمل الصالح. (الأعلام للزركلي، (٣/١٣٥).

⁴ صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه،
(٤/٢٨١٣).

⁵ فيلتزمه: أي يضمه إلى نفسه ويعانقه.

⁶ إن عرش إبليس على البحر: العرش هو سرير الملك ومعناه أن مركزه البحر ومنه يبعث سراياه
في نواحي الأرض.

هذه الأحاديث العظيمة هي من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم حيث أخبر عن الغيب بما أوحاه الله إليه وفيه توجيه للمسلمين بأن يحترسوا من كيد عدوهم وأنه لا يفتأ يترصد لهم وينصب لهم مكائده، ولقد تأمل الباحث في هذه الأحاديث التي تتحدث عن الجن فعلم أن لكل إنسان قرين، وهو شيطان خاص به والذي يحاول بشتى الطرق أن يقوم بإبعاده عن طاعة الله وعن عبادته وتسلبه عليه بالوسوسة والإنذار بالعذاب، وللرجل قرين كما أن للمرأة أيضاً قرين كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في حديث من الأحاديث السابقة، ولكن إذا كان المؤمن ذو قلب سليم وإرادة قوية فإنه يقوى على قرينه كما قال تعالى: (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأعراف: ٢٠٠)، وكل إنسان لديه قرين من الملائكة وقرين من الشياطين لقوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لُمَّةً بَابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لُمَّةً، فَأَمَّا لُمَّةُ الشَّيْطَانِ فإِبْعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالحَقِّ، وَأَمَّا لُمَّةُ الْمَلَكِ فإِبْعَادُ بِالخَيْرِ وَتَصْديقُ بِالحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثُمَّ قَرَأْ (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ) 1"، ولكن المؤمن المخلص بعبادته لله سبحانه وتعالى والمتمسك بكتابه وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يجذبه الشيطان لطريقه ولا يوجد للشيطان سلطان عليه كما قال الله في كتابه العزيز: (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ) (الحجر: ٤٠)، وإن من أهم الأمور التي

1 "سنن الترمذي"، كتاب تفسير القرآن، باب سورة البقرة، (٥/٢٩٨٨).

يسعى الشيطان لتنفيذها على ابن آدم، هي التفريق بين الزوجين لأن الشيطان عندما يزرع الفتنة بين الزوجين فإنه يهدم المجتمع بكاملة وذلك بحدوث الطلاق بين الزوجين لأن بقاء الزوج بلا زوجة وبقاء الزوجة بلا زوج مدعاة لتعرضهم للفتنة فيسهل على الشيطان أن يوقعهم في الزنا ولو بالنظرة المحرمة، وكون عرش إبليس اللعين على الماء ففيه الرد على من قال: بأن مثلث برمودا هو مقر عرش الشيطان وليس ذلك بصحيح لكون الشيطان يضع عرشه على الماء فعرشه غير مستقر في مكان واحد وليس هو دائم في مكان واحد بينما مثلث برمودا خطره دائم ومتواصل وأنه يستخدم كل وسيلة لحصول ذلك فعلى الزوجين أن يكونا على حذر من تلبية رغبة الشيطان وإسعاده بهذا المبتغى، فإذا ما نجح الشيطان في مبتغاه فإن إبليس الذي جعل عرشه على الماء وهو استدراج من الله له ليغتر بأن له عرشاً كعرش الرحمن كما في قوله تعالى: (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) (هود: ٧)، فإن إبليس يلتزم ذلك الشيطان الذي استطاع أن يفرق بين المرء وزوجه فيعانقه ويضمه إلى نفسه من غاية حبه التفريق بين الزوجين، وذلك لأن النكاح عقد شرعي يستحل به الزوج، وهو يريد حل ما عقده الشرع، ليستبيح ما حرمه فيكثر الزنا وأولاد الزنا، فيفسدوا في الأرض، ويهتكوا حدود الشرع، ويتعدوا حدود الله تعالى، وإننا نرى المحاكم اليوم عامرة بدعاوى الطلاق مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا بعلمه الذي علمه الله بعدم الانصياع والانقياد لحبائل الشيطان¹.

¹ انظر مقالة على الشبكة العنكبوتية من صفحة "نعم نحن السلف"، تاريخ ١٣/١١/٢٠١٧.

حديث النبي صلى الله عليه وسلم مع الجن والتخدير منضم

التكليف بالعبادة لم يقتصر على الإنسان فقط، بل جعل الله عز وجل التكليف مشترك بين الجن والإنس فقال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦) فالجن مكلفون كالإنسان، ولقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الخلق ماعدا الملائكة، وقد استمعت الجن القرآن وولوا إلى قومهم منذرين لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه ببطن نخلة لما رجع من الطائف وأخبره الله بذلك في القرآن بقوله: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ* قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ* يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّن عَذَابٍ أَلِيمٍ* وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الأحقاف: ٢٩ - ٣٢) . فآمنوا به صلى الله عليه وسلم، ولقد سأل علقمة رضي الله عنه: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود، فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن؟ قال: لا ولكننا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب¹، فقلنا: استطير أو

¹ الأودية والشعاب: الأودية جمع الوادي، وهو كل منفرج بين جبال يكون منفذاً للسيل، والشعاب جمع شعب بالكسر، وهو الطريق وقيل الطريق في الجبل.

اغتيال¹ قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال: "أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبَتْ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ" قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال: "لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ فَرَمَ مَا يَكُونُ لِحِمًّا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ"، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامٌ إِخْوَانِكُمْ"².

ولقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من الجن ومن خطرهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ عِفْرِيَّتًا مِنَ الْجِنِّ تَقَلَّتْ³ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، فَأَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: (رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِإِخْدِمٍ مِنْ بَعْدِي) قَالَ رُوحٌ فَرَدَّهُ خَاسئًا"⁴ 5.

وفي حديث آخر: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعناه يقول: "أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ثُمَّ قَالَ أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ ثَلَاثًا"، وبسط

1 اغتيال أو اغتيل: معنى استطير طارت به الجن ومعنى اغتيل قتل سرًا والغيلة بالكسر هي القتل خفية.

2 صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، (٤٥/٨).

3 تقلت: عرض لي فلتة أي بغتة في سرعة.

4 خاسئًا: مطرودًا ذليلًا.

5 صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد، (١/٤٤٩)، ١١٥٢، ٣١١، ٣٢٤١، ٤٥٣، "مع صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة (٥٤١/٨).

يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، قال: "إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِ فَقُلْتُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قُلْتُ أَلْعَنَكَ بِالْعَنَةِ اللَّهُ التَّامَّةِ فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ وَاللَّهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لِأَصْبَحَ مُوثِقًا يَلْعَبُ بِهِ وَلِدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ"¹.

والذي يميز العدو الإنسي عن العدو الجنى الخبيث، هو القلب، وليس المقصود بالقلب تلك العضلة الواقعة تحت الرئة اليسرى والتي تضخ الدم إلى جميع أنحاء الجسم، لا أبداً، إنما المقصود بالقلب هنا هو مركز العاطفة والمشاعر، فالإنسان إذا كان عدواً للإنسان آخر، فإن هذه العداوة تتأثر بالكلمة الطيبة، والمدارة، وربما تنتهي إلى الصفاء بين القلوب والأرواح، أما عند العدو الجنى الخبيث فلا تتأثر عداوته مهما حدث مع قرينه من إحسان ومعاملة، فهدفه الرئيسي في هذه الحياة، هو هلاك آدم وذريته، وذلك لشدة عداوته لأبينا آدم عليه السلام من قبل والآن وحتى الممات، قال الله تعالى: (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَنَا عَلَيْنِ لِئِن أَخَّرْتَنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَانْحَبْتَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء: ٦٢)، وهذا وإن جمهور العلماء يقولون بأن كفار الجن يدخلون النار بالنص والإجماع، وأما مؤمنوهم فجمهور العلماء على أنهم يدخلون الجنة، وجمهور العلماء على أن الرسل من الإنس ولم يبعث من الجن رسول، لكن منهم النذير، وهذه المسائل لبسطها موضع آخر.

¹ صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه، (١/٥٤٢).

تحذير النبي صلى الله عليه وسلم للأمة بعدم القنوط واستتعال النصر

يخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث الشريف عن أمور غيبية عنا حدثت في الماضي ليعطينا جرعة هائلة إيمانية من الصبر وقوة التحمل على البلاء والمصائب والحن التي تمر بنا في هذا الزمان من قتل وتدمير وخطف وتعذيب وأن لا نستعجل الشيء قبل أوانه فكل شيء عنده بمقدار، فعن خباب بن الأرت¹ رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال: "كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيَجْعَلُ فِيهِ فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيَمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتَمَنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ"².

¹ خباب بن الارت بن جندلة بن سعد التميمي، أبو يحيى أو أبو عبد الله: (ت ٣٧ هـ = ٦٥٧ م) صحابي، من السابقين، قيل أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه، كان في الجاهلية قينا يعمل السيوف، بمكة، ولما أسلم استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه، فصبر، إلى أن كانت الهجرة، ثم شهد المشاهد كلها، ونزل الكوفة فمات فيها وهو ابن ٧٣ سنة، ولما رجع علي من صفين مر بقبره، فقال: رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا، روى له البخاري ومسلم وغيرهما ٣٢.

² صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٣/٣٤١٦)

هذا الحديث النبوي الشريف ليس فقط للصحابة رضي الله عنهم، بل لأمة النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، وسبب الحديث أن الإسلام كاد أن يستأصل من جذوره في ساعات حتى أن أحد المنافقين المندسين في صفوف الصحابة كان يقول: أيعدنا صاحبكم أن تفتح علينا بلاد قيصر وكسرى وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته، قال ذلك عندما كان الصحابة يحفرون الخندق بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم فعرضت لهم صخرة كبيرة، كما يقول بعض أصحاب رسول الله في مكان من الخندق، لا تأخذ فيها المعاول، فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، عشرة آلاف جندي مدججون بالسلح، جاؤوا ليستأصلوا الإسلام، وحاصروا المدينة، وفيما يروي المؤرخون أنه ما اجتمع جيش في الجزيرة كهذا الجيش، وما هي إلا قضية ساعات، وينتهي أمر الإسلام والمسلمين فاستعصت صخرة على معاول المسلمين فاستعانوا برسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق، عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وضرب وقال: "تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" فنذر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله صلى الله عليه وسلم برقة ثم ضرب الثانية وقال: "تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" فنذر الثلث الآخر فبرق برقة يراها سلمان ثم ضرب الثالثة وقال: "تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" فنذر الثلث

الباقى وبرق برقة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ رداءه وجلس قال سلمان: يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَا سَلْمَانَ رَأَيْتَ ذَلِكَ" قال: إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله قال: "فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الْأُولَى رُفِعَتْ لِي مَدَائِنٌ كَسَرَى وَمَا حَوْلَهَا وَمَدَائِنٌ كَثِيرَةٌ حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنِي" فقال له من حضره من أصحابه: يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ويخرب بأيدينا بلادهم قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك "ثُمَّ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الثَّانِيَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنٌ قِيَصَرَ وَمَا حَوْلَهَا حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنِي" قال: يا رسول الله ادع الله يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثُمَّ ضَرَبْتُ الثَّلَاثَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنٌ الْحَبْشَةَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنِي" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك "دَعُوا الْحَبْشَةَ مَا وَدَّعُوكُمْ وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ"¹.

معنى ذلك أن النبي كان متفائلاً جداً واثقاً بوعد الله، لكن وعد الله لا يحقق في ساعات أو أشهر فهذا ليس من اختصاصنا، لذلك ينبغي ألا يتسرب اليأس إلى قلب المؤمن الصادق، ينبغي أن يؤمن أن الله لا يتخلى عن المؤمنين لكنه يؤدبهم، إما أن يصطلحوا ويتوبوا ويقبلوا عن معاصيهم وتقصيرهم، وإما فالنتيجة معروفة، ولقد علمنا النبي عليه الصلاة والسلام من خلال سنته المطهرة دروساً بليغة في أن

¹ "سنن النسائي الكبرى"، كتاب الجهاد، باب غزوة الترك والحشبة، (٣/٤٣٨٥).

نأخذ بالاعتبار البعد الزمني، وأن لكل شيء أوأنا فمن تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، وسبب غياب البعد الزمني والعجلة التي نلاحظها عند الناس، ولاسيما بعد هذه الأحداث التي عشناها بل ومازلنا نعيشها، هو ضغط الواقع الشديد، الواقع له ضغط شديد، وهذا الضغط قد يفقد التوازن، ويعمي البصيرة، ويدفع لمواقف غير معقولة وغير مدروسة، هذا من ضغط الواقع، الواقع المؤلم الذي نعيشه، الذي يسحق المسلمين ويقض مضاجعهم ليس وليد ساعة أو ساعتين، ولا شهر أو شهرين، ولا سنة أو سنتين، بل وليد قرن أو قرنين، الوضع الذي نعيشه وليد مئات السنين، وليس من المقبول والمعقول أن يصحح في يومين لابد من نفس طويل وعمل دؤوب، وتخطيط بعيد لهذه الأمة المحمدية¹.

التحذير من الدنيا وقتنها

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلواته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: "إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ²، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي لَأُنْظَرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا"³.

1 انظر خطبة للشيخ محمد راتب النابلسي، رقم ٨٣٤، بعنوان التفاضل، تاريخ ٢٠٠٢/٥/٢.

2 فرط لكم: سابقكم لأهبيء لكم طيب المنزل والمقام

3 صحيح البخاري ن كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، ١/١٢٧٩، ٣٤٠١، ٣٨١٦، ٣٨٥٧، ٦٠٦٢، ٦٢١٨) مع صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم، (٤/٢٢٩٦)

وفي رواية أخرى: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات فقال: "إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أُيْلَةَ¹ إِلَى الْجَحْفَةَ² إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"³، قال عقبة: فكانت آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر.

هذا الحديث كغيره من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخبرنا فيه عن المستقبل، فهذا الحديث علم من أعلام النبوة، نبوة النبي صلى الله عليه وسلم في إخباره أصحابه بما يفتح الله عليهم، يقول: "أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا"، أي أخشى عليكم الغنى ومعناه سيأتي غنى، وقد أتى الغنى، لما فتحت الفتوحات وجيء بكنوز كسرى وقيصر إلى الصحابة، وقطعت بعض السجاجيد التي كانت عند كسرى في إيوانه، وعند أمراءه في دواوينهم وقصورهم، القطعة الواحدة كانت تباع بآلاف، وأتى بفضة الروم، وذهب الفرس إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فتحت الدنيا فعلاً، فتحت الدنيا على الصحابة في الفتوحات، وحدث ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من الغنى الذي جاءهم، ولكنهم رضوان الله عليهم كانوا قد

1 أيلة: هي مدينة معروفة في طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ودمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشر مرحلة وبينها وبين دمشق نحو ثنتي عشرة مرحلة وبينها وبين مصر نحو ثمان مراحل قال الحازمي قيل هي آخر الحجاز وأول الشام.
2 الجحفة: هي بنحو سبع مراحل من المدينة بينها وبين مكة.
3 صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الحوض، (٥/٢٤٠٦)، مع صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، (٤/١٧٩٥ - ٢٢٩٠ - ٢٢٩١)

وعوا الدرس، فلم يتنافسوا فيها، ولم يتقاطعا فيما بينهم، ولكن أنفقوها في سبيل الله، ولكن بعد وقع المحذور فيما بعد ذلك، وليس قصد الرسول صلى الله عليه وسلم من الخشية من الدنيا، انصراف أمته عن كسب المال من وجوهه الشرعية، وصرفه في أبوابه الشرعية، فهو يعلم صلى الله عليه وسلم ما للمال من خطر في قوة الإسلام والمسلمين، وغير ذلك من أعمال البر والخير، فهذا عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما أرباب المال والغنى نصروا الدعوة بأموالهم ووعدوا وبشروا بالجنة أثر هذا الإنفاق، فقصدته صلى الله عليه وسلم كما مضى ما يترتب عليه من الطغيان والتنافس المؤدي إلى الهلاك، وقد وقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، فقد فتحت الدنيا وبسطت، وحصل التحاسد والتقاتل، وما هو معروف مما يشهد بمصداق خبره صلى الله عليه وسلم، فأى فصاحة وأي بلاغة وأي حكم هذه التي نطق بها رسول الله، فهو يخاف على أمته من حصول الفتنة بينهم بسبب كثرة المال، فيتنافسوا في هذه الدنيا، وقد رأينا ما يفعله المال في النفوس والأشخاص ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المبحث السابع مقادير الخلق

لقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور غيبية تتعلق بالحق جل جلاله، وهي كيف أن الله عز وجل قد قدر الأشياء قبل أن يخلقها، كذلك كتبها في اللوح المحفوظ قبل خلقها، يقول الله سبحانه وتعالى: (لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (الحديد: ٢٣).

تقدير الله للمقادير والآجال

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ¹ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ²"³.

وفي حديث آخر: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قالت أم حبيبة: اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّكَ سَأَلْتِ اللَّهَ لِأَجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَأَنْتَارِ"

¹ كتب الله مقادير الخلائق: قال العلماء المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير فإن ذلك أزلي لا أول له.

² وعرشه على الماء: أي قبل خلق السماوات والأرض.

³ صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (٤/٢٦٥٢).

مَوْطُوءَةً وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَا يُعَجَّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حَلِّهِ¹ وَلَا يُؤَخَّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حَلِّهِ وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهُ أَنْ يُعَافِيكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ" ، قال : فقال رجل : يا رسول الله القردة والخنازير² هي مما مسخ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا أَوْ يُعَذِّبْ قَوْمًا فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلًا وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ"³ .

إن الإيمان بالقدر على أربع مراتب :

المرتبة الأولى الإيمان بعلم الله عز وجل : المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار علم دق ذلك وجليله، وكثيره وقليله، وظاهره وباطنه، وسره وعلانيته، ومبدأه ومنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير، عالم الغيب والشهادة علام الغيوب، كما قال تعالى : (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا

¹ حله: ضبطناه بوجهين، وهما لغتان ومعناه وجوبه وحيثه، يقال حل الأجل يحل حلا وحلا وهذا الحديث صريح في أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تتغير عما قدره الله تعالى وعلمه في الأزل فيستحيل زيادتها ونقصها حقيقة عن ذلك.

² ان القردة والخنازير كانوا قبل ذلك: أي قبل مسخ بني إسرائيل فدل ذلك على أنها ليست من المسخ.

³ صحيح مسلم، كتاب القدر، باب بيان الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص، (٤/٢٦٦٣).
ومعه تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي.

هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (الحشر: ٢٢) وقوله: (وَلِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) (الطلاق: ١٢).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذراري المشركين، فقال: "اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ"¹.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: "نعم"، قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: "كُلُّ يَعْملُ لِمَا خُلِقَ لَهُ أَوْ لِمَا يُسَرُّ لَهُ"².

وغير ذلك من الآيات والأحاديث كثيرة الدالة على أن علمه تعالى محيط بكل الأشياء وشامل لجميع الكليات والجزئيات مجملها ومفصلها، سواء منها ما يتعلق بأفعاله سبحانه أو أفعال عباده.

المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بكتاب الله تعالى: الذي لم يفرط فيه من شيء قال الله عز وجل: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (الأنعام: ٣٨) وقال تعالى: (الْمَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (الحج: ٧٠) وقال تعالى: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا

¹ صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، (١/١٣١٨) مع صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٤/٢٦٥٩).

² صحيح البخاري، كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله، (٦/٦٢٢٣).

فِي كِتَابِ مُبِينٍ) (الأنعام: ٥٩) إلى غير ذلك من الآيات التي يقرب فيها بين إثبات العلم والكتاب أو يذكر كل على حدته وكتابه تعالى من علمه .
وعن علي رضي الله عنه قال : كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عود ينكت في الأرض، وقال : "إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ" ، فقال رجل : من القوم ألا نتكل يا رسول الله قال : لَا اَعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسِرٍ ثُمَّ قَرَأَ (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى) "1 .

ورواه مسلم بأبسط منه عن علي رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الخرق فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعده وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ " فقال رجل : يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل فقال : " مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَقَالَ اَعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسِرٍ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى *

1 المصدر السابق (٦/٦٢٣١).

وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيسِرُهَا لِلْعُسْرَى) (الليل: ٥ - ١٠) ¹. وغير ذلك من الآيات والأحاديث الكثير.

المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته

الشاملة وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون ويفترقان في ما لم يكن ولا هو

كائن فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ

يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس: ٨٢) وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى

إياه ليس لعدم قدرته عليه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولو شاء الله لجعل الناس

أمة واحدة قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ

حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (يونس: ٩٩) ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً قال تعالى:

(وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

أَجْمَعِينَ) (السجدة: ١٣) فالسبب في عدم وجود الشيء هو عدم مشيئة الله تعالى

إيجاده لا أنه عجز عنه تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك قال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا) (فاطر: ٤٤) فهو

سبحانه القادر على كل شيء أراده، لا يعتربه عجز ولا يعترضه نصب ولا فتور،

وتفترق مشيئة الله وقدرته فيما لم يكن ولا هو كائن.

¹ صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الأدمي في بطن أمه (٤/٢٦٤٧).

ولقد قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ¹، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ"².

والنصوص الشرعية كثيرة جداً في إثبات مشيئة الله تعالى وقدرته، فلا يكون ما في السماوات والأرض من حركة أو سكون إلا بمشيئة الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة، ولا يكون في ملكه ما لا يشاء ولا يريد.

المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر مرتبة الخلق وهو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء فهو خالق كل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه، ويدل على ذلك قوله تعالى: (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) (الانعام: ١٠٢)³.

¹ بين إصبعين من أصابع الرحمن: هذا من أحاديث الصفات وفيها قولان، أحدهما: الإيمان بها من غير تعرض لتأويل ولا لمعرفة المعنى بل يؤمن بأنها حق وأن ظاهرها غير مراد، قال الله تعالى (ليس كمثله شيء)، والثاني: يتأول بحسب ما يليق بها، فعلى هذا المراد المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي لا يراد به أنه حال في كفه بل المراد تحت قدرتي، ويقال فلان تحت إصبعي أقلبه كيف شئت فمعنى الحديث أنه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما أرادته كما لا يمتنع على الإنسان ما كان بين إصبعيه فخاطب العرب بما يفهمونه ومثله بالمعاني الحسية تأكيداً له في نفوسهم.

² صحيح مسلم كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، (٤/٢٦٥٤). مع شرح المفردات.

³ معارج القبول" للحكيمي، فصل الإيمان بالقدر على أربعة مراتب (٣/٩٢٣)، بتصرف.

كل مولود يولد على الفطرة

هذا الحديث النبوي الشريف دليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى علمه بالغيب الذي أطلعه الله عليه، فقد فطر الله الناس جميعاً على معرفته وتوحيده ودينه الحق، وأعدهم لقبوله، فما يولد مولود إلا وهو مستعد لهذا الدين الحنيف، حتى لو ترك وشأنه، لما ابتغى غير الإسلام ديناً، ذلك بأنه مجابوب للعقل السليم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيَنْصَرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ¹ كَمَا تَنْتَجُ الْبَهِيمَةُ² بِهَيْمَةِ جَمْعَاءَ³ هَلْ تَحْسُونُ⁴ فِيهَا مِنْ جَدَعَاءَ⁵" ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (فَطُرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) (الروم: ٣٠) 6.

ليس المراد بولادة الطفل على الفطرة، أنه حين يخرج من بطن أمه يعلم هذا الدين الحق، إنما المراد أن كل مولود، فإنه يولد على محبته لفطره، وإقراره له بالربوبية، حتى إذا خلي ونفسه، لم يعدل عن الإسلام إلى غيره، وذلك كما يولد على محبته

¹ يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه: يجعلانه يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً حسب ملتهم بترغيبهما له في ذلك أو بتبعيته لهما.

² تنتج البهيمة: تلد الدابة العجماء.

³ بهيمة جمعاء: تامة الأعضاء مستوية الخلق.

⁴ تحسون: تبصرون.

⁵ جدعاء: مقطوعة الأذن أو الأنف أو غير ذلك أي إن الناس يفعلون بها ذلك فكذاك يفعلون بالمولود الذي يولد على الفطرة السليمة.

⁶ صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، (١/١٢٩٢)، مع صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٤/٢٦٥٨).

لما يلائمه من الأغذية والأشربة، وعلى اهتدائه إلى ما ينفعه ودفع ما يضره. فقد تبين له أن الأطفال يخلقون وفي ذهنهم تساؤلات حول "من خلقنا" ونجد لديهم قبولاً طبيعياً للإيمان بخالق للكون هو الله تعالى، بل إن الطفل الصغير لا يتقبل دماغه فكرة أن الطبيعة هي التي صنعت الكون، أو أن الكون وجد بالمصادفة، ولكنه بعد ذلك يتقبل تدريجياً فكرة المصادفة تبعاً لأسلوب تربيته، وهذا ما حدثنا عنه الحبيب صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث وهنا نحن أمام إثبات مادي على صدق كلام الحبيب عليه الصلاة والسلام، بل من أين جاء نبينا الذي عاش قبل ١٤٠٠ سنة بهذا العلم الذي لم يقل به أحد إلا قبل سنوات قليلة.

المبحث الثامن

عيادة المريض والرحم وتحريم الظلم

عيادة المريض

المرض إرادة الله لعباده، ليكفر عنهم ذنوبهم، وليعرفوا قيمة الصحة، وليقدروا نعم الله عز وجل حق قدرها، وليشعروا بضعفهم أمام قوة الله عز وجل، ولتكون فترات المرض محطات عظة وتذكر، يعود بعدها المريض إلى واحة الإيمان بالله فكيف إذا كان المريض من أصحاب الأرحام فإن الأجر يكون مضاعفاً عند الله عز وجل والتقصير بزيارته صحيحاً كان أو معافى فهذا من الظلم الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم .

١ - فضل عيادة المريض وقول الله سبحانه وتعالى مرضت ولم تعدني :

حقيقة الدنيا أنها دار بلاء وأمراض، وظل زائل ومتاع منته، وما من إنسان في هذه الدنيا إلا ولا بد أن يواجه فيها مرضاً وعافية، وسروراً وحزناً، وسراء وضراء، وإن من الأعمال الصالحة التي أمر الشارع بها، ورتب على ذلك الثواب العظيم عيادة المريض، فعن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان مولى رسول الله رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي حُرْفَةٍ الْجَنَّةِ 1 حَتَّى يَرْجِعَ 2**".

1 حُرْفَةُ الْجَنَّةِ: الحُرْفَةُ اسْمٌ مَا يَخْتَرَفُ مِنَ النَّخْلِ حَتَّى يَدْرِكَ.
2 صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، (٤/٢٥٦٨)

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَا ابْنَ آدَمَ، مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبُّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطَعَمْتِكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبُّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أُطْعِمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتَكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبُّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي" ¹.

لقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن عيادة المسلم لأخيه المريض طريق إلى الجنة، وأنه يجني من ثمار الجنة مدة دوامه جالساً عند هذا المريض، وهذا من حق المريض على إخوته من المسلمين، لأن المريض يكون في أمس الحاجة إلى كل ما تستطيعه العلاقات الاجتماعية والإنسانية من عون وسلوى وبث للعزيمة والأمل والطمأنينة والسرور ².

وإن الله عز وجل يحب عباده ويرحمهم، فعبر عن مرض عبده بأنني مرضت، وهذا الأسلوب في التعبير مألوف عند الأمهات، فإذا مرض ابنها من شدة محبتها له،

¹ مرجع سابق رقم (٢٥٦٩).

² انظر موقع البيان، من مقال بعنوان المرض مرارة في الدنيا وحلاوة في الآخرة (تاريخ ٢٦/٣/٢٠١٠).

وشدة رحمتها به، ومن شدة رأفتها به، كأنها هي المريضة قال: "مرضت" والحقيقة لو علم الناس ما عند الله من الرحمة، لو علم الناس رحمة الله عز وجل، وأن كل ما ترى في الأرض من رحمت، من رحمة الأمهات بأبنائهم، من رحمة أمهات البهائم بأولادهم، لعجبت أن كل هذه الرحمة مشتقة من رحمة الله عز وجل، وعبادة المريض من أجل الأعمال، ومن أجل الطاعات عند الله عز وجل فإنك إن عدته وجدت الله عنده، لأن الله حينما سلبه بعض الصحة عوضه أضعافاً مضاعفة من قربه من الله عز وجل، فالمريض قريب من الله عز وجل، كما أن الله قريب من المريض، وهذا قرب خاص، فالله عز وجل عند المنكسرة قلوبهم، وأي عمل صالح هو قرض لله عز وجل وزيارة المريض من الأعمال الصالحة بل من أجل الأعمال والحقيقة أن الله عز وجل أراد أن نربح عليه، أراد أن نتاجر معه، إذا تاجرت معه فأنت أول الرباحين¹.

الرحم

الأرحام وتعني الأقارب من جهة الأب والأم، فالأعمام رحم، والأخوال رحم، وبنو الأخوال رحم، فكلما ازداد القرب كلما كانت الصلة أعظم، والعكس بالعكس، فهناك أرحام تكون الصلة معهم عن طريق الهاتف، وهناك أرحام تكون الصلة معهم في المناسبات، وهناك أرحام تكون الصلة معهم دائمة في كل وقت، فالصلة

¹ انظر موسوعة الشيخ محمد راتب النابلسي، أحاديث قدسية يا بن آدم مرضت فلم تعدني (الدرس: ٢٩)

تختلف باختلاف القرب والبعد من ناحية الرحم، وللأسف تباعد الناس اليوم حتى الأخوة أصبح الواحد منهم لا يعرف شيئاً عن أخيه فلا يراه في الشهر مرة وربما لا يراه مع أنهما يسكنان في نفس الحي لأن الناس بشكل عام والأرحام بشكل خاص قد قدموا دنياهم على آخرتهم.

- صلة الرحم:

لما كانت الأسرة نواة المجتمع الإسلامي فقد حرص الإسلام على توثيق دعائمها وإرساء مبادئ المحبة والتواد التراحم بين أفرادها وجاءت سنة نبي الرحمة عليه أفضل الصلاة والسلام مؤكدة لذلك ومحذرة لقاطعها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتْ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ 1 الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ 2 قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ 3 بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصَلِكِ 4 وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَلِكَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَفْرَأَوْا إِنْ شِئْتُمْ: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ) 5.

1 بحق: الحق هو الخصر وموضع شد الإزار وهو الموضع الذي جرت عادة العرب بالاستجارة به لأنه من أحق ما يحامى عنه ويدافع.

2 فقال له مه: أي فقال الرحمن جل وعلا للرحم اكفف وانزجر عما تفعل

3 العائذ: المعتصم والمستجير.

4 أن أصل من وصلك: حقيقة الصلة، العطف والرحمة، فصلة الله سبحانه وتعالى عبارة عن لطفه بهم ورحمته إياهم، وعطفه بإحسانه ونعمه، أوصلتهم بأهل ملكوته الأعلى وشرح صدورهم لمعرفة وطاعته.

5 صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة محمد صلى الله عليه وسلم، (٤/٤٥٥٢)، ٥٦٤١، ٥٦٤٢، ٦٣.٧)، مع صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطعها (٤/٢٥٥٤).

إنها النبوة، النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا أمور ديننا، لم يترك لنا شيئاً من أمور الحياة إلا وقد أرشدنا إلى فعله أو إلى تركه، فقد دعا الإسلام إلى صلة الرحم لما لها من أثر كبير في تحقيق الترابط الاجتماعي ودوام التعاون والمحبة بين المسلمين. وصلة الرحم واجبة لقوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) (النساء: ١)، ولكن في زمن كزماننا هذا أصبحت قطيعة الرحم ديدن كثير من الناس وانتشر المثل الخاطئ "الأقارب عقارب" وهذا مثل أحمق مفضل يحض على قطيعة الرحم التي أمر الله أن توصل، في مثل هذا الزمان يجب على الدعاة أن يبصروا الناس بأولويات المسلم وأبجديات الإسلام، ولكننا نرى المصلي الصائم الملتزم بسمت الإسلام قاطع للرحم وهو يظن أن هذا من الأمور البسيطة، وليس الأمر كذلك بل لربما حبط عمله وهو يحسب أنه يحسن صنعا، ولعل الأمة الإسلامية التي تسعى إلى مكان صدارتها الأول التي كانت عليه، أقول لعلها تدرك أن السبب الرئيسي من أسباب التفكك والانحدار والتأخر هو تقطيع أواصر الأخوة بين أفراد العائلات على ما بينهم من أنساب وأصهار وروابط وصلات، هذه الظاهرة في ديننا هي كبيرة من الكبائر، ومع ذلك نراها في بيوت المستقيمين على الدين، ففي مجتمع إسلامي كان يفخر بعلاقاته الاجتماعية المميزة أصبحنا نسمع قصصاً محزنة عن قطيعة الرحم، ليست بين الأقارب فقط بل بين أقرب الأقارب، صرنا نسمع عن تقاطع بين الإخوة والأخوات، وعن تقاطع بين الأشقاء، بل سمعت عن تقاطع بين توأمين، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم ما حذرنا من هذه الآفة الخطيرة، بل لقد نسي أو تناسى قاطع الرحم أن الله خلق الرحم، وشق لها اسماً من اسمه، ووعد ربنا جل

وعلا بوصول من وصلها، ومن وصله الرحيم وصله كل خير، ولم يقطعه أحد، ومن بتره الجبار لم يعنه بشر، وعاش في كبد، فالله عز وجل يصل من وصل رحمه، ويقطع من قطع رحمه، لكن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، المسلمون ليسوا كذلك، كثير من الناس مضيع لهذا الحق مفرط فيه، فمن الناس من لا يعرف قرابته لا بصلة، ولا بمال، ولا بجاه، ولا بحال، ولا بخلق، ولا بود، تمضي الشهور، وربما الأعوام، ولا يقوم بزيارتهم، ولا يتودد إليهم لا بصلة، ولا بهدية، ولا يدفع عنهم مضرة، ولا أذية، بل ربما أساء إليهم، وأغلظ القول فيهم، هذا الواقع المر، بل ومن الناس من لا يشارك أقاربه في أفراحهم، ولا يواسيهم في أتراحهم، ولا يتصدق على فقرائهم، بل تجده يقدم عليهم الأبعد في الصلات والهبات، أحياناً تأتيك دعوة من جهة قوية أو غنية تلبيها فوراً، وتلبية هذه الدعوة من الدنيا، وأحياناً تأتيك دعوة من قريب فقير في أطراف المدينة لا تلبيها لضعف شأنه، لذلك تلبية دعوة الفقراء والأقارب من عمل الآخرة، وهناك حالة أخرى من الناس من يصل أقاربه إن وصلوه، ويقطعهم إن قطعوه، يدعوهم إن دعوه، هذه ليست بصلة رحم، إنما هو مكافئ للمعروف بمثله، وهو حاصل للقريب والبعيد، ولقطيعة الرحم نتائج كثيرة، فمن نتائج قطيعة الرحم معاداة الأقارب، وهذه المعاداة شر وبلاء، الرابع فيها خاسر، والمنتصر مهزوم، متوعد صاحبها باللعنة والثبور، فالتدابير بين ذوي القربى مؤذن بزوال النعمة، وسوء العاقبة، وتعجيل العقوبة¹.

¹ انظر شبكة روايتي الثقافية.

تحریم الظلم

لو عذبنا الله عز وجل فنحن مستحقون للعذاب، لو عذبنا كلنا فنحن غير مظلومين بهذا العذاب، نحن مستحقون له أكمل الاستحقاق لو عذبنا تعالى عليه، ولكن الله عز وجل رؤوف بعباده، فقد كتب على نفسه عدم الظلم يعني: لا يترك المحسن بغير جزاء على إحسانه، ولا يترك المسيء بغير عقاب على إساءته، ولا يحمل أحداً ذنب أحد، ولا يؤاخذ أحدٌ بذنب أحد، فعن أبي ذر رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تَخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَنْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا

يَنْقُصُ الْخَيْطُ¹ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ².

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أَتَدْرُونَ مَا الْمَفْلِسُ؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن الْمَفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي³ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصَّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"⁴.

¹ إلا كما ينقص الخيط: قال العلماء هذا تقريب إلى الإفهام ومعناه لا ينقص شيئاً أصلاً، لأن ما عند الله لا يدخله نقص، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني، وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص، فضرب المثل بالمخيط في البحر، لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة.

² صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (٤/٢٥٧٧).

³ إن المفلس من أمتي: معناه أن هذا حقيقة المفلس، أما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلساً وليس هو حقيقة المفلس، لأن هذا الأمر يزول وينقطع بموته، وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك الهالك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقى في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاس.

⁴ مرجع سابق رقم (٤/٢٥٨١).

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَتُؤَدَّنَ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ¹ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقُرْنَاءِ"².

إن من دعائم التربية، تربية النفس على العقيدة الصحيحة، والمنهج الرباني، هذه التربية لها منهج، ولها أدوات، وإن هذه الأحاديث بما تحتويه، من أعظم أنواع التربية، ومن أعظم مبادئ التربية، التي يجب أن يربى عليها المسلمون، بل إن فيها عظام الأمور التي وردت فيه ما يحتاج إلى تأمل، وإيمان، وقلب مؤمن مفتوح، حتى يتشرب هذه المبادئ التي ذكرها صلى الله عليه وسلم عن ربه في هذه الأحاديث، ومن هذه المبادئ أن الله تعالى لا يظلم أحداً، قد نفى الله الظلم على نفسه فقال: (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) (الكهف: ٤٩) ونفى إرادته للظلم فقال: (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ) (غافر: ٣١) ونفى خوف العباد للظلم منه فقال سبحانه وتعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) (طه: ١١٢)، إن الله نفى الظلم عن نفسه كما بينت، وكتب على نفسه ألا يظلم أحداً، لو أن الله ظلم الخلق كلهم، لو أن الله عذب الخلق كلهم لما كان ظالماً لهم، كما قال صلى الله عليه

¹ لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة: هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من آدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة قال الله تعالى وإذا الوحوش حشرت وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره قال العلماء وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب وأما القصاص من القرناء والجلحاء فليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة والجلحاء هي الجماء التي لا قرن لها.

² مرجع سابق. مع كامل الشرح للمفردات.

وسلم: "لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ
وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ جَبَلٌ أُحُدٍ ذَهَبًا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا
أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ
ذَلِكَ لَدَخَلْتَ النَّارَ"¹.

فلا بد من تصحيح العقيدة قبل تصحيح الأعمال، لا بد من تصحيح العقيدة ومبادئها في النفس، لا بد أن نصح اعتقادنا بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وأفعاله وأنواع التوحيد قبل أن نعمل الأعمال، ولذلك كانت العقيدة تسمى عند السلف بالفقه الأكبر، وما سوى ذلك من الأعمال، والجزئيات الفقهية يسمى بالفقه الأصغر. فإذا ما نظرنا إلى أنواع الظلم بين الناس في هذا الزمان لعلمنا الحكمة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الظلم والتحذير منه، فإننا نجد أنواعاً متفرقة متنوعة عظيمة من الظلم، من ظلم العباد بعضهم لبعض، بعض أرباب الأموال والأعمال يظلمون من لديهم من المستخدمين، إما أن يؤخر له راتبه ويمنعه منه، أو لا يعطيه إياه في وقته، أو ينقصه إياه، أو ظلم الرجل لزوجته يضربها ويسبها بأقذع السباب، والشتائم، ويكيل لها الشتائم صباحاً، ومساءً، هذه المسكينة الضعيفة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم حقها كما بين حق اليتيم؟ فهل الله سيغفل ذلك الزوج الظالم، وينسى تلك المرأة الضعيفة المسكينة التي لا تستطيع أن تشتكي إلى أهلها، وإلا طلقها؟ هل يغفل الله قاضياً ظالماً جار

¹ مسند الإمام أحمد، كتاب مسند الأنصار، باب حديث أبي ذر رضي الله عنه، (٥/٢١٦).

في الحكم على المظلوم، وحكم للظالم؟ هل ينسى الله ذلك القاضي يوم القيامة؟ وهل يضيع الله حق المظلوم؟ كلا، لا بد أن يكون هناك يوم يأخذ كل إنسان حقه ممن ظلمه، اليوم الظلم منتشر على وجه الأرض انتشار النار في الهشيم، وحقوق العباد ضائعة ضيعة كبرى، بسبب غياب ذلك المنهج الرباني، لذلك لا بد من العودة إلى منهج القرآن والسنة، وتحكيمه في النفس والأسرة والمجتمع، حتى تعود الحقوق إلى نصابها وأهلها، ولما ذكر الله تحريم الظلم، وذكر إحسانه إلى العباد، وأمرهم أن يسألوه في جلب المنفعة، ودفع المضرة، فإن الله قال بعد ذلك: "يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتَهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتَهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ"، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلها في ما يقول عن ربه عز وجل: "يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتَهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ" فصارت المنفعة والمضرة على أمرين: في أمر الدين، وأمر الدنيا، فما تركت هذه الأحاديث منفعة في دنيا، ولا في آخرة إلا وذكرتها.

المبحث التاسع

المحبة في الله تقتضي حسن الظن بالله

إن الإسلام لا يستهدف مجتمعاً متقاتلاً متباغضاً، بل لا يستهدف مجتمعاً مسالماً متباعداً، بل يستهدف مجتمعاً متكافلاً متواصلًا متحاباً متفاعلاً كمثل اليمين تغسل إحداهما الأخرى، وتعين إحداهما الأخرى، وكمثل البنيان يشد بعضه بعضاً وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

الخصام ضد المحبة

النبي صلى الله عليه وسلم يحذر الأمة من الخصام، لأن الإسلام دين المودة والمحبة ودين الألفة والاجتماع، ودين التكافل والترابط بين البشر، فكلهم لآدم، وكلهم من ذكر وأنثى آدم وحواء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ"¹، فَيَقَالُ أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَاهُ"².

¹ شحناء: أي عداوة وبغضاء.

² صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، (٤/٢٥٦٥).

وإذا كان المجتمع الإنساني يشبه البنيان كان التماسك بين لبناته أساس قوته وصلابته وزيادة نفعه وطول بقائه وكما يبدأ البنيان بلبنتين ثم ثلاثاً إلى أن يكتمل ويعظم يبدأ تماسك المجتمع البشري بالأبوين وأبنائهما فكان الأمر ببر الوالدين تلاه الأمر بصلة الرحم ثم الأمر بالإحسان إلى الجار ثم الإحسان إلى المسلم ثم الإحسان إلى غير المسلم بل الإحسان إلى البهائم¹، والإسلام يعتمد في أوامره على الترغيب والترهيب وللطاعات آثار محبوبة وللمعاصي آثار مبغوضة والتبصير بالمنافع والأضرار في العواقب مهمة الناصح الأمين فالقطيعة بين الإخوة تنذر بقطع الله تعالى خيره إلى أن يصطلحان، فلقد بين النبي في هذا الحديث أن أبواب الجنة تفتح يوم الإثنين والخميس من كل أسبوع لرفع الأعمال وقبولها وإعطاء الثواب الجزيل عليها، وكثرة الصفح والغفران ورفع الدرجات المنازل فيها، وفي الحديث أيضاً تعظيم ذنب المهاجرة والعداوة والشحناء لأهل الإيمان، وهم الذين يأمنهم الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، المصدقون بوعد الله تعالى ووعيده، فهؤلاء لا يحل لأحد أن يهجرهم، ولا أن يبغضهم، بل محبتهم دين، وموالاتهم زيادة في الإيمان واليقين.

هذا وقد كثر بين بعض المسلمين التباعد والتدابير والهجران، وذلك لأسباب دنيوية، وأمور مادية، بسبب البعد عن التخلق بأخلاق الإسلام التي يقتدى فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم، ويسود سوء الخلق، مع أن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تنص على تحريم التدابير والتخاصم والتقاطع، ومن ذلك قوله

¹ "فتح المنعم شرح صحيح مسلم، أ.د. موسى شاهين لاشين (١٠/٨)، دار الشروق - القاهرة ط١.

تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الحجرات: ١٠)، وفي أحاديث النبي التصريح بالنهاي عن التدابر والتقاطع والتهاجر، ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ" أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال¹.

المتحابون بجمال الله

لا بد للإنسان في هذه الحياة من أخ صادق مخلص، يبادله المحبة والوفاء، ويلجأ إليه عند الشدائد والملمات، ويفضي إليه بذات نفسه ومكنون سره، ويشعر إلى جانبه بالطمأنينة والأمن والرضا والهدوء، فإذا أنعم الله على أحد من الناس بمثل هذا الصديق، فقد هون عليه نصف أعباء الحياة ذلك بأن الحياة سفر طويل شاق ولا بد في السفر من رفيق مؤنس يعين عليه، وإلا كان سفراً موحشاً ثقيلاً على النفس غير محتمل الأعباء والتكاليف، ولا تدوم الصداقة ولا تثمر ثمراتها إلا إذا كانت في الله وجهتها والله غايتها أما الذي يصادقك لمالك إن كنت ذا مال أو جاهك إن كنت ذا جاه أو لعرض من أعراض الدنيا يلتمسه من وراء صداقتك فليس هذا بصديق وإنما هو يبحث عن مصلحته أنى وجدها ويتقلب معها كيفما تتقلب.

¹ مرجع سابق (٤/٢٥٥٨).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي¹، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا لِي ظِلِّي"².

وفي حديث آخر: عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة يا رسول الله؟ قال: "أَعَدَدْتُ لَهَا"، قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله، قال: "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ"³.

وفي رواية مسلم: قال أنس رضي الله عنه: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم "فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ"، قال: أنس فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم⁴.

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تَرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحَبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَبْتَهُ فِيهِ"⁵.

1 بجلالي: أي بعظمتي وطاعتي لا للدنيا.

2 صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الحب في الله، (٤/٢٥٦٦).

3 صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب علامة الحب في الله عز وجل، (٥/٥٨١٩) مع صحيح مسلم،

كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب (٤/٢٦٣٩).

4 مرجع سابق.

5 مرجع سابق "مسلم" رقم (٤/٢٥٦٧).

في هذه الأحاديث يبين لنا النبي صلى الله عليه وسلم فضل ومنزلة المحبة في الله تعالى وأنها السبب الموصل لحب الله تعالى لعبده، ولذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلي من شأن المحبة في الله ويوصي كلا الصاحبين بأن يخلص في حبه لصاحبه فإن أشدهما حباً وإخلاصاً هو أفضلهما وأقربهما عند الله منزلة وقد نوه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الشأن في أحاديث كثيرة فجعل من علامات المؤمن أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وعد من السبعة الذين يظلمهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله رجلين تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "سَبْعَةٌ يُظْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا"¹.

والمتأمل لأعمال هؤلاء السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ويرى أعمالهم التي أوجبت لهم هذا الجزاء العظيم فمنهم رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، بل إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: **أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي**؟، أي: في جلالي، يعني: المتحابون في الله، والله تبارك وتعالى أعلم بالمتحابين بجلاله، لكن هذا الاستفهام وهذا السؤال تنويهاً

¹ صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (١/٦٢٩) مع صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فصل إخفاء الصدقة، (٣١/٢٠١).

بذكورهم وتشريفاً لهم، ورفعاً لمقامهم ودرجاتهم في ذلك اليوم العظيم الذي تشهد الخلائق، يوم تدنو الشمس على قدر ميل من رؤوس الخلائق، وجهنم قد أتى بها ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وهي تزمجر، في هذا الموقف العصيب، فهم أحوج ما يكونون إلى الأمن، وهم أحوج ما يكونون إلى الظل، فهؤلاء الذين صارت محبتهم في الدنيا لله، وفي الله صار لهم ذلك الجزاء العظيم في الدار الآخرة وهم أحوج ما يكونون إلى هذه الألفاظ، والإنسان ليس عليه ضمير من أن يغير قصده ونيته بأن تكون علاقته لله وفي الله، وأن يحب الناس لله، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، لا يحبه من أجل دنيا، أو من أجل عرض زائل، أو من أجل مصلحة عارضة فتكون علائق الناس مادية، يحبون من أجل مصالحهم، فإذا زالت تلك المصالح وانعدمت ارتفعت تلك العلائق وزالت، فهذا أمر لا يليق بحال من الأحوال¹.

إذا أحب الله عبداً

ما من نعمة في الدنيا إلا ولها آثارها في الآخرة، كأن يحبك الناس، لأن الله إذا أحبك ألقى محبتك في قلوب الخلق، فمحبته الله عز وجل للعبد غاية المنى، والمطلب، والمرغوب الأسنى، فمن حاز حب الله له فقد حفظ، ووقى، وكفى، وهدى، لأن الله يحبه، وسوف يسدده، ويحفظه من الانحراف والخطأ والزلل، فما أعظمها من محبة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم

¹ انظر موقع الإتحاد بعنوان المتحابون في الله لهم مناير من نور، ١٣/٢٠٠٥

قال: "إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ"1 2.

وفي رواية مسلم: "وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ، إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ".

وفي حديث آخر: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ"، قالت عائشة رضي الله عنها: أو بعض أزواجه إنا لنكره الموت، قال: "لَيْسَ ذَلِكَ³ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بَشَّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ⁴ بَشَّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ"⁵.

1 القبول في الأرض: المحبة في قلوب من يعرفه من المؤمنين ويبقى له ذكر صالح وثناء حسن.
2 صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (٣/٣٧، ٥٦٩٣، ٧/٤٧) مع صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده (٤/٢٦٣٧).
3 ليس ذلك: أي ليس المراد بلقاء الله تعالى الموت لأن الموت يكرهه كل إنسان بطبعه.
4 حضر: حضره النزاع للموت.
5 صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، (٥/٦١٤٢) مع صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (٤/٢٦٨٣، ٢٦٨٤).

وفي حديث آخر: عن شريح بن هانئ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ"¹، قال: فأتيت عائشة رضي الله عنه، فقلت: يا أم المؤمنين سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً إن كان كذلك فقد هلكنا، فقالت: إن الهالك من هلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ"، وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت، فقالت: قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بالذي تذهب إليه ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه¹.

إن الأنبياء بكمالهم ملكوا القلوب، والأقوياء بقوتهم ملكوا الرقاب، والبشر جميعاً أتباع نبي أو قوي، فالذين هم أتباع النبي سلاحهم الكمال الإنساني، فبكمالهم يملكون القلوب، والذين هم أتباع القوي سلاحهم ما منحوا من قوة، فبقوتهم يملكون الرقاب، وشتان بين من يملك القلوب وبين من يملك الرقاب، وجانب الحب هو علة الخلق، لو أن الله أراد أن يخضع له البشر جميعاً لكان ذلك، ولكن هذا الخضوع قسري لا يثمر سعادة، الله جل جلاله ما أرادنا أن نأتيه قسراً، بل أراد أن نأتيه طوعاً، إذا أتيناها قسراً لا قيمة لهذا الإتيان، فجانب الحب جانب أساسي، الفرق بين الحب وبين الواجب كالفرق بين أرحنا بها وأرحنا منها، هذا هو

¹ صحيح مسلم مرجع سابق (٤/٢٦٨٥).

الفرق بين الحب والواجب، فأنت حينما تحب الله تفعل المستحيل، فأصحاب النبي أحبوا الله، قلة قليلة بحياة خشنة، بمعدات بسيطة، وبيوت من اللبن وصغيرة وخشنة، فتحوا أطراف الدنيا، وحينما فرغ الدين من الحب أصبح ثقافة وتقاليد وعادات وأصبح سلوكاً أجوفاً وعبادات لا تقدم ولا تؤخر، بين مؤمن مفعم قلبه بالحب، وبين مؤمن ممتلىء قلبه بالمعلومات فرق كبير جداً، لا بد من أن يمتلىء العقل بالمعلومات، ولا بد من أن يمتلىء القلب بالحب¹، وإن من علامات حب الله تعالى للعبد أن يضع له القبول والمحبة بين خلقه من ملائكته وإنسه وجنه، المراد بالقبول كما قال ابن حجر رحمه الله: "قبول القلوب له بالحب، والميل إليه، والرضا عنه"²، ومعنى الحب في الله تعالى يختلف عن معاني الحب الأخرى وأشكاله، فالحب في الله تعالى يعني أن يحب الإنسان أخيه الإنسان لصلاحه وتقواه وعلاقته بالله تعالى، ولا يحب بسبب مادي من جمال أو مال أو غير ذلك، فكل حب بني على شيء زائل قد يعتريه النقص ويكون مؤقتاً بوجود سبب الحب وداعيه، بينما يكون الحب في الله تعالى حباً صادقاً دائماً لا يتغير إلا في حالة واحدة وهي تغير أخلاق الحبيب ولكن الحب في الله تعالى ينبغي أن يكون معتدلاً، بمعنى أن لا يحب المرء أخاه حباً يشغل قلبه وجوارحه بحيث ينشغل عن ذكر الله تعالى، بل الأصل أن يكون هذا الحب طريقاً للحب الأكبر وهو حب الخالق جل وعلا، ومن فضائل الحب في الله تعالى أن الله سبحانه وتعالى يرضى عن المتحابين فيه، بحيث

¹ مرجع سابق "موسوعة النابلسي، بعنوان المحبوبة في الإسلام"
² فتح الباري لابن حجر، كتاب الأدب، باب المقة من الله تعالى (٥٥٨/١٧).

يكونون من الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومن ظلمهم الله تعالى بظلمه سعدوا فلم يبأسوا أبداً.

حسن الظن بالله

كتب الله سبحانه وتعالى الموت على جميع خلقه، فقال سبحانه وتعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) (آل عمران: ١٨٥) فالموت حق على جميع الخلائق دون استثناء، وهذا من صميم العقيدة في الإسلام، وأن بعد الموت حياة أبدية، فإما جنة عرضها السماوات والأرض، وذلك لمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله، وإما نار وقودها الناس والحجارة، وذلك لمن كفر بالله سبحانه وتعالى، أو بأي ركن من أركان الإيمان، أما حسن الظن بالله عز وجل فهي سمة من سمات المؤمن الصادق، فهو يحسن الظن بالله عز وجل، وأن الله عز وجل لا يخيب من أحسن الظن فيه، بشرط أن لا يكون مشرك، أو مصراً على المعصية من غير توبة.

أنا عند ظن عبدي بي

النبى صلى الله عليه وسلم يقوى الإيمان فى قلوب أمتة، فىخبرنا عن فضائل حسن الظن بالله سبحانه وتعالى فى كل الأمور، لأن حسن الظن من تمام الإيمان بالله سبحانه وتعالى المسير لهذا الكون، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى

صلى الله عليه وسلم: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ¹ وَأَنَا مَعَهُ ² إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ³، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ ⁴ خَيْرٍ مِنْهُمْ ⁵، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ ⁶ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ⁷، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ⁸، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً ⁹ ¹⁰ .

وإن من أجمل العبادات القلبية التي يجب على المسلم أن يتمثلها، حسن الظن بالله تعالى، فما خاب وما خسر من توكل على الله وأحسن الظن به، فحسن الظن علامة المعرفة والإيمان به سبحانه وتعالى، والظن السيئ علامة الجهل به، ولقد ذكر سبحانه وتعالى الذين يسيئون الظن به، فقال الله عنهم: (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) (آل عمران: ١٥٤)، وللأسف فإن هناك الكثير من الناس من إذا دعوا الله

- 1 أنا عند ظن عبدي بي: أجازيه بحسب ظنه بي فإن رجا رحمتي وظن أنني أعفو عنه وأغفر له فله ذلك لأنه لا يروجوه إلا مؤمن علم أن له ربا يجازي. وإن يئس من رحمتي وظن أنني أعاقبه وأعذبه فعليه ذلك لأنه لا ييأس إلا كافر.
- 2 معه: بعوني ونصرتي وحفظتي.
- 3 ذكرته في نفسي: أي إن عظمي وقدسني ونزهني سرا كتبت له الثواب والرحمة سرا وقيل إن ذكرني بالتعظيم أذكره بالأنعام.
- 4 ملأ: جماعة من الناس.
- 5 ملأ خير منهم: جماعة من الملائكة المقربين وهم أفضل من عامة البشر.
- 6 شبراً: مقدار شبر وهو قدر بعد ما بين رأس الخنصر ورأس الإبهام والكف مبسوطة مفرقة الأصابع.
- 7 ذراعاً: هي اليد من كل حيوان وهي من الإنسان من المرفق إلى أطراف رؤوس الأصابع.
- 8 باعاً: هو مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما يمينا وشمالاً.
- 9 هرولة: هي الإسراع في المشي ونوع من العدو وهذا والذي قبله مجاز عن قبوله سبحانه وسرعة إجابته للعبد ومزيد تفضله عليه.
- 10 صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه، (٦٦٠٧، ٦٦٠٧، ٩٨٠٧، ٩٩٠٧) مع صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الحث على ذكر الله تعالى وباب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، وفي التوبة باب الحض على التوبة والفرح بها (٢٦٧٥/٤).

عز وجل ورأوا أن الإجابة قد تأخرت، فإنك تراهم قد مالوا ميلاً عظيماً، وقالوا دعونا الله فلم يستجب لنا، فأنى يستجيب الله لمن أساء الظن به، ولو أنهم أحسنوا الظن وصبروا على ما مسهم من مصائب ومحن، وابتهلوا إلى الله تعالى بالدعاء لوجدوا خيراً كثيراً في الدنيا قبل الآخرة، فالله لا يضيع من توكل عليه، قال سبحانه وتعالى: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق: ٣).

وأما من قنط من رحمة الله، وأيس من روح الله، فإنك ترى أن الله قد ابتلاهم بالمصائب، والافتتال، والحروب، وتسلب الأعداء كما هو الحال اليوم، ثم تراهم يصبون جام غضبهم على عقيدتهم، فيقولون بأن الله عز وجل لا ينصر عباده، بل ينصر أعداءه، ونسي هؤلاء أنهم بسوء ظنهم بالله قد أبطلوا عملهم وخسروا خسراً مبيئاً، ولو أنهم صبروا واتقوا، فإن النصر والفرج سيكون حليفهم ولو بعد حين، فالله عز وجل تعهد بأن ينصر من ينصره في الدنيا قبل الآخرة، فقال سبحانه وتعالى: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي) (المجادلة: ٢١)، فالفجر الباسم قادم، ولكن برجال عرفوا الله وأحسنوا الظن به، هكذا أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

المبحث العاشر

أحاديث فتح البلاد والفتن

النبى صلى الله عليه وسلم عندما ذكر لنا ما سيكون من الأمور الغيبية، وخاصة عندما تطرق إلى أحاديث الفتن وفتح البلاد التي ستجري في آخر الزمان، أي في زماننا هذا، كان المقصود من هذا الحديث أن نستعد لمواجهة ما سيجري، وذلك من خلال التخطيط السليم والمدرّوس لما أعلمنا به النبى صلى الله عليه وسلم من أمور غيبية، والمراد بالتخطيط هنا هو التخطيط العسكري، والاقتصادي، والسياسي، وزاد التأكيد على التخطيط على العسكري لورود أمر صريح به من الله عز وجل في قرآنه العظيم، فقال سبحانه وتعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) (الأنفال: ٦٠)، فإن هذه الآية وبكل وضوح، تأمرنا بنوع من أنواع التخطيط، وهو التخطيط العسكري، والغاية من ذلك هو الاستعداد لمواجهة أي خطر يداهم الأمة الإسلامية، وذلك من خلال إرهاب العدو، فالتخطيط العسكري مهم جداً لأمة تريد البقاء، والنبى صلى الله عليه وسلم يعلمنا في كل غزوة من غزواته كيف يكون التخطيط الحربي، عندما كان يشاور ويشارك أصحابه في وضع الخطط الحربية واختيار الأماكن المناسبة للمعارك، فكانت النتائج مبهرة، والتي أعطت الجيش المسلم المزيد من القوة والثبات والتحمل، ومن ضمن ما أخبرنا عنه وخطه لنا النبى صلى الله عليه وسلم.

فتح اليمن والشام والعراق

العالم الإسلامي بدأ على يد النبي صلى الله عليه وسلم منذ أن أرسى القواعد في المدينة المنورة بعد الهجرة من مكة فمئذ ذلك التوقيت بدأ التخطيط والتفكير الحقيقي في التوسع أكثر ونشر الدين الإسلامي بكل مكان بالعالم فرسالة الإسلام بكل تأكيد رسالة تستحق أن تنشر على أوسع نطاق، والأقوياء فقط هم من يقدرّون على إيصال رسالتهم على أكمل وجه، ومن الأمور التي أخبر وبشر بها النبي صلى الله عليه وسلم فتح اليمن والشام والعراق، فعن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "تُفْتَحُ الْيَمَنُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبْسُونَ¹، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَتُفْتَحُ الشَّامُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبْسُونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِهِمْ، وَمَنْ أَطَاعَهُمْ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَتُفْتَحُ الْعِرَاقُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبْسُونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِهِمْ، وَمَنْ أَطَاعَهُمْ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"².

وفي حديث آخر: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ؟" قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله³، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ

¹ يبسون: يسوقون إيلهم ودوابهم راحلين من المدينة.

² صحيح البخاري، كتاب الحج، باب من رغب عن المدينة، (٢/١٧٧٦)، مع صحيح مسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار (٢/١٣٨٨).

³ نقول كما أمرنا الله: معناه نحمده ونشكره ونسأله المزيد من فضله.

تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ثُمَّ تَتَدَابِرُونَ¹ ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ² 3.

العامل النفسي، أو ما يسمى في زماننا بالدعم النفسي، هو أمر في غاية الأهمية لشحذ النفوس ورفع الهمم، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو في أحلك الظروف والمواقف، كان لا يستغني عن الدعم النفسي لأصحابه، وذلك ليتابعوا في جهادهم الأصغر أو الأكبر، فساعدهم هذا الدعم النفسي الذي صدر من نبي لا ينطق عن الهوى في نشر كلمة التوحيد في العالم، وفي إنقاذ الناس من الظلمات إلى النور، وتمثل هذا الدعم النفسي من خلال البشائر والوعود النبوية التي رسمت لهم الأهداف المطلوبة، فهي عجيبة في توقيتها إذ بدأ النبي بإعلانها وهو في مكة، وفي وسط قريش التي حاربتته من دون هوادة، تريد القضاء عليه وعلى دعوته، وأعلن بعضها وهو في الخندق، والخصوم يكادون يطبقون عليه، وهي عجيبة في التركيز على مدن تعد معاقل الأعداء، وبذلك لفتت أنظار المسلمين إلى مكامن الخطر، ولقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وعوداً كثيرة، فمن ذلك، اليمن في الجنوب، والشام التي يسيطر عليها الروم، وفتح العراق التي يسيطر عليها الفرس، هذه الوعود قد أثارت المسلمين وشجعتهم على خوض غمار الفتوحات في

1 تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون الخ: قال العلماء التنافس إلى الشيء المسابقة إليه وكراهة أخذ غيرك إياه وهو أول درجات الحسد وأما الحسد فهو تمنى زوال النعمة عن صاحبها والتدابير التقاطع وقد يبقى مع التدابر شيء من المودة أو لا يكون مودة ولا بغض وأما التبغاض فهو بعد هذا ولهذا رتب في الحديث.

2 ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض: أي ضعفائهم فتجعلون بعضهم أمراء على بعض.

3 صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب الزهد والرقائق، (٤/٢٩٦٢).

القارات فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم، وهذه المناطق التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف والتي فتحت على نفس الترتيب المذكور في الحديث، فقد افتتحت اليمن، ثم تبعتها، الشام بعدها، والعراق بعدها، والعجيب أن هذه الأقاليم بشكل خاص تعاني من الويلات ماتعاني، فبالإضافة إلى الحروب الخارجية والداخلية، هناك تدهور اقتصادي وتردي في الأوضاع الصحية والتعليمية والاجتماعية، وضعف في الشوكة العسكرية وتمزق سياسي، ولن تحل مشاكلهم حتى يكون الرسول عليه الصلاة والسلام هو القائد العام الأعلى لهذه الأمة العاقبة الضالة، وذلك بإتباع تعاليمه، لأننا اليوم في العصر الذي وصفه النبي بأنه يكون فيه زعيم القوم أرذلهم ويسود القبيلة فاسقها، لذلك فرسول الله محمد عليه الصلاة والسلام هو من لديه الحل لمشاكل الأمة المزمنة وليس السياسيين الفاشلين والفاستدين، وليس صندوق النقد الدولي هو من سيخلص الأمة من أزمته الاقتصادية ومن ضعفها العسكري ومن تكالب القوى عليه، فنحن اليوم في زمن الأجناد المجندة ونحن اليوم نرتقب عودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة كي توحد راية الجهاد.

فتح مصر

إن أهم الأسباب التي جعلت الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوافق على قرار فتح مصر هو حديث النبي صلى الله عليه وسلم فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا

الْقَيْرَاطُ،¹ فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً² وَرَحِمًا³، وَقَالَ ذِمَّةً وَصَهْرًا فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِي مَوْضِعٍ لَبِنَةٍ فَأَخْرُجْ مِنْهَا قَالَ فَرَأَيْتَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ شُرْحَبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ وَأَخَاهُ رَبِيعَةَ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعٍ لَبِنَةٍ فَأَخْرَجْتُ مِنْهَا⁴.

هذا الحديث من الأحاديث الجامعة في باب الدلالة على صدق نبوة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، في باب معروف عند أهل الاختصاص بدلائل النبوة، إذ فيه البشارة بفتح مصر، وانضمامها إلى جسد الأمة المسلمة، وهي بشارة صريحة ظاهرة إلى أن الأمة سيكون لها قوة وشوكة، وأن أصحابه سيفتحون مصر، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ"، وقوله عليه الصلاة والسلام: "فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا"، ولقد صدق ما نبأ به الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، فقد دخل الإسلام إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه، فكان كما أخبر النبي صلى الله عليه والسلام فرحب الأقباط بالمسلمين الفاتحين، وفتحوا لهم صدورهم، ودخلوا في دين الله أفواجاً، لأنهم رأوا من المسلمين الفاتحين ما لم يروه من حكامهم الذين كانوا يشتركون معهم في عقيدة واحد وهي النصرانية، فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم لأقباطها ذمة وعهداً، بالإضافة لذلك فإن لهم رحم ودم وقرابة ليست لغيرهم، فقد كانت هاجر

¹ القيراط: قال العلماء القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به.

² ذمة: الذمة هي الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام.

³ ورحمًا: الرحم لكون هاجر أم إسماعيل منهم.

⁴ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر (٤/٢٥٤٣)،

أم إسماعيل عليهما السلام منهم بالإضافة إلى مارية القبطية رضي الله عنها، التي أنجب منها عليه الصلاة والسلام ابنه إبراهيم .

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم للفتن المستقبلية

الفتن: جمع فتنة، وهي الابتلاء والامتحان والاختبار، ثم كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار لمكروهه، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه، كالإثم، والكفر، والقتل، والتحريق، وغير ذلك من الأمور المكروهة¹، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن ظهور الفتن العظيمة ستلبس الحق بالباطل، وتزلزل الإيمان، حتى يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، كلما ظهرت فتنة قال المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، ويظهر غيرها، فيقول: هذه هذه، ولا تزال الفتن تظهر في الناس إلى أن تقوم الساعة، ففي الحديث: الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا² كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيَمْسِي كَافِرًا، وَيَمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا"³.

وفي حديث آخر: عن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال: "سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أَنْزَلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ⁴

¹ انظر: "لسان العرب" (١٣/٣١٧، ٣٢١).

² بادروا بالأعمال فتناً: أي الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر.

³ صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، (١/١١٨).

⁴ ماذا أنزل الليلة من الفتن: ما أكثر ما أعلم به الملائكة من الفتن المقدورة هذه الليلة.

وَمَاذَا فَتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ¹ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحَجَرِ² فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ³.

وفي حديث آخر: عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة رضي الله عنه قال: دخلت المسجد، فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم فجلست إليه فقال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلاً فمنا من يصلح خبائه ومنا من ينتضل⁴ ومنا من هو في جشره⁵ إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيَنْذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ، جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوْلِيهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تَنْكُرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرْقِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا،⁶ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مَهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَزْحَرَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ

1 وماذا فتح من الخزائن: ماذا قدر من الرحمة.

2 صواحبات الحجر: صواحبات جمع صاحبة والمراد زوجاته صلى الله عليه وسلم والحجر جمع حجرة وهي مساكنهن، قال في الفتح أي ينبغي لهن أن لا يتغافلن عن العبادة ويعتمدن على كونهن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

3 صحيح البخاري، كتاب العلم، العلم والعظة بالليل، (١/١١٥)، ٧٤. ١، ٣٤. ٤، ٦. ٥٥، ٥٨٦٤، (٦٦٥٨).

4 ومنا من ينتضل: هو من المناضلة وهي المراماة بالنشاب.

5 في جشره: هي الدواب التي ترعى وتبيت مكانها.

6 فيرقق بعضها بعضاً: هذه اللفظة رويت على أوجه أحدها وهو الذي نقله القاضي عن جمهور الرواة يرقق أي يصير بعضها رقيقاً أي خفيفاً لعظم ما بعده، فالثاني يجعل الأول رقيقاً وقيل معناه يشبه بعضه بعضاً.

الْحِنَّةَ فَلَتَاتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَّاتٍ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ
أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ¹، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ، وَثَمْرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيَطِعهُ إِنَّ
اسْتِطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخِرُ يَنَازِعِهِ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ"، فدنوت منه فقلت: أنشدك
الله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه
بيديه وقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي، فقلت له هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن
نأكل أموالنا بيننا بالباطل، ونقتل أنفسنا والله يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا
أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) (النساء: ٢٩) قال: فسكت ساعة ثم، قال
أطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله².

وفي حديث آخر: عن أبي إدريس الخولاني كان يقول: قال حذيفة بن اليمان رضي
الله عنه: والله إنني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي
إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر إلي في ذلك شيئاً لم يحدثه
غيري، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن
الفتن: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعد الفتن: "مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكْدَنَ

¹ وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه: هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ويديع
حكمه وهذه قاعدة مهمة فينبغي الاعتناء بها، وإن الإنسان يلزم أن لا يفعل مع الناس إلا ما يحب
أن يفعله معه.

² صحيح مسلم، كتاب الأمانة، باب وجوب الوفاء ببعية الخليفة الأول فالأول، (٣/١٨٤٤).

يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتْنٌ كَرِيحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ" ، قال حذيفة:
فذهب أولئك الرهط كلهم غيري" ¹.

وفي حديث آخر: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: "يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ
الْجِبَالِ 2، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ 3" ⁴.

وفي حديث آخر: عن أسامة رضي الله عنه قال: أشرف النبي صلى الله عليه وسلم
على أطم ⁵ من أكمام المدينة فقال: "هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى، إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ 6
خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ 7" ⁸.

هذه الأحاديث التي ذكرها لنا النبي صلى الله عليه وسلم، أحاديث مهمة للغاية
فهي تذكر لنا ما سيكون من الفتن في زماننا، وأن النجاة لا تكون إلا بالعودة إلى
الله سبحانه وتعالى، وبعقيدة سليمة راسخة، بل لقد أمرنا أن نبتعد ونتعوذ من

1 صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب اخبار النبي صلى الله عليه وسلم ما يكون إلى
قيام الساعة (٤/٢٨٩١).

2 شغف الجبال: رؤوس الجبال والمفرد شغفة.

3 يفر بدينه من الفتن: يهرب خوفاً من أن يفتن في دينه ويخوض في الفساد مع الخائضين.

4 صحيح البخاري، كتاب الإيمان، من الدين الفرار من الفتن، (١/١٩)، ٣١٢٤، ٣٤، ٥، ٦١٣،
٦٦٧٧، وانظر (٥٨٤).

5 أطم: الحصون التي تبني بالحجارة وقيل هو كل بيت مربع مسطح.

6 مواقع الفتن: مواضع حصولها وسقوطها.

7 كمواقع القطر: مثل سقوط المطر الكثير الذي يعم الأثحاء والأماكن.

8 صحيح البخاري، كتاب الحج، باب أطم المدينة، (٢/١٧٧٩)، ٢٣٣٥، ٣٤، ٢، (٦٦٥١) مع صحيح
مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر (٤/٢٨٨٥).

الفتن ما ظهر منها وما بطن، فقد روى زيد بن ثابت رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ" ¹.

الفتن تكون من المشرق (نجد والعراق)

أكثر الفتن التي ظهرت في المسلمين كان منبعها من المشرق، من حيث يطلع قرن الشيطان، وهذا ما أخبر به نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمِينِنَا"، قال: قالوا: وفي نجدنا؟ قال: قال: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمِينِنَا" قال قالوا: وفي نجدنا، قال: قال: "هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ" ² ³.

وفي حديث آخر: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة رضي الله عنها فقال: "رَأْسُ الْكُفْرِ مِنْ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ يَعْنِي الْمَشْرِقَ" ⁴.

¹ صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، (٤/٢٨٦٧).

² قرن الشيطان: جانب رأسه والمعنى يدني رأسه إلى الشمس وقت شروقها فيكون الساجدون للشمس ممن كان يعيدها كالساجدين له. وقيل المراد بقرنه شيعته وأعوانه من الإنس.

³ صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات، ١/٩٩٠، ٦٦٨١، وانظر (٢٩٣٧).

⁴ صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الفتنة من قبل المشرق، (٦/٦٦٨٠، راجع ٢٩٣٧) مع صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب الفتنة من المشرق حيث يطلع. (٥. ٤/٢٩).

قال ابن حجر: "وأول الفتن كان منبعها من قبل المشرق، فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع التي نشأت من تلك الجهة، وقال الخطابي: نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة"¹.

¹ صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الفتنة من المشرق حيث يطلع. (٤/٢٩ . ٥).

فمن العراق ظهر الخوارج، والباطنية¹، والقدرية²، والجهمية³، والمعتزلة، ومن جهة إيران ظهرت، الزردشتية⁴، والبوذية⁵ وأخيراً وليس آخراً: القاديانية⁶، والبهائية⁷،

1 (الباطنية): هي الفرق التي تنتسب إلى التشيع، وحب آل البيت، وتتخذ من ذلك ستارا وغطاء لخداع المسلمين مع إبطانهم للكفر المحض والباطنية اصطلاح عام يطلق على جمع من الطوائف والفرق المتعددة المنتشعبة، وبينها قاسم مشترك هو الاعتقاد بالظاهر والباطن، وتأويل نصوص الشريعة تأويلا باطنا يتوافق مع معتقدات زعموا أنهم اقتصوا بها وبمعرفتها دون سواهم وبهذا يعلم أن الباطنية ليست فرقة واحدة، وإنما فرق متعددة

2 (القدرية): هم أولئك الذين يعتقدون أن الإنسان صانع أفعاله وخالقها خيرها وشرها، ولا دخل لقدرة الله فيها، وأول من تكلم في القدر في العالم الإسلامي نصراني من أهل العراق أسلم ثم تنصر، وقد استطاع أن ينفذ إلى قلب معبد الجهني الذي أخذ عنه مقالته، وعن معبد تلقاها غيلان الدمشقي، فكان هذا الثالوث أول من أحدث هذه البدعة التي نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الجدل فيها.

3 الجهمية (الجبرية): نسبت هذه الفرقة إلى جهم بن صفوان يقول إن أفعال الإنسان خيرها وشرها من الله وأن نسبتها إلى العبد إنما هي على سبيل المجاز كقولنا جرى النهر وإنما الذي أجراه حقيقة هو الله، فالإنسان في زعمهم كالريشة في مهب الريح (ولهذا قيل إن الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد)، وبالإضافة إلى هذه العقيدة فإن الجبرية تدين: بنفي صفات الله تعالى وأسمائه، وبما أن الكلام صفة من صفاته تعالى فهو في زعمهم حادث، وإلى جانب هذا فإن الجهمية تقول بإنكار الرؤية (٧).

4 (الزردشتية): هم أصحاب زردشت بن يورشب، وأبوه من أذربيجان، ومن عقيدتهم أن النور والظلمة أصلان متضادان، وهما مبدأ موجودات العالم.

5 (البوذية): مؤسس هذه النحلة اسمه (سيد هارتا)، ثم تسمى ب"بوذا"، ودعوته تقوم على التقشف، والزهد، والرياضيات، ويقول بالتناسخ والتناسخ أساس أديان الهند وبوذا لا يؤمن بوجود إله. وقد امتزجت البوذية بالهندوسية، وذابت فيها، وأصبح بوذا من آلهة الهندوس.

6 (القاديانية): نسبة إلى مؤسسها الميرزا غلام أحمد القادياني، وكان ظهور هذه النحلة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي في الهند، في إقليم "بنجاب" بباكستان، وادعى النبوة، وأنه المسيح الموعود، وساعده الإنكليز في نشر دعوته، ومن أباطيله نسخ الجهاد، وفرض طاعة الحكومة البريطانية، وأن نزول عيسى من نسج النصارى، ومن قال: ان عيسى ما مات، فقد أشرك، وكان هلاكه سنة (١٩٠٨م). انظر: "القادياني والقاديانية دراسة وتحليل" لأبي الحسن الندوي.

7 (البهائية): مؤسس هذه النحلة رجل من إيران، اسمه الميرزا علي محمد الشيرازي، الذي لقب نفسه ب (الباب)، وقد سجنته حكومة إيران، ثم قتلته، وخلفه أحد أتباعه، وهو بهاء الله ميرزا حسين علي، ومن عقائده نسخ القرآن، وهدم الكعبة، وإبطال الحج، وادعى النبوة، وله كتاب سماه "الكتاب الأقدس، وقد تطور مذهب البهائيين حتى ادعوا أن البهاء إله، فقد كان نقش (الكلية) نشراتهم: "بهاء يا إلهي". انظر: كتاب "دراسات عن البهائية والبابية" مجموعة رسائل لجماعة من الكتاب المسلمين، طبع المكتب الإسلامي، ط. الثانية، (١٣٩٧هـ)، دمشق.

إلى غير ذلك من المذاهب الهدامة، وأكثر مقالات الكفر كان منشؤها من المشرق، وأيضاً فإن ظهور التتار في القرن السابع الهجري كان من المشرق، وقد حدث على أيديهم من الدمار والشرور والبدع والخرافات والإلحاد، وسيكون ظهور الدجال ويأجوج ومأجوج من جهة المشرق، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ولا بد لي هنا أن أنبه على أن بعض الفتن هو من أشراط الساعة التي نص عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، كظهور الخوارج، والدجال، وسأتكلم عن بعض الفتن العظيمة التي كانت سبباً في تفريق المسلمين، وظهور الشر العظيم¹.

الذين يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم (الخوارج)

لقد بدأت الفتن بالوقوع والظهور منذ وفاته صلى الله عليه وسلم، ومن الفتن التي وقعت ظهور الخوارج على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان بداية ظهورهم بعد انتهاء معركة "صفين"، واتفاق أهل العراق والشام على التحكيم بين الطائفتين، وفي أثناء رجوع علي كرم الله وجهه إلى الكوفة فارقه الخوارج وكانوا في جيشه، ونزلوا مكاناً يقال له (حروراء²)، وقد كان عددهم ثمانية آلاف رجل، وقيل أكثر من ذلك، فأرسل إليهم عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، لمناظرتهم، وعندما تمت المناظرة، رجع معه بعضهم، ودخلوا في طاعة علي كرم الله وجهه، وأشاع الخوارج أن علياً تاب من الحكومة، ولذلك رجع بعضهم إلى طاعته،

¹ موقع الدرر السنوية، علوي بن عند القادر السقاف، بعنوان ظهور الفتن
² (حروراء): قرية على ميلين من الكوفة، وإليه نسبت الخوارج، فيقال: حرورية. انظر: "معجم البلدان" (٢/٢٤٥).

فخطبهم علي كرم الله وجهه في مسجد الكوفة، فتنادوا من جوانب المسجد: لا حكم إلا لله، وقالوا: أشركت وحكمت الرجال ولم تحكم كتاب الله، فقال لهم علي كرم الله وجهه: لكم علينا ثلاث: أن لا نمنعكم من المساجد، ولا من رزقكم في الفياء، ولا نبدؤكم بقتال ما لم تحدثوا فساداً، ثم إنهم تجمعوا وقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين، ومر بهم عبد الله بن خباب بن الأرت¹ ومعه زوجته، فقتلوه، وبقروا بطن زوجته عن ولدها، فلما علم بذلك أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه سألهم: من قتله؟ فقالوا: كلنا قتله. فتجهز علي للقتال، والتقى بهم في الموقعة المشهورة ب"النهروان"²، فهزموهم شر هزيمة، ولم ينج منهم إلا القليل، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بخروج هذه الطائفة في هذه الأمة، ومن الأحاديث التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه أبوسعيد الخدري رضي الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تَمْرُقُ مَارِقَةٌ³ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ"⁴.

وفي حديث آخر: عن أبي سعد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ، تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ

¹ عبد الله بن خباب بن الأرت التميمي: صحابي جليل، ولد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فسماه عبد الله، وكان هو وعبد الله بن الزبير أول من ولد في الإسلام، قتله الخوارج سنة (٥٣٧) . انظر: "الإصابة في تمييز الصحابة" (٢/٣٠٢)

² (النهروان): هي ثلاثة نهروانات، وهي بلاد واسعة قريبة من بغداد بالعراق، وأصلها وادي جرار، بدايته من أذربيجان، ويسقي قرى كثيرة ثم يصب باقيه في دجلة أسفل المدائن، انظر: "معجم البلدان"، (٥/٣٢٤ - ٣٢٥).

³ تمرق مارقة: أي طائفة مارقة.

⁴ صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الخوارج وصفتهم، (٢/١ . ٦٤).

وَصِيَامِكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلِكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ فَلَا يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرَّيْشِ فَلَا يَرَى شَيْئًا، وَيَتَمَارَى فِي الْفُوقِ¹ 2.

وعن علي رضي الله عنه قال: إذا حدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلائن آخر³ من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة⁴، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَّتْهُمُ الْأَسْنَانُ⁵، سَفِهَاءُ الْأَحْلَامِ⁶، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانَهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِنِ قَتْلِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"⁷.

1 يتمارى في الفوق: يشك الرامي في مدخل الوتر من السهم، هل فيه شيء من أثر الصيد، والمعنى أنهم لا تحصل لهم أية فائدة من قراءتهم، مثل السهم الذي ينفذ من الصيد دون أن يتعلق به أي أثر منه.

2 صحيح البخاري، كتاب فضل القرآن، باب إثم من تراءى بقراءة القرآن أو تأكل به. (٤/٤٧٧١).

3 آخر: من الخور وهو الوقوع والسقوط.

4 خدعة: بفتح الحاء وكسرهما وضمها أي تمويه وإخفاء وتلون وتكون بالتورية والتعريض وخلف الوعد والكذب والاختصار على التورية أو التعريض أفضل والمراد أنه يلتزم ما سمعه في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن حدث من عنده فإنه يجتهد برأيه ويلون في الكلام ما شاء ليقنع سامعه وليس المراد أنه يخادع في حديثه حاشاه رضي الله عنه.

5 حدثاء الأسنان: جمع حديث السن وهو الصغير.

6 سفهاء الأحلام: ضعفاء العقول والسفهاء جمع سفيه وهو الطائش خفيف العقل.

7 صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٤٧٧٠، ٣/٣٤١٥، ٦٥٣١) مع صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج (٦٦. ٢/١).

قال الحافظ ابن حجر: "عظم البلاء بهم، وتوسعوا في معتقدهم الفاسد، فأبطلوا رجم المحسن، وقطعوا يد السارق من الإبط، وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال حيضها، وكفروا من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان قادراً، وإن لم يكن قادراً، فقد ارتكب كبيرة، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر، وكفوا أموال أهل الذمة وعن التعرض لهم مطلقاً، وفتكوا فيمن ينسب إلى الإسلام بالقتل والسبي والنهب¹ .2.

لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الخوارج أينما وجدوا، وبين أن في قتلهم أجراً لمن قتلهم، وهذا دليل واضح على أن هذه الفرقة من الفرق الضالة، التي حذرنا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي كغيرها من الفرق الضالة التي تعمل على تمزيق الأمة من الداخل، وتدميره بدعوى الإسلام، كما فعلوا في كثير من الدول الإسلامية، كالعراق، سوريا، وفلسطين، وليبيا، فألسنتهم ألسنة العلماء وهم بالوقت نفسه يقتلون أهل العلم والعلماء إذا خالفوهم، وقلوبهم قلوب الكفرة والملحدين، فتراهم يتحدثون بقال الله، وقال رسوله، ولكن هذا الكلام لا يصل إلى قلوبهم، بل ويستعينون على أهل الإسلام بأعدائه من اليهود والنصارى، ولذلك فإنه من الواجب على أهل الإسلام التصدي لهذه الفرقة ليتم استئصال شأفتها من بلاد المسلمين لعظيم خطرهما.

¹ فتح الباري: (١٢/٢٨٥)

² مرجع سابق " اشراط الساعة، ليوسف بن عبدالله بن يوسف الوايل (١٠٧ - ١٠٨).

اقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين

إن من الفتن التي وقعت وكان لها أثر في الإسلام والمسلمين، فتنة اقتتل فيها فئتان عظيمتان من المسلمين وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الفتنة، فقال كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ 1 فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَاؤُهُمَا وَاحِدَةٌ 2، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ كُلَّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ 3".

لقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قتالاً عظيماً سيقع بين فئتين كبيرتين من المسلمين، كل منهما يظن أنه على حق، وقد حدث ما تنبأ به نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم كما أخبر تماماً، حيث وقع قتال عظيم بين فئتين من المسلمين بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. ولا نريد العودة والبحث عن أسباب الاقتتال بين الفئتين ولكن من المهم البحث في توحيد الأمة الإسلامية بعد ما مر عليها من فتن وحروب وفرقة فالأمة الإسلامية تملك من أسباب الوحدة وأواصر الأخوة وقوة الإرادة وإصرار العزيمة ما يجعلها قادرة على تجاوز أي محنة تمر

1 فئتان: تشنية فئة وهي الجماعة.

2 دعاؤهما واحدة: والمعنى أن دينهما واحد فكل منهما يتسمى بالإسلام، أو المراد أن كلا منهما تدعي أنها صاحبة الحق وأن خصمها مبطل.

3 صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٣/٣٤١٥)، ٦٥٣٦، ٦٧. ٤، وانظر (٩٨٩، ٥٦٩) مع صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة باب إذا توجه المسلمان بسيفيهما، وباب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل (٤/١٥٧).

بها، ومن أهم الأمور التي تحقق الوحدة هي تعميق الإحساس والشعور بالأسس والأصول الإيمانية للوحدة الإسلامية والعمل على ائتلاف القلوب والمشاعر وإتمام عاطفة الحب والتراحم، وأن نتسامى فوق خلافاتنا، وأن نضرب بها عرض الحائط، وأن نترفع لصالح الإسلام والوحدة الإسلامية والأخوة الإيمانية عن المصالح الشخصية والمنافع الدنيوية وأن نتحاشى الانقسام في شأن أعدائنا، لأن الانقسام في شأنهم يشوه صورتنا، ويضعف قوتنا، ويصب في الأخير في مصلحتهم لا في مصلحتنا، ومن هنا تنبع أهمية وحدة المسلمين من أنها سبيل لتوحيد صفوفهم، ولم شعثهم، وجعلهم كيأنا وجسداً واحداً، على اختلاف أعراقهم وأنسابهم وألوانهم وبلدانهم، ولقد كان تأليف القلوب باب الإسلام إلى تحقيق نعمة الوحدة والأخوة بين المؤمنين، ومن ثم إلى تحقيق النصر المبين، والوحدة مطلب وهدف ترنو إليه المجتمعات البشرية كلها، وتبذل كل ما لديها للوصول إليه، فوحدة المسلمين مؤدية إلى قوتهم ومنعتهم وعزتهم، فلا ينال أعداؤهم بها منهم، ووحدة الأمة الإسلامية فرض واجب، مع العلم بأن الخلاف والفرقة ما هي إلا سبب للذل والفشل، فعلى المسلمين اليوم تناسي خلافاتهم واختلافاتهم المذهبية والفرعية، والعودة إلى قواسمهم المشتركة، ونقاط الاتفاق الكثيرة.¹

1 الشبكة العنكبوتية، الوفاق أون لاین، بعنوان الاستلهام من تعالیم الإسلام المتعالیه واجتثاث بذور التفرقة والاختلاف.بتصرف

ولادة الأمة لربتها والتناول في النبيان

هذا مما أخبرنا به النبي صلى الله عليه وسلم من الأمور الغيبية التي وقعت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوماً بارزاً للناس إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر"، قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: "الإسلام أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان"، قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تراه فإنه يراك"، قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: "ما المسؤل عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها، إذا ولدت الأمة ربها، فذاك من أشراطها، وإذا كانت العرأة الحفاة الجفاة رؤوس الناس¹، فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام)"، ثم انصرف الرجل فقال: "ردوا علي"، فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئاً فقال: "هذا جبريل عليه السلام جاء ليعلم الناس دينهم"².

¹ رؤوس الناس: رؤساءهم وأمرأهم ومن بيدهم زمام أمورهم.

² صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب الم غلبت الروم، (٤/٤٤٩٩) مع صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (رقم ١٠٩٩) وأخرجه عن عمر رض الله عنه في الباب نفسه (١/٨).

وولادة الأمة لربتها ذلك كناية عن كثرة الفتوحات الإسلامية، وكثرة السراري وهن الإمامة فتلد الأمة ولداً يكون سيدها لأنه ابن سيدها، وينبغي أن يعلم أن الإسلام ليس هو من أتى بنظام الرق، فالرق موجود في جميع الشرائع السماوية، وقد جاء الإسلام والرق موجود عند النصارى واليهود والوثنيين والملحدين وجميع أصناف البشر، ونظام الرق في الإسلام هو من محاسن هذا الدين، فإن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بمعاملة الرقيق بالعدل والفضل والإحسان، ورغب في العتق وجعله سبباً للنجاة من النار، وأوجب عتق العبيد في كثير من الكفارات، وجعل ظلم السيد لعبده في بعض الأحوال سبباً للعتق، فالإسلام ضيق مورد الرق، إذ جعل الناس كلهم أحراراً، لا يطرأ عليهم الرق إلا بسبب واحد، وهو أن يؤسروا وهم كفار مقاتلون، مع أن الواجب على القائد أن يختار في المقاتلة من رجالهم الأصح من الرق، أو الفداء، أو الإطلاق بلا فداء، حسب المصلحة العامة¹، ولا شك أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا ضمان من الشارع، وربما يكون الحديث كناية عن كثرة العقوق فترى الشاب أو الفتاة يتكلمون من والدتهم كما يتكلم السيد مع عبده وهذا ما يرى اليوم، ولقد استطاع أعداء الإسلام ترويح قناعتين خطيرتين تندرجان تحت مفهوم القوة الناعمة ..

الأولى هي فكرة صراع الأجيال والتي تبرر وقاحة وعقوق الأولاد بدعوى أن ظروفهم مختلفة، ويعزز ذلك الفكرة الثانية والتي تتعلق بما يسمى سن المراهقة

¹ توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبد الله بن عبد الرحمن البسام، مكتبة الأسد، ص - ٢٣٩

وخطورته وخصوصيته والتي تبرر انعدام المسؤولية والميوعة والسلوكيات النبوية لجيل الشباب، وقد أنسوننا أن أسامة كان قائد جيش المسلمين وهو فتى بعمر ١٧ سنة! وبالتالي نجد اليوم لدينا جيل شاب يتمتع بميزتين مدمرتين الأولى عدم الاحترام والثانية عدم المسؤولية وهذا كفيل بضياح الأمة.

وفي حديث آخر: من حديث جبريل الطويل قال: فأخبرني عن الساعة، قال صلى الله عليه وسلم: "مَا الْمُسْتَوَلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ"، قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: "أَنَّ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا وَأَنَّ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ أَصْحَابَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ¹"، قال: ثم انطلق، فلبثت ملياً²، ثم قال لي: "يَا عَمْرُ هَلْ تَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ"³.

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سَلُونِي فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ"، فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: "لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَتَقِمْ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ" قال: صدقت قال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ كُلِّهِ" قال: صدقت قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: "أَنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ

1 العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان: أما العالة فهم الفقراء، والرعاء ويقال فيهم رعاة، ومعناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان.

2 ملياً: أي وقتاً طويلاً.

3 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان. (١/٨).

لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" قال: صدقت قال: يا رسول الله متى تقوم الساعة؟ قال: "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأَحَدُثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا، إِذَا رَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّهَا، فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الصَّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ، فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ قَرَأَ (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) قال: ثم قام الرجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رُدُّهُ عَلَيَّ فَالْتَمِسِ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا جِبْرِيلُ أَرَادَ أَنْ تَعْلَمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا"¹.

رؤية الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان هذه أيضاً من الأمور الغيبية التي حدثنا عنها النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ظهرت منذ زمن ليس بالقريب، وانتشرت حتى أصبح الناس يتباهون في العمران بل يتبارون فيما بينهم بمن بنيانه أعلى من غيره، وذلك بسبب أن الدنيا بسطت على المسلمين، وكثرت الأموال في أيديهم بعد الفتوحات، وامتد بهم الزمان حتى ركن كثير منهم إلى الدنيا، ودبَّ إليهم داء الأمم قبلهم، وهو التنافس في جمع الأموال وصرفها في غير ما ينبغي أن تصرف فيه شرعاً، وكل ذلك ظهر بل ويزداد يوماً بعد يوم وخاصة في دول الخليج العربي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحدث بشكل عام عن جميع

¹المرجع السابق..

المسلمين وبشكل خاص عن الأعراب في جزيرة العرب فتراهم يتطاولون في البنيان كل شخص منهم يريد أن يكون بيته أعلى من بيت جاره أو صديقه فتراه يهدم بيته ليعيد عمارته بصورة أعلى من غيره وهكذا، وما برج خليفة عنا ببعيد .

عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً

شبه الجزيرة العربية أو أرض الحجاز كانت خضراء غناء ذات أنهار دفاقة، ومع مرور الزمن والزلازل جفت أنهارها وبيست أشجارها وأصبحت صحراء قاحلة، ولكنها ستعود كما كانت فهذا من الأحاديث الغيبية التي تحدث بها النبي صلى الله عليه وسلم والتي نراها تتحقق في زماننا بشكل واضح لا لبس فيه، فقد رأينا أن أرض العرب والمقصود فيها أرض الحجاز تعود خضراء بعدما كانت قاحلة قليلة المياه، قليلة النبات، بل لقد رأينا كيف قامت مشاريع كثيرة لها علاقة وثيقة بالزراعة في تلك المناطق، ولقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا"¹.

ولقد ذكر الإمام النووي في شرحه لمسلم في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا" : معناه (أنهم يتركونها ويعرضون عنها،

¹ صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل ان لا يوجد من يقبلها.. (٢/١٥٧).

فتبقى مهملة، لا تزرع، ولا تسقى من مياهها، وذلك لقلّة الرجال، وكثرة الحروب، وتراكم الفتن، وقرب الساعة، وقلّة الآمال، وعدم الفراغ لذلك، والاهتمام به) ¹.

وفي حديث آخر: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلّى الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً، حتى إذا كان يوماً آخر الصلاة، ثم خرج فصلّى الظهر والعصر جميعاً، ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك، فصلّى المغرب والعشاء جميعاً، ثم قال: "إِنَّكُمْ سَتَاتُونَ عِدًّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتَوْهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسُّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ" فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان والعين مثل الشراك ² تبض ³ بشيء من ماء، قال: فسألتهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟" قالا: نعم، فسبهما ⁴ النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهما ما شاء الله أن يقول، قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً، حتى اجتمع في شيء، قال: وغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده ووجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر، حتى استقى

¹ شرح النووي لمسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة تقع على كل الأنواع من المعروف، (٧/٩٧).

² الشراك: هو سير النعل ومعناه ماء قليل جداً.

³ تبض: بالضاد المعجمة ومعناه تسيل.

⁴ فسبهما: والسب ههنا إنما هو التقرّيع والإغلاظ في القول والمعاتبة، أو الدعاء عليهما بما تدعو به العرب عند الغضب، كقولهم: أخزأك الله، وقاتك الله، ونحو ذلك. (الإحكام في أصول الأحكام (٣/٢٨٢))

الناس، ثم قال: "يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ
جناناً" ¹.

قد استغرق هذا الحديث أربعة عشر قرناً من الزمان لكي يفهم على هذا الوجه الصحيح، حدث ذلك بعد التقدم الهائل في علوم الجيولوجيا والتاريخ المناخي والفلك وغيرها، وبعد العديد من أعمال الحفر والتنقيب بصحراء شبه الجزيرة العربية، والتي تثبت لغير المسلمين بما لا يدع مجالاً للشك صدق النبي صلى الله عليه وسلم والإعجاز العلمي في هذا الحديث، فشبه الجزيرة العربية في الماضي كانت أرض ذات مراعي وأنهار وهذا ما تؤكدته المكتشفات العلمية الحديثة إلى ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث المعجز، من أن شبه الجزيرة العربية لم تكن صحراء بالمعنى المتعارف عليه حالياً، بل كانت أرضاً خضراء تتدفق فيها الأنهار، وتترقق في بعض نواحيها البحيرات الواسعة، وتنهض في ما أصبح بادية بعد ذلك مدن على حظ كبير من التقدم الزراعي والحرفي، وكان انتشار المسطحات الجليدية في الأجزاء الشمالية أثناء العصور الجليدية يؤثر في مناخ الأرض فيؤدي إلى زحزحة نطاق المطر إلى الجنوب، فتدخل شبه الجزيرة العربية والصحراء الكبرى بشمال إفريقيا في نطاق الرياح الغربية الممطرة، والتي تهب الآن على غرب أوروبا فيؤدي ذلك إلى ازدهار تلك الصحراوات وامتلائها بالأنهار والوديان الخصبة، وقد أجريت حديثاً دراسة لشبه الجزيرة العربية، حيث أظهرت الصور الجوية وجود مجرى لنهر قديم عملاق يخترق شبه الجزيرة العربية من الغرب ويتجه إلى الشرق،

¹ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم. (٦. ٤/٧).

ناحية الكويت، ويختفي مجرى هذا النهر تحت كميات هائلة من الكثبان الرملية، وأوضحت الصور أيضاً أن مساحة شاسعة من شمال غرب الكويت عبارة عن دلتا لهذا النهر العملاق، ويشير هذا الكشف، إلى وجود كميات هائلة من المياه الجوفية في مسار النهر القديم وإلى احتمال وجود آثار للإنسان القديم الذي لا بد أنه عاش على جانبي النهر في العصور السحيقة عندما كان النهر يجري بالمياه قبل ٥٠٠٠ عام، ويتضمن هذا الحديث النبوي الشريف إلى جانب الحقيقة العلمية المبهرة والمعجزة، والتي أثبتها البحث العلمي الحديث، والمتعلقة بمناخ شبه الجزيرة العربية منذ آلاف السنين يتضمن أيضاً نبوءة علمية عجيبة وغريبة أخرى، ألا وهي عودة الصورة الأصلية القديمة لشبه الجزيرة العربية، أمطار غزيرة، وأنهار جارئة، ومرام ومساحات خضراء وارفة، وهذا الأمر كأنه بدأ يتحقق الآن في شبه الجزيرة العربية، نتيجة لاكتشاف مياه جوفية بكميات كبيرة تدفق منها العديد من الآبار والعيون الجارية، وهكذا تؤكد كل الشواهد والبراهين العلمية والتاريخية أن الحقائق الواردة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم صحيحة ثابتة، قالها صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، ولم يكن ثمة أجهزة تنقيب أو تصوير فضائي، وإنما كان هناك الوحي، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى¹.

¹ الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة: العدد السادس.

نساء كاسيات عاريات وسياط كأذئاب البقر

علامة من علامات الساعة قد ظهرت، وانتشرت في زماننا، وكانت كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم من انتشار للنساء السافرات المتبرجات بالألبسة ضيقة وشفافة، بل والانكا من ذلك، ظهرت الألبسة الممزقة عند النساء فكانت كما وصف المصطفى صلى الله عليه وسلم كاسيات عاريات، فقال في وصفهن النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا" ¹.

هذا الحديث من معجزات النبوة فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، فقد ظهر في زماننا هذا في القرن الواحد والعشرين ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، فأما أصحاب السيات فهم الشرطة والشرطة السريّة والسجانون ونحوهم، وأما الكاسيات العاريات ففيه أوجه كما ذكر الإمام النووي في شرحه لمسلم²، ومعناه كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها، والثاني كاسيات من الثياب عاريات من فعل الخير والاهتمام لآخرتهن، والاعتناء بالطاعات، والثالث، تكشف شيئاً من

¹ صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الصفاء (٤/٢١٢٨).

² المرجع السابق، برقم (٩/٢٤٠).

بدنها إظهاراً لجمالها، فهن كاسيات عاريات، والرابع يلبسن رقاقاً تصف ما تحتها كاسيات عاريات في المعنى، وأما مائلات مميلات، فقليل زائغات عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها، ومميلات، يعلمن غيرهن مثل فعلهن، وقيل مائلات متبخرات في مشيتهن، مميلات أكتافهن وأعطافهن، "رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ"، أي يعظمن رأسهن بالخمير، والعمائم وغيرها مما يلف على الرؤوس حتى تشبه أسنمة الإبل، وهذا هو الواقع والمشاهد اليوم، فترى المرأة تلبس على رأسها ما يستتره ولكن الرأس أصبح شبيهاً بسنام الجمل فتراه يميل إلى ناحية من جوانب الرأس كما يميل السنام، كما أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم.

رفع العلم وانتشار الجهل

علاقة العلماء بالعامية في هذا الزمان علاقة تنافر، فقلما نجد رجلاً من عوام الناس يجبل العالم إلا من رحم الله، بالمقابل فإننا نجد أن القدوة والقبلة لذلك العامي تكون للمطربين، والراقصين، والتافهين، والممثلين، ويعود السبب في ذلك إما لقلة العلم عند العلماء، أو لانتشار الجهل في الأمة، وكلا الأمرين قد حدث به النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ¹، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيَشْرَبَ الْخُمْرُ وَيَظْهَرَ الزُّنَا"².

¹ يرفع: يموت العلماء.

² صحيح البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، (١/٨٠) مع صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، (٤/٢٦٧).

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ" 1، وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ، وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ، حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ" 2.

وفي حديث آخر: أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ، وَيَلْقَى الشُّحُّ" 3، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ الْقَتْلُ" 4.

والله لقد قلَّ العلم وظهر وانتشر الجهل في زماننا، وليس المقصود بالعلم هنا العلم الدنيوي، بل هو العلم الشرعي المأخوذ من مصدره، القرآن والسنة، وإجماع أهل العلم، الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقهم، في الحديث الطويل الذي رواه أبو الدرداء رضي الله عنه: "إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ" 5، وبذهاب العلماء يذهب العلم، وتموت السنن، وتظهر البدع وتنتشر، ويعم الجهل.

أما بالنسبة للعلم الدنيوي، فإنه في ازدياد، وليس هو المراد بالأحاديث المذكورة، ولا يزال العلم ينقص، والجهل يزداد، حتى لا يعرف الناس فرائض الإسلام، ورفع

1 يتقارب الزمان: تنقل بركته وتذهب فائدته وقيل غير ذلك.

2 صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات، (١/٩٨٩، ١٣٤٦)، وانظر (٣٤١٣، ٥٦٩٠).

3 ويلقى الشح: أي يوضع في القلوب، ورواه بعضهم يلقي أي يعطى، والشح، هو البخل بأداء الحقوق والحرص على ما ليس له.

4 صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل. (٤/١٥٧).

5 مسند الصحابة في الكتب الستة، كتاب مسند الصحابة في الكتب التسعة، باب مسند عويمر بن مالك، (٣٨/١٣٣).

العلم يكون يقبض العلماء، ولقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتِرَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا" ¹.

يجب أن يعلم المسلم أن العلم الشرعي، هو علم من أجل العلوم على الإطلاق، ولاسيما أننا نعيش في عصر قد طغت فيه الماديات والشهوات، وأصبح الاهتمام بالعلوم الدنيوية، هو غاية الغايات، وأصبح العلم الشرعي ثانويًا، بعد أن كان قبلة الناس، فتردى حال الأمة لابتعادها عن الدين، وأصبحت الأمة مطية للقريب والبعيد، من الذين غرقوا في مستنقعات الرذيلة والشهوات الآسنة، لذلك فإنه من الواجب على المسلم، أن يعيد للأمة مجدها الضائع، وذلك من خلال تصحيح البوصلة الإيمانية من خلال الاهتمام بالعلم الشرعي، لأن الاهتمام بالعلم الصحيح، علم الكتاب والسنة والعلوم المستمدة منهما: هي خير للعبد في العاجل والآجل، فعن حميد بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال: سمعت معاوية رضي الله عنه خطيباً يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا

¹ صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، (١/١٠٠، ٦٨٧٧) مع صحيح مسلم، كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه (٤/٢٦٧٣).

يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ
اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ¹.

أكل الحرام (الربا)

عدم المبالاة بأكل الحرام، وانتشاره بين الناس، ومنها ظهور وانتشار الربا من أهم
الأمور المشاهدة في هذا الزمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الْحَلَالَ أَمْ
مِنَ الْحَرَامِ"².

أصبح تحري الحلال والحرام أمراً نادراً في زماننا هذا، بل أصبح الذي يتحرى الحلال
والحرام منبوذاً في مجتمع لا يهتم من أين اكتسب المال من حلال أم من حرام،
فدخل مال الربا في معظم المعاملات التي تجري بين الناس، وانتشرت البنوك الربوية
في كل مكان، وأصبحت رواتب الموظفين تقبض من البنوك، ووقع كثير من الناس
في هذا البلاء العظيم، إلا من رحم الله فقد سمعت من الشيخ محمود شيخ صبح³

¹ صحيح البخاري، كتاب العلم، باب م يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (٢٩٤٨، ١/٧١، ٣٤٤٢،

٦٨٨٢، ٧٠٢٢) مع صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة (٢/١٠٣٧)

² صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب من لم يبالي من حيث كسب المال، (٢/١٩٤٥، ١٩٧٧).

³ محمود شيخ صبح: ولد في حماه عام (١٣٦٠ هـ - ١٩٤٢ م)، درس في كلية الشريعة في دمشق،
ولازم الشيخ محمد الحامد ملازمة لصيقة ما يزيد على ١٢ سنة، ودرس في مدارس حماة وسلمية
واللاذقية.

وهو أحد تلاميذ الشيخ العلامة محمد الحامد¹ رحمه الله تعالى، والذي كان يعمل مدرساً في مدارس حماة، والذي توفي عام ١٩٦٩م، كان من ورعه رحمه الله عندما يأخذ راتبه والذي كان مصدره من البنك، كان يبدل النقود من أول محل يدخل إليه خوفاً من أن يكون بماله شبهة، ناهيك عن الحرام.

ولقد ظهر الربا في هذا العصر أعظم ظهور، فقد انتشرت في العالم الإسلامي بنوك الربا المؤسسة على نظام البنوك في الدول الغربية الكافرة، تلك الأنظمة التي وضعتها عقول يهودية قد أشربت حب الربا، فصار أهم موارد تلك البنوك القرض بفائدة، فالأمر إلى أن أكثر الناس لا يمكنهم الاقتراض إلا بفائدة، أي: بربا، فبهذا ظهر الربا، وهذا مصداق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، أكل الربا من صفات اليهود التي نالوا بسببها اللعنة الخالدة المتواصلة، ووصف القرآن الكريم المرابي وهو الإنسان الذي يتعامل بالربا بأنه كفار أثم، قال الله تعالى: (يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) (البقرة: ٢٧٦). وما حرم شيء في

1 الشيخ العلامة محمد بن محمود الحامد ولد في حماة سنة (١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م وتوفي فيها سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٥ م -)، نشأ يتيماً فلقد توفي والده الشيخ محمود الحامد ولحقت به والدته رحمهما الله وهو دون السادسة من عمره، تولى أخوه الأستاذ الأديب الشاعر بدر الدين الحامد رحمه الله تربيته وتوجيهه للعلم، ولم يغفل عن تعليم أخيه محمد حتى في أشد أيام البؤس، فقد أدخله المدرسة الابتدائية، وهو ما يزال في الفترة التي كان يعيش فيها عند الأسر الفقيرة في أطراف البلد، وأيقظ فيه روح الجد، لما كان يرى فيه من مخايل الذكاء. ثم تلقى العلوم الشرعية أولاً على خاله الشيخ سعيد الجابي، وعلى مفتي حماة الشيخ محمد سعيد النعساني وعلى رئيس جمعية العلماء فيها الشيخ توفيق الصباغ الشيرزاي والفقير الحنفي المرابي الشيخ أحمد سليم المراد الذي تزوج ابنته فيما بعد، ثم التحق بدار العلوم الشرعية بحماه سنة ١٣٤٢ / ١٩٢٤، ثم توجه إلى المدرسة الخسروية الشرعية بحلب سنة ١٣٤٦ / ١٩٢٨ وتلقى فيها العلم على أشهر العلماء المحققين فيها. (رابطة العلماء السوريين، بعنوان من مآثر الشيخ محمد الحامد الحموي رحمه الله، للدكتور. خلدون مخلوطة.

كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلا وله من الأضرار والمساوىء الشيء الكثير، وكذلك الحال مع تحريم الربا والتعامل به، وجمع الأموال عن طريقه، ومن هذه الأضرار أن المرابي يأخذ من الناس المال الزائد عن القيمة الفعلية التي يدفع بها إليهم، ففي ذلك أكل لأموال الناس دون حق ظلماً وعدواناً سببه حاجة الناس وجشع المرابي، أيضاً زيادة العبء على الفقراء والضعفاء والمحتاجين الذين يلجؤون لأخذ المال من المرابي، لسد حاجاتهم ولكنهم في ذات الوقت يقعون تحت عبء رد المال إلى المرابي مضاعفاً، أيضاً التعامل بالربا فيه إغلاق لباب المعروف بين الناس بالتساعد والتشارك والمؤازرة في المحن، كما فيه سد لباب من الأبواب التي نذب الإسلام إلى التعامل بها وهو باب القرض الحسن¹.

شرب الخمر وتسميتها بغير اسمها وظهور الزنا وانتشاره

الخمر والزنا؛ لا يخفى على صاحب العقل واللب ما بينهما من اقتران في الواقع عند أصحاب الشهوات وفعل الفواحش، ولا يخفى ما بين هاتين الفاحشتين من التناسب، فهذه من الأمور التي حدث بها النبي صلى الله عليه وسلم بظهورهما وانتشارهما بين الناس، فقد جاء في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِنْ أَسْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَثْبِتَ الْجَهْلُ وَيَشْرَبَ الْخَمْرُ وَيَظْهَرَ الزُّنَا"².

¹ موقع مديرية أوقاف دمشق، الربا/تاريخ/أضرار/حكمة التحريم/كيفية المعالجة، أ. خالد القصير، تاريخ (١٧/٨/٢٠١٧)
² تم تخريجه سابقاً.

بل لقد ظهر في زماننا من حلال شرب الخمر وبيعها، بل جعل بيعها جهازاً نهاراً بدعوى أنها للتجارة ولقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بحرمة بيعها فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح وهو بمكة: "إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ"¹، وظهر في زماننا أيضاً ما أخبر عنه المصطفى صلى الله عليه وسلم، من شرب للخمور بل ومن اللعب على تسميتها بأسماء غير الخمر "كالمشروبات الروحية" ونحو ذلك، بل لقد أصبح الخمر يشرب بالطرق من دون رادع، وهذا ما أخبرنا به الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا"²، وفي زماننا أيضاً من حلال الزنا وذلك مصداقاً لما أخبرنا عنه النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث الذي رواه أبو مالك الأشعري رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحُرَّ"³، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ، وَلَيُنزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ"⁴، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ"⁵ بسارحة⁶ لهم يأتيهم يعني الفقير حاجة، فيقولوا: ارجع إلينا غداً، فيبييتهم الله"⁷، ويضع

1 صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع الميتة، (٢/٢١٢١)، ٤٥. ٤ (٤٣٥٧) مع صحيح مسلم،

كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام (٣/١٥٨١).

2 صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمته (١٥/٦٧٥٨).

3 الحر: الفرج وأصله الحرح، والمعنى أنهم يستحلون الزنا.

4 علم: جبل أو هو رأس الجبل.

5 يروح عليهم: أي راعهم.

6 بسارحة: يغنم.

7 فيبييتهم الله: يهلكهم في الليل.

العلم يُمْسَخُ مِنْهُمْ آخَرُونَ قَرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"¹. يستحلون الحرأي الزنا، ولكثرة الزنا فقد كثر اللقطاء، فلم يبق مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن يفترش الرجل المرأة في الطريق، فلا ينكر عليه أحد، إلا من يقول: (لو واريثها وراء هذا الحائط) كما جاء في الحديث، وهذه أبشع صورة في الدلالة على كثرة الزنا واستحلاله، والأحاديث في هذا المعنى إخبار عما يقع في هذه الأمة لا في الأمم الكافرة، فإنهم لم يزالوا كالبهائم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، حتى بلغ الأمر بالأمم التي تسمى "المتحضرة" من الكفر في هذا العصر أن شرعوا في قوانينهم الشذوذ الجنسي "اللواط"، فهل بعد هذا انحطاط، وما دخل على المسلمين ما دخل من الفواحش والمنكرات إلا بتسبيهم وعلى أيديهم، وإن من البلاء العظيم في هذا العصر أن تتيسر طرق الوصول إلى ما حرم الله من الشهوات من شرب الخمر، وفعل الفواحش ودواعيها، من النظر والسمع والمحادثات، وطرق ذلك القنوات الفضائية وهواتف الجوال وشبكة النت، فكلها تمكن من المشاهد المحرمة، وما يتبع ذلك من مسموعات وتواصل بين المتبعين للشهوات، فيتمنون الوصول إلى ما يهوون، ثم يصدق ذلك أو يكذبه السفر من بلاد العافية والمحافظة إلى بلاد الإباحية القريبة والبعيدة ثم اعلموا أن هذه الأخبار التي ذكرت من ربا إلى شرب للخمور إلى الزنا قد سيقت مساق الدم لهذه الأمور والتنفير عنها، فإنها

¹ صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، (٤/٢٩٣٧).

محرمات دل على تحريمها الكتاب والسنة وإجماع الأمة، فظهورها وكثرتها يدل على ضعف العلم والإيمان¹.

ضباع الأمة

حديث الأمانة حديث عظيم يضاف إلى سلسلة الاعجاز في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في وصفه لآخر الزمان، اذ وصف زماننا الآن وكأنه بيننا، فعن أبي هريرة قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذ قضى حديثه قال: "أَيْنَ أَرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ"، قال ها أنا يا رسول الله قال: "فَإِذَا ضَبِعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ" قال: كيف إضاعتها؟ قال: "إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ³ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ"⁴.

كما ويبين كيف أن الأمانة تُرْفَعُ من القلوب في آخر الزمان فلا يبقى منها الا أثرها، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

1 صفحة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك، بعنوان من أشرط الساعة: الفتن في هذا الزمان (٥٣٠/٥/١٤٣٥)

2 وسد: أسند.

3 غير أهله: من ليس كفاً له.

4 صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سئل علماً وهو مشغول في حديثه فأتى الحديث ثم أجاب، (٦١٣١، ١/٥٩).

حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: "أَنَّ الْأَمَانَةَ¹ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ² قُلُوبِ
الرَّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ."

وحدثنا عن رفعها فقال: "يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيُظَلُّ أَثَرُهَا
مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ³، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ⁴ كَجَمْرِ
دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَتَنْفِطُ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا⁵، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ فَيُصْبِحُ النَّاسُ
يَتَبَايَعُونَ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ فَيُقَالُ إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا وَيُقَالُ
لِلرَّجُلِ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ⁶، وَمَا أَجْلَدَهُ⁷، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ
إِيمَانٍ" ولقد أتى علي زمان، وما أبالي⁸ أيكم بايعت لعن كان مسلماً رده علي
الإسلام، وإن كان نصرانياً رده علي ساعيه⁹، فأما اليوم فما كنت أباع إلا فلاناً
وفلاناً¹⁰. 11

1 الأمانة: ضد الخيانة، وقد جاء ذكرها الله عز وجل في قرآنه الكريم فقال "إنا عرضنا الأمانة
على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً
جهولاً" (الأحزاب: ٧٢).

2 جذر: هو الأصل من كل شيء.

3 الوكت: أثر النار ونحوها.

4 المجل: التنفط الذي يحصل في اليد من أثر العمل بالفأس ونحوه أو من مس النار وهو ماء
يجتمع بين الجلد واللحم.

5 منتبراً: مرتفعاً.

6 ما أظرفه: ما أحسنه.

7 ما أجلده: ما أقواه وما أصبره.

8 وما أبالي: لا أبحث عن حال من أباع لثقتي بأمانته.

9 ساعيه: الوالي عليه يقوم بالأمانة في ولايته فينصفني ويستخرج حقي منه.

10 فلاناً وفلاناً: يعني أفراداً من الناس قلائل أعرفهم وأثق بأمانتهم.

11 صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب رفع الأمانة، (٥/٦١٣٢، ٦٦٧٥ - ٦٨٤٨)، مع صحيح
مسلم، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، (١/١٤٣).

ولقد فطر الله الناس على الأمانة كما فطرهم على الإيمان فكان الناس يتعلمون الأمانة مع الإيمان قبل أن يتعلموا القرآن والسنة، فيرتقون وترتفع أخلاقهم تيجاناً على رؤوسهم بعد أن ملكوا من الإيمان والأمانة والهدى مع البصيرة والفضيلة ما ملّكهم الأرض فاحتلوا قلوب الناس قبل أراضيتهم، وفتحوا البلاد دون حرب أو دم. لكن وبكل أسف وصلنا إلى الزمان الموعود فأصبحنا تماماً كما وصّفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون حديثه واقعاً نعيشه، فأصبح الأمين شامَةً تكاد لا تراها، ولكن ترى أثر الأمانة بين الناس؛ فتظنهم ذوو أمانة وأهل ثقة، لكنهم في ميدان التعاملات الحياتية تظهر خفايا خياناتهم بعد ضياع الرقابة بنوعيتها الداخلي والخارجي، مع تفشي الإحساس بالمسؤولية بعد ذبح الضمير قُرباناً على مذبح المصالح الدنيوية، حتى بات الباحث عن الأمين بين الناس كالباحث عن الابرّة في كومة القش، يتشابهون شكلاً ويختلفون مضموناً، فانتشرت السرقة والخيانة، حتى لم تسلم منها بيوت الله، ليُعمد إلى اغلاقها خارج أوقات الصلاة حفاظاً عليها من السرقة، وانقلبت المعايير في مدح الناس فأصبحوا يثنون على الرجل بحسن جسده أو عقله، أو جميل صبره على متاعب الدنيا وإبداعه في غور في مصاعبها وترويضه إياها في اكتساب نحلها وقطف ثمارها، ولو كان قلبه خالياً من ذرة إيمان أو درهم أمانة.

كثرة القتل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ، حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ" ¹.

وفي حديث آخر: عن أبي وائل رضي الله عنه قال: كنت جالسا مع عبد الله وأبي موسى رضي الله عنهما فقالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ أَيَّامًا، يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَنْزَلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرَجُ، وَالْهَرَجُ الْقَتْلُ" ².

ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن القتل وكثرته في آخر الزمان قد وقع، فحدث القتال بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم حدث القتال بين الدولة الأموية وبين الدولة العباسية، ثم صارت الحروب تكثر في أماكن دون أماكن، وفي بعض الأزمنة دون بعض، بل وقد حدثت الحروب العالمية الأولى والثانية والتي أزهقت فيها ملايين الأرواح، وانتشرت الفتن بين الناس بسبب ذلك، حتى صار الواحد يقتل الآخر، ولا يدري لما قتله، بل لقد صار الإنسان لا قيمة له، أصبح يذبح كما تذبح الشاة، وربما يكون سبب القتل هو

¹ صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات، (١/٩٨٩، ١٣٤٦)، وانظر (٥٦٩، ٣٤١٣).

² صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل والفتن. (٤/٢٦٧٣).

أمر تافه كسرقة مبلغ بسيط، وهذا مظهر من مظاهر القتل الذي كثر في زماننا، هذه الحروب الطاحنة، التي أعمتها المصالح الخاصة، والمطامع الدنيوية، وحب السيطرة والتفوق وأما القتل فلا يخفى كثرة أسبابه التي أنتجتها حضارة هذا العصر، كالسيارات، والآليات، وأنواع أسلحة الحروب، وأسلحة الدمار الشامل، فمن يقتل بهذه الأسباب في كل يوم هو أضعاف أضعاف من كان يقتل بالأسباب العادية فيما مضى، ومن يقتل في الحروب في هذا العصر أضعاف أضعاف من كان يقتل في الحروب في الزمن الماضي، فالقتلى في هذا العصر يقدرون بعشرات الألوف، ومئات الألوف، بل بالملايين، بل بالعجيب أن عدد القتلى غير المسلمين من طرف غير المسلمين بلغوا ما بين عام ١٩٠٧ و ٢٠٠٧ قرابة ٢٥٠ مليون شخص، حيث قتل في الحرب العالمية الأولى قرابة ١٠ ملايين، وفي الحرب العالمية الثانية أزيد من ٦٢ مليوناً، وقريب من هذا العدد جرحى، ومعطوبون، ومفقودون، وفي لحظة واحدة، قضت قبيلة واحدة على ١٤٠ ألف شخص في هيروشيما، وفتكت أخرى بـ ٨٠ ألفاً في ناكازاكي، وقتل ما يقارب ٤٣ مليون شخص في حرب بين الصينيين أنفسهم، وقتل ٢٣ مليوناً في الحروب بين اليابانيين والصينيين، وفيتنام، وأثيوبيا، والسودان، والصومال، وكمبوديا، ونيجيريا، والموزمبيق، وفي العراق ٢٠٪ من الأسر فقدت أحد أعضائها، بسبب الحرب عليها، ومن ثم فإن عدد المسلمين الذين قتلوا على يد غير المسلمين في مائة سنة الماضية قد بلغ أربعة ملايين ونصف، وجميع غير المسلمين الذين قتلوا على يد المسلمين في القرن الماضي لم يتجاوزوا خمسة وعشرون ألفاً، لكن المفاجأة أن عدد المسلمين الذين قتلوا من طرف

مسلمين بلغ قرابة مليون ونصف، ونحن اليوم نرى فصولاً من هذا التقتيل في بلاد الشام، حيث أن عدد القتلى في سوريا قد بلغ مئات الألاف مع العلم أن ٩٠٪ من هذه الأعداد من المدنيين، الذين لا يعرف كثير منهم، لم قتلوا، وفيهم قتلوا¹، فقد انتشر الهرج، وحرار الناس، فهم لا يميزون لجهلهم ولشدة الفتن بين الحق والباطل، والصواب من الخطأ، بل تراهم يتحزبون لأطماع الدنيا، وأهواء النفس وشهواتها، فيقع القتل، ولا يدري القاتل لماذا قتل، ولا يدري المقتول عن سبب قتله.

كثرة النساء وقلة الرجال

قلة الرجال سبب الفتن بالنفس، وبقلة الرجال يكثر الفساد والجهل وظهور الزنا بالنسب، وكذا بالمال، ومنها ما قيل لما كان اختلال هذه الأمور من علاماتها فيتعين خراب العالم وقرب القيامة، وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، إذ أخبر عن أمور ستقع فوقعت خصوصاً في هذه الأزمان، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لأحدثنكم حديثاً لا يحدثكم أحد بعدي²، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجُهْلُ، وَيَظْهَرَ

¹ مرجع سابق "شبكة الألوكة، د. محمد ويلالي، بعنوان كثرة القتل، تاريخ (١٣/٢٠١٣/٣).
² لا يحدثكم أحد بعدي: قيل: قال هذا لأهل البصرة وكان آخر من مات فيها من الصحابة وقيل غير ذلك.

الزَّنا، وَتَكْثُرُ النِّساءُ، وَيَقِلُّ الرِّجالُ، حَتَّى يَكُونَ خَمْسِينَ امْرَأَةً الْقِيمِ
الْوَأحِدِ¹ 2.

ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم واقع لا محالة إما بالحروب والفتن الكثيرة التي تقع الآن تأكل الرجال ويبقى النساء فالرجال هم وقود المعارك العسكرية، وتلتهم الحروب عدداً كبيراً منهم، وربما يكون فيه إشارة إلى كثرة الفتوح، فتكثر السبايا، فيتخذ الرجل الواحد عدة نساء، أو أنه قد يقدر الله أن النساء يكثر حملهن بالنساء، ويقل حملهن بالرجال، ويكون غالب الذرية من النساء، حتى يكثر النساء، ويقل الرجال، وهذا الآن له وجود في كثير من الأسر، تجد كثيراً من الأسر عندهم بنات كثيرات، والأولاد قليل، إما معدومون، وإلا واحد، وإلا اثنان، والنساء كثير، وقد يكون بأسباب الوباء، قد يكون وباء في آخر الزمان فيكون موت الرجال أكثر، هذا بالإضافة إلى تعرض الرجال للحوادث بشكل أكثر من النساء، فهم يخرجون للكسب وطلب الرزق وينتقلون من أجل ذلك من مكان إلى آخر، ويبذلون كل ما في وسعهم من جهد للحصول على لقمة العيش، الأمر الذي يجعلهم أكثر قابلية للمرض والموت هذا في الوقت الذي يكون فيه النساء في بيوتهن، وجاء في الكتاب السنوي للأمم المتحدة عن تعداد السكان الصادر سنة (١٩٦٤م - ٥١٣٨٤) أن الإحصاءات أثبتت أن عدد النساء في الاتحاد السوفيتي

1 لخمسين امرأة القيم الواحد: وهو الذي يقوم بأمورهن وذلك بسبب كثرة الفتن والحروب التي يذهب فيها الكثير من الرجال.

2 صحيح البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، (١/٨١، ٤٩٣٣، ٥٢٥٥، ٦٤٢٣).
عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل (٣/٩٥)

يزيد على عدد الرجال بنحو عشرين مليون نسمة، ونحو مليوني نسمة في الولايات المتحدة الأمريكية، ونحو ثلاثة ملايين في ألمانيا الغربية، ومما يضاعف المشكلة ويزيد الفرق أن بعض الرجال لا يتزوجون بسبب ظروف اقتصادية تتمثل في عدم قدرتهم على توفير النفقة اللازمة لفتح بيت وتكوين أسرة، كما أن بعضهم يؤخر الزواج إلى سن متأخرة نسبياً من أجل تحسين مستواه المادي ليتمكن من الإنفاق على المرأة التي سيرتبط بها والأولاد الذين سيرزق بهم، وهذا على العكس من الفتيات اللاتي يكن مستعدات للزواج في سن مبكرة.

لبس الحرير

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن جعل من الرجل قوة بدنية تتناسب مع ما يقوم به من أعمال شاقة، كعمله من أجل الرزق، وكالزود عن حياض الدين من خلال الجهاد في سبيل الله، كما اقتضت حكمته أيضاً أن جعل من المرأة ومن تركيبها، أن تكون مكاناً للزرع، وجعل بنيتها متناسبة مع هذه المهمة بالإضافة إلى مهمة عظيمة أخرى وهي الاهتمام بالبيت وشؤونه، فجعلها ناعمة لينة لزوجها، وجعل سبحانه وتعالى لكل منهما لباساً يتناسب مع بنيته، فللرجل بنيته الخاصة به وبعمله، وللمرأة كذلك، فالناظر إلى الحرير وشكله ونعومته ليعلم بدهاءه أنه لا يتناسب إلا مع المرأة وطبيعة بنيتها التركيبية التي فطرت عليها، ولا يتنامى لذهن الواحد منا أن الحرير سيلبس من قبل الرجل لتنافيه وطبيعته، ولكن الرجال في هذا الزمان قد خالفوا الفطرة والجبلة التي فطرت أجسامهم عليها فلبسوا الحرير، وهذا

مصدّقاً لكلام الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحُرَيْرَ"¹.

فإن هذا الحديث يدل دلالة واضحة على حرمة الحرير للرجل، وسبب التحريم أن الرجل بلباسه للحرير يكتسب قلبه صفة من صفات المرأة، فترى الرجل الذي يلبس الحرير قد تخنث، وأصبح يكتسب صفة النعومة التي هي من صفات المرأة، بل ومن أسباب تحريم الشريعة له، لتصبر النفوس عنه، وتتركه لله تعالى، ولا سيما ولها عوض عنه بغيره، وهو الحرير الصناعي، ومن ترك شيئاً امتثالاً لأمر الله عوضه الله خيراً منه في الجنة.

قتال الترك

بيان قتال المسلمين مع الترك هو من الأمور الغيبية التي حدثنا بها النبي صلى الله عليه وسلم، فعن عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا يَنْتَعِلُونَ نَعَالَ الشَّعْرِ"²، وَإِنَّ مِنْ

¹ تم تخريجه سابقاً ببحث شر ب (الخمير).

² ينتعلون نعال الشعر: يصنعون من الشعر نعالاً، وقيل معناه أن شعورهم طويلة إذا أسدلوها وصلت إلى أرجلهم كالنعال.

أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا عَرَاضَ الْوُجُوهِ¹ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ²
الْمُطْرَقَةُ³"³.

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرِكَ، صِغَارَ الْأَعْيُنِ، حُمْرَ الْوُجُوهِ، ذُلْفَ الْأَنْوُفِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ⁴، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالَهُمُ الشَّعْرُ"⁵.

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما قاله، فلقد قاتل المسلمون الترك من عصر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وذلك في أول خلافة بني أمية، في عهد معاوية رضي الله عنه.

ولقد اختلفوا في أصل الترك، فقال كراع⁶: الترك هم الذين يقال لهم الديلم، وقال ابن عبد البر⁷: الترك هم ولد يافث، وهم أجناس كثيرة أصحاب مدن

1 عراض الوجوه: وجوههم واسعة.

2 المجان: جمع مجن وهو الترس.

3 صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتال الترك، (٣/٢٧٦٩، ٣٣٩٧).

4 المطرقة: ألبست الأطرقة من الجلود وهي الأغشية جمع طراق وهي جلدة تقدر على قدر الترس وتلصق عليها. شبه وجوههم بالترس لبسطها وتدويرها وبالمطرقة لغظها وكثرة لحمها ونبوء وجناتها.

5 سبق تخريجه، مع "صحيح مسلم في الفتن وأشراط الساعة"، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل (٤/٢٩١٢).

6 سويد بن كراع العكلي، من بني الحارث بن عوف: ت (٥١٠٥ - نحو ٧٢٣ م) شاعر فارس مقدم، كان في العصر الأموي صاحب الرأي والتقدم في بني عكل (الأعلام للزركلي، ٣/١٤٦).

7 ابن عبد البر: أحمد بن محمد بن عبد البر، من موالى بني أمية، أبو عبد الملك: (ت ٣٣٨ هـ - ٩٥٠ م)، مؤرخ، من فقهاء قرطبة.

توفي في السجن، له كتاب في (فقهاء قرطبة) استعان به ابن الفرضي في كتابه تاريخ علماء الأندلس، (المرجع السابق، ١/٢٠٧).

وحصون، ومنهم في رؤوس الجبال والبراري ليس لهم عمل سوى الصيد، وليس لهم دين، ومنهم من يُدين بدين المجوسية، وهم الأكثرون ومنهم من يتهود، وملكهم يلبس الحرير وتاج الذهب، ويحتجب كثيراً، وفيهم سحرة، وقال وهب بن منبه¹ الترك: بنو عم يأجوج ومأجوج، لما بنى ذو القرنين السد، كان بعض يأجوج ومأجوج غائبين فتركوا لم يدخلوا مع قومهم فسموا الترك².

قال ابن حجر: "وكان ما بينهم وبين المسلمين مسدوداً إلى أن فتح ذلك شيئاً بعد شيء، وكثر السبي منهم، وتنافس الملوك فيهم، لما يتصفون به من الشدة والبأس، ثم جاءت الطامة الكبرى بالططر "التتار"، فكان خروج جنكيز خان بعد الست مئة، فأسعدت بهم الدنيا ناراً، خصوصاً المشرق بأسره، حتى لم يبق بلد منه حتى دخله شرهم، ثم كان خراب بغداد، وقتل الخليفة المستعصم آخر خلفائهم على أيديهم في سنة ست وخمسين وست مئة، ثم لم تزل بقاياهم يخربون إلى أن كان آخرهم (الملك)، ومعناه الأعرج، واسمه "تُمر"، فطرق الديار الشامية، وعاش فيها، وحرق دمشق حتى صارت على عروشها، ودخل الروم والهند وما بين ذلك، وطالت مدته إلى أن أخذه الله وتفرق بنوه في البلاد، وظهر بجميع ما أوردته مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنْ بَنِي قَنْطُورَاءَ أَوْلَ مِنْ سَلَبِ أُمَّتِي مُلْكُهُمْ" . . . وكأنه

¹ وهب بن منبه الابناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله، (٣٤ - ١١٤ هـ - ٦٥٤ - ٧٣٢ م) مؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات، يعد في التابعين، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمه من حمير. ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها، (المرجع السابق ٨/١٢٥).
² فتح الباري، قتال الترك، (٩/٩٣).

يريد بقوله صلى الله عليه وسلم " أمّتي " أمة النسب، لا أمة الدعوة، يعني العرب¹. وعلى هذا يكون التتار الذين ظهوروا في القرن السابع الهجري هم من الترك، فإن الصفات التي جاءت في وصف الترك تنطبق على التتار (المغول)، وقد كان ظهورهم في زمن الإمام النووي رحمه الله²، فقال فيهم " وقد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم: صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنف، عراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة، ينتعلون الشعر، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زمننا، وقاتلهم المسلمون مرات، وقتالهم الآن"³، وقد دخل كثير من الترك في الإسلام، ووقع على أيديهم خير كثير للإسلام والمسلمين، وكونوا دولة إسلامية قوية، عز بها الإسلام، وحصل في عهدهم كثير من الفتوحات العظيمة، ومنها فتح القسطنطينية عاصمة الروم، وهو تهية للفتح العظيم آخر الزمان قبل ظهور الدجال، كما سيأتي، ودخل الإسلام إلى أوروبا وكثير من البلدان في الشرق والغرب، وهذا مصداق لما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه بعد ذكره صلى الله عليه وسلم لقتال الترك، قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ خِيَارِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا، وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّانِ

¹ فتح الباري، علامات النبوة في الإسلام (١٠ / ٣٩٤). يتصرف

² كانت ولادة الإمام النووي سنة (٥٦٣١هـ)، ووفاته سنة (٥٦٧٦هـ)، وهي الفترة التي ظهر فيها التتار، وقضوا على الخلافة العباسية. أنظر: "تذكرة الحفاظ" (٤/١٤٧١ - ١٤٧٣).

³ شرح النووي لمسلم، لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل.. (٩/٥١٨٧).

أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءَ بَوَجْهِ وَيَأْتِي هَوْلَاءَ بَوَجْهِ" 1.

قتال العجم

إحدى النبوءات التي أخبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم بها المسلمين أنها ستقع، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي قال: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزًا وَكِرْمَانَ،² مِنْ الْأَعَاجِمِ، حُمْرَ الْوُجُوهِ، فُطْسَ الْأَنْوْفِ، صِغَارَ الْأَعْيُنِ، وَجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمَطْرَقَةُ، نَعَالَهُمُ الشَّعْرُ"³.

مضى في الكلام على قتال الترك ذكر صفاتهم التي جاء ذكرها في أحاديث القتال، وذكر هنا هذا الحديث قتال خوز وكرمان من الأعاجم، يعني هؤلأ الصنفين من الأعاجم، قيل فيه إشكال لأن هؤلأ ليسوا من الترك ورد بأنه لا إشكال فيه لأن هذا الحديث غير حديث قتال الترك، ولا مانع من اشتراك الصنفين في الصفات المذكورة مع اختلاف الجنس.⁴

1 صحيح البخاري، كتاب المناقب، يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى. (٤/٣٣٣). مع صحيح مسلم، باب فضائل الصحابة باب خيار الناس، (٤/٢٥٢٦).

2 خوزاً وكرمان: خوز بضم الخاء المعجمة وبالزاي قال الكرمانى خوز بلاد الأهواز وتستر وكرمان بفتح الكاف وكسرهما وهو المستعمل عند أهلها هو بين خراسان وبحر الهند وبين عراق العجم وسجستان.

3 صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٣/٣٣٩٥).

4 عمدة الفاري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٢٤/١٥١).

قال ابن حجر: "يمكن أن يجاب بأن هذا الحديث غير حديث قتال الترك،
ويجتمع منهما الإنذار بخروج الطائفتين"¹.

عودة الإسلام غريباً كما بدأ غريباً

ينضم هذا الحديث إلى سلسلة الأحاديث والأخبار التي تتحدث عن أحداث آخر
الزمان، تأكيداً على صدق رسالته عليه الصلاة والسلام، من خلال انطباق حديثه
على الواقع، فها نحن اليوم أمة تزيد على المليار ونصف المليار مسلم، ولكننا من
الضعف بمكان لا يكاد يُسمع لنا صوت أو يكون لنا هيبة بين الأمم، بعد أن سُدنا
العالم فترةً طويلةً من الزمان، وما هذا والله إلا نتيجة بُعدنا عن الله وعن الالتزام
بهدي نبيه عليه الصلاة والسلام، وتنافسنا على فتات الدنيا الفانية، ونسيان
الهدف الذي خُلِقنا لأجله، فهنا على الله بعد أن هان الدين علينا، وتمكن أعدائنا
من رقابنا بعد أن تمكنت الدنيا من قلوبنا، وأذلوا أهلنا بعد أن نسينا التذلل لله
والانكسار بين يديه، فضاع عز الإسلام فينا بعد أن ضيعنا مفاتحه، وسامنا أعدائنا
سوء العذاب بعد أن ساومنا ديننا بدنينا، لنصل بمجازيف أفعالنا إلى شاطئ الغربية
التي بدأ بها الإسلام بدايته، فها هو يعود مضطهداً كما بدأ، فعن أبي هريرة رضي
الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا
بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ"²3.

¹ فتح الباري، علامات النبوة في الإسلام، (١٠/ ٣٣٢٣).

² فطوبى: قال ابن عباس أن معناه فرح وقرّة عين. وقيل هي شجرة في الجنة.

³ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً.. (١/١٤٥).

وفي حديث آخر: عن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ¹ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا"².

إننا اليوم نعيش عُربة الإسلام الثانية، تمامًا كما أخبرنا الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، بعد .

أما قوله عليه الصلاة والسلام: (بين المسجدين) أي المسجد الحرام بمكة المكرمة، والمسجد النبوي بالمدينة المنورة، وكما بدأ الإسلام غريباً في مكة والمدينة، سيعود اليهما غريباً كما بدأ، ويتجمع بينهما كما تجمع الحية جسدها في جُحرها. قال القاضي عياض رحمه الله: وظاهر الحديث العموم وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة ثم انتشر وظهر ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضاً كما بدأ³.

سكنون أمراء

علماء الأمة هم المرجع في بيان الشريعة الإسلامية وتوضيح أحكامها ومن الواجب على الحكام أن يحكموا وفق الشريعة الإسلامية، فكان الحكام من هذه الناحية داخلون تحت سلطان ولاية العلماء وخاضعون لطاعتهم فيما يبينونه من الأحكام الشرعية، ومن الأقوال المشهورة في بيان هذا، عبارة أبي الأسود الدؤلي الذي قال:

¹ يَأْرِزُ: أي ينضم ويجتمع.

² مرجع سابق برقم.. (١/١٤٦).

³ شرح النووي على مسلم، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً.. (١/٢ . ٩).

ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك¹، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول، فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء، ولكن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم، فعن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ عَرَفَ بَرِيئاً وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ"، قالوا أفلا نقاتلهم؟ قال: "لَا مَا صَلَّوْا"².

وفي حديث آخر: عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِيئٌ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ"، قالوا يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال "لَا مَا صَلَّوْا أَيُّ مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَأَنْكَرَ بِقَلْبِهِ"³.

ففي هذين الحديثين معجزة ظاهرة بالإخبار بالمستقبل، ووقع ذلك كما أخبر صلى الله عليه وسلم، وأما قوله صلى الله عليه وسلم فمن عرف برئ، وفي الرواية التي بعدها، فمن كره فقد برئ، فأما من روى "فَمَنْ عَرَفَ بَرِيئاً": فمعناها: فمن عرف المنكر ولم يشتهه عليه فقد صارت له طريق إلى البراءة من إثمه وعقوبته بأن يغيره بيده أو بلسانه، فإن عجز فليكرهه بقلبه، وأما رواية من روى "فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِيئاً"، فظاهاها ومعناها، من كره ذلك المنكر فقد برئ عن إثمه وعقوبته، وهذا في

¹ إحياء علوم الدين، كتاب العلم، باب في فضل العلم والتعليم والتعلم. (١/٧).

² صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع. (٣/١٨٥٤).

³ مرجع سابق.

حق من لا يستطيع إنكاره بيده ولا لسانه، فليكرهه بقلبه ويبرأ، وأما قوله: "ألا نقاتلهم قال: "لا ما صلوا"، ففيه معنى ما سبق، أنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئاً من قواعد الإسلام¹. وهناك عشرات الأحاديث النبوية الشريفة التي تضبط علاقة الإمام بالرعية، والحاكم بالمحكوم، فعن عوف بن مالك رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خيارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَشِرَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تَبْغِضُونَهُمْ وَيَبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ" قيل: يا رسول الله أفلا نناذبهم بالسيف؟ فقال: "فَقَالَ لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ"².

وفي حديث آخر: عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن تسعة: خمسة وأربعة أحد الفريقين من العرب والآخر من العجم فقال: "اسمِعُوا، هَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الْخَوْضَ وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُعْنِهِمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَلَمْ يَصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الْخَوْضَ"³.

¹ شرح النووي على مسلم، (٦/٣٤٤٥). بتصرف

² صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم (٣/١٨٥٥).

³ صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب الصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١/٢٧٩).

وفي حديث آخر: عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنهم جميعاً قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا فأغضبوه في شيء فقال: اجمعوا لي حطباً فجمعوا له، ثم قال: أوقدوا ناراً فأوقدوا ثم قال: ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى قال: فادخلوها قال: فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فكانوا كذلك وسكن غضبه وطفعت النار فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: "لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الطَّاعَةَ فِي الْمَعْرُوفِ".¹

فلا طاعةً لمخلوق في معصية الخالق، بل وصل الأمر عند بعضهم أن تجرأ بالكذب على رسول الله من أجل إرضاء الحاكم، كما فعل غياب بن إبراهيم النخعي إذ دخل على المهدي، وأمامه حمام يلعب به فقال له: عن فلان عن فلان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا سَبَقَ إِلَّا فِي خُفٍّ أَوْ نَصْلٍ أَوْ حَافِرٍ أَوْ جَنَاحٍ" فزاد أو جناح فأمر له المهدي ببذرة أي صرة من المال. فسوّد هذا الموقف قرطاس تراثنا الإسلامي، والأمر المؤسف أن هؤلاء الذين يبيعون الدين بالدنيا "علماء السلطان"، قد ازداد عددهم وتنامي خطرهم على الإسلام والمسلمين، فتراهم يزينون للسلطان جرائمه، ويفتتون بجواز ذلك إرضاء له، ونسي هؤلاء أنهم بفعلهم هذا يستجلبون العذاب للأمة من رب الأرض والسماء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

¹ صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها (٣/١٨٤٠).

الخير الذي فيه دخن

حديث نبوي شريف من أجمع ما ورد في موضوع الفتن وقد أشار إلى حالتين من الانحراف عن النهج الشرعي .

أما الحالة الأولى: وهي حدوث شيء من الانحراف بين أفراد المجتمع وهو المعبر عنه بالخير الذي فيه دخن¹ فهو متوجه إلى الإصلاح لكنه لن يكون صورة طبق الأصل عن منهج النبوة لكنه في جملته توجه إلى الخير .

الحالة الثانية: الشر الذي يظهر فيه دعاة إلى أبواب جهنم وما أشبه اليوم بالبارحة، فدعاة الباطل اليوم كثير، فهم يدعون إلى الدخول في الحروب الجاهلية والأفعال المنكرة، هؤلاء هم دعاة إلى النار، وهم بما يقومون به هم على أبواب من أبواب النار، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني²، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: "نعم". قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: "نعم وفيه دخن". قلت: وما دخنه؟ قال: "قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر"³. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: "نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها

¹ دخن: من الدخان أي ليس خيراً خالصاً، بل فيه ما يشوبه ويكرهه، وقيل الدخن الأمور المكروهة

² مخافة أن يدركني: خوفاً من أن أقع فيه أو أدرك زمنه.

³ تعرف منهم وتنكر: أي ترى منهم أشياء موافقة للشرع وأشياء مخالفة له.

قَدَفُوهُ فِيهَا". قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ فقال: "هُم مِّنْ جِلْدَتِنَا¹ وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا". قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: "تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ² وَإِمَامَهُمْ³". قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: "فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنَّ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ⁴ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ"⁵.

ولقد وقع ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، ولقد قال القاضي عياض: المراد بالشر الأول الفتن التي بعد عثمان رضي الله عنه، والمراد بالخير الذي بعده ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، والمراد بالذين تعرف منهم وتنكر الأمراء بعده، فكان فيهم مَن يتمسك بالسنة والعدل وفيهم من يدعو إلى البدعة ويعمل بالجور قال ابن حجر: والذي يظهر أن المراد بالشر الأول ما أشار إليه من الفتن الأولى، وبالخير ما وقع من الاجتماع مع علي ومعاوية وبالمدخن ما كان في زمانهما من بعض الأمراء كزياد بالعراق، وخلاف من خالف عليه من الخوارج، وبالمدعاة على أبواب جهنم من قام في طلب الملك من الخوارج وغيرهم، وإلى ذلك الإشارة بقوله: "تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ" يعني ولو جار الإمام وكان ذلك كثيراً في إمارة الحجاج بن يوسف الثقفي.

1 جلدتنا: من أنفسنا وقومنا، وقيل هم في الظاهر مثلنا ومعنا وفي الباطن مخالفون لنا في أمورهم وشؤونهم وجملة الشيء ظاهره.

2 جماعة المسلمين: عامتهم التي تلتزم بالكتاب والسنة.

3 إمامهم: أميرهم العادل الذي اختاروه ونصبوه عليهم.

4 تعض بأصل شجرة: أي حتى ولو كان الاعتزال بالعض على أصل شجرة والعض هو الأخذ بالأسنان والشد عليها والمراد المبالغة في الاعتزال.

5 صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامة النبوة في الإسلام، (٣/٣٤١١)، مع صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، (٣/١٨٤٧).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "وَلَوْ أَنَّ تَعَصَّ" وهو كناية عن لزوم جماعة المسلمين واطاعة ولي الأمر بالمعروف، والمعنى أنه إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة واعتزال تلك الفرق، وهذا عندما تكون الأمور فوضى، وإن شئتم شبهوها ببعض البلاد التي اختلت فيها الولاية ولم يبق فيها إلا فرق من قبائل وأحياء وقرى، كل جماعة لهم قيادة وبعضهم يغير على بعض وبعضهم يقتل بعضاً فهم يعيشون في فوضى، ولعله مما يشبه هذا حال الأحداث اليوم في مختلف الأوطان العربية والمسلمة، فليس لهم المسيطر عليهم إلا إلى حد ما هم الكفرة الغرب ومن والاهم باحتلال البلاد وإحداث فوضى فيها، لكن الواقع ليس لهم قيادة، فالآن كل يستطيع أن يفعل ما يشاء من النهب والسلب والقتال والحرب بحق أو بغير حق، فالواجب حينئذ إذا لم تتبين أو لم تتضح الرؤية فالواجب اعتزال الفرق كل الفرق والصبر على تحمل شدة الزمان¹.

اتباع سنن من كان قبلنا

لقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بما سيكون من أمته بعده من اتباع سبل ومناهج وعادات أمم الكفر في الأرض، سواء كانوا متمثلين في أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لأنهم كانوا المشهورين بالديانات السماوية، أو في فارس والروم، لكونهم إذ ذاك أكبر ملوك الأرض وأكثرهم رعية وأوسعهم بلاداً، والناس يقلدون من كان هذا حاله، وليس المراد الحصر، فما هي إلا أمثلة وأسماء وإن تغيرت أو

¹ فتح الباري لابن حجر، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، (٢٠/٨٩). يتصرف

تسمت بأسماء أخرى، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ". قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال "فَمَنْ".¹

ها نحن الآن نشاهد تقليد أجيال الأمة الإسلامية للأمم الكفر في الأرض، فيما هي عليه من أخلاق ذميمة وبدع محدثة وعادات فاسدة، يفوح منها رائحة النتن، وتمرغ أنف الإنسانية في مستنقع من وحل الرذيلة والإثم، وتندر بشر مستطير، ثم إن هذا الإتياع ليس هامشي أو عرضي بل هو إتياع دقيق لا تفوتهم منه فائتة، وقوله صلى الله عليه وسلم "جُحْرَ ضَبٍّ" أي ثقبه وحفرته التي يعيش فيها، والضب دويبة تشبه الحرذون تأكله العرب، والتشبيه بجحر الضب لشدة ضيقه وردائه، ونتن ريحه وخبثه، وما أروع هذا التشبيه الذي صدق معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فوقع ذلك التتبع والإتياع الممقوت من أمة المسلمين للأمم الكفر البائدة الفاسدة².

¹ صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لتتبعن سنن من كان قبلكم." (٦/٦٨٨٩) مع صحيح مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، (٤/٢٦٦٩).

² انظر صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (٢/٣٢٦٩)،

القاعد خير من القائم أيام الفتن

لقد كثرت الفتن في هذا الزمان كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الحديث يوضح لنا فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم ما يفيد المؤمن في زمن الفتن، وأن من شارك في الفتن فيهم تفاوت بحسب توغلهم فيها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سَتَكُونُ فِتْنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ¹ مِنْ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي²، وَمَنْ يُشْرِفُ لَهَا³ تَسْتَشْرِفُهُ⁴، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً⁵ أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعِذْ بِهِ⁶ .

ليس المراد من القعود والجلوس والمشي على الأرجل، وإن كان هذا هو الأصل إلا أن بعضهم يكون أشد توغلاً في هذه الفتنة، وبعضهم أخف فمن اعتزل هذه الفتن لا شك أنه سالم، ولذا قال من وجد فيها ملجأً أو معاذاً فليعتزل إن كان وضعه العلمي أو الاجتماعي يستدعي دخوله فيها، وبعض الناس لا سيما إذا كان من أهل العلم لا يسوغ له أن يعتزل إذا كان يستطيع التأثير في التخفيف من هذه الفتن، يعني إذا اعتزل أهل العلم والحلم والرأي فلمن تترك هذه الفتن، والفتن كالنار تأتي على كل

1 خير: أي أكثر سلامة وأقل شراً.

2 الساعي: اسم فاعل من السعي وهو العدو والإسراع في السير وهو تشبيه لمن يشارك في الفتن ويجهتد في إثارتها.

3 يشرف لها: من الإشراف وهو الانتصاب للشيء والتعرض له والتطلع إليه.

4 تستشرفه: تغلبه وتصرعه وتهلكه.

5 ملجأً موضعاً يلجئ إليه ويحمي نفسه فيه من الفتن.

6 صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٦.٣/٣٤) مع صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراف الساعة باب نزول الفتن كمواقع القطر (٤/٢٨٨٦).

شيء، وأهل العلم وأهل الحلم والخبرة والدراية والعقل بهم أو بسببهم يقلع عنهم الفتن بإذن الله تعالى، ومن اضطر أو من احتيج إليه بمشاركته في هذه الفتن عليه أن يسعى لإخماد هذه الفتن من مهدها إن تمكن، لكن لا يجوز له أن يساهم في إزكائها ولو بكلمة، ومن يساهم في إزكائها وتأجيجها هؤلاء متفاوتون بحسب أعمالهم فيها، منهم المحرض ومنهم المستوشي والمقصود أنهم متفاوتون، وعبرني الحديث عن هذا التفاوت بالقيام والقعود والمشى، فمن كان أثره في هذه الفتن أقل كان خير من كان أثره أعظم، قوله: "تُشْرِفُ" أي تتطلع لها واستشرف "سَتَشْرِفُهُ" تهلكه بأن تجعله يشرف على الهلاك لا سيما الفتن التي لا يظهر فيها وجه الصواب ولا يظهر فيها رجحان إحدى الكفتين وفي هذا كله التحذير من المشاركة في الفتن، وهذا الخطاب يتجه إلى من لا أثر له في هذه الفتن بل يخشى عليه أن يتأثر بها ويتضرر في دينه أو يكون له يد أو تسبب في قتل مسلم أو هتك عرض وما أشبه ذلك، فمثل هذا عليه أن يعتزل، أما أهل الحل والعقد من أهل الرأي والعلم والحلم فمثل هؤلاء ينبغي أن يتدخلوا لتلافي الأضرار والأخطار واستشراء هذه الفتن واستمرارها¹.

تمني رؤية النبي صلى الله عليه وسلم

محبة الله أصل ومن فروعها محبة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومحبه صلى الله عليه وسلم فرض، إذا كانت هذه المحبة تقتضي الإيمان بنبوته، وبعثته، وتلقي ما

¹ انظر شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري، د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير، (١/٧١).

جاء به بالمحبة والقبول، والرضا والتسليم، وقد تكون محبته صلى الله عليه وسلم مندوبة في حال تقصي أحواله ومتابعة سنته، والحرص على التزام أقواله وأفعاله قدر المستطاع والجهد والطاقة، لذلك سيأتي على الناس زمان يتمنون رؤيته صلى الله عليه وسلم أكثر من تمني رؤية أولادهم وأهلهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ، لَيَأْتِيَنَّ عَلَيَّ أَحَدِكُمْ يَوْمًا وَلَا يَرَانِي، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ " ¹.

هذا الحديث مما نراه ونعيشه اليوم، فإن أحدنا اليوم يتمنى أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم ولو للحظة، فمحبته صلى الله عليه وسلم غاية المطلوب، وذكره تعطر الأنفاس وتجلو القلوب، فعندما تسمع المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله، فقد ذكر المحبوب صلى الله عليه وسلم، أحب الخلق إلى قلبك، أعظم المحبوبين على الله من خلقه، فقد فتت محبته صلى الله عليه وسلم قلوب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، فكان اتباعهم له صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً، وهذه هي العلامة الفارقة بين المحب ومدعيه، فالمحبون والمتغنون بجماله في زماننا مدعون إلا من رحم الله تعالى، فتراهم لا يعملون بسنته ولا يأترون بأوامره، وصدق من قال: إن المحب لمن يحب مطيع.

¹ صحيح البخاري سبق تخريجه. مع صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب النظر إليه صلى الله عليه وسلم وتمنيه (٤/٢٣٦٤).

فتح فارس والروم

أخبرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم بما سيكون بعد وفاته، وذلك من خلال حديثين جليلين، وقد تحقق قسم منهما، فأول جيش من أمة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم غزا البحر كان جيش معاوية رضي الله عنه، وهي غزوة قبرص في زمن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، فعن نافع بن عتبة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة، قال: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف فوافقوه عند أكمة فإنهم لقيام ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد قال: فقالت لي نفسي ائتتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه¹، قال: ثم قلت لعله نجى معهم²، فأتيتهم فقمتم بينهم وبينه قال: فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي، قال: "تَغزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغزُونَ الدَّجَالَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ"³.

وفي حديث آخر: عن أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها: أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا"⁴، قالت أم حرام: قلت يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: "أَنْتِ فِيهِمْ"، ثم قال النبي صلى

¹ لا يغتالونه: أي يقتلونه غيلة وهي القتل في غفلة وخفاء وخديعة.

² نجى معهم: أي بناجهم ومعناه يحدثهم سرًا.

³ صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال (٤/٢٩٠).

⁴ أوجبوا: لأنفسهم دخول الجنة بجهادهم في سبيل الله تعالى.

الله عليه وسلم: "أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ". فقلت:
أنا فيهم يا رسول الله؟ قال "لا" ¹.

عندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى طيبة الطيبة، بنى دولته سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وبنى المسجد النبوي الشريف، وجعله نواة ومركزاً لانطلاق الدعوة الإسلامية إلى العالم، وجعل المحبة سائدة بين أصحابه، فلم يفرق ولم يطرد أحد منهم، على الرغم من وجود بعض المنافقين المندسين بين صفوفهم، بل صبر عليهم وألف بين قلوبهم، وحكم شريعته بالمخالفين المخطئين، فكان مجتمعاً متماسكاً، كيف لا وقد رباهم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبشرهم وهم بأصعب الظروف بفتوحات إسلامية مستقبلية، كفتح فارس والروم، فكان كما أخبر، ولكن المحزن والمؤسف أننا نرى حال المسلمين اليوم قد تغير إلى مجتمع متفكك متقاتل، حتى بين أقرب الناس رحماً، فكان المسلم لقمة سائغة لأعداء الدين، وأصبح الغرب والشرق من أعداء الأمة يغزون بلادنا ولا يجدون إلا الفئة القليلة التي تتصدى لهم، وذلك لأن المجتمع انعزل عن فكرة الجهاد، ورضي بالحياة الدنيا عن الآخرة، فمتى ستعود راية الإسلام والجهاد خفاقة عالية؟.

¹ صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم (٣/٢٧٦٦).

تقارب الزمان

ها هي الأيام تمر مسرعة، حتى أصبحنا لا نعرف أول الشهر من آخره لسرعتها، هذه السرعة الخيفة للأيام، قد حدثنا عنها الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، فقال في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ"¹.

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ"². وهذا من الأمور المعجزة في حديثه صلى الله عليه وسلم، فقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أنه لن تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، وهذا ما نجده في زماننا من سرعة تقلب الليل والنهار، اللذان يقربان البعيد ويبليان كل الحديد، وتجعل الصغير كبير، والسعيد من أدرك شبابه قبل هرمه، وفراغه قبل شغله، صحته قبل مرضه، واجتهد في عمل يقربه إلى ربه، فالسعيد من عمل صالحاً فلنفسه، واستعد ليوم الحساب، وسعى لدار السلام، واستعد لآخرته بالأعمال الصالحة وحسن الختام، فسرعة مرور الأيام عبرة وعظة لذوي العقول والأحلام، وأهل الذكرى والأفهام، فقدم لما تقدم عليه، والمرء لا يدري ما بقاؤه، وما هي أيامه، وما يدري ما يعرض له

¹ سبق تخريجه في بحث رفع العلم وانتشار الجهل.

² سبق تخريجه في بحث رفع العلم وانتشار الجهل.

في حياته وتقلباته، من موت أو عائق أو مانع أو حائل، فالكيس من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت.

استدارة الزمان

كانت العرب في جاهليتها قد غيرت ملة إبراهيم بالنسيء الذي ابتدعته، من عدم تعظيم الأشهر الحرم، وعدم إتمام مناسك الحج، وتحريم القتال فيها، فزادت به في السنة شهراً جعلتها كبيساً، وذلك لأسباب عدة، حتى كانوا يحجون تارة في المحرم، وتارة في صفر، حتى يعود الحج إلى ذي الحجة، حتى بعث الله المصطفى صلى الله عليه وسلم المقيم لملة إبراهيم عليه السلام فوافى حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، وقد استدار الزمان كما كان.

وقعت حجته صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة، وفي وسط هذه الجموع الحاشدة التي جاءت لحج بيت الله الحرام مع النبي صلى الله عليه وسلم، حيث ألقى خطبته الجامعة الخالدة، التي قرر فيها أسساً من الفضائل، ونبذ فيها أصولاً من الرذائل، وطرح فيها بدعاً من منكرات الجاهلية الأولى، وأبان فيها حقوق الله¹، فعن أبي بكر رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ

1 انظر كتاب ما دل عليه القرآن، للسيد محمود شكري الأوسى، المكتب الإسلامي، دمشق، (٢/٦٣)

كَهَيْئَتِهِ¹ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ² ثَلَاثٌ مَتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْحَرَمُ وَرَجَبٌ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ³، (أَيُّ شَهْرٍ هَذَا⁴) ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: (أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ)، قلنا: بلى، قال: (أَيُّ بَلَدٍ هَذَا) ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: (أَلَيْسَ الْبَلَدَةَ)، قلنا: بلى، قال: (فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا) قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: (أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ)، قلنا: بلى، قال: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ) (قال محمد وأحسبه قال) وَأَعْرَاضُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا وَتَسْتَلْقُونَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ

¹ إن الزمان قد استدار كهيئته: قال العلماء معناه أنهم في الجاهلية يتمسكون بملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم في تحريم الأشهر الحرم، وكان يشق عليهم تأخير القتال ثلاثة أشهر متواليات فكانوا إذا احتاجوا إلى قتال أخرجوا تحريم المحرم إلى الشهر الذي بعده وهو، ثم يؤخرونه في السنة الأخرى إلى شهر آخر وهكذا يفعلون في سنة بعد سنة حتى اختلط عليهم الأمر، وصادفت حجة النبي صلى الله عليه وسلم تحريمهم وقد طابق الشرع، وكانوا في تلك السنة قد حرموا ذا الحجة لموافقة الحساب الذي ذكرناه، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الاستدارة صادفت ما حكم الله تعالى به يوم خلق السموات والأرض، وقال أبو عبيد كانوا ينسؤون أي يؤخرون وهو الذي قال الله تعالى فيه إنما النسيء زيادة في الكفر فربما احتاجوا إلى الحرب في المحرم فيؤخرون تحريمه إلى صفر ثم يؤخرون صفر في سنة أخرى فصادف تلك السنة رجوع المحرم إلى موضعه.

² حرم: محرمة لا يقاتل فيها إلا من اعتدى.

³ ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان: إنما قيده هذا التقييد مبالغة في إيضاحه وإزالة اللبس عنه قالوا وقد كان بين مضر وبين ربيعة اختلاف في رجب فكانت مضر تجعل رجباً هذا الشهر المعروف الآن وهو الذي بين جمادى وشعبان وكانت ربيعة تجعله رمضان فلهذا أضافه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مضر.

⁴ أي شهر هذا: هذا السؤال والسكوت والتفسير أراد به التفخيم والتقدير والتنبيه على عظم مرتبة هذا الشهر والبلد واليوم.

عَنْ أَعْمَالِكُمْ إِلَّا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضَلَالًا يَضْرِبُ بَعْضَكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ إِلَّا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَلَعَلَّ بَعْضٌ مِنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ مَنْ سَمِعَهُ " .
فكان محمد إذا ذكره يقول صدق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال: (أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ) مرتين¹ .

هذا الحديث أصل في معرفة الدورات الفلكية ومنها الدورة الزمانية للقمر والشمس وغيرهما . فهو يتحدث عن الزمن وواقعه ودورته . وهذا البحث يسلط الضوء على علاقة الزمن (اليوم، الشهر، العام) باستدارة الزمان الواردة في الحديث وعلاقتها بما بخلق السموات والأرض واستخلاص نظرية الاستدارة (استدارة الزمان) ليعطينا معياراً قمرياً دورانياً . نستطيع به ضبط الأهلة .

هذا الحديث له معنى فلكياً مرتبط بالزمن وخاصة الأهلة (الميعات الزماني) وأن هناك نقطة بداية ونهاية تنتهي عند أول البداية . فالزمن في استدارته مثل هيئته وهي صورة شكله وحالته التي كان عليها (يوم خلق الله السموات والأرض) فهناك حساب كوني زمني عرفت مدته وهي ستة أيام وتساوي ٦٠٠٠ سنة بحسابنا يعطي دورات كبرى وصغرى، فيعطي معياراً قمرياً دورانياً ثابتاً لثبات الدورة الزمنية الكونية الأولى . ففي الحديث إشارة ضمنية إلى تكوُّر الكون، وتكوُّر جميع الأجرام فيه، لأن اللفظة: "استدار" ، تحوي بالإضافة إلى العودة والبدء، إشارة واضحة إلى استدارة الكون وتكوُّره لتعطي زمناً دورانياً، ويذكر أهل الفلك أن

¹ صحيح البخاري، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، (٣/١٦٧٩) الشبكة العنكبوتية "ملتقى أهل الحديث، منتدى الدراسات الفقهية". alma.trfi@hotmail.com . بتصريف

هناك ثلاث دورات كونية تمثل الأسس الرئيسية في الزمن الأولى: دورة الأرض حول محورها (اليوم). الثانية: دورة القمر حول الأرض (الشهر). الثالثة: دورة الأرض حول الشمس (السنة).

وهذه الدورات الفلكية ليست حديثة النشأة بل عرفت البشرية قديماً، ومن ذلك الأندقراطية عند الرومان وهي دورة ثمانية - قمرية مقدارها ٢٨٣٥ يوم - تستعمل في تصحيح التقويم وضبط السنة الشمسية، وقد قام العالم الفلكي اليوناني كليو ستراتوس التنيدي في القرن السادس ق. م. بتطوير الدورة الفلكية التي تتكون من ثمانية أعوام التي ورثها عن علماء بابل.

وكذا الدورة (العجلة) الثمانية والمسماة (oktais) التي كانت ملائمة لكلتا السنتين الشمسية والقمرية، بدأ العمل باستخدامها خلال القرن الخامس قبل الميلاد، وهذه تتعلق بالتقاويم، حيث تتألف من ٥ سنوات قمرية لكل منها ٣٥٤ يوماً، و٣ سنوات قمرية لكل منها ٣٥٥ يوماً، ليكون مجموع أيامها معاً (٢٨٣٥) يوماً، وقد عرف المسلمون أيضاً الدورات الزمانية وتكلم عنها ابن حزم والشهرستاني والرازي. والعوائد إذا جرت واستمرت وتكررت أفادت القطع، وكما يقول الفقهاء: العادة محكمة.

وإن حديث استدارة الزمان فيه معجزات نبوية وإشارات وقراءات فلكية وحسابية. يقول د. عبد الفتاح جلال: "إن التقويم الهجري القمري تقويم رباني طبيعي غير متكلف وعلينا نحن المسلمون، أن نطور التقويم الهجري ونحدثه ونكشف أسرارهِ.

ومن أسرار هذا التقويم الحديث الشريف: "اليوم استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض". وهذا يقود إلى الاعتقاد بأنه قد يكون هناك دورة كونية مرتبطة بالقمر وقد يتم اكتشافها يوماً ما". وقد تم بحمد الله اكتشاف هذه الدورة الفلكية الكونية الزمنية المرتبطة بالقمر وهذه الدورة لها تعلق بعلم الميقات وضبط (الأهلة) الأشهر دخولاً وخروجاً، وضبط الأعوام. من حيث وقوع حجة الوداع ضمن الاستدارة ومطابقتها للواقع السماوي حيث وافق يوم عرفة يوم الجمعة. وبانتهاء شهر ذي الحجة - الذي وقعت فيه حجة الوداع - ينتهي العام وتقفلك تلك الدورة. وتبدأ الدورة الأخرى الكبرى ال ٦٠٠٠ سنة¹.

انتشار الشرك في الأمة

الشرك بالله أنواع، منها عبادة الحجر، ومنها عبادة البشر، وهذا الأخير أشد أنواع الشرك خطراً، فهم يجعلون من أنفسهم أنداداً لله سبحانه وتعالى، ويشرعون للناس الشرائع التي تتوافق مع أهوائهم، فهؤلاء قد ضلوا وأضلوا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ"²

¹ المرجع نفسه.

² تضطرب: يضرب بعضها بعضاً.

أَلِيَّاتٌ¹ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخُلْصَةِ". و"ذو الخُلْصَةِ" طاغية² دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية³.

كانت جزيرة العرب في شرك وعبادة الأصنام فمكّن الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وأيده بجنده حتى حطم الأصنام، وانتشر التوحيد، ولكن مع اقتراب الساعة وابتعاد الناس عن الدين وزهدهم في العلم يعود فريق منهم إلى عبادة الأصنام والطواغيت، ولقد انتشرت مؤخراً في الكويت مجسمات ثلاثية الأبعاد على هيئة البشر مع أنها لا تعبد إنما صنعت للذكرى ولكنها قد تبدو كقطرة أولى على طريق عودة الأصنام وعبادتها، بل لقد وصل التساهل إلى حد إنشاء معابد في بعض دول الخليج، ولكن هناك عبادة ظهرت في العصر الحديث لا تقل خطراً عن عبادة الأصنام ألا وهي عبادة الحكام، فالعبادة في جوهرها هي مسألة اتباع وأن أخطر صور الطاغوت هي الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله، وهؤلاء لا يحكمون بإرادتهم، بل هم أشبه بالوكلاء، أو الولاة، أما الحاكم الفعلي لهم، فهو الرئيس الأمريكي، ودار الخلافة في البيت الأبيض، وبالتأكيد لن يختلف أحد من المسلمين على أن البيت الأبيض لا يحكم بما أنزل الله، لا التوراة الحقيقية، ولا الإنجيل، ولا القرآن، فلماذا إذن يقبل المسلمون الاحتكام إليه والالتزام بقراره في كل منازعات المسلمين، ومنازعات المسلمين مع غيرهم (إسرائيل) والطاغوت هنا ليس شخصاً

¹ أليّات: جمع ألية وهي عجيبة الإنسان وهو كناية عن عود عبادة الأصنام وطواف هؤلاء النساء حولها والسفر إليها.

² طاغية: صنم واسم لكل باطل وما يعبد من دون الله تعالى.

³ صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان، (٦/٦٦٩٩) مع صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس (٤/٢٩٠٦) وتقدس.

بسيطاً، بل نظاماً مركباً، ومتكاملاً هو النظام الأمريكي، وبالتالي فإن مصطلح (طاغوت) لفظ معجز، لأنه يشمل عدة احتمالات، وأشكال عبر العصور، والتبعية هنا لأمريكا وللإعلام الأمريكي، والكونجرس، والمنظمات الدولية التي تديرها أمريكا: الأمم المتحدة، صندوق النقد، البنك الدولي، منظمة التجارة العالمية، النظام المصرفي العالمي.

انتشار الشح (البخل)

إن الشح من الخصال المذمومة عند العرب قبل الإسلام، وكذلك عند المسلمين، فقد ذم الإسلام البخل واعتبره صفة سيئة لا يحمد عقباها، ولا يحمد صاحبها، فقال تعالى: (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر: ٩، والتغابن: ١٦). فجعل الله سبحانه وتعالى الوقاية من البخل من الفلاح والصلاح، بل لقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم انتشار البخل علامة من علامات الساعة، والتي يتقارب بها الزمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ وَيَلْقَى الشُّحُّ¹، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ". قالوا وما الهرج؟ قال "الْقَتْلُ الْقَتْلُ"².

فالبخل خلق ذميم قد حذرنا الله ورسوله منه، بل إن البخل ليحرم من ماله ورزقه قبل أن يحرم غيره، فقال تعالى وهو يصف لنا حال البخيل: (وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ

¹ الشح: البخل الشديد.

² سبق تخريجه.

عَنْ نَفْسِهِ) (محمد : ٣٨) ، والعرب في الجاهلية كانوا يتغنون بالكرم والشهامة كحاتم الطائي الذي ذاع صيته في أرجاء الجزيرة العربية، فإذا ما نظرنا إلى زماننا فإننا نرى أن البخل قد انتشر بين الناس انتشار النار في الهشيم، وما ذلك إلا للخوف من المستقبل، وضعف الإيمان بين الناس، فالبخل مرض من أمراض المجتمع النفسية، ولن يزول هذا المرض إلا بإيمان صادق بالله عز وجل وباليقين المطلق بأن الله عز وجل هو الرزاق، وأن من أنفق شيئاً لله فهو يخلفه.

تمني الرجل للموت لكثرة الفتن

بلاءٌ ووباءٌ، وفتنٌ وفسادٌ، وهرجٌ وقتلٌ وظلمٌ، ودماءٌ ودمارٌ، ومصائبٌ وهمومٌ وغمومٌ.....، لتُشكل مجتمعةً الحبل الذي يلف رقاب غالبية المسلمين في زماننا اليوم، لتَصْبُغ المناخ العام بالعجز والقنوط، فيُصبح باطن الأرض خيراً من ظاهرها، وانعدام الحياة خيراً من استمرارها، حتى يتناهى إلى مسامعنا صرخات طلاب الموت من عظيم ما يُأسون في هذه الحياة مخاطبين أهل القبور: أن هنيئاً لكم قد نجوتم من الحياة بأعجوبة، وظفرتم بالسلام مما نعيش ونقاسي، فيا ليتنا كُنّا مكانكم!، مصداقاً لحديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ"¹.

¹ صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور (٦/٦٦٩٨، ٢٧٩٥) مع صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل (١٥٧/٤).

وهذا ما رأيته عند بعض الزيارات للمقابر، مصداقاً لما ذكره صلى الله عليه وسلم، فلقد رأيت أحد الرجال يقف أمام أحد القبور ويبكي، ويقول: يا ليتني مكانك فإنك الآن مرتاح من هم الدنيا، وهذا المشهد يتكرر بشكل مستمر، وذلك لما يتعرض له الناس من فتن، ومصائب، والخوف من ذهاب الدين لغلبة أهل الباطل، وظهور المعاصي والمنكرات، و: إن اللبيب الفطن من المسلمين يعلم يقيناً أن ما وصلت مجتمعاتنا الإسلامية إلى هذا المستوى من الدمار الاجتماعي العالمي، إلا بعد أن ركبنا قطار الانحلال الأخلاقي، ضارين بعرض الحائط أي رادعٍ من ضمير أو وازعٍ من دين، فابتعدنا أكثر فأكثر عن التعاليم القويمة للدين الخفيف، ونسينا تماماً هدي المصطفى وسنته المطهرة، ورمينا خلف ظهورنا الدستور الأمثل والأكمل، بحجة بعده عن الحداثة، وعدم مواكبته متطلبات الحياة العصرية، إتباعاً دون هدي وتقليداً دون وعي للغرب الفاسد والماكر، جهلاً وغباءً، حتى لم يبق من الإسلام في حياتنا إلا الاسم، ولا من التشريع الإسلامي في تعاملاتنا إلا الذكرى، ليصبح الإسلام غريباً، ومن ينادي به منبوذاً مطروداً، بعد أن استخدم أعداء الدين كل مباحٍ ومحظور لفتنة المسلمين وإبعادهم عن دينهم، ابتداءً بالاحتلال الفكري، وليس انتهاءً بالاجتياح الإعلامي، فوصلوا إلى كل فردٍ وبيت، فانقلبت الموازين، واختلت القيم، وانتفت المبادئ، وتحولت الأخلاق إلى أثرٍ بعد عين، تتناقضها ألسنة العامة كذكريات وأمثال، حتى حورب كل داعٍ إلى الإصلاح أو محاربٍ للفساد، ليصبح في مجتمعه طريداً بدل أن يكون زعيماً، مدفوعاً بالأبواب بدل أن يدعى إليها، ليقف المصلح حينها كقطرة ماءٍ بين الحمم، فلا هو يستطيع إطفاء النيران من

حوله، ولا هو آمنٌ على نفسه من التَّبَخُّرِ، فيتمنى الموت على أن يلقي الله وقد جرفه التيار إلى هاوية المعاصي، عدا عما أصابه من شظايا الهموم والابتلاءات التي أوهنت جسده وقلبه، ليضيق الخناق عليه فيستصرخ وقد انقطع به النفس، مخاطباً من قد واره الشرى: "يا ليتني كنت مكانك، يا ليتني كنت مكانك".

وليس الكلام هنا دعوةً إلى الاستسلام أو للقنوط، بل هي وبكل أسف توصيف لحالٍ معاشٍ وواقعٍ نراه في آخر الزمان ها هنا، وإن أفضل النصيحة لمن يعيش زماننا اليوم هي الوصية المحمدية أن: "يَا عِبَادَ اللَّهِ اثْبُتُوا"¹، فليس هناك من سبيل لقضاء ما تبقى أعمارنا إلا بالصبر والثبات، وسؤال الله المعونة على ذلك.

تحريم حرق الإنسان بالنار

لا يخفى على كل ذي عقل ولب ما جاءت به الشريعة الإسلامية من رحمة وتواد، وتآلف وانقياد، فقد عظمت حرمة الإنسان مهما اختلفت ديانتها، وأوصت به خيراً ومنعت من خيانتها، فقد راعى الإسلام جانب الإحسان إلى الخلق أجمعين، وحرّم الاعتداء عليهم، فقد جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث فقال: "إِنْ وَجَدْتُمْ فَلَانًا وَفَلَانًا فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ". ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أردنا الخروج "إِنِّي

¹ سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم. (٢/٤٠٢٥).

أَمَرْتَكُمْ أَنْ تَحْرِقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذَّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا " 1 .

قوله صلى الله عليه وسلم: "فلاناً وفلاناً"، وهما هبار بن الأسود² والرجل الذي سبق منه إلى زينب بنت رسول الله ما سبق، وكان زوجها أبو العاص بن الربيع لما أسره الصحابة، ثم أطلقه النبي من المدينة شرط عليه أن يجهز إليه ابنته زينب، فجهزها فتبعها هبار بن الأسود ورفيقه، فنخسا بعيرها فأسقطت ومرضت من ذلك، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فقال: "إِنْ وَجَدْتُمُوهُ فَاجْعَلُوهُ بَيْنَ حِزْمَتِي حَطَبٍ ثُمَّ أَشْعِلُوا فِيهِ النَّارَ"، ثم قال: "إِنِّي لِأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُعَذِّبَ بِعَذَابِ اللَّهِ" فكان إفراد هبار هنا بالذكر، لكونه كان الأصل في ذلك والآخر كان تبعاً له، وسماه ابن السكن³ في روايته من طريق ابن إسحاق⁴: (نافع بن عبد قيس)، ثم أسلم هبار رضي الله عنه بعد الفتح وحسن إسلامه، وصحب النبي، ذكر الزبير رضي الله عنه أنه لما أسلم وقدم مهاجراً، جعلوا يسبونهُ،

1 صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله (٤/٢٨٥٣، ٦٥٢٤) مع شرح عمدة القاري (٢١/٤٧٠) مع بعض التصرف.

2 هبار بن الاسود بن عبد المطلب بن أسد ابن عبد العزى، (ت ١٥ هـ - ٦٣٦ م)، من قريش: شاعر، من الصحابة، كان له قدر في الجاهلية، وهو جد "الهباريين" ملوك "السند" (الأعلام للزركلي (٨٧٠).

3 ابن السكن: سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي، أبو علي، (ت ٣٥٣ هـ - ٩٦٤ م): من حفاظ الحديث، المرجع السابق (٣/٩٨)

4 ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى بالولاء، المدني، (ت ١٥١ هـ - ٧٦٨ م)، من أقدم مؤرخي العرب، من أهل المدينة، له (السيرة النبوية) هذبها ابن هشام، وكان قدريا، ومن حفاظ الحديث، زار الاسكندرية سنة ١١٩ هـ، وسكن بغداد فمات فيها، ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد، وكان جده يسار من سبي عين التم، المرجع السابق (٦/٢٨).

فذكر ذلك لرسول الله صلى اله عليه وسلم، فقال: "سُبَّ مَنْ سَبَّكَ" فانتهوا عنه .
قوله: "وَأَنَّ النَّارَ لَا يُعَذَّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ" هو خبر بمعنى النهي .

وفي الحديث جواز الحكم اجتهاداً، ثم الرجوع عنه، واستحباب ذكر الدليل عند الحكم لرفع الإلباس وفيه نسخ السنة بالسنة، وهو بالاتفاق وفيه جواز نسخ الحكم قبل العلم به أو قبل التمكن من العمل به .

وفي حديث آخر: عن عكرمة رضي الله عنه: أن علياً رضي الله عنه حرق قومًا، فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تُعَذَّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ"، ولقتلتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ"¹ .

ولقد رأينا في هذا الزمان من يبيح الحرق بالنار لمجرد مخالفته لرأيه، بل وعرض الحرق على شاشات الإعلام مما يؤدي إلى ردات فعل سلبية تجاه الإسلام والمسلمين، ولقد ذكرت في بداية رسالتي، تحت عنوان "النبي الذي أحرق قرية النمل"، تفصيلاً لذلك .

محاصرة العراق وبلاد الشام ومصر

تعيش الأمة الإسلامية الآن أخطر منعطفاتها العقدية والحضارية بعد قرون من الضعف والهزيمة والخنوع، وفي الخضم يظهر حديث نبوي شريف ينبج عنه خيط

¹ صحيح البخاري (المرجع السابق).

من الغيب، الذي يرسم لوحة نتيجة من نتائج هذا الصراع وملمحا من ملامحه، متضمنا أخباراً من أنباء الغيب والمستقبل، بل إننا نراه قد تحقق في زماننا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنَعْتُ الْعِرَاقُ دَرَاهِمَهَا وَقَفِيزَهَا¹ وَمَنَعْتُ الشَّامُ مَدْيَهَا² وَدِينَارَهَا، وَمَنَعْتُ مِصْرَ إِرْدَبَهَا³ وَدِينَارَهَا، وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ"، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه⁴.

وفي حديث آخر: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: "يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجِبِيَ إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دَرَاهِمٌ" قلنا من أين ذلك؟ قال: "مِنْ قَبْلِ الْعَجَمِ يَمْنَعُونَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّامِ أَنْ لَا يُجِبِيَ إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مَدْيٌ" قلنا من أين ذلك؟ قال: "مِنْ قَبْلِ الرُّومِ"⁵.

وهذان الحديثان السابقان من أعجب ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيكون بآخر الزمان، فقد وقع هذا قريباً جداً، فقد حوصرت العراق ومنع عنها الطعام والشراب، وكنى عن الطعام والمال بالقفيز الذي هو مكيال أهل العراق للحبوب، كذلك منع جباية المال إلى العراق مع الطعام، وهذا أمر غريب، إذ البلد

¹ قفيزها: القفيز مكيال معروف لأهل العراق.

² مديها: مكيال معروف لأهل الشام.

³ إردبها: مكيال معروف لأهل مصر.

⁴ صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل.. (٤/٢٨٩٦).

⁵ صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل.. (٤/٢٩١٣).

المحاصر قديماً كان يدفع المال في مقابل الطعام، ولم يكن يتصور منع المال عنه، لكن دل منع المال عن أهل العراق مع منع المال عنهم في نفس الوقت أن مصدر الأموال عندهم من التصدير، وإن الحصار يمنع عنهم الاستيراد كما يمنع عنهم التصدير، ودلّ هذا على أن ما يصدرونه للحصول على الأموال لا يمكن أن يكون إشارة واضحة إلى اعتماد العراق ككل دول البترول على تصديره كمصدر رئيسي وربما وحيد لميزانية هذه الدول، ولقد عبر الصحابي الجليل جابر رضي الله عنه عن الحصار أو ما يسمى في الإعلام المعاصر بالحصار بعبارة أخرى وبلفظ آخر وهو قوله "يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجَبَى إِلَيْهِمْ" وهو تعبير دقيق ينطبق على ما يسمى بالحصار العالمي للعراق الذي عاشه أهل العراق منذ دخول جيشهم إلى الكويت حتى سقوط بغداد واحتلالها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، وهو أدق وأصوب لغة ومعنى من تعبير الحصار، لأن الحصار يقتضي حصر البلد المحاصر داخل حدود لا يستطيعون الخروج منها كما يمنع غيرهم من دخولها¹، هكذا كان حصار المدن قديماً، إذ كان يحيط جيش العدو بأسوارها وأبوابها، أو حتى بحدودها، إذ لم يكن لها أسوار، ويمنعون دخول البضائع إليها بهذه الكيفية القديمة، أما الآن فالأمر مختلف تماماً إن استخدامنا لفظ الحصار القديم، إذ ليس للعراق الممتدة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، أسوار وليس لها بوابات وليس حول حدودها الشاسعة جيوش مترابطة كما في القديم، ومع هذا فقد منع عنهم الكيل والدواء والسلاح والدرهم حيث توقف تصدير البترول. وجاء المنع بقرار من مجلس الأمن بالمقاطعة

¹ بشريات النصر والتمكين مقالة على الفيس بتاريخ (٢٦/٩/٢٠١٥)

الاقتصادية والتجارية والعسكرية وبامثال الدول الخاضعة لهذا المجلس لهذه القرارات، ونظراً لأن الأيدي الخفية التي تحكم من وراء حجاب من خلال مجلس الأمن وبقوة أعضائه ونظراً لأنها لا تملك أن تخضع كل البشر والدول فإن الحصار أو بالتعبير الصحيح الدقيق المنع ليس كاملاً وتاماً، حيث هناك التهريب من الحدود فالحصار أو المنع ليس تماماً ولا كاملاً، لذا جاء التعبير عنه بقول جابر رضي الله عنه "يُوشِكُ" بمعنى يكاد، ونظراً لأنه منع بقرار وبامتناع أكثر الدول والشركات العالمية عن البيع والشراء مع العراق جاء التعبير بقوله "أَلَا يُجَبَى إِلَيْهِمْ" ، صحيح أن أكثر العرب يقاطعون العراقيين ويمنعون عنهم الطعام، ولكن لا يخطر على بال أحد في الزمان السابق المعاصر للصحابة أنه سيأتي يوم على شعوب الأرض جميعاً يخضعون لقرار واحد، ويستجيبون لهيئة واحدة، ولذا كان أقرب تعبير عن هذه المقاطعة العالمية للعراق يفهمه أهل ذلك الزمان هو أن العجم أي كل شعوب الأرض من غير العرب هم الذين يمنعون الطعام عن أهل العراق، وإذا تأملنا النص، وجدناه مطابقاً مع الواقع الفعلي المعاصر، إذ أن التابعين المتلقين عن جابر سألوه: من أين ذلك؟. وهو سؤال عن مصدر المنع وأصل الحصار وليس عن الذين يمنعون بالتحديد فجاءت الإجابة بأن المصدر هو العالم كله، أو هو هيئة تمثل دول العالم، إذ قال جابر رضي الله عنه: العجم يمنعون ذلك؟. وعلى هذا يمكن القول أن المنع الحادث عن العراق أعجمي، لأن كل شعوب الأرض ما عدا العرب "رسمياً" بمقتضى موقف اليمن في مجلس الأمن قد فرضوا هذا الحصار عن رضی وطواعية، لأن مجلس الأمن يومئذ، الدائمين فيه وغير الدائمين عدا اليمن، هو مصدر الحصار أو بالتعبير

الدقيق مصدر المنع وعلى هذا فليس أدق من إجابة جابر رضي الله عنه عن مصدر الحصار أو المنع من قوله: "الْعَجْمُ يَمْنَعُونَ ذَاكَ". فهو منع وليس حصار من ناحية، ومصدره، وأساسه كل شعوب وأمم ودول الأرض ماعدا العرب، فهم إذن العجم. وإذا كان الخبر الأول من حديث جابر رضي الله عنه قد حدث ولا زال قائماً، فإنه يقيناً، خاصة وأن الحديث صحيح، سيحدث الخبر الثاني وهو حصار الشام، بل أقول قد حدث بالفعل وما زالت الشام تعاني من هذا الحصار فقال جابر رضي الله عنه: "يُوشِكُ أَهْلُ الشَّامِ أَنْ لَا يُجَبِّيَ إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدْيٌ" تعبير المنع نفسه، والمدى هو مكيال أهل الشام للطعام، فهو إذن منع الطعام عن أهل الشام، وكذلك منع المال عنهم، أي لا استيراد ولا تصدير. فلما سألوا جابراً رضي الله عنه عن مصدر هذا المنع "قلنا: من أين ذاك؟ قال: "مِنْ قَبْلِ الرُّومِ". والروم في التراث الإسلامي هم أهل أوروبا، وفي هذه الإجابة الدقيقة من جابر رضي الله عنه أن الذي سيقود الحصار هم الروم والمتمثلة الآن بأوروبا وأمريكا التي هي أقوى دول العالم المعاصر، والتي تقود مجلس الأمن وتحكم العالم من خلاله أيضاً هي من أوروبا في الأصل، فالشعب الأمريكي أوربي الأصل، وهم الذين تحدثت عنهم السنة باسم بني الأصفر وباسم الروم، وهذا ما حدث. وهذا الصراع الذي يحدث بين أوروبا والشام، إنما هو ملامح صورة العالم الجديد المؤدية إلى صراع قوتين عظيمتين في الأرض هما أوروبا الموحدة المشتركة بالله تعالى والخلافة الإسلامية بقيادة المهدي لينتهي الصراع بين التوحيد والشرك بدخول المسلمين روما بعد الملحمة العظمى والتي تتلوها ملاحم بين المسلمين والروم تنتهي بآخرها، أي الملحمة العظمى التي

يفتح الله تعالى على المسلمين أوروبا، و خلاصة القول أن تغيير مصدر المنع من العجم بالنسبة للعراق إلى الروم بالنسبة للشام وهو الكائن الآن¹.

وختاماً :

لقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوع حوادث كثيرة لفتن متنوعة في زمانه وفي آخر الزمان، ابتداء من هلاك كسرى إلى حادثة الإسراء والمعراج، وأكد صلى الله عليه وسلم على خطورة الكذب عليه صلى الله عليه وسلم، كما بشر عدد من الصحابة ببشائر منها الشهادة ودخول الجنة، كما بشر الأمة بحسن الظن بالله وأثر المحبة في الله، كما أنه صلى الله عليه وسلم قد حذر الأمة من قطيعة الرحم ومن الظلم والقتل، ومن أخطر ما حذرنا منه صلى الله عليه وسلم، قتال المسلمين بعضهم بعضاً، فقد حرم الله دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، فهي من أخطر هذه الفتن وأضرها على المسلمين، كما حذر الأمة من فتن الشهوات والشبهات والتي يصبح فيها العبد مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، مصداقاً لحديثه صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنهن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيَمْسِي كَافِرًا أَوْ يَمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا"²، ولذلك فإن الحديث عن المستقبل من خلال أحاديثه صلى الله عليه وسلم الصحيحة مهم للغاية، وذلك للاستعداد ولأخذ الحيطة، ولعدم اليأس،

¹ موقع دنيا المسلم، بقلم فراس نور الحق، بتاريخ (١٨/١١/٢٠١٨).

² صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، (١/١١٠)

فواقعنا المؤلم الذي نحياه، قد يكون قائماً ولكن التسلح بالإيمان والتقوى ومحبة الله ورسوله، يعطي المؤمن قوة مضاعفة في مواجهة هذه الفتن، وعلمه بأن الله عز وجل إذا شاء أمراً فلا بد أن يكون، ولا تزال الفتن تظهر في الناس وتزداد يوماً بعد يوم كأعواد الحصير، كفتنة التلفاز، وفتنة الجوال، وفتنة النظر إلى الحرام من خلال ما آلت إليه حال المرأة المسلمة من تبرج وسيفور في الطرقات، وفي أماكن العمل التي أصبحت مرتعاً للرديلة، بل أصبح المال الحرام عند الكثيرين غذاءً وشراباً، لا يلقي له بالاً، ونسي ذلك المسكين بأن الجسد الذي نبت من الحرام مآله إلى النار، وأن الله عز وجل لا يستجيب دعائه، والمضحك المبكي أن الملتزم العفيف الذي شاء الله عز وجل أن يُجنبه الفتن، تراه منبوذاً غريباً في مجتمع أصبح كالدئاب الضارية، وما اعتقده جازماً أننا أصبحنا في زمن الغربة والتمييز، وذلك مصداقاً لقوله تعالى:

(لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (الأنفال: ٣٧)، فالناس الآن في غربة حتى يصبحوا على فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، وهؤلاء الخثالة من الناس شرار فجار، لا يعرفون عهداً ولا يؤدون أمانة، إذا عاهدوا غدروا، وإذا ائتمنوا خانوا، وإذا حدثوا كذبوا، وما رأيت أعظم فتنة من مقاربة الفتن، وقل من يقاربها إلا وقع فيها، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فأجود الأشياء قطع أسباب الفتن وترك الترخص فيما يجوز إذا كان حاملاً ومؤدياً إلى ما لا يجوز ولزوم الخير وتجنب الشر، ولا يكون ذلك إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والسير على منهج السلف، الذي لا نجاة للأمة إلا به، وأرشد النبي صلى الله

عليه وسلم الإنسان إلى الاهتمام بخاصة نفسه، وترك أمر العامة، وخاصة عند عدم الاستجابة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الثالث

أحاديث غيبية لم تظهر ولكن لا بد من ظهورها وتحققها

هناك الكثير من الأحاديث التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تظهر إلى الآن، ولكنها ستظهر في المستقبل بل لا بد من ظهورها لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وإن الإخبار عن هذه الأمور المستقبلية، ثم وقوع هذه الأمور مطابقة للخبر من أهم دلائل النبوة، وهذا دليل واضح للقاصي والداني على صدق النبي عليه الصلاة والسلام، لأن هناك معركة كبيرة بين أهل الإيمان وبين أهل الكفر والنفاق الذين يحاربون الإسلام والإيمان بشتى الوسائل والطرق؛ فتراهم يحاولون غرس الشك في قلوب المتعلمين والمثقفين والعوام من أهل الإسلام والبعيدين عن دين الله عز وجل، يحاولون غرس الشك في نبوته صلى الله عليه بل إن الكثير من أهل الكفر من يستفسرون ويقولون: بأن محمداً عليه الصلاة والسلام هل هو قائد عسكري؟ أو رجل ناجح؟ أو سياسي ماهر؟ أو عظيم من العظماء؟ فهناك من أهل الكفر من هو مستعد لأن يمشي معك على أنه صلى الله عليه وسلم قائد عسكري، وحاكم سياسي ناجح، وعظيم من العظماء، وبطل من الأبطال، ورجل غير مجرى التاريخ. إنهم يؤمنون بأنه عظيم من العظماء، ولكن لا يؤمنون بأنه نبي، وخاتم الأنبياء، ومن وسائل إثبات أنه نبي، أنه صلى الله عليه وسلم قد أخبر عن أشياء ستقع في المستقبل، فهل تحقق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من بعض المغيبات بالنسبة لزمانه صلى الله عليه وسلم، وهذا

من أكبر الإثباتات على أنه نبي، لأن الشخص العادي لا يمكن أن يحدد بالدقة كل هذه الأشياء، وتقع كما أخبر، فهذه من الفوائد المهمة في إظهار دلائل النبوة، فالله أطلع نبيه عليه الصلاة والسلام على أشياء من الغيب فأخبرنا بها عليه الصلاة والسلام، وقع كثير منها كما أخبر، وسيقع الباقي بالتأكيد، وسيذكر الباحث ما جاء في الصحيحين عن أمور قد أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم ولم تتحقق إلى الآن ولكنها ستتحقق فالمسألة مسألة وقت.

المبحث الأول

الأمة المحمدية والساعة

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) (الأعراف: ٣٤)

عمر أمة الإسلام ومدّة بقائها

عندما يتم الحديث عن آجال وأعمار الأشخاص، فإن المتحدث والسامع سيفكرون بثلاثة أشياء، تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة والمرحلة التي تتوسط الولادة والموت وما فيها من أحداث وتطورات، كذلك هي أعمار الأمم، فإذا نظرنا إلى تاريخ ميلاد هذه الأمة، فإن عمر الأمة الآن ونحن في سنة ١٤٤٠ بعد الهجرة، وإذا أضفنا لها السنوات التي قضاها النبي في الدعوة بمكة قبل الهجرة وهي ثلاثة عشر سنة سيبلغ عمر أمتنا اليوم ١٤٥٣ سنة قمرية، وهذا لا خلاف فيه بين الناس، أما عن المرحلة الأخيرة من المراحل الثلاثة التي ذكرت فلا يعلم تحديدها الحقيقي إلا الله مع الاتفاق على أننا اليوم نعيش المراحل الأخيرة من آخر الزمان، لكن رغم ذلك لا ضرر من تحليل النصوص الدينية المتعلقة بعمر الأمة، وبناء على ذلك، لا ضرر من التوقع والاستنتاج بشرط أن لا تخرج النظرة إلى النتائج عن إطار أنها اجتهاد بشري قابل

للخطأ، فعن سالم بن عبد الله¹ عن أبيه رضي الله عنهما، أنه أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيَمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَّمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ فَعَمَلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأَعْطِينَا قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ: أَيُّ رَبَّنَا أَعْطَيْتَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَلْ ظَلَمْتُمْ مِمَّنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مِنْ أَشَاءِ إِنَّمَا"²، وفي حديث آخر: عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بإصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ"³ كَهَاتَيْنِ"⁴5.

1 سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي، (ت ١٠٦ هـ - ٧٢٥ م)، أحد فقهاء المدينة السبعة، ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم، دخل على سليمان بن عبد الملك فما زال سليمان يرحب به ويرفقه حتى أقعده معه على سريره.

توفي في المدينة

2 صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل المغرب (٢١٤٨، ١/٥٣٢، ٢١٤٩، ٣٢٧٢، ٤٧٣٣، ٧٠٢٩، ٧٠٩٥)

3 والساعة: قيام القيامة.

4 كهاتين: أي مقترنين كاقترانهما أو الفارق بين بعثتي وقيام الساعة كالفرق بين الأصبعين في الطول والمراد بيان قرب وقت قيام الساعة.

5 صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة والنازعات، (٤/٤٦٢٥، ٤٩٩٥، ٦١٣٨) مع صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب قرب الساعة (٤/٢٩٥٠).

لقد اطلعت على كثير من الأبحاث التي تحدد عمر الأمة الإسلامية والفترة المتبقية قبل قيام الساعة، ووجدت أن معظم الأبحاث تعتمد على بعض الأحاديث النبوية الشريفة الموجودة في غير البخاري ومسلم، ووصل درجة صحة البعض منها إلى درجة الحديث الحسن، وإلى بعض التحليلات والاستنتاجات التي كانت نتيجة بعضها أن القيامة يفترض أن تقوم عام ١٧٥٠ ميلادية وظهر في بعض التحليلات والاستنتاجات الأخرى أنه يحتمل أن تقوم الساعة عام ١٧٥٠ هجرية بدلاً من ميلادية وهو ما يساوي عام ٢٣٢٠ ميلادية، والأكيد أن وقتها الحقيقي والدقيق لا يعلمه الا الله، ولن نقول على الله ما لا نعلمه.

المبحث الثاني

فضل العبادة في الهرج

غابت عن أكثر المسلمين شمسُ أسباب الوجود التي لأجلها خلق الله الانس والجن، والجنة والنار، ولأجلها أرسل الرسل والكتب، وهي السبب في وجودنا، ووظيفتنا التي خلقنا لنؤديها، والتي هي: "عبادة الله" ... قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦)، غابت وحق لها أن تغيب، خلف أسوار الفتن وغيوم الشهوات، فأظلمت قلوب العباد بالمعاصي، وابتعدت جوارحهم عن شواطئ الطاعات، فأبحروا في ظلام بحور الحياة الدنيا دون نور للإيمان يرشدهم لطريق الفلاح والنجاح، بعد أن تعطلت منارات الإصلاح، فأنس الناس بالمنكرات وألفوها، وأوغلوا في وُحُول الشبهات وسكنوها، فضيعوا دينهم بدنياهم، حتى لم تكف تعرف المسلم الا من اسمه، ليكون هذا حال أغلب المسلمين، فإن كثيراً ممن ينتسبون إلى الإسلام لا يعرفون لهذه الغاية حقها بل لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه وخاصة، فيكون العابد المتمسك بدينه فيهم شاذاً غريباً منبوذاً مطروداً، يتمسك بجذور العبادات على أرض الاستقامة وحده ضد أعاصير الفتن من حوله، تكاد رياح الرذيلة تطفئ جذوة الايمان في قلبه، يداريها بكل صعوبة بالمحافظة على الفرائض والتمسك بالسنة، وليس هذا بالأمر اليسير، فهو كالصخرة ثابت في وجه سيول المنكرين عليه من حوله، حتى من أقرب الناس اليه، وأن الأمة اليوم قد كثر فيها الهرج، وهذا ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عن معقل بن يسار رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال: "الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ"¹ 2، في زمن الهرج الذي لبست فيه الدنيا أجمل أثواب الشهوة، وتعطرت بأعلى عطور المغريات، وصبغت وجهها بألوان الفوضى، يقف الحليم فيها حيراناً، لا يعلم يقيناً أي الدروب درب النجاة من دروب الهلاك المتناثرة حوله، تلطمه أمواج من الأهوال والهموم والعداء والشقاق، فيقف وحده مذهولاً من عظيم الأمر حوله، محترقاً من الداخل ومن الخارج، ككابوسٍ لا يدري متى يستيقظ منه ليعلم أصواب ما هو عليه، وهو وحده دون جُلِّ الناس من حوله !!؟، فيكون بثباته على الحق حينئذٍ أجره كأجر من جاهد نفسه وترك أهله وماله وتجارته وجميع دنياه.

¹ العبادة في الهرج كهجرة إلي: المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا الأفراد
² صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب فضل العبادة في الهرج، (٤/٢٩٢٨)

المبحث الثالث

الإمارة لا تكون إلا في قريش

حظيت الخلافة والإمارة في الإسلام بمكانة عظيمة أولها إياها الشارع، كونها من أعمدة بناء الدولة وأركانها الأساسية، وتبلورت إلى ممارسة عملية بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، استعانوا بتنفيذها على الوجه الشرعي الصحيح بالوصايا النبوية، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا يَزَالُ¹ هَذَا الْأَمْرُ² فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ اثْنَانِ³ .

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ⁴ فِي هَذَا الشَّأْنِ مُسْلِمُهُمْ تَبَعٌ لِمُسْلِمِهِمْ وَكَافِرُهُمْ تَبَعٌ لِكَافِرِهِمْ . وَالنَّاسُ مُعَادِنُ خِيَارِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّ النَّاسِ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الشَّأْنِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ⁵ . وهنا كان الحديث خبرياً وطلبياً لفظاً ومعنى، فهو لفظ اخباري بما سيقع، ومعنى طلبي أن تبقى الخلافة في قريش، وبه احتج المهاجرون على الأنصار بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ليستقر المسلمون عنده وتكون الخلافة في قريش، وان اخبار النبي عليه

¹ لا يزال: يبقى ويستمر.

² الأمر: الخلافة.

³ صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب قريش (٣/٣٣١٠، ٦٧٢١) مع صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش (٣/١٨٢٠).

⁴ تبع لقريش: أي هم المقدمون في الإمارة وعلى الناس أن يطيعوهم في ذلك.

⁵ صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى.. (٣/٣٣٠٥) مع صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش (٣/١٨١٨).

الصلاة والسلام ببقاء الخلافة في قريش وهو وعدٌ ببقائها فيهم ما أقاموا شرع الله، فيلزم انقطاعها عنهم ما لم تكون خلافتهم على منهج النبوة، والتي وإن انقطعت كما هو حالنا اليوم ستعود اليهم ببعث خليفة الله المهدي سليل بيت النبوة القرشي .

وإن من مقاصد وجوب الإمارة هو توحيد كلمة المسلمين تحت راية أمير واحد كما كان الحال في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كان هو الأمير على جميع المسلمين على اختلاف انتماءاتهم قبل الإسلام، بعد أن كانوا قبائل متفرقة ضعيفة لكل منهم شيخ قبيلة يحكمهم، ولتكون العصبية إسلامية بحتة لا للقبيلة ولا للعرق، بل للإسلام وحده، لا أفضلية لعربي فيها على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى .

المبحث الرابع

حفظ الدين بظهور المهدي وظهور الجهاد والقحطاني وفتح القسطنطينية

إن من حكمة الله عز وجل وجود الدين، فلن يُحفظ حق الضعيف عند القوي، ولن يُرد للمظلوم مظلّمته ويُنصفَ من الظالم، بدون دين يحكم بين الناس، وقد أكرم الله حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم بخاتم الرسالات، وجعل أمته خير الأمم، ودينه أكمل الأديان، وتعهّد له بحفظ دينه، من خلال حفظ كتابه العزيز فقال: (إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَلْحَافِظُونَ) (الحجر: ٩)، وليس هذا لدين غير الإسلام، التي لم يسلم منها دينٌ من التحريف والتغيير واختلاط كتبهم بكلام الناس مع كلام الله، ليكون الإسلام هو الدين الوحيد المقبول عند الله فقال: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران: ٨٥)،

فأمر سبحانه أن يكون الحكم بما أمر فقال: (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) (يوسف: ٤٠)، وجعل الإسلام هو الحاكم، وشريعته هي الدستور الساري بين العباد، فاقتضى لإقامة ذلك وجوب وجود الخلافة والإمارة كركنٍ أساسي لحفظ الدين والعرض، وألزم العلماء ببيان ذلك عملاً وقولاً، ليكون هناك من يحميه ويدافع عنه، ويحفظه من التحريف والتغيير، فيكون الخليفة سيف الله في أرضه، يحلل الحلال، ويحرم الحرام، ويقيم الحدود.

وقيض لهذا الدين من يجدده على رأس كل مئة عام، حتى اذا انتشرت الفتنة وأصبح الدين في آخر الزمان غريباً، يصبح الرجل فيه مؤمناً ويمسي كافراً وبالعكس، يأذن عندها ببعث رجل من عترة النبي عليه الصلاة والسلام ليكون حاكماً بأمر الله، يُخرج الناس من جور الأديان وظلم العباد، إلى عدالة الإسلام ورحمة رب العباد، ليردهم إلى دينهم ويصلح لهم دنياهم، حتى لا يكونوا عباداً للعباد، وإنما ليصبحوا عباداً لله تعالى .

١- المهدي

يؤمن أهل السنة والجماعة بأنه رجل يخرج في آخر الزمان من ذرية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، اسمه يواطئ اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، واسم أبيه يواطئ اسم أبي النبي صلى الله عليه وسلم، أي اسمه محمد بن عبد الله من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة رضي الله عنها، يحكم الأرض سبع سنوات، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهو منحسر شعر الجبهة، طويل الأنف مع تحدب في وسطه ودقة أرنبته، يصلحه الله في ليلة، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، وتنعم في عهده نعمة لم تنعمها قط، يعطي المال صحاحاً، ويحثيه حثياً، ولقد جاء في الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةً يُعْطِي الْمَالَ وَلَا يَعُدُّهُ عَدًّا"¹. يكون أول ظهور له في البيت الحرام بعد موت خليفة واقتتال لثلاثة من أبناء الخلفاء على كنز الكعبة فلا يصير إلى أحد منهم فيبايع المهدي بين الركن والمقام، وأهل السنة لا يتعبدون بانتظاره إذ لم يرد في أي نص من النصوص حسب معتقد أهل السنة أن المسلمين متعبدين بانتظاره، ولا يتوقف على خروجه أي شرعية نقول إنها غائبة حتى يأتي الإمام المهدي، وسيعتمد الباحث في هذا البحث على بعض الأحاديث الموجودة في غير الصحيحين، فقد جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِي الْأَرْضُ ظُلْمًا وَعَدْوَانًا، قَالَ: ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِثْرَتِي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَأُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَعَدْوَانًا"²، وهذا الحديث إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وهناك أحاديث يحتمل كونها في شأن المهدي منها:

الحديث الأول: عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، أن عائشة رضي الله عنها قالت: عَبَثَ³ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ، فَقَالَ: الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا

¹ صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل... (٤/٢٩١٤).

² مسند الإمام أحمد بن حنبل، كتاب المكثرين من الصحابة، باب مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (٣/١١٣٣١).

³ عبث: قيل معناه اضطراب بجسمه وقيل حرك أطرافه كمن يأخذ شيئاً أو يدفعه.

مِنْ أُمَّتِي يُؤْمُونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ، قَالَ: نَعَمْ فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ¹ وَالْمَجْبُورُ² وَابْنُ السَّبِيلِ³ يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا⁴ وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى⁵ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلَى نِيَاتِهِمْ⁶.

الحديث الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُبَاعِعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحْلَوْهُ فَلَا يُسْأَلُ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبْشَةُ فَيُخْرَبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمْ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ"⁷.

الحديث الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَائِقِ⁸، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا تَصَافَوْا قَالَتْ الرُّومُ خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْنَا⁹ مِنْ نَقَاتِهِمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ

1 المستبصر: هو المستبين لذلك القاصد له عمداً.

2 والمجبور: المكره.

3 وابن السبيل: المراد به سالك الطريق معهم وليس منهم.

4 يهلكون مهلكاً واحداً: أي يقع الهلاك في الدنيا على جميعهم.

5 ويصدرون مصادر شتى: أي يبعثون مختلفين على قدر نياتهم فيجازون بحسبها.

6 صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت... (٤/٢٨٨٤).

7 مسند الإمام أحمد بن حنبل، كتاب المكترين من الصحابة، باب مسند أبي هريرة رضي الله عنه. (٢/٨)

8 بالأعماق أو بدائق: موضعان بالشام بقرب حلب.

9 سبوا: روي سبوا على وجهين فتح السين والياء وضمهما قال القاضي في المشارق الضم رواية الأكثرين قال وهو الصواب قلت كلاهما صواب لأنهم سبوا أولاً ثم سبوا الكفار.

إِخْوَانَنَا، فَيَقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا¹، وَيَقْتُلُ ثَلَاثَهُمْ أَفْضَلَ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَحُ الثُّلُثُ لَا يَفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَقُوا سِوْفَهُمْ بِالزَيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِكُمْ فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَعْدُونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ².

الحديث الرابع: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْتِي الْمَالَ حَتَّى لَا يَعُدَّهُ عَدَدًا"، قال: قلت لأبي نصرَةَ وأبي العلاء أترَيان أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا³.

الحديث الخامس: عن محمد بن الحنفية رضي الله عنهما، عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الْمُهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُصَلِّحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ"⁴5.

1 لا يتوب الله عليهم أبداً: أي لا يلهمهم التوبة.

2 صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب في فتح القسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى... (٤/٢٨٩٧).

3 سبق تخريجه، راجع الصفحة السابقة رقم (١).

4 يصلحه الله في ليلة: قال ابن كثير أي يتوب عليه ويوفقه يلهمه رشده بعد أن لم يكن كذلك.

5 سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب خروج المهدي (٢/٤٠٨٥).

الحديث السادس: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ" 1.

الحديث السابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ" 2.

الحديث الثامن: عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُقْتَلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطَّلُعُ الرَّايَاتُ السُّودَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يَقْتُلْهُ قَوْمٌ، ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ، فَقَالَ: فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةٌ لِلَّهِ الْمُهَدِيِّ" 3، وهذا الحديث صحيح على شرط الشيخين.

وقد تواترت الأحاديث بظهور المهدي تواتراً معنوياً، كما نص على ذلك بعض الأئمة والعلماء كالحافظ أبو الحسن الأبري⁴ الذي قال: قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر المهدي وأنه من أهل بيته وأنه

1 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا (١/١٥٦).

2 المرجع السابق (١/١٣٠).

3 سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب خروج المهدي (٢/٤٠٨٤).

4 أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم الأبري السجستاني، (ت ٣٦٣ هـ - ٩٧٤ م)، وآبر: قرية من عمل سجستان (سير أعلام النبلاء، باب الإمام الشافعي، (١٠/١٢).

يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه .

وقال محمد البرزنجي¹ في كتابه الإضاءة لأشراط الساعة²: الباب الثالث في الأشراط العظام والأمارات القريبة التي تعقبها الساعة وهي كثيرة منها المهدي وهو أولها، وأعلم أن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر. وقال أيضاً: قد علمت أن أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان وأنه من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة عليها السلام بلغت حد التواتر المعنوي فلا معنى لإنكارها .

¹ السيد محمد بن رسول بن عبد السيد بن قلندر الحسيني البرزنجي الشهرزوري المدني، ولد بشهرزو قرية من بلاد الكرد بالعراق (١١٠٣/٥١٠٤٠)، بالمدينة المنورة ودفن بالبقيعنشأ بها وقر القرآن وجوده على والده وقرأ على الملا زيرك والملا شريف الصديقي الكوراني، رحل واخذ العلم من العلماء من ماردين وحلب واليمن ودمشق ومصر وبغداد وتوجه إلى المدينة المنورة فلازم العلامة المحقق إبراهيم بن حسن الكوراني والشيخ أحمد القشاشي، وعمل مدرسا بالحرم النبوي، من مصنفاته (إضاءة لأشراط الساعة، إضاءة النيراس لازاحة الوسواس الخناس، التريج والتصحیح لصلاة التسبیح، رجل الطاوس في شرح القاموس . (من كتابه الإضاءة لأشراط الساعة)

² إن من نفائس ما كتب البرزنجي عن أشراط الساعة من بدايتها إلى أن تطوى صفحة الدنيا، معتمداً في سردها على تبيان من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم. ومن المعلوم أن فقه أشراط الساعة.. من الأمور المهمة في الدين، ويدل لذلك آخر حديث جبريل المشهور، حيث سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة، ثم علاماتها.

إن لهذا الكتاب مميزات يرتفع بها عما سواه، ويختص بها عما عدا، فهو ليس من الكتب التي ابتدعت تفسيرات للنصوص، وقصرت علامات من أشراط الساعة على أحداث خاصة بظنون اجتهادية، كما أنه لم يسطر ترهات هذى بها بعض الكتاب فيما يتعلق ببعض أشراط الساعة، فكانت أشبه بتتميق الخراصين والكهان، لما يزعمون من شق ستار الغيب واستشكاف الأحداث من اللوح. ومع كثرة ما كتب وما سيكتب، في هذا الموضوع، يبقى هذا الكتاب المبارك مرجعاً علمياً ومصدرًا هاماً لمن أراد المعرفة والاطلاع والإحاطة بأحداث آخر الزمان.

كما أن كاتب هذا الكتاب هو محدث بارع مشهور، جرى في تأليفه على سنن الأسلاف، وأودع فيه من الفوائد الحديثية والأشراط ما لا يوجد في سواه، كما ألحق به تعليقات للعلامة محمد الكاندهلوي.

وقال العلامة محمد السفاريني¹: وقد كثرت بخروجه؛ أي المهدي الروايات حتى

بلغت التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم.

وقال العلامة المجتهد الشوكاني²: الأحاديث في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر التي

أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف

والمنجبر وهي متواترة بلا شك ولا شبهة.

وقال العلامة الشيخ صديق حسن خان³: الأحاديث الواردة فيه؛ أي المهدي على

اختلاف رواياتها كثيرة جداً تبلغ حد التواتر المعنوي، وهي في السنن وغيرها من

دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد.

¹ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: (١١١٤ - ١١٨٨ هـ = ١٧٠٢ -

١٧٧٤ م) عالم بالحديث والاصول والادب، محقق، ولد في سفارين (من قرى نابلس) ورحل إلى،

دمشق فأخذ عن علمائها، وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيها. (الأعلام للزركلي، ٦/١٤)

² محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، (١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ = ١٧٦٠ - ١٨٣٤ م) ن

فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن)

ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكماً بها، وكان يرى تحريم التقليد، له ١١٤

مؤلفاً، منها (نيل الاوطار من أسرار منتقى الاخبار - ط) ثمانى مجلدات، و(البرد الطالع بمحاسن

من بعد القرن السابع (الأعلام للزركلي، ٦/٢٩٨).

³ محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب:

(١٢٤٨ - ١٣٠٧ هـ = ١٨٣٢ - ١٨٩٠ م)، من رجال النهضة الإسلامية المجددين، ولد ونشأ في

قنوج (بالهند) وتعلم في دهلي، وسافر إلى بهوپال طلباً للمعيشة، ففاز بثروة وافرة (المرجع

السابق، ٦/١٦٧).

وقال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني¹: والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة وكذا الواردة في الدجال وفي نزول سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام².

وينقسم الناس بالنسبة لاعتقادهم بظهور المهدي إلى ثلاثة أصناف:

أما الصنف الأول فهم أهل السنة والجماعة: ويعتقدون بظهوره بحسب ما دلت عليه النصوص الشرعية الثابتة والمذكور بعضها أنفاً.

وأما الصنف الثاني فهم المنكرون لظهور المهدي: وهم أصحاب مذهب باطل، وليس عندهم علم بالنصوص الشرعية، وأقوال العلماء، فينكرون الأمور الغيبية التي لا تتوافق مع أهوائهم ولا تدركها عقولهم، ويعتبرون ظهور المهدي خرافة دخلت على الإسلام من قبل بعض الفرق الضالة ويرون بطلان الأحاديث التي ذكرت المهدي.

وأما الصنف الثالث الغلاة في المهدي المنتظر: وهم المذاهب الضالة التي ادعت كل جماعة منها أن زعيمها هو المهدي المنتظر.

أما بالنسبة لأشهر علامات ظهور المهدي عند أهل السنة والجماعة:

ينبغي العلم بأن أحاديث المهدي قد بلغت حد التواتر المعنوي كما ذكرت، ولكن هناك عدداً كبيراً من الأحاديث قد وضعت من قبل الوضّاعين من غير ملة أهل

¹ محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي، أبو عبد الله، (١٢٧٤ - ١٣٤٥ هـ = ١٨٥٧ - ١٩٢٧ م)، مؤرخ محدث، مكثّر من التصنيف، مولده ووفاته بفاس، رحل إلى الحجاز مرتين، وهاجر بأهله إلى المدينة سنة ١٣٣٢ هـ، فأقام إلى سنة ١٣٣٨ وانتقل إلى دمشق فسكنها إلى سنة ١٣٤٥ وعاد إلى المغرب، فتوفي في بلده (المرجع السابق، ٦٧٢).

² أنظر كتاب أشراط الساعة ل/ يوسف بن عبد الله الوابل، ص (١٩٥ - ٢٠٣).

السنة والجماعة، وذلك ليتطابق الحديث مع ما يدّعون، فقد ادعى المهديوية عددًا لا بأس به من الكذابين، وكان آخرهم كم شاهدت في مدينة حماه عام (٢٠٠٨)، ولم أعلم له اسمًا، ولكن انكشف كذبه ودجله، وحاله كحال كثيرين ممن ادعى المهديوية، ومع ذلك فكل من ادعاها لا يضر بمعتقد أهل السنة والجماعة في المهدي وأنه خارج لا محالة ليحكم الأرض بشريعة الإسلام، ولذلك فإن هناك علامات كثيرة عند أهل السنة تسبق ظهور المهدي وقد بدأت تظهر في هذا العصر الذي انقلبت فيه الموازين، والذي يكون فيه زعيم القوم أرذلهم ويسود القبيلة فاسقها، عصر النساء الكاسيات العاريات، العصر الذي تلد فيه الأمة ربتها، هذه العلامات تخبرنا بكل صراحة أن زمن الظهور الحقيقي قد اقترب فمن أشهر هذه العلامات التي ظهرت والتي تؤكد أننا في آخر الزمان، هي عودة اليهود إلى أرض فلسطين بعد أكثر من ألفي سنة من الشتات لإقامة دولة إسرائيل الثانية وعلوها علوًا كبيرًا، في وعد الآخرة، وذلك تصديقًا لما جاء في سورة الإسراء، وهناك علامة أخرى لا تقل أهمية عن السابقة وهي أعراب الخليج الحفاة رعاة الشاة العالة الذين يتطاولون في البنيان، ومن العلامات القوية لظهوره هي وجودنا حاليًا في السنوات الأخيرة من الحكم الجبري، الذي ورد في حديث حذيفة رضي الله عنه وقد تم ذكره بالتفصيل فيما سبق، وما يعقبها هو المرحلة الرابعة وهي عودة الخلافة على منهاج النبوة على أيدي المهدي المنتظر، ورغم أننا لا نعرف بالضبط كم سيطول احتضار الحكم الجبري قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، لكن بكل تأكيد ما يشهده العالم الإسلامي اليوم يفصح بوضوح أن الأمر لن يطول عقودًا أو قرونًا، ومن العلامات

أيضاً فتنة الأحلاس، فعبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قعوداً، فذكر الفتن فأكثر ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس فقال: قائل يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ قال: "هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخْنَهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمِي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَيَّ رَجُلٍ كَوْرِكَ عَلَيَّ ضِلَعٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدَّهِيْمَاءِ لَا تَدْعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمْتَهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَتْ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيَمْسِي كَافِرًا حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ، فُسْطَاطِ إِيْمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيْمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ"¹. وأعتقد أن فتنة الأحلاس قد حدثت

والأمة الآن بدأت تغوص أكثر في هذه الفتنة، فتنة الدهيماء، وفتنة الدهيماء هي فتنة عامة تضرب الأمة كلها الآن، وهذه الفتنة تشهد مراحلها الأخيرة والتي سيكون من نتائجها عودة الخلافة على منهاج النبوة وظهور المهدي وبعدها سيظهر الدجال، وكما هو واضح للعيان أن فتنة بلاد الشام التي نعيش أحداثها، هي فصل هام وطويل من فتنة الدهيماء العامة والتي هي امتداد لفتنة مصر وتونس وليبيا والجزائر والعراق والسعودية واليمن، والتي بسببها طبول الحرب العالمية الثالثة تقرع اليوم، والتي ربما ستؤدي إلى انهيار العملات الورقية والعودة إلى استعمال الذهب والفضة كعملة، وغيرها من الانقلابات السياسية التي توطئ لظهور المهدي.

¹ سبق تخريجه مسند الأمام أحمد (٢/٦١٦٨)

اشتهر بين الناس ولم يظهر إلى الآن، وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيكون في آخر الزمان ألا وهو رجل يسمى الجهجاه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْجَهْجَاهُ" قال مسلم: هم أربعة أخوة شريك وعبيد الله وعمير وعبد الكبير بنو عبد المجيد¹؛ ففي آخر الزمان يقع الكثير من الأمور والأحداث التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم، لكي يتنبه لها المسلم ويستفيق لعله يتدارك نفسه ويكون ضمن زمرة المؤمنين الثابتين على الحق ودين الله بإيمان صادق وأعمال صالحة، ومن تلك الأحداث ظهور الجهجاه، ولقد ذكر الإمام القرطبي في كتابه التذكرة، حيث شرح أنه في آخر الزمان يأتي رجل يحكم ويسوق الناس بعصاه كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه، ولم يرد نفس العصا، وإنما ضرب بها مثلاً لطاعتهم له واستيلائه عليهم إلا أن في ذكرها دليلاً على خشونته عليهم وعسفه بهم وقد قيل: إنه يسوقهم بعصاه كما تساق الإبل والماشية، وذلك لشدة عنفه وعدواه، وأصل الجهجهجة الصياح بالسبع²، ولم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم بحدِيثه ما إذا كان الجهجاه ملكاً صالحاً أم فاسداً.

¹ صحيح مسلم، سبق تخريجه (٤/٢٩١١).

² كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، (٢/٣٠٢)

اختلف العلماء في هذا الرجل هل هو رجل صالح، أم أنه رجل شرير فقيل: إنه رجل شرير، يحكم الناس بالقوة، بدليل أنه ذكر في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِّنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ"¹. والصحيح أن القحطاني يخرج من قحطان، ويحكم الناس بالعدل، وهو رجل صالح، تدين له الناس بالطاعة، وتجتمع عليه، ويكون ذلك عند تغير الزمان، ولهذا ذكر البخاري رحمه الله حديث القحطاني في باب تغير الزمان، والقحطاني ليس هو المهدي الذي سيخرج في آخر الزمان، وليس القحطاني هو الجهجاه الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الجهجاه رجل من الموالي، أما القحطاني فهو من الأحرار نسبة إلى قحطان²، الذي تنتهي أنساب أهل اليمن من حمير³ وهمدان⁴ وغيرهم إليه.

¹ صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ذكر قحطان (٣/٣٣٢٩، ٢٧٠٠) مع صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل (٣/٢٩١٠).

² قحطان بن عابر بن شالح بن أرفخشذ ابن سام بن نوح: أصل العرب القحطانية، وأبو بطون حمير، (الأعلام للزركلي، ٥/١٩٠).

³ مملكة حمير: قبيلة سبئية اعتنقت الديانة اليهودية، كانت تنتشر في مناطق ريمة وتعز وإب وذمار وأجزاء من صنعاء ومأرب، وعاصمتهم ظفار في محافظة إب، وامتدت دولتهم لفترتين، الأولى منذ سنة ١١٥ ق.م إلى سنة ٣٠٠م، وعرفت بالدولة الحميرية الأولى، لأن قبيلة حمير غلبت واستقلت بمملكة سبأ، وعرف ملوكها ب"ملوك سبأ وذي ريدان"، وهؤلاء الملوك اتخذوا مدينة "ريدان" عاصمة لهم بدلاً من مأرب

⁴ قبيلة همدان: قبيلة لمملكة سبأ، وهي من أهم قبائلها.

٤- فتح القسطنطينية

النبي صلى الله عليه وسلم يبشرنا بعودة الإسلام بقوة وعودة عز الإسلام ومجد الإسلام، قطعاً الأيام التي نعيشها الآن فيها للأسف ضعف للإسلام والمسلمين والأمة في حال من الشقاء وتسلط الأمم على أمة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لذلك يذكر الباحث جزء من حديث فتح القسطنطينية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "... فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينَةً، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سِيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونَ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِكُمْ... " ¹؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام يخبرنا أنه في المستقبل لن تقوم الساعة حتى ينزل الروم وهم أوروبا وأمريكا، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول أن هؤلاء أي أوروبا وأمريكا سيأتون بجيش كبير ولا تقوم الساعة حتى ينزل هؤلاء في الأعماق أو بدابق، ثم تحدث معركة هائلة بينهم وبين أهل الإسلام، هذه المعركة التي ستحدث كما بشرنا النبي صلى الله عليه وسلم يهتم بها أعداء الإسلام كثيراً جداً وخاصة نصارى أوروبا حتى إنهم يسمونها باسم آخر يسمونها بـ (معركة هرمجدون)، أما نحن المسلمون فنسميها معركة فتح القسطنطينية أو معركة مرج دابق، فينتصر فيها المسلمون انتصاراً ساحقاً، وبينما هم يقتسمون الغنائم كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم يحدث حدث عجيب جداً، تأتي إشاعة أو خبر أن المسيح الدجال قد خلفكم في أهليكم، أي في بلاد الشام

¹ سبق تخريجه.

فيتركون الغنائم ويرجعون إلى أهلهم خوفاً أن يصيب الدجال أهلهم بضرر، فيأتون الشام فما يجدون الدجال، فهي إشاعة لكن في هذا الوقت فعلاً بعدها بقليل يخرج الدجال، عندما يخرج طبعاً هنا يبدأ الخوف ففي هذا الوقت يبين لنا النبي صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء المسلمين بينما يسوون الصفوف لإقامة الصلاة وهم يسوون الصفوف في هذا الوقت يوجد إمام للمسلمين، هذا الإمام هو كما جاء الحديث هو المهدي ففي رواية من الروايات فيكون إمامهم المهدي، فخليفة المسلمين وإمام المسلمين وأمير المسلمين هو محمد بن عبد الله المهدي الذي بشر النبي صلى الله عليه وسلم بخروجه في آخر الزمان .

لقد بشرنا النبي صلى الله عليه وسلم بفتح القسطنطينية وعودتها إلى الإسلام، وهذا دليل على أن القسطنطينية (إسطنبول) ستسقط إما بيد الملحد (روسيا والصين) أو بيد الكفار (أوروبا وأمريكا)، وما نراه الآن من محاولات لزعة استقرار (تركيا) والانقلاب على الحكومة من قبلهم لا يخفى على ذي لب وعقل، أو ربما ستسقط بيد العلمانيين كما حدث بعهد جمال الدين أتاتورك، الذي كان السبب الأساسي بسقوط الخلافة العثمانية وتحويل تركيا إلى دولة علمانية بامتياز، ثم عادت إلى حظيرة الإسلام، ولكن الغرب الكافر والشرق الملحد لن يهنا له بال إلا إذا حقق مطامعه في عودة تركيا إلى دولة علمانية وهذا ما سيكون لوجود الأحاديث الصحيحة التي تنص على فتح القسطنطينية (إسطنبول). وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن طريقة فتحها من قبل المسلمين؛ فقال: كما جاء في الحديث الذي رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةِ جَانِبِ مَنَاهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبِ مَنَاهَا فِي الْبَحْرِ"؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا"، قَالَ ثَوْرٌ لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ الَّذِي فِي الْبَحْرِ، "ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْأَخْرُ ثُمَّ يَقُولُوا الثَّلَاثَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَيَفْرَجُ لَهُمْ فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغْنَمَ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَرَجَ فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ"¹.

فالقسطنطينية ستفتح بالتكبير، ولقد فتحت القسطنطينية أول مرة على يد محمد الفاتح العثماني والفتح الثاني الذي تكلمنا عنه هو قبيل ظهور المسيح الدجال. هذه خلاصة بسيطة عن مسألة ظهور المهدي، والجهجاه، والقحطاني، وفتح القسطنطينية، وكل إنسان عليه أن يجهز نفسه ويعدّها ويجهزها لهذا الأمر العظيم؛ فالأمة اليوم بحاجة إلى جيل يعيد مجد الإسلام والمسلمين، جيل ينظر للإسلام والمسلمين نظرة أوسع من نظرة تنظيمات أو أحزاب أو جماعات، لذلك يجب على شباب الأمة أن يعودوا إلى دينهم وإلى عقيدتهم فهم أمل الأمة، فالمعركة القادمة هي معركة حاسمة بين أهل الإسلام وأهل الكفر، فلا بد أن يستعد كل واحد لهذه المعركة، والاستعداد ليس فقط بالسلاح فالمسألة ليست مسألة سلاح وإلا فالسلاح الآن موجود أضعاف مضاعفة؛ لكن هل استطعنا أن نقيم

¹ سبق تخريجه سابقاً صحيح مسلم، (٤/٢٩٢٠)

شريعة الله ومنهجه؟ هل استطعنا أن نفتح الفتوحات الكبرى؟ لماذا؟ لأن المسألة ليست مسألة سلاح المسألة مسألة دين وطاعة الله عز وجل وخوف من الله عز وجل، إلى الآن لم تظهر الجماعة التي يرتضيها النبي صلى الله عليه وسلم لذلك لم يتنزل علينا النصر العظيم¹.

¹ انظر موقع تبيان، بعنوان بشرى النبي صلى الله عليه وسلم بعودة الإسلام، فتح القسطنطينية (تاريخ ٢٠١٧/١/٢٨).

المبحث الخامس

التحذير من الدجالين ومنهم الأعداء الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتال اليهود وخروج يأجوج ومأجوج ثم دابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها

لقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كثير من الفتن التي ستعصف بهذه الأمة من زمانه صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، وذكر من هذه الفتن فتنة المسيح الدجال، حيث حذر النبي عليه الصلاة والسلام منها المسلمين، كما حذر منها الأنبياء والمرسلون أقوامهم من قبل، ولكن قبل الدجال سيخرج دجالون يضلون الناس، وهذا ما كان ففي عهده صلى الله عليه وسلم ظهر بعضهم، كالأسد العنسي، وطليحة بن خويلد الأسدي، وكان أخطرهم وأشدهم على الإسلام والمسلمين مسيلمة الكذاب، فقد استطاع أن يضل الآلاف من الناس البسطاء، ويقنعهم أنه رسول من عند الله عز وجل، ولقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بأن خروجهم سيستمر حتى تستوفي عدتهم التي أخبرنا الصادق المصدوق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى يكون آخرهم المسيح الدجال، الذي يخرج في آخر الزمان، وليس تحديد العدد هو المقصود به كل من ادعى النبوة مطلقاً، لا فإن من سيدعي النبوة كثر، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أراد من ذكر هذا العدد، وهم الذين سيكون لهم أتباع كثر وشوكة، فعن أبي هريرة رضي

الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ" ¹.

ولقد أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من التحذير من الدجال وفتنته، حتى أنه كان يستعيد بالله منه، وذلك لعظيم خطرة وفتنته على أهل لإيمان، فلقد جاء في الحديث الذي رواه عروة بن الزبير رضي الله عنهما عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ وَالدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْحَيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ ³ وَالْمَغْرَمِ ⁴" فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ؟ فَقَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ" ⁵.

المسيح الدجال وصفته

الدجال: المسيح الدجال هو رجل من بني آدم، ذكر النبي عليه الصلاة والسلام صفات كثيرة له حتى يعرفه الناس، فيكونون منه على حذر، وهو مسيح الضلالة

¹ صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣/٣٤١٣، ٦٥٣٦، ٦٧٠٤، وانظر ٩٨٩، ٥٦٩٠) مع صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب إذا توجه المسلمان بسيفيهما وباب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر. (٤/١٥٧).

² فتنة: هي المحنة والابتلاء

³ المأثم: ما يسبب الإثم الذي يجر إلى الذم والعقوبة.

⁴ المغرم: الدين الذي لا يجد وفاءه أو الدين مطلقاً.

⁵ صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الدعاء قبل السلام (١/٧٩٨، ٢٢٦٧، ٦٧١٠) مع صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة (١/٥٨٧، ٥٨٩).

الذي يفتن الناس، ويعيث في الأرض فساداً بما يعطى من الخوارق كإنزال المطر، وإخراج نبات الأرض، والمقصود بالدجال الكذاب من الدجل والتغطية .

أما صفته: فقد أخبرنا عنها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بين ظهري الناس المسيح الدجال فقال: " إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ إِلَّا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ¹ وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي الْمَنَامِ فَإِذَا رَجُلٌ أَدْمٌ كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أَدْمِ الرِّجَالِ تَضْرِبُ لِمَتِهِ² بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ رَجُلٌ الشَّعْرُ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً وَأَضْعَا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالُوا هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا وَرَاءَهُ جَعْدًا قَطِطًا³ أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بَابِنِ قَطْنٍ⁴ وَأَضْعَا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا الْمَسِيحُ الدَّجَالُ⁵ .

وفي حديث آخر: عن سالم عن أبيه رضي الله عنهما قال: لا والله ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعيسى أحمر، ولكن قال: " بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ

1 عنبه طافية: ناتئة عن حد أختها من الطفو وهو أن يعلو الماء ما وقع فيه والعنبه الطافية هي الحبة الكبيرة التي خرجت عن أخواتها.

2 لمته: هي الشعر إذا جاوز شحم الأذنين سميت بذلك لأنها ألت بالمنكبين.

3 قططاً: شديد جعودة الشعر.

4 بابن قطن: هو عبد العزى بن قطن بن عمرو الجاهلي الخزاعي وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها.

5 صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت.. (٣/٣٢٥٦) مع صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال. وفي الفتن وأشراف الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه (١/١٧١).

فَإِذَا رَجَلُ آدَمَ سَبَطَ الشَّعْرَ يَهَادِي بَيْنَ رَجَلَيْنِ، يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً، أَوْ يَهْرَاقُ رَأْسَهُ مَاءً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ، فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرٌ جَسِيمٌ جَعَدُ الرَّأْسِ أَعْوَرَ عَيْنِهِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الدَّجَالُ، وَأَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطْنٍ¹.

فالمسيح الدجال هو رجل آدمي وصفه النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث وفي غيره وصفه وصفاً خلقياً واضحاً، حيث إن من صفاته أنه رجل أحمر قصير جعد الشعر، أفحج الساقين، عينه اليمنى مطموسة كأنها عنبه طافية، وعينه اليسرى عليها ظلف كالجلدة التي تخرج من المآقي، ومكتوب بين عيني الدجال كلمة كافر يقرؤها كل مسلم سواء كان كاتباً أم لم يكن كذلك، وقد سمي بالدجال لأنه يكذب على الناس وينشر بينهم أفكار الدجل التي لا تستند إلى دليل أو حجة؛ حيث يدعي النبوة ثم الألوهية حتى يهلكه الله.

مكان وجوده:

لم يرد ذكر المسيح الدجال صراحة بالنص في القرآن لكن بعض المفسرين يرون أن هناك آيات تدل عليه في القرآن: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ) (الأنعام: ١٥٨)، بينما ورد ذكره صراحة في السنة النبوية المطهرة وذلك في عديد من الأحاديث مثل حديث تميم

¹ المرجع السابق.

الداري فقد جاء أن فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس رضي الله عنهما قالت: سمعت نداء المنادي منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي: الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: "لِيلْزَمَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "إِنِّي مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَهْبَةٍ وَلَا رَغْبَةٍ وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ أَنْ تَمِيماً الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ وَجَذَامٍ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ وَأَرْفُؤُوا إِلَى جَزِيرَةٍ¹ حِينَ مَغْرَبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ السَّفِينَةِ² فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ³ كَثِيرَةَ الشَّعْرِ، قَالُوا: وَيْلَكَ مَا أَنْتِ؟ قَالَتْ: أَنَا الْجِسَّاسَةُ، قَالَتْ: انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي هَذَا الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبْرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرَقْنَا مِنْهَا⁴ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَأَنْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدُّهُ

¹ ثم أرفؤا إلى جزيرة: أي التجأوا إليها قال في اللسان أرفأت السفينة إذا أدنيتها إلى الجدة والجددة وجه الأرض أي الشط.

² فجلسوا في أقرب السفينة: الأقرب جمع قارب على غير قياس والقياس قوارب وهي سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنينة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم وقيل أقرب السفينة أدانيها أي ما قارب إلى الأرض منها.

³ أهلب: الأهلب غليظ الشعر كثيرة.

⁴ فرقنا منها: أي خفنا.

وثنافًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيَلِّكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَّرْتُمْ عَلَى خَبْرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أَنْاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ¹ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ فَجَلَسْنَا فِي أَقْرِبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِينَا دَابَّةً أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعْرِ لَا يُدْرَى مَا قَبْلَهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ، فَقُلْنَا: وَيَلِّكَ مَا أَنْتَ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبْرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ² قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا: لَهُ نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بَحِيرَةِ الطَّبْرِيَّةِ؟ قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرٍ³ قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا؟ قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَيَّ مِنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ

¹ اغتلم: أي هاج وجاوز حده المعتاد.

² نخل بيسان: هي قرية بالشام.

³ عين زغر: هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام.

ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي،
 إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجُ، فَأَسِيرُ فِي الْأَرْضِ
 فَلَا أَدْعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهَمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ
 كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ
 السِّيفُ صَلْتًا¹ يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَيَّ كُلَّ نَقَبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا،
 قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَطَعَنَ بِمُخَصَّرَتِهِ فِي الْمَنْبَرِ، هَذِهِ
 طَيْبَةٌ هَذِهِ طَيْبَةٌ هَذِهِ طَيْبَةٌ، يَعْنِي الْمَدِينَةَ إِلَّا أَهْلَ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ
 النَّاسُ: نَعَمْ، فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنْ
 الْمَدِينَةَ وَمَكَّةَ، إِلَّا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلَّ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا
 هُوَ² مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ قَالَتْ:
 فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ³.

كيفية خروج المسيح الدجال وأتباعه ومدة لبثه في الأرض وكيفية الوقاية منه:

يخرج الدجال كما ذكر لنا النبي صلى الله عليه وسلم من المشرق أي من أرض
 خراسان حيث يمر بكل الأراضي والأقطار ويدخلها إلا مكة والمدينة، حيث يكون
 على أنقابها مَلَائِكَةٌ تحرسها منه، ويكون سبب خروج الدجال من غضب يغضبه

1 صلتاً: بفتح الصاد وضمها أي مسلولاً

2 ما هو: قال القاضي لفظة ما هو زائدة صلة للكلام ليست بناافية والمراد إثبات أنه في جهة
 الشرق.

3 صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب قصة الجساسة (٤/٢٩٤٢).

حيث يعيثر بعدها في الأرض فساداً محدثاً الفتنة الكبيرة، والبلاء العظيم، وإن أكثر أصناف الناس اتباعاً للدجال اليهود، حيث جاء في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يَتَّبِعُ الدَّجَالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ"¹ 2.

وفي حديث آخر: عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ³ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: "مَا شَأْنُكُمْ؟" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: "غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَأَمْرُؤُ حَاجِبُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَائِفَةٌ كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعَزَّى بْنِ قَطَنِ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَانْتَبِهُوا" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبِثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: "أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمًا كَسَنَةِ يَوْمٍ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ

1 الطيالية: جمع طيلسان والطيلىسان أعجمي معرب قال في معيار اللغة ثوب يلبس على الكتف يحيط بالبدن ينسج للبس خال من التفصيل والخيطة.
2 سبق تخريجه باب في بقية من أحاديث الدجال (٤/٢٩٤٤).
3 فخفض فيه ورفع: خفض بمعنى حقر وقوله رفع أي عظمه وفخمه فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى عوره.

فَذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَسَنَتْهُ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةٌ يَوْمٍ؟ قَالَ: "لَا أَقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ"¹ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: "كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتَنْبِتُ، فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتَهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا² وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفَ عَنْهُمْ فَيَصْبِحُونَ مُمْلِحِينَ³ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمْرُ بِالْخَرْبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكَ فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِبِ النَّحْلُ"⁴ 5.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستعيد في صلاته من فتنة الدجال، فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ

1 اقدروا له قدره: أي إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض كلها مؤداة في وقتها.

2 فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرًا: أما تروح فمعناه ترجع آخر النهار والسارحة هي المشاية التي تسرح أي تذهب أول النهار إلى المرعى والذرا الأعالي والأسنمة جمع ذروة بالضم والكسر وأسبغه أي أطوله لكثرة اللين وكذا أمده خواصر لكثرة امتلائها من الشبع.

3 فيصبحون مملحين: أي أصابهم المحل من قلة المطر ويبس الأرض من الكلا وفي القاموس المحل على وزن فعل الجذب والقحط والإمحال كون الأرض ذات جذب وقحط يقال أمحل البلد إذا أجذب.

4 كيغاسيب النحل: هي ذكور النحل.

5 سبق تخريجه (٤/٢٩٣٧).

بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْخِيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي
أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ" ¹.

وأيضاً من أراد الوقاية منه ومن فتنته فعليه اللجوء إلى مكة والمدينة حيث لا
يدخلها الدجال أبداً فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال: "لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ" ² الدَّجَالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ
نِقَابِهَا نَقَبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ ³ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا
ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ" ⁴.

فتنة الدجال

فتنة المسيح الدجال هي فتنة في العقيدة بلا شك، حيث تكون من مهامه صرف
الناس عن دينهم من أجل الإيمان به وبألوهيته المزعومة، ويكون من مظاهر فتنته
للناس أن يكون عنده نهران وقيل كذلك جنة ونار، فأما جنته فهي جحيم لمن
دخلها، وأما ناره فهي نعيم للمؤمنين، فقد جاء في الحديث الصحيح، قال عقبه بن
عمرو لحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله صلى
الله عليه وسلم؟ قال: إني سمعته يقول: "إِنَّ مَعَ الدَّجَالِ إِذَا خَرَجَ، مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا

¹ صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب الدعاء قبل السلام (١/٧٩٨، ٢٢٦٧، ٦٧١٠) مع
صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة (٥٨٧، ٥٨٩).

² سيطؤه: سيدهله.

³ ترجف: تزلزل.

⁴ صحيح البخاري، كتاب الحج، باب لا يدخل الدجال المدينة (٢/١٧٨٣، ٦٧٠٦، ٦٧١٥، ٧٠٣٥)
مع صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب قصة الجساسة (٤/٢٩٤٣).

الَّذِي يَرَى النَّاسَ أَنَّهَا النَّارُ فَمَاءٌ بَارِدٌ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسَ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ فَنَارٌ
تَحْرِقُ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ¹ فَلْيَقْعْ فِي الَّذِي يَرَى أَنَّهَا نَارٌ فَإِنَّهُ عَذْبٌ بَارِدٌ².

ويهرب الناس منه إلى الجبال كما جاء في الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله رضي
الله عنه يقول: أخبرتني أم شريك: أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:
"لَيَفِرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ فِي الْجِبَالِ" قَالَتْ أُمُّ شَرِيكِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ
يَوْمَئِذٍ، قَالَ: "هُم قَلِيلٌ"³.

المؤمن الذي يتحدى الدجال:

يخرج رجل من شباب المسلمين متوجهاً نحو الدجال عند خروجه فيتلقيه جيش
الدجال فيأخذونه إلى الدجال، كما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَخْرُجُ الدَّجَالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ⁴ مَسَالِحُ الدَّجَالِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ
إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا
خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ فَيَقُولُ: بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ
تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَالِ، فَإِذَا رَأَهُ الْمُؤْمِنُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا
النَّاسُ هَذَا الدَّجَالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَيَأْمُرُ

¹ فمن أدرك منكم: أي خروج الدجال.

² صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣/٣٢٦٦) مع صحيح مسلم،
كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٤/٢٩٣٤، ٢٩٣٥).

³ سبق تخريجه مسلم (٤/٢٩٤٥).

⁴ المسالِح: قوم معهم سلاح يرقبون في المراكز كالخفراء سموا بذلك لحملهم السلاح.

الدَّجَالُ بِهِ، فَيُشَبِّحُ¹ فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشَجُّوهُ فَيُوسِعُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ضَرْبًا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِي، قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ، فَيُؤْشَرُ بِالْمُتَشَارِ مِنْ مَفْرَقِهِ حَتَّى يَفْرَقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ فَيَسْتَوِي قَائِمًا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي فَيَقُولُ: مَا أَزِدُّكَ فِيكَ إِلَّا بِصِيرَةٍ، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيَجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوتِهِ نَحَاسًا فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَيَقْدِفُ بِهِ فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّهَا قَذْفُهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ².

ولذلك ينبغي لكل عالم أن يبيث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال، ولا سيما في زماننا هذا الذي اشرأبت فيه الفتن وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنن، وصارت السنة فيه بدعة وصارت البدعة فيه سنة شرع يتبع.

نزول عيسى عليه السلام من السماء وقتله للدجال

أجمع المسلمون على أن عيسى ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ينزل من السماء إلى الأرض في آخر الزمان، وبذلك فسر أكثر المفسرين قوله تعالى: (وَإِنَّمِنُ

¹ فيشبح: أي يمد على بطنه.

² سبق تخريجه مسلم (٤/٢٩٣٨).

أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) (النساء: ١٥٩)، فنزول عيسى عليه السلام في الإسلام ثابت بأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية ويجب على كل مسلم ومسلمة الإيمان بذلك فيعتقد المسلمون اعتقاداً لا مرية فيه بأن عيسى ابن مريم لم يصلب ولم يقتل وأن الله عز وجل قد رفعه إلى السماء وسوف يعود آخر الزمان، والإيمان بنزول النبي عيسى عليه السلام من الإيمان باليوم الآخر الذي هو الركن الخامس من أركان الإيمان فقد ثبت أن النبي عيسى عليه السلام سوف ينزل في آخر الزمان فيقتل المسيح الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يقبل من أهل الكتاب إلا الإسلام أو السيف، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا فَلْيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَلْيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ وَلْيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ وَلْيَتَرَكََنَّ الْقِلَاصَ¹ فَلَا يُسَعَى عَلَيْهَا وَلْيَتَذَهَبَنَّ الشُّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ وَلْيَدْعُونَ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ"².

ولعل الحكمة من نزول عيسى ابن مريم عليه السلام عند المسلمين في آخر الزمان هو أن يجعل من أسباب ظهور الإسلام، الذي هو دين الأنبياء جميعاً، ظهوراً كاملاً شاملاً على هذه الأرض، فبعدما اختلف الناس فيه، وتحزبوا لأجله على أحزاب وطوائف، ليدل هؤلاء المختلفين على حقيقة أمره، ويفصل بينهم فيما اختلفوا فيه

¹ ولتتركن القلاص: القلاص جمع قلوص وهي من الإبل كالفتاة من النساء والحدث من الرجال ومعناه أن يزهدها فيها ولا يرغب في اقتنائها لكثرة الأموال وإنما ذكرت القلاص لكونها أشرف الإبل التي هي أنفس الأموال عند العرب.

² سبق تخريجه مسلم (١/١٥٥).

من شأنه، فينصر المسلمين، ويقاتل اليهود، ويقتل زعيمهم المسيح الدجال، ويلزم النصرى بالإسلام، ولا يقبل منهم جزية، ويبطل مقاتلتهم بأنهم قتلوه، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، وفي هذا بيان لإبطال ما سوى الإسلام من الأديان وعدم إقرار أهلها عليها، لا بجزية ولا غيره، وإظهار أحكام الإسلام، وشريعته التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، وإقامة الحجة على أهل الكتاب، في بطلان ما هم عليه، وقد تلمس بعض أهل العلم حكماً أخرى لذلك، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "قال العلماء: الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم، أو نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض، إذ ليس مخلوق من التراب أن يموت في غيرها، وقيل إنه دعا الله لما رأى صفة محمد وأمه أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجدداً لأمر الإسلام، فيوافق خروج الدجال، فيقتله"¹ والراجح أن نزول عيسى عليه الصلاة والسلام سيكون قبل خروج يأجوج ومأجوج وقبل طلوع الشمس من مغربها وبعد خروج المهدي والدجال، وسينزل عيسى ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ ... إِلَى أَنْ قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ

¹ فتح الباري لابن حجر، باب عيسى ابن مريم عليهما السلام، (١٠، ٣١٩٢).

الْمَنَارَةُ الْبَيْضَاءُ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ¹ وَأَضِعَا كَفَيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَينِ إِذَا طَاطَأَ رَأْسُهُ قَطْرًا وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جَمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ² .. الحديث "3".

وبعد أن ينزل عيسى عليه السلام من السماء على المنارة البيضاء شرقي دمشق، يبدأ عليه السلام في طلب المسيح الدجال فيتمكن من إدراكه عند منطقة من مناطق فلسطين وهي باب لد، فيذوب المسيح الدجال حينما يرى المسيح عيسى عليه السلام كما يذوب الملح في الماء، فيقول له عيسى عليه السلام إن لي فيك ضربة لن تفوتني، فيقتل اللعين بحريته، فيتخلص المؤمنون من شره وفتنته، ثم ينهزم أتباع الدجال، فيتبعهم المؤمنون حتى يقتلونهم فيعاونهم في ذلك الحجر والشجر حينما ينطقون كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِيَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلَّا الْغَرْقَدَ⁴ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ"⁵.

¹ فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين: هذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق والمهرودتان أي لابس ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاءة.

² تحدر منه جمان كاللؤلؤ: الجمال حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه فسمي الماء جمانا لشبهه به في الصفاء والحسن.

³ سبق تخريجه مسلم (٤/٢٩٣٧).

⁴ إلا الغرقد: الغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس.

⁵ سبق تخريجه مسلم (٤/٢٩٢٢).

وفي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الطويل قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو يحدث عن عيسى عليه السلام: "فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ"¹.

فالذي يثبت مع المهدي عليه السلام ومع نبي الله عيسى عليه السلام في قتال الدجال هم الطائفة الصادقة المتمسكة بالحق كما وصفها النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ"².

وفي رواية أخرى: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فَيَفْتَحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَقُوا سِيُوفَهُمْ بِالزَيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ، إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِكُمْ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ، خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَى عَدُوَّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ"³.

¹ سبق تخريجه. مسلم (٤/٢٩٣٧).

² سبق تخريجه مسلم (١/١٦٩).

³ سبق تخريجه مسلم (٤/٢٨٩٧).

قتال اليهود

المبادئ السامحة للشريعة الإسلامية، تكفل حقوق الغير ومنهم اليهود والمسيحيين وغيرهم، وليس من صفات الإسلام التزمت العنيف المتطرف الداعي للقتل وذبح الآخر، فالإسلام دين رحمة وسلام ولهذا أقر الإسلام اليهود والنصارى على البقاء في بلاد الإسلام ولم يهجرهم ولم يقتلهم كما فعلوا ويفعلون هم حينما تمكنوا من بلاد المسلمين، ولهذا جاءت الشريعة الإسلامية حامية لأهل الذمة في بلاد المسلمين، ومدافعة عن حقوقهم إذا التزموا بشروط الإقامة، حتى قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا¹ لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"².

فإن أخلوا بالشروط كما لو غدروا أو خانوا أو تجهزوا لقتالنا أو ساعدوا أعداءنا، ونحو ذلك فإنهم يكونون ناقضين للعهد، وحينئذ فلا عهد بيننا وبينهم، ولا يستحقون تلك الإقامة الآمنة التي لم يحافظوا عليها، ولكن اليهود هم اليهود سرعان ما كانوا يعودون إلى غدريهم وخيانتهم، وخيانتهم لرسول الله يعرفها القاصي والداني، فقاتلهم الرسول صلى الله عليه وسلم، فقتل منهم من قتل، وطرد منهم من طرد خارج المدينة، ومنعهم من الإقامة فيها، هذا في زمن النبي صلى الله

¹ معاهدًا: نميًا من أهل العهد أي الأمان والميثاق.

² صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب اثم من قتل معاهدًا بغير جرم (٦٥١٦، ٣/٢٩٩٥).

عليه وسلم وأما في زماننا فحدث ولا حرج، فقد جاء اليهود إلى أرض فلسطين بمباركة من جميع دول العالم حتى العربية منها ولكن المباركة العربية كانت باطنية، وبدأوا يتجمعون هناك في أرض فلسطين تحت مسمى أرض الميعاد، وذكر الله سبحانه وتعالى بأنهم ستكون لهم سطوة وقوة عالمية، فقال تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا* فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا* ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا* إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا) (الإسراء:

٤ - ٧)، فاليهود الآن لهم دورهم الأساسي كقوة عالمية في الفتن التي تدور الآن في الوطن العربي بل في العالم أجمع فالدولة المزعومة إسرائيل الآن لديها ترسانة عسكرية وحربية كبرى، وها هي الحرب مستمرة بين العرب واليهود، والحق يقال أن الحرب من طرف واحد وهي من طرف اليهود، لأن العرب اليوم في أضعف مراحلهم، بالإضافة إلى خيانة بعض الأنظمة العربية التي ظهرت واضحة جليلة للعيان فكانت الخسائر تتوالى على أمة الإسلام، واستبان طغيان اليهود للعالم أجمع، فإذا ما خرج الدجال تبعه عشرات الآلاف من اليهود واجتمعوا معه يريدون قتال المسلمين لاستئصال شأفتهم، فينزل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ويجتمع معه المسلمون لقتال الدجال وأتباعه، فيدعو عيسى ابن مريم اليهود للإسلام، ولا يقبل منهم في ذلك الوقت إلا الإسلام، فيسلم منهم من يسلم،

ويبقى منهم من يبقى على يهوديته، فتكون المعركة التي تكون بقيادة المسيح عيسى عليه السلام وإن الله تعالى يكرم المسلمين في هذه المعركة بهذه الكرامة وهي نطق الحجر والشجر ومناداته على المسلم حتى يقتل اليهودي الذي يختبئ وراءه، كما ذكر الباحث الحديث أنفاً، فكل ذلك يدل على أنها معركة عادلة يحبها الله، كما هو الشأن في المعارك الإسلامية كلها التي يكون المقصد منها إعلاء كلمة الله في الأرض، ولقد قال الله تعالى في حق اليهود: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأعراف: ١٦٧).

ولكن الإشكال الحاصل هو إسقاط الحديث على ما يسمى بدولة إسرائيل الآن، وصحيح أن الدولة المزعومة هي دولة لليهود ولكن هذا لا يعني أن وقت انهيارها سوف ينطق الشجر والحجر ويتحقق فيها الحديث إذ لا يوجد نص شرعي يدل على أن تحرير الأقصى وقتال اليهود لن يكون إلا في زمان المهدي، ولا يستطيع مسلم ادعاء ذلك، إذ أنه لا دليل شرعي على هذا، وكذلك فإن الأقصى أخذه الكفار أكثر من مرة، واسترده المسلمون كذلك أكثر من مرة، ولا مانع من تحريره من اليهود قبل المهدي ثم عودة اليهود مع الدجال إليه مرة أخرى، فالقتال بين المسلمين واليهود حاصل لا محالة، وأن واقع نطق الشجر والحجر ستتحقق حينما يقاتل المسلمون مع المسيح عليه السلام الدجال والسبعين ألف يهودي، أي أن المعارك مع اليهود لن تنتهي بنهاية دولة إسرائيل وأن يهود أصفهان سوف يتحالفون مع الدجال ويتبعونه بعد ظهوره، لا شك أننا نشهد الآن تغييراً كبيراً لواقع المسلمين المعاصر ولا شك

كذلك أننا نعيش إرهابات لعودة المسلمين لسابق عهدهم كقوة تسعى لفرض إرادتها على من أذلها العقود والقرون الماضية، ولا شك كذلك أن الأثر النفسي الكبير لتحرير بيت المقدس سيكون له وقعه على المسلمين في شتى بقاع الأرض والأکید أنهم سيعمرون القدس ويتخذونها عاصمة لدولة كبرى احتفالاً بتحريرها.

يأجوج ومأجوج

ذكر لنا القرآن الكريم في سورة الكهف وسورة الأنبياء قصة قوم يخرجون في آخر الزمان يسمون بـ (يأجوج ومأجوج)، وسمي قوم يأجوج ومأجوج بذلك قيل: لكثرتهم وشدتهم، وقيل: من الأجاج وهو الماء شديد الملوحة، وقيل: اسمان أعجميان، وهم من ولد يافث بن نوح باتفاق النسابين¹، وأما عن وصفهم فأكثر الروايات التي جاءت في الحديث عن صفات قوم يأجوج ومأجوج هي إسرائيلية لا يؤخذ منها ولا يعتمد عليها، بل تستبعد جميعها، ويكتفى للحديث عن صفاتهم ما ذكره النص القرآني. يقول الله سبحانه وتعالى عنهم في سورة الكهف عند ذكر الملك الصالح ذي القرنين والذي كان يجوب الأرض مصلحاً فيها يقول تعالى: (فَاتَّبَعَ سَبَبًا* حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا* قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا* وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ

1 حاشية الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، فصل في أشراف الساعة وعلاماتها الدالة (1/ صفحة ٧٣).

الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا * ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا
 تَطَّلِعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا *
 حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ
 إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
 سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ
 الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ
 قِطْرًا (الكهف: ٨٥ - ٩٥).

ففي رحلاته في الأرض من أجل الإصلاح مر على قوم كانوا قريبين من يأجوج
 ومأجوج، فطلب منه أهل تلك البلاد أن يقوم ببناء سد يحميهم من يأجوج
 ومأجوج وشركهم، فقد كان يأجوج ومأجوج أهل فساد وشر في الأرض، ولم يكن
 لمن في ذلك الزمان حول بهم ولا قوة، وهذا ما قام بفعله ذو القرنين، إذ قام ببناء سد
 عظيم بينهم وبين يأجوج ومأجوج وصفه الله عز وجل في القرآن الكريم بأنه من
 الحديد والنحاس المذاب، ولا يزال هذا السد قائماً حتى يومنا هذا في مكان لا
 يعلمه إلا الله عز وجل، فإذا انهار هذا السد وظهر يأجوج ومأجوج اقتربت الساعة
 بعدها. قال الله عز وجل في القرآن الكريم: (حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن
 كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * واقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا
 قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) (الأنبياء: ٩٦ - ٩٧).

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها
فزعاً يقول: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ¹ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ أَقْتَرَبَ، فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ²
يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ
جَحْشٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: "نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ"

وعندما يؤذن لهم بالخروج يقوم قوم يأجوج ومأجوج ويفسدون في الأرض إفساداً
عظيماً، فيوحى الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام أن يأجوج ومأجوج قد انتشروا
في الأرض، وأنه لا قدرة لأحد على قتالهم، فهم كثيرو العدد بشكل لا يمكن لأحد
تخيله حتى أن أولهم ليمر ببحيرة طبريا فيشربونها فإذا مر آخرهم يقولون كان
بهذه مرة ماء، ويذهب عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين بحماية الله عز
وجل، ويحتمون في جبل الطور، ويجوب يأجوج ومأجوج في البلاد مفسدين
فيها، ويبقى الصالحون مع عيسى عليه السلام محتمين في جبل الطور، فيقتل
يأجوج ومأجوج كل من يلقونه ويبقى الصالحون مع عيسى عليه السلام محتمين
في جبل الطور وملتفين حوله، يقوم قوم يأجوج ومأجوج ببناء صرح عظيم
يصعدون عليه ويرمون سهاماً في السماء، فتغيب السهام وتعود مملوءة بالدماء،
فيقولون: قهرنا أهل الأرض وغلبنا أهل السماء، وهذا من شدة فسادهم وكفرهم،
فيرسل الله عليهم دوداً يخرج من خلف رؤوسهم فيقتلهم، وذلك بدعاء المؤمنين مع
عيسى عليه السلام، وتتناثر جثثهم في شتى بقاع الأرض، ومن ثم يرسل الله عز

¹ ويل: كلمة تستعمل للحزن والهالك والمشقة.

² ردم: سد.

وجل المطر على الأرض فتقوم بغسل الأرض منهم، حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة ويقوم الله عز وجل بأمر الأرض بعدها بأن ترجع بركاتها إليها فظهورهم يكون بعد الدجال، وبعد نزول المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام وظهور المهدي المنتظر عليه السلام، فيظهر قوم يأجوج ومأجوج بعد أن يكون القتال مع الدجال قد انتهى،، وقد قص رسول الله عليه الصلاة والسلام ذلك لأصحابه، فعن الحديث الذي رواه النواس بن سمعان رضي الله عنه: يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم " ... إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَنْ خُذْ إِلَيْنَا الْأَقْلَامَ بِقَتَالِهِمْ¹ فَحَرَزَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ² وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلَهُمْ عَلَى بَحِيرَةٍ طَبْرِيَّةٍ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرَهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهِدِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيَحْصُرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابَهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى

¹ لا يدان لأحد بقتالهم: يدان تثنية يد قال العلماء معناه لا قدرة ولا طاقة يقال ما لي بهذا الأمر يد وما لي به يدان لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد وكأنه يديه معدومتان لعجزه عن دفعه.
² فحرز عبادي إلى الطور: أي ضمهم واجعله لهم حرزاً يقال أحرزت الشيء أحرزته إحرزاً إذا حفظته وضممته إليك وصننته عن الأخذ.

وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ¹ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى² كَمَوْتِ
نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عَيْسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي
الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ³ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عَيْسَى وَأَصْحَابُهُ
إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ⁴ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ
ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطْرًا لَا يَكُنُّ⁵ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ⁶ وَلَا وَبْرٌ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا
كَالزَّلْفَةِ⁷ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبَتِي ثَمَرَتِكَ وَرُدِّي بَرَكَتِكَ فَيَوْمئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ⁸
مِنَ الرَّمَانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا⁹ وَيُبَارِكُ فِي الرِّسْلِ¹⁰ حَتَّى أَنْ اللُّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ
لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللُّقْحَةَ¹¹ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللُّقْحَةَ
مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخْدَ مِنَ النَّاسِ¹² فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً

1 النعف: هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم الواحدة نعفة.

2 فرسى: أي قتلى واحدهم فريس كقتيل وقتلى.

3 زهمهم: أي دسمهم.

4 البخت: وهي الإبل الخراسانية تنتج من عربية وفالج وهي جمال طوال الأعناق.

5 لا يكن: أي لا يمنع من نزول الماء.

6 مدر: هو الطين الصلب.

7 كالزلفة: كالمرأة في صفائها ونظافتها.

8 العصابة: هي الجماعة.

9 بقحفها: بكسر القاف هو مقعر قشرها شبيها بقحف الرأس وهو الذي فوق الدماغ وقيل ما

انفلق من جمجمته وانفصل.

10 الرسل: هو اللبن.

11 اللقحة: بكسر اللام وفتحها لغتان مشهورتان الكسر أشهر وهي القريبة العهد بالولادة وجمعها

لقح كبركة وبرك واللقوح ذات اللبن وجمعها لقاح.

12 الفخذ من الناس: قال أهل اللغة الفخذ الجماعة من الأقارب وهم دون البطن والبطن دون

القبيلة قال القاضي قال ابن فارس الفخذ هنا بإسكان الخاء لا غير فلا يقال إلا بإسكانها بخلاف

الفخذ التي هي العضو فإنها تكسر وتسكن.

بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطَاهِمُ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ
وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحَمْرِ¹ فَعَلَيْهِمْ تَقَوْمُ السَّاعَةِ².

وفي حديث آخر: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول: "يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، كَمَا
قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (مَنْ كُلَّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ)، فَيَعِشُونَ الْأَرْضَ، وَيَنْحَازُ
الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ وَيَضُمُونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ وَيَشْرَبُونَ
مِيَاهَ الْأَرْضِ، حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهْرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ، حَتَّى يَتْرُكُوهُ بَيْسًا،
حَتَّى إِنْ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهْرِ، فَيَقُولُ: قَدْ كَانَ هَاهُنَا مَاءٌ مَرَّةً، حَتَّى إِذَا
لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَحَدٌ فِي حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ، قَالَ قَائِلُهُمْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ
فَرَعْنَا مِنْهُمْ بَقِيَّ أَهْلِ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يَهْزُ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَى
السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ مُخْتَضِبَةً دَمًا لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ
دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ كَنَعْفِ الْجُرَادِ الَّذِي يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَيَصْبِحُونَ مَوْتَى لَا
يَسْمَعُ لَهُمْ حِسًّا، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: أَلَا رَجُلٌ يَشْرِي نَفْسَهُ فَيَنْظُرُ مَا فَعَلَ هَذَا
الْعَدُوُّ، قَالَ: فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِذَلِكَ مُحْتَسِبًا لِنَفْسِهِ قَدْ أَظْنَاهَا عَلَى أَنَّهُ
مَقْتُولٌ، فَيَنْزِلُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ
أَلَا أَبْشَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ، فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ

¹ أي يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكثرثون لذلك والهرج
بإسكان الراء الجماع يقال هرج زوجته أي جامعها يهرجها بفتح الراء وضمها وكسرهما.

² سبق تخريجه مسلم (٤/٢٩٣٧).

وَيَسْرَحُونَ مَوَاشِيَهُمْ فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعِيٌّ إِلَّا حُومُهُمْ، فَتَشْكُرُ عَنْهُ كَأَحْسَنِ مَا تَشْكُرُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ أَصَابَتْهُ قَطٌّ¹، والنبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر لنا كثرتهم بشكل تقريبي، وأن الأمة المحمدية لا تساوي بجانبهم يوم القيامة إلا الشيء اليسير، وأما عن عددهم بشكل دقيق فلا يعلمها إلا الله تعالى، وفيما يأتي استعراض لبعض النصوص التي قد توحى لنا بعدد هؤلاء القوم: قال الله تعالى: (وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا) (الكهف: ٩٩)، فبعد التأمل في الآية السابقة يتبين أن كلمة (يموج) تدل على الحركة والاضطراب الشيء الكثير، مما يوحي بمدى كثرة عدد هؤلاء القوم، فقال تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) (الأنبياء: ٩٦)، وتشير الآية إلى أنه حين ينفتح السد على قوم يأجوج ومأجوج عند اقتراب الساعة، وبيدؤون بالاندفاع من خلفه للخروج، فإنهم حينها (من كل حدب ينسلون)، وذلك دلالة على كثرة هؤلاء القوم، فهم يخرجون من كل حدب وصوب، مما يوحي بكثرة عددهم، والتي لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى.

وفي حديث آخر: يبين لنا فيه صلى الله عليه وسلم عن عددهم الهائل لهم فيقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَقُولُ اللَّهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ يَقُولُ: أَخْرَجَ بَعَثَ النَّارَ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟ قَالَ: مِنْ

¹ سبق تخريجه، مسند الإمام أحمد (٣/١١٧٤٩).

كُلُّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، فَذَلِكَ حِينَ¹ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ²، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ، قَالَ: "أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ"، قَالَ: فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِنْ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ الرَّقْمَةِ² فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ"³.

وأما عن مكان هذا السد فلا يوجد دليل قاطع عن مكانه.

دابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها

تتسابق الأحداث الدالة على قرب النهاية واقتراب الآخرة، ومن بين تلك الأحداث خروج مخلوق غيبي لا نعلم الكثير من أوصافه، سوى ما جاءت تسميته في النصوص الصحيحة "دابة من الأرض". ولقد ذكر القرآن الكريم آية واحدة أشار من خلالها بوضوح إليها وبينت الوقت التقريبي لحدوثها، فقال الله جل جلاله: (وَإِذَا

1 فذاك حين: أي من شأنه أن يشيب الصغير لو وجد وتضع الحامل لو كانت.
2 الرقمة: الخط والرقمتان في الحمار هما الأثران اللذان في باطن عضديه والغاية بيان قلة عدد المؤمنین بالنسبة إلى الكافرين وأنهم غاية في القلة.
3 صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قوله عز وجل إن زلزلة الساعة شيء عظيم (٥/٦١٦٥) مع صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لأدم أخرج بعث النار (١/٢٢٢).

وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ
(النمل: ٨٢).

بين المفسرون كما في الجلالين وتفسير النسفي في سياق كلامهم عن الآية الكريمة
علاقتها بشرط خروج الدابة، وذكروا أن معنى الآية: أن الله إذا أراد أن ينفذ في
الكافرين سابق علمه لهم من العذاب أخرج لهم دابة من الأرض، وذلك حين
ينقطع الخير، ولا يؤمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر، ولا يبقى منيب ولا تائب،
وذلك بموت العلماء، وذهاب العلم.

ثم إن خروج الدابة في آخر الزمان وهي بصفاتها الغريبة التي تختلف عن باقي
الحيوانات وذلك من خلال حديثها مع الناس حقيق أن يجعلها الله من الآيات
الكبرى، ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة
رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا،
طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوْ الدُّخَانَ، أَوْ الدَّجَالَ، أَوْ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ،
أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ"¹، أي سابقوا ست آيات دالة على وجود القيامة قبل وقوعها
وحلولها فإن العمل بعد وقوعها وحلولها لا يقبل ولا يعتبر.

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: "ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي
إِيْمَانِهَا خَيْرًا، طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَالَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ"².

¹ سبق تخريجه مسلم (٤/٢٩٤٧).

² صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه.. (١/١٥٨).

وفي حديث آخر: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم أنسه بعد، سمعته يقول: "إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا"¹.

فهذه الأدلة تدل بشكل صريح وواضح على أن خروج دابة الأرض ليس مجازاً من القول، بل هي حقيقة يجب الإيمان بها، لأننا نعلم أنه حق وصدق، وإن لم نطلع على حقيقة معناه، وأما بالنسبة لوصفها فلم يرد حديث نبوي صحيح بوصفها وكل ما ذكر عن وصفها إنما هي أحاديث ضعيفة والله أعلم بشكلها وصورتها وخلقها، ولقد ورد في بعض الأحاديث في غير البخاري ومسلم بأن هذه الدابة تسم الناس فتكتب على أنوفهم إما كافر أو مؤمن، وقد ورد في هذا حديث شريف مكان الختم، عن أبي أمامة رضي الله عنه، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ² النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ³"⁴.

وقد ارتبط ذكر هذه الآية، وظهورها بآية أخرى من آيات الله العظام، وهي طلوع الشمس من مغربها، فخروج الدابة على شكل غريب غير مألوف، ومخاطبتها للناس، ووصفها إياهم بالإيمان والكفر شيء خارج عن مجال العادة، وذلك أول

¹ سبق تخريجه مسلم (٤/٢٩٤١).

²تسم الناس: الوسم هو الكى يستعملونه في تمييز الدواب، طبعه علي جلد الدابة بالكى محمى بالنار حتى يضع العلامة الختم.

³ خراطيم: جمع خرطوم، وهو الأنف.

⁴ مسند الإمام أحمد بن حنبل، كتاب باقي مسند الأنصار، باب حديث أبي أمامة الباهلي... (٥/٢٢٣٦٢).

الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عاداتها المألوفة أول الآيات السماوية، فأول الآيات المؤذنة بتغير العالم العلوي طلوع الشمس من مغربها، هذه الآية العظيمة وهي طلوع الشمس من مغربها مذكورة في قوله تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُمْتَظِرُونَ) (الأنعام: ١٥٨). أي هل ينظر هؤلاء الذين استمر ظلمهم وعنادهم إلا أن تأتيهم مقدمات العذاب، ومقدمات الآخرة بالملائكة التي تأتي بقبض أرواحهم، إذا وصلوا إلى تلك الحال لم ينفعهم إيمان ولا صالح الأعمال، أو ينتظرون أن يأتي الله تعالى لفصل القضاء بين العباد، ومجازاة المحسنين والمسيئين. أو (يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) الدالة على قرب الساعة، (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) الخارقة للعادة التي يعلم بقدمها إن الساعة قد أزفت أذنت وودت، (لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا)، فلا ينفع كافراً إيمانه إن آمن في ذلك الوقت، ولا المسلم المقصر لا ينفعه أن يزداد خيراً في ذلك الوقت، والحكمة في هذا ظاهرة، فإنه إنما كان الإيمان ينفع إذا كان إيماناً بالغيب وكان اختياراً من العبد، أما إذا وجدت الآيات صار الأمر شهادة، ولم يبق للإيمان فائدة، لأنه يصبح كإيمان فرعون لما أدركه الغرق قال: آمنت أنه لا إله إلا الله، وما ينفعه الآن أن يؤمن أن لا اله إلا الذي آمن فيه بنو إسرائيل، وقد شارف على الموت.

فإذا طلعت الشمس من مغربها انتهت المسألة، لأن كل الناس سيؤمنون اضطراراً رغماً عنهم، الكافر سيؤمن رغماً عنه، لأن هذه الآية آية عظيمة جداً خارقة، وعند

ذلك سترغم أنف كل واحد لم يؤمن فسيؤمن رغماً عنه، والمذنب سيتوب،
والمقصر سيعود، لكن بعد أن صار الإيمان شيئاً اضطرارياً، فقال تعالى: (الآن وَقَدْ
عَصَيْتَ قَبْلُ) (يونس: ٩١).

فإيمان الكافر عندما تطلع الشمس من مغربها كإيمان الأقوام التي كذبت الرسل لما
نزل العذاب، مثل إيمان فرعون لما أدركه الغرق، شيء لا ينفع في ذلك الوقت، لقد
أغلق باب التوبة حينئذ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا
النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا"¹. ثم قرأ الآية.

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: "مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ"².

وفي حديث آخر: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم
لأبي ذر حين غربت الشمس: "تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ". قلت: الله ورسوله أعلم قال:
"فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنُ، فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ
تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا، يُقَالُ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ

¹ صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الأنعام، (٤/٤٣٦٠، ٦١٤١).
² صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار
منه (١/٢٧٠٣).

جئتِ ، فَتَطَّلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) "1 .

فلقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم سجود الشمس الذي هو سجود حقيقي وإن كنا لا ندرك سجودها ولا نراه، بانقياد الساجد من المكلفين وهو يخر إلى أسفل معلناً تمام انقياده وغاية خضوعه لأمر ربه جل وعلا، وكون ذلك تحت العرش فلأن السموات والأرض وغيرهما من العوالم كلها تحت العرش ففي أي موضع سجدت فهو تحت العرش، وبعضهم قال: بأن سجود الشمس هو دورانها، وخروجها من المشرق، وغروبها من المغرب، هذا هو السجود، والله أعلم بمراده؛ فهذا من أمور الغيب الذي اختص الله تعالى بعلمه وأطلع على شيء منه بعض من اصطفاهم من خلقه وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم، ليخبروا بذلك من أرسلوا إليهم اختباراً لتصديقهم وتمحيصاً ليقينهم وتثبيتاً للإيمان من أسلم قلبه لله تعالى منهم .

بعد أن بسط الباحث بعض الأحداث التي ستقع في المستقبل في هذا المبحث، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر بها، وهي لاشك ولا ريب أنها ستقع في قابل الأيام والتي ستعيشها أمتنا المسلمة في محور نهاية العالم، فهناك أحداث عظام تنتظر هذه الأرض وهذه الأمة يضطرب لها البشر، فأما عن بدايتها فستكون الملحمة الكبرى وخروج المهدي واللتان تلتقيان مع خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتال اليهود ومن ثم يأجوج ومأجوج، ثم خروج دابة الأرض، ومن ثم

1 صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان (٣/٣٠٢٧)، ٤٥٢٤، ٤٥٢٥، ٦٩٨٨، ٦٩٩٦) مع صحيح مسلم وقد سبق تخريجه (١/١٥٩).

طلوع الشمس من مغربها، هذه الآيات كغيرها تتابع كما تتابع الخرز في النظام يتبع بعضها بعضاً، هذا وإن ارتفاع راية الجهاد في هذا الزمان، منذر باقتراب الملاحم، وانشغال العالم الكافر كله اليوم بحرب الشام يؤكد أن المواجهة ستكون مصيرية وكما نبأنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكفي أن تحتدم الملاحم ليخرج المهدي يوماً ما على غفلة منا لنتفاجأ بالدجال على أبوابنا، وتندافع على إثره باقي الأحداث كالعقد يتبع بعضها بعضاً في زمن قصير، ولا يمكن حينها التسوية أو الغفلة فساعة الحساب ويوم القيامة العظيم سيحل في أية لحظة.

المبحث السادس

الخشف والدخان والنار التي تحشر الناس وموت أهل الإيمان بريح طيبة وقيام الساعة

الخشف والدخان

إن من أعظم ما يميز آخر الزمان ويقوي إيمان المؤمن ويقينه، الإيمان بظهور الأحداث العظام الغيبية التي ذكرها لنا النبي صلى الله عليه وسلم، المؤذنة باختلال العالم، وانفراط نظامه، ومن هذه الأمور والغيبيات الخسوفات الثلاثة والدخان وغيرها والتي جعل الله عز وجل هذه الآيات نذيراً بين يدي الساعة حتى يعود الناس إلى رشدهم، ويعلموا أنهم إن أصروا على ما هم عليه من المعاصي والذنوب فإن ما أعدده الله للعاصين يوم القيامة لا طاقة لأحد به، فقد جاء في الحديث الذي يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم رواه حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال: "مَا تَذَاكَرُونَ؟" قالوا: نذكر الساعة قال: "إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ، خَسْفٌ بِالشَّرْقِ، وَخَسْفٌ

بِالْمَغْرِبِ، وَخَسَفَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ¹.

ولقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الخسوفات الثلاثة ستقع في أماكن ثلاثة، المكان الأول: جهة الشرق والمراد به مشرق المدينة، والمكان الثاني: جزيرة العرب، والمكان الثالث: جهة الغرب والمراد به غرب المدينة النبوية، والخسف كما أخبرنا الصادق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى يقع كعقوبة يعاقب بها من عصى أمره، فقال سبحانه: (فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (العنكبوت: ٤٠). هذه الخسوفات التي ستحدث هي بمثابة النذير بين يدي الساعة، ليتنبه الغافل فيستعد بعمل ما ينجيهِ من أهوال ذلك اليوم، وهذا هو الذي يجب أن يحوز اهتمام المسلم، وهو العمل الصالح والبعد عن الفساد العقائدي والأخلاقي، فكما ذكر الله عز وجل في الآية الكريمة أن سبب وقوع العقاب ومنه الخسف وكثرة الخبث وفشو المعاصي وشيوع الفواحش وفي مقدمتها الزنا وشرب الخمر والغناء، وهذا ما نراه عياناً في زمننا هذا، حيث انتشرت هذه المعاصي انتشار النار في الهشيم، وعدت من أسباب التمدن والتحضّر، هذه المعاصي سبب لخسف الأرض واهتزازها وزلزلتها، والخسوفات الثلاث التي ستقع في آخر الزمان ليست خسوفات عادية كالتي نشاهدها ونسمع بها بل هي خسوفات عظيمة وعمامة لأماكن كثيرة من مشارق الأرض ومغاربها،

¹ سبق تخريجه مسلم (٤/٢٩٠١).

وفي جزيرة العرب لم تشاهد من قبل ولم تعرف البشرية من أولها إلى آخرها لها مثيلاً، تدمر مناطق واسعة من الأرض وتخرّب ما عليها وتتغير أحوال الناس وتضطرب معاشهم مما يعتبر إيداناً بقرب الساعة ودنو قيامها وبعد الخسف المذكور في الحديث الشريف تظهر علامة أخرى تنذر بانتهاء الكون وهي الدخان، فقال تعالى: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يُغشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الدخان: ١٠ - ١١). فالدخان آية عظيمة من آيات الله الكونية يرسله الله على الناس فيغشاهم ويعمهم جميعاً لا ينجو منه أحد ولا يفر منه مخلوق، يعذب به الكفار أشد العذاب وآله، وهو من الآيات المنتظرة التي لم تأت بعد وهو من العلامات التي ستقع قرب يوم القيامة.

النار التي تحشر الناس وموت أهل الإيمان بريح طيبة وقيام الساعة

بعض العلماء في زمننا هذا يدعي بأن الريح التي ستبعث في آخر الزمان هي ريح شريرة سامة أو كيماوية بيولوجية، وهذا التحليل بعيد عن الحقيقة وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم وصفها بأنها ريح طيبة تخرج من جهة اليمن، بعد الموسم والختم، وانتهت الأعمال، ستأتي ريح من اليمن، وتقبض المؤمنين، كمس الحرير، لا تترك نفساً فيها مثقال حبة من الإيمان إلا تقبضها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحاً مِنَ الْيَمَنِ، أَلَيْنَ مِنْ

الحرير، فلا تدع أحداً في قلبه قال أبو علقمة: مثقال حبة، وقال، مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته" 1.

وفي رواية أخرى بأن هذه الريح تأتي من قبل الشام ففي الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال صلى الله عليه وسلم: "ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه" قال: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فبقي شرار الناس" 2.

وهذه الريح تكون بعد موت عيسى بن مريم عليهما السلام وخروج الدجال وبعد خروج الدابة، وبعد طلوع الشمس من مغربها، بعدما تقبض هذه الريح أرواح المؤمنين تقوم الساعة على شرار الناس، فقد جاء في الحديث الذي رواه عبد الرحمن بن شماسه المهري رضي الله عنه قال: كنت عند مسلم بن مخلد رضي الله عنه، وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، فقال عبد الله: "لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، هم شر من أهل الجاهلية، لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم"، فبينما هم على ذلك، أقبل عقبة بن عامر فقال له مسلمة: يا عقبة اسمع ما يقول عبد الله، فقال عقبة: هو أعلم، وأما أنا، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله فاهرين

1 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في الريح التي تكون قرب القيامة.. (١/١١٧).

2 سبق تخريجه مسلم (٤/٢٩٤٠).

لِعَدُوِّهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ" ، فَقَالَ عَبْدُ
اللَّهِ: أَجَلٌ، "ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا
فِي قَلْبِهِ مَثْقَلٌ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ
السَّاعَةُ" ¹.

النار التي تحشر الناس:

بعد قضية خروج الدابة، وهذه الريح التي تقبض أرواح المؤمنين تخرج النار التي
تحشر الناس، فعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي صلى الله
عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: "مَا تَذَاكَرُونَ"؟ قَالُوا: نَذَكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ:
"إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ" ، وفي آخر الحديث "وَأَخِرُ ذَلِكَ نَارٌ
تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ" ².

فهذه النار هي آخر شيء من العلامات، ولا يبقى بعدها إلا النفخ في الصور، وهذه
تخرج كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن وهي غير النار التي تخرج من
أرض الحجاز والتي تضيء لها أعناق الإبل ببصرى فهذه النار خرجت في القرن
السابع الهجري، وخرجت بمكان معين، وهو الحجاز، ورأوا أعناق الإبل ببصرى
على ضوءها، وكتبت في كتب التاريخ، لكن الباحث هنا لا يتحدث عن نار
الحجاز التي خرجت قرب المدينة، وإنما يتحدث عن نار تحشر الناس، فتحشر أهل

¹ صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي..
(٣/١٩٢٤).

² سبق تخريجه مسلم (٤/٢٩٠١).

المشرق إلى الشام، ثم تذهب إلى المغرب، فتحشرهم كذلك تعم الأرض، تأتي بكل الناس الذين في الأرض تأتي بهم إلى الشام، رغماً عنهم سيساقون بالنار إلى هذه البقعة التي ستقوم عليهم فيها الساعة، ويموتون جميعاً، وهو آخر جيل من البشرية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يُحْشَرُ النَّاسُ¹ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ،² رَاغِبِينَ،³ رَاهِبِينَ،⁴ وَأَثْنَانَ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشَرُ بِقِيَّتِهِمُ النَّارُ تَقِيلُ⁵ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا وَتَبَيْتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتَصَبَّحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا وَتَمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا"⁶.

وهذا الحشر الذي تحدثت عنه، هو حشر في آخر الدنيا قبيل القيامة، وقبيل النفخ في الصور، وهذا الحشر يكون لآخر جيل من البشرية تحشر بقيتهم النار تبیت معهم تقيل تصبح تمسي، هذا آخر جيل من البشرية ما فيه خير أبداً، لا يعرفون لفظ الجلالة أصلاً. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ اللَّهُ اللَّهُ"⁷.

1 يحشر الناس: أي قبيل قيام الساعة يجمع الأحياء إلى بقعة من بقاع الأرض وورد أنها الشام.

2 طرائق فرق.

3 راغبين: بهذا الحشر وهم السابقون.

4 راهبين: خائفين وهم عامة المؤمنين.

5 تقيل: تنقف معهم وسط النهار.

6 صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، (٥/٦١٥٧) مع صحيح مسلم، كتاب الجنة

وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (٤/٢٨٦١).

7 سبق تخريجه مسلم (١/١٤٨).

هذه الأحاديث تؤكد أن الحشر، حشر الدنيا، لأن نار الآخرة لن تبیت معهم حيث باتوا، وتقليل معهم حيث قالوا، لكن هؤلاء الذين يحشرون من أقطار الأرض إلى الشام النار لهم بالمرصاد، النار ورائهم حتى يأتوا مرغمين إلى تلك المنطقة، وعندئذ تقوم الساعة على هؤلاء، فعن عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه قال: سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، جاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ تقول إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا فقال: سبحان الله أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوهما لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً يحرق البيت ويكون، ويكون ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "... ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبِضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبَدِ جَبَلٍ¹ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ" قال: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ² لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتِمُّثَلُّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ، فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رَزَقُهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا وَرَفَعَ

1 في كبد جبل: أي وسطه وداخله وكبد كل شيء وسطه.

2 في خفة الطير وأحلام السباع: قال العلماء معناه يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيوران الطير وفي العدوان وظلم بعضهم بعضا في أخلاق السباع العادية.

لَيْتًا¹ قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ²، قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللَّهُ مَطْرًا كَأَنَّهُ الظَّلُّ، أَوْ الظَّلُّ، فَتَنْبِتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يَقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ مَطْرًا كَأَنَّهُ الظَّلُّ أَوْ الظَّلُّ، فَتَنْبِتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يَقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ... "3".

هذه الأحاديث النبوية التي ذكرها الباحث إنما هي فرع من العقيدة الإسلامية تتعلق بنهاية التاريخ، وتسمى عند المسلمين بيوم القيامة وهي في مجملها تخاطب المؤمنين، وتعددهم برؤية تلك الآيات والعلامات حتى يرون قبلها عشر آيات، سواء رؤية البصر أم رؤية المعاصرة، وتتحدث عن معاناتهم وابتلائهم عند وقوعها، وتوصيهم بالصبر والثبات والثقة بالله عز وجل، كل ذلك يدل على عموم تلك الآيات وشمولها للناس الذين تصيبهم، دون تفریق بين مؤمن وغير مؤمن، هذا وإن التطلع إلى ما يحدث في المستقبل أمر فطري فالإنسان يجد في نفسه رغبة شديدة إلى معرفة الوقائع والكائنات التي قد تحدث للجنس الإنساني، أو تحدث للأمة التي هو منها، أو قد تحدث له، ولذلك فإن الزعماء والرؤساء، بل والأفراد يلجئون في

1 أصغى لیتاً ورفع لیتاً: أصغى أمال والليت صفحة العنق وهي جانبه.

2 يلوطن حوض إبله: أي يطينه ويصلحه

3 سبق تخريجه مسلم (٤/٢٩٤٠).

معرفة ذلك إلى السحرة والكهان والمنجمين، فجاءهم الله بالحق الذي يغني ويكفي ويشفي في هذا الجانب، فهي أمور خيفة، وأمور تنزل كيان الإنسان، وتؤكد له أن الدنيا فانية، وأن القدوم على الله قد اقترب، وأن خراب العالم قد دنا، ومن علم اقتراب الساعة قصر أمله، ولم تركز نفسه إلى الدنيا، وقام بالتوبة، وطرد الغفلة عن نفسه، قال تعالى: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) (الأنبياء: ١ - ٢) .

فإذا غفل الناس، وانشغلوا، وقام هذا يعبد ربه معنى ذلك أن قلبه معمور بمحبته، والإنابة إليه، والصدق معه، والانشغال بذكره، وهكذا المؤمن في وقت الهرج والمرج متصل بالله سبحانه وتعالى .

المبحث السابع

أرض المحشر؛ صفتها وأحوال الخلائق فيها ودخول الناس إما إلى النار وإما إلى الجنة

خلق الله تعالى الإنسان من أجل عبادته، قال سبحانه وتعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦) وخصه بالعقل كي يتفكر في خلق السماوات والأرض، ويستدل من عظمة الخلق على الخالق سبحانه، قال سبحانه وتعالى: (وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ٧٣)، فهذه الحياة الدنيا ما هي إلا أمر إلى المقر النهائي، فإما الخلود في جنة عرضها السماوات والأرض، أو الخلود في جحيم مقيم، ويعيش بنو آدم عمراً قصيراً في حياة متقلبة تنتهي بالموت، ثم يبعثون من موتهم إلى يوم القيامة، ويقفون أمام الله فرادى، كي يحاسبهم على ما قاموا به في هذه الحياة، ويشتمل هذا اليوم العظيم على العديد من الأحداث، والأهوال العظيمة التي تتزامن مع الحشر، والبعث، والنشور، والعرض على الله للحساب، ثم إلى الجنة أو إلى النار.

والحشر: هو جمع الناس يوم القيامة، والحشر هو الجمع الذي يحشر إليه الناس، وهو على نوعين:

الحشر الأول: يكون في الدنيا آخر الزمان قبل قيام الساعة، حيث يطرد الناس إلى الحشر وهو بأرض الشام بنار يُخرجها الله سبحانه وتعالى من نحو اليمن، كما ذكر الباحث في نهاية المبحث السادس.

الحشر الثاني: هو أرض المحشر التي يُحشر إليها الناس بعد قيامهم من القبور، وصفها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه سهل بن سعد رضي الله عنه؛ فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ¹ كَقَرْصَةِ نَقِي²، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ³ لِأَحَدٍ⁴؛ فأرض المحشر يوم القيامة أرض ليس فيها علامة من سكنى، أو بناء، أو أثر، أو جبل، أو صخرة بارزة، وإنما هي مستوية، قال الله سبحانه وتعالى: (لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) (طه: ١٠٧)؛ أي لا يستطيعون الاختباء خلف أي شيء في تلك الأرض، والنبي صلى الله عليه وسلم هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، فيخرج من قبره، ثم يخرج الناس على إثره بعد ذلك، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، جاء يهودي؛ فقال: يا أبا القاسم ضرب وجهي رجل من أصحابك فقال: "من؟". قال: رجل من الأنصار قال: "ادعوه". فقال: "أضربته". قال: سمعته بالسوق يحلف والذي اصطفى موسى على البشر، قلت: أي خبيث، على محمد صلى الله عليه وسلم؟ فأخذتني غضبة ضربت

1 عفراء: بيضاء مشوبة بحمرة

2 كقرصة نقي: كرجيف مصنوع من دقيق خالص من الغش والنخالة.

3 معلم: علامة يستدل بها أي مستوية لا حذب فيها ولا بناء عليها ولا شيء سواه.

4 صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة (٥/٦١٥٦) مع صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب في البعث والنشور وصفة الأرض (٤/ ٢٧٩٠)

وجهه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تخيروا بين الأنبياء فإنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ...".¹

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لِي خَمْسَةٌ أَسْمَاءٍ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَيَّ قَدَمِي² وَأَنَا الْعَاقِبُ³"⁴.

أحوال الخلائق في أرض المحشر

الناس كلهم مؤمنهم وكافرهم؛ سيحشرون وراء النبي صلى الله عليه وسلم، بعد قيامه صلى الله عليه وسلم من قبره ليقفوا بين يدي الجليل سبحانه وتعالى، فيوم الحشر هو اليوم الذي ستقف فيه الخلائق جميعاً أمام الله عز وجل بعد أن يبعثهم الله جميعاً. سيخرجون من القبور في أول ذلك اليوم والله عز وجل يخبرنا عن أحوالهم لحظة خروجهم من القبور، فقال الله سبحانه وتعالى: (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) (الانفطار: ٤)، وقال الله: (وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) (يس:

¹ صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة (٢/٢٢٨١، ٣٢١٧، ٤٣٦٢، ٦١٥٣، ٦٥١٨، ٦٥١٩، ٦٩٩١) مع صحيح مسلم، كتاب الفضائل،

باب من فضائل موسى عليه السلام) (٤/ ٢٣٧٤)

² على قدمي: على أتري وقيل معناه يسألون عن شريعتي لأنه لا نبي بعدي.

³ العاقب: الذي ليس بعده أحد من الأنبياء

⁴ صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم (٣/٣٣٣٩، ٤٦١٤) مع صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم (٤/٢٣٥٤).

(٥١)، وقال الله: (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) (المعارج: ٤٣) أي كأنه وضع لهم شيء أو علامة كلهم يسرعون إليها، وقال تعالى: (مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفِيدَتْهُمْ مَهْوَاهُ) (إبراهيم: ٤٣) لا تعقل من الخوف، وقال أيضاً: (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) (ق: ٤٢)، أي اليوم الذي يخرج فيه الناس من قبورهم، يخرجون يتبعون الداعي وهو ملك موكل من الله يدعوهم إلى الحضور للحساب، يسمعون صوته، يقول تعالى: (يَوْمَ يَدْعُ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) (طه: ١٠٨)، ففي ذلك اليوم الرهيب لا تسمع صوتاً عالياً بل لا تسمع إلا همساً أو صوت الأقدام إلى المحشر هيبة لله تعالى، وإجلالاً وخوفاً، يحشر الناس أجمعون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً لا فرق بين غني وفقير، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حُفَاةٌ عُرَاةٌ غُرْلًا"¹. قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: "الْأُمُرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَهْمَهُمْ ذَاكَ"²3.

ويحشر من أعرض عن الله من الكفار والمنافقين يوم القيامة عميان؛ بل وعلى وجوههم فقال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

1 غرلاً: وهو الذي لم تقطع منه قلفة الذكر وهي الجلدة التي تقطع عند الختان ومثلها كل عضو قطع من الإنسان فإنه يرجع على حاله.

2 ذاك: نظر بعضهم إلى عورة بعض.

3 صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب كيف الحشر (٥/٦١٦٢) مع صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (٤/ ٢٨٥٩)

أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا
وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (طه: ١٢٤ - ١٢٦)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن
رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: "أَلَيْسَ
الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَى الرَّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمَشِّيهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ". قال قتادة: بلى وعزة ربنا¹.

إن الكافر الذي لم يسجد لله في الدنيا يعاقب بأن يسحب على وجهه في القيامة
إظهاراً لهوانه، وأما الشياطين فتحشر يوم القيامة كما ذكر مولانا جل جلاله:
(فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) (مريم: ٦٨)، جاثن
على الركب، وقال الله في شأن الكفرة والفسقة والفجرة: (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا
وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ* مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) (الصفات: ٢٢ -
٢٣)، ومعنى أزواجهم أي أشباههم ونظرائهم، ومن هو على شاكلتهم، فيحشر
اليهود معاً، والنصارى معاً، ومن أحب اليهود والنصارى حشر معهم، ويحشر الزناة
مع الزناة، والمرابون مع المرابين كل طائفة على حدة يحشرون معهم، ومن أحب قوماً
حُشِرَ معهم، ومن هو على شاكلتهم، المقتدون بهم في أفعالهم، القرناء يحشرون
معاً، وما يقع على هذا يقع على الآخر، ويناله نصيبه منه، ولا يبقى شيء إلا
ويحشر حتى الوحوش، قال الله تعالى: (وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ

¹ صحي البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الفرقان (٦١٥٨، ٤/٤٤٨٢) مع صحيح مسلم، كتاب
صفات المنافقين وأحكامهم، باب يحشر الكافر على وجهه (٢٨٠٦/٤)

إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَّا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (الأنعام: ٣٨)،
فيحشر كل شيء حتى الذباب، وكل هذا كائن، وكل دنيانا ذاهبة، ونحن سنصير
إلى ذلك اليوم فكل مخلوق عاقل يعرف بأنه لا بد من أن يكون يوم حساب من
أجل تحقيق العدالة الربانية.

أما الحساب فيكون على الأعمال وبحسبها كما قال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ
بِئَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا* وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا) (الانشقاق: ٧ -

٩)، فيقول الكفار والمنافقون: (وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ) (الانشقاق: ١٠).

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أنها كانت لا تسمع
شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ
حُوسِبَ عَذِبَ". قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت: أوليس يقول الله تعالى:
(فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا). قالت: فقال: "إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ وَلَكِنْ مَنْ
نُوقِشَ¹ الْحِسَابَ يَهْلِكُ"².

إذاً كل الناس سيقفون في ذلك اليوم للحساب، ولكن كم طول ذلك اليوم؟ يخبرنا
مولانا جل جلاله عن مدته فيقول: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ* لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ*
مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ* تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)
(المعارج: ١ - ٤)، ويعتبر الإيمان بيوم القيامة أصلاً من أصول الدين، ولا يتم إيمان

1 نوقش: استقصي معه الحساب.

2 صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجعته حتى يعرفه (١/١٠٣، ٤٦٥٥، ٦١٧١،
٦١٧٢) مع صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب (٤/٢٨٧٦).

المسلم إلا به، وفي هذا اليوم الذي يكون فيه الخوف شديد والشمس فوق الرؤوس يكاد الزحام وحده أن يخنق الأنفاس، والقلوب لدى الحناجر بما غشيها من الكروب، واشتد الفرق، وعظم القلق، وسال العرق من الأجسام، وانبعث من كل موضع من الجسد، والناس في العرق على قدر أعمالهم، فليتفكر الإنسان إذا سال عرقه، وجرى من قرنه إلى قدمه بحسب عمله، ولقد جاء في الحديث الذي رواه سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمَقْدَارِ مِيلٍ" قال سليم بن عامر: فو الله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين، قال: "فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمَامًا" قال: وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه¹.

فالعرق ذو الرائحة الكريهة الذي يحدث نتيجة الحر، ودنو الشمس، وتزاحم الناس وانضمام بعضهم إلى بعض، ينزل من هذا الإنسان، ويلجم الإنسان إجماماً، بل وتشربه الأرض حتى يغوص فيها سبعين ذراعاً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن

¹ صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها (٤/٢٨٦٤)

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَيُدْجِمُهُمْ¹ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ²".

وفي هذا الموقف الشديد يؤتى بجهنم ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، ليزداد الحر حراً، وفي هذا الجو الرهيب يجيء الرب جل جلاله بنفسه سبحانه وتعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (البقرة: ٢١٠)، فيأتي الله لفصل القضاء بين الأولين والآخرين، فتأتي الملائكة صفوفًا مع الرب عز وجل، يأتي لفصل القضاء بين الخلق، فقال تعالى: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر: ٢٢)، بعد أن توسل النبي صلى الله عليه وسلم وشفع، بعد أن يفرع الناس إلى الأنبياء واحداً إثر واحد، وكل نبي من الأنبياء يعتذر عن الشفاعة بأمر كان قد فعله في الدنيا حتى تنتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيشفع ويسجد، ثم يقبل منه، ثم يأتي الله لفصل القضاء بين العباد، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن محمد صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

¹ يلجمهم: يبلغ أفواههم كاللجام.

² سبق تخريجه (البخاري ٥/٦١٦٧) مع صحيح مسلم (٤/٢٨٦٣).

فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ أَنَا لَهَا فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي¹ فَيُؤْذِنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدِهِ
بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْحَمَامِدِ وَأَخْرَجَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ
رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ وَسَلْ تُعْطَى وَاشْفَعْ تُشَفَّعُ...²

وأما عن حال أهل الإيمان في هذا الموقف الرهيب، فيخبرنا مولانا سبحانه وتعالى:
(وَهُمْ مِّنْ فِرْعَاقٍ يَوْمَ يُؤْمِرُ الْمُؤْمِنُونَ) (النمل: ٨٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ،
إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ
تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ
فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِبَصِيقَةٍ فَخَافَهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا
تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"³.

عندئذ يندم العصاة ويتحسرون على تفريطهم في الطاعة، ولشدة حسرتهم
يعضون على أيديهم فيقول الله عز وجل عن هؤلاء: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ
يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) (الفرقان: ٢٧) ويمقت العاصي نفسه
وأحاببه وأخلاءه، وتنقل كل محبة لم تقم على أساس من الدين إلى عدا،
ويخاصم المرء أعضائه، والمتكبرون يحشرون أمثال الذر، يطؤونهم الناس بأقدامهم،

¹ فأسأذن على ربي: أتوسل إليه أن يأذن لي بالشفاعة.
² صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء (٦/٧٠٧٢) مع
صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/١٩٣).
³ صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة... (١/٦٢٩)،
ر (١٣٥٧، ٦١١٤، ٦٤٢١).

احتقاراً لهم، والمسبل إزاره لا يكلمه الله في ذلك اليوم، ولا ينظر إليه، ولا يزكّيه وله عذاب أليم، وتوضع لكل غادر يوم القيامة راية عند مؤخرته، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اسْتِهِ¹ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"²، ومن أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أراضين، فعن أبي سلمة رضي الله عنه: أنه كانت بينه وبين أناس خصومة³ فذكر لعائشة رضي الله عنها فقالت: يا أبا سلمة اجتنب الأرض⁴ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ ظَلَمَ قَيْدًا⁵ شَبَّرَ مِنَ الْأَرْضِ طَوْقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ"⁶، فالحقوق لا تضيع، بل يقتص حق المظلوم من الظالم حتى يقاد فيما بين البهائم، وشر الناس يوم القيامة ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ⁷ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهِينِ⁸ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهِ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهِ"⁹، ويُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ فَمَنْ مَاتَ مُحْرَمًا يَبْعَثُ مَلْبِيًا، ومن

1 عند أسسته: أي خلف ظهره لأن لواء العزة ينصب تلقاء الوجه فناسب أن يكون علم المذلة فيما هو كالمقابل له.

2 صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر (٣/١٧٣٨).

3 خصومة: نزاع حول شيء.

4 اجتنب الأرض: احذر أن تأخذ منها شيئاً بغير حق أو لا تتعاطاها خوفاً من أن تقع في ذلك.

5 قيد: قدر.

6 صحيح البخارين كتاب المظالم، باب اثم من ظلم شيئاً من الأرض (٢/٢٣٢١، ٣٠٢٣) مع

صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها (١/١٦١٢).

7 من شر الناس: من أسوأهم خلقاً وأكثرهم فساداً

8 ذا الوجهين: المنافق الذي يتخذ مواقف مختلفة ويتلون حسب المصلحة الخاصة.

9 صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما قيل في ذي الوجهين (٥/٥٧١١، ٦٧٥٧) مع صحيح

مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ذم ذي الوجهين وتحريم فعله (٥/٢٥٢٦).

قتل في سبيل الله جاء لونه لون الدم والريح ريح المسك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِّ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكِ "1 والمؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة، ولا يسمع مدى صوته شيء إلا شهد له يوم القيامة، فعن طلحة بن يحيى عن عمه رضي الله عنهما قال: كنت عند معاوية بن أبي سفيان فجاءه المؤذن يدعوه إلى الصلاة فقال معاوية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " الْمُؤذِّنُونَ أَطُولُ النَّاسِ أَعْنَاقًا 2 يَوْمَ الْقِيَامَةِ "3.

وبعد أن يفرغ الله من الفصل بين البهائم يشرع في الفصل بين العباد، يأذن الله عز وجل لدواوين المظالم أن تنصب وللحساب أن يبدأ، فالصحف المطوية تتطير وتنشر، والكتاب يقرأ، والجوارح تنطق، والملائكة تشهد، والله شهيد على جميع الأعمال، وفي هذا الموقف العظيم يعطي الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم حوضاً واسع الأرجاء مسيرته شهر، وماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك، ترى عليه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: قال

1 سبق تخريجه، مسلم (٣/٢٦٤٩).

2 أطول الناس أعناقاً: جمع عنق واختلف السلف والخلف في معناه فقل معناه أكثر الناس تشوقاً إلى رحمة الله تعالى لأن المتشوف يطيل عنقه إلى ما يتطلع إليه فمعناه كثرة ما يرويه من الثواب.

3 صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه (١/٣٨٧).

النبي صلى الله عليه وسلم: "حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٌ مَأْوُهُ أَبْيَضٌ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيْزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا"¹.

وفي حديث آخر: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟

قال: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لِأَنِّيْتَهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا

فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلَمَةِ الْمُصْحِيَّةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ، آخِرَ مَا عَلَيْهِ

يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ

عَمَانَ إِلَى أَيْلَةَ مَأْوُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ"². يرد عليه أقوام من

أمته ثم يحال بينهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم أتى المقبرة فقال: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ

لَا حِقُوقَ وَوَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا" قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال:

"أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ" فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد

من أمتك يا رسول الله؟ فقال: "أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مَحْجَلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي

خَيْلٍ دُهُمٍ بِيَهُمْ³، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ"، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ

غُرًّا مَحْجَلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لِيُذَادَنَّ رِجَالَ عَن

¹ صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب في الحوض (٥/٦٢٠٨) مع صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته (٤/٢٢٩٢).

² سبق خريجه، مسلم، (٤/٢٣٠٠).

³ بين ظهري خيل دهم بهم: قيل الظهر مقحم وفي الحديث أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى والمراد نفس الغني والمعنى بين أفراس وقوله دهم بهم أي سود لم يخالط لونها لون آخر.

حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ، فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ،
فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا¹.

وأما الطرف المقابل وهم الكفار، فما هي حالهم يوم القيامة يوم يقوم الأشهاد؟ إن لهم أحوالاً وأهوالاً قبل النار، قبل أن يؤمر بهم إلى مثاهم الأخير وبذلك نعلم أن القبر ليس هو المثوى الأخير، وأن الذين يقولونه اليوم أن فلان شيع إلى مثواه الأخير كذب، لأن القبر ليس هو المثوى الأخير، وأن المثوى الأخير إما الجنة وإما النار، فقبل أن يدخل هؤلاء النار سيكون لهم من أنواع العذاب والتعرض للأهوال في ذلك اليوم وتلك المواقف العظيمة العصبية ما يكون، حين ترى الأبصار شاخصة لا تطرف من الفزع والهول، لا تطرف عين، ولا تلتقي الأجفان ولا تنطبق، لأن ما يشد العين من الأهوال عظيم، إنه يوم الويل والثبور والندم والحسرة يوم يعترفون بأنهم ظلموا أنفسهم بل كنا ظالمين، يقولون: (كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) (الأنبياء: ٩٧)، مستغرقين في أنواع اللهو واللعب في الدنيا مشغولين في ذلك، كنا في سكرتنا انتبهنا اليوم، أتانا اليقين ووردنا القيامة، وجئنا على الله، وجاء الحساب، ونصبت الموازين، وجاء الله لفصل القضاء، فبدا من عظمته وجلاله وغضبه، والأنبياء يقولون كل واحد يأتونه البشر للشفاعة، يقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتني رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال: "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ

¹ صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب اطالة الغرة والتجيل في الوضوء (١/٢٤٩).

مَمَّ ذَلِكْ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرَ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا، فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي...¹.

وبدا لهؤلاء الكفار غضب الله سبحانه تعالى، فلقد جيء بجهنم، قد دنت الشمس من رؤوس الخلائق، لقد غرق هؤلاء في العرق، عندما يرون العذاب الذي هم فيه، والمآل الذي هو أشد، وسيقدمون عليه، يتمنى كل واحد منهم أن يفتدي بما في الأرض لو معه كل الأرض ذهباً يقدمه فداء عن النار لفعل، ولكن ليس معهم شيء، فقال تعالى وهو يصف لنا حسرتهم وعويلهم: (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَّلَهُمُ مِنَ اللَّهِ مَالَهُمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) (الزمر: ٤٧).

¹ صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل الإسراء، (٤/٤٤٣٥) مع صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/١٩٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صَلْبِ آدَمَ¹ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي فَأَبَيْتَ إِلَّا الشُّرْكَ"²، بل العجيب الذي سيزيد حسرة الكافر يوم القيامة أنه سيكون هو فداء للمؤمن، فالكافر سيأخذ مكان المؤمن في النار، والمؤمن سيأخذ مكانه في الجنة، وهذا هو يوم التغابن، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ هَذَا فِكَأَكْ³ مِنَ النَّارِ"⁴، وتغشى الكفار الذلة فقال تعالى عن الذلة والهوان التي تصيبهم وتحل بهم: (وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرَهُم مُّقْهَمِينَ ذَلَّةً مَّا لَمْ يَنْزِلْ اللَّهُ مِنْ عَالَمٍ غَائِبٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (يونس: ٢٧)، فالشرق الملحد، والغرب الكافر تراهم اليوم يستعلون بعظمتهم وبأسلحتهم، ويتباهون بقوتهم، ويخرجون في مؤتمراتهم الصحفية ليعلنوا عن انتصاراتهم ومنجزاتهم وهمنتهم على الدول العربية وحكامها، فهؤلاء كلهم سيكونون يوم القيامة إذا ماتوا على الكفر في غاية الذل والهوان، فهم الآن في الدنيا كما قال تعالى:

¹ صلب آدم: ظهر والصلب كل ظهر له فقار والمراد أنه أخذ عليه العهد منذ خلق أباه آدم.
² صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى، (٤/٣١٥٦، ٦١٧٣، ٦١٨٩) مع صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا، (٤/٢٨٠٥).
³ فكاك: وهو الخلاص والفداء.
⁴ صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٤/٢٧٦٧).

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَيَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ) (محمد: ١٢).

فكم أعرضوا عن التوحيد في الدنيا، كم أعرضوا عن الإسلام؟ كم أعرضوا عن الصلاة؟ كم أعرضوا عن السجود لله وهم قادرون عليه في الدنيا؟ ويؤمنون به فلا يصلون، اليوم يتمنون لو كانوا يستطيعون لكنهم لا يستطيعون، فقد جعل الله ظهر الواحد منهم طبقاً واحداً، ويا حسرة الفوت وذلة العاجز، لأن هذا الشخص الذي صار ظهره غير قابل للانحناء ولا جسده قابل للانثناء إذا أراد أن يسجد خرّ على قفاه، فأهل الظل ينعمون في الظل، وهؤلاء في الحر، والعرق يلجمهم، والشمس فوق رؤوسهم، زال العز الكاذب عنهم، قال تعالى: (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (الحج: ١٨)، بل سيكون الاستهانة بالكفار يوم القيامة حتى بالألفاظ يقول تعالى: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) (الدخان: ٤٩)، ولا عزيز ولا كريم لكن يقال له ذلك من باب الإهانة والتوبيخ والإذلال، ثم يساقون إلى النار فقال تعالى: (الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى) (الأعلى: ١٢)، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوَقِدُونَ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ" قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال: "فَإِنَّهَا فَضَّلَتْ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا"¹، ويسقون من عصارة أهل النار، أي ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم، صورهم صور الإنسان وجثتهم كجثة الذر، يعيدهم بعد

¹ سبق تخريجه، مسلم (٤/٢٨٤٣).

إخراجهم من قبورهم على هذا الوصف ويجعلهم في هذه الصورة إهانة وتذليلاً لهم، عند ذلك لا يبقى لهم أمل يتعلقون به، ولا رجاء ينتظرون نفعه، وحتى الأعمال التي عملوها في الدنيا من جنس أعمال البر والخير كالصدقات من مدارس، ومستشفيات، إلخ، كل ذلك ما مصيره؟ يجيبنا مولانا جل جلاله فيقول: (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا* يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا* وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) (الفرقان: ٢١ - ٢٣).

ولقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أُفْضِيَ إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةً يُجْزَى بِهَا"¹، عندئذ يتمنى الكافر الموت ولا يجده، انقطع عمله في الحطام، وانقطع طمعه في الجنة، فماذا بقي له؟ الدنيا ولت، والجنة لن يدخلها، لم يبق له إلا النار عندئذ يتمنى أمنية عجيبة قد ذكرها لنا رب العز جل جلال: (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) (النبأ: ٤٠)، وفي ذلك الموقف الرهيب تنقلب العلاقات إلى عداوات، زعماء الكفر يتبرؤون من الأتباع، والأتباع يتبرؤون من الزعماء فقال تعالى: (وَلَوْ

¹ صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب جزاء المؤمن بحسناته... (٤/٢٨٠٨).

يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ
أَتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ آتَّبَعُوا أَوْ رَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ آتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا
كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا لَهُمْ أَمْوَالَكُنَا وَمَنَّا كَذَلِكَ لِيُرِيَهُمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِبَخَارِجِينَ
مِنَ النَّارِ (البقرة: ١٦٥ - ١٦٧). ويساقون سوقًا عنيقًا، ولا يستطيعون امتناعًا،
فإذا وردوا على النار أنكروا ما عملوا من المعاصي، وطلبوا الشهود فأنطق الله
أجسادهم، فشهد عليهم سمعهم وأبصارهم بما كانوا يعملون، فيقول السمع أنا
عملت كذا وكذا، ويقول البصر أنا عملت كذا وكذا، وتقول اليد أنا عملت كذا
وكذا، ويقول الفرج أنا عملت كذا وكذا، فقال تعالى: (وَقَالُوا الْجُلُودُ لِلَّهِ لَمْ شَهِدْنَا
عَلَيْنَا) (فصلت: ٢١). أي نحن كنا ندافع عن من، ونجادل عن من؟ عنك أيها
السمع، وعنك أيها البصر، وعنك أيها اليد ثم أنتم تشهدون علينا ونحن ندافع
عنكم، نحن الآن جادلنا لننقذكم، (قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ
خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (فصلت: ٢١)، بدواتكم وأجسامكم
وصفاتكم. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كنا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فضحك، فقال: "هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟" فقلنا: الله ورسوله أعلم،
قال: "مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تَجْرِنِي مِنَ الظُّلْمِ، قَالَ: يَقُولُ:
بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى
بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ،

فَيَقَالُ: لِأَرْكَانِهِ أَنْطَقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يَخْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ،
قَالَ: فَيَقُولُ: بَعْدًا لَكِنَّ وَسَحَقًا فَعَنْكَنَّ كُنْتُ أَنْأَضِلُّ" 1.

دخول أهل النار إلى النار

بعد أن تتطاير الصحف، ويستلم كل واحد منهم كتابه، فبعضهم يستلمه بشماله أو من وراء ظهره، وبعضهم يستلم كتابه بيمينه، وهذا يعود إلى ما كان عليه الإنسان في الحياة الدنيا من طاعة لأمر الله واجتنابه لنواهيه، أو الكفر بالله وعصيان أوامره، ويصف لنا مولانا جل جلاله هذه المشاهد بقوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ* فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ* إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ* فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ* كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ* وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ* وَلَمْ أَدْرَمَا حِسَابِيَةَ* يَا لَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةَ* مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةَ* هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ* خُدُوهُ فَعُلُوهُ* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ* ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ* إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ) (الحاقة: ١٨ - ٣٣).

وبعد نشر الصحف يأذن الله سبحانه وتعالى للموازن أن تنصب في يوم القيامة، وتوزن الأعمال التي كان عليها الإنسان في حياته، وبعد رؤية الله عز وجل، يعبر الناس على الصراط وتكون سرعة مرورهم فيه بحسب أعمالهم، فمنهم من لا يعبره

1 صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (٤/٢٩٦٩).

ويسقط في نار جهنم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: "هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا". قلنا: لا، قال: "فَأَنْتُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا". ثم قال: "يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَعُجْرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيَقَالُ: لِيَهُودٍ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا، فَيَقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا فَيَقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى الْيَوْمِ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا، فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ:

هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ¹ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسَمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ، فَيَجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: مَدْحَضَةٌ² مَزْلَةٌ³ عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ⁴ وَكَالِإِبِ، وَحَسَكَةٌ⁵ مَفْلَطْحَةٌ، لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءُ⁶ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرُّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ⁷ فِي نَارِ جَهَنَّمَ...⁸.

ولقد وصف لنا النبي صلى الله عليه وسلم كيف يؤتى بالنار، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا"⁹.

وفي حديث آخر: يصف لنا النبي صلى الله عليه وسلم حرها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ

1 آية: علامة.

2 مدحضة: من دحضت رجله إذا زلقت ومالت.

3 مزلة: موضع تزلق فيه الأقدام.

4 خطاطيف: جمع خطاف وهو حديدة معوجة يختطف بها الشيء.

5 حسكة: شوكة صلبة.

6 عقيفة: منعطفة معوجة.

7 مكدوس: مصروع أو مدفوع مطرود.

8 صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة.. (٦/٧٠٠١) مع

صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/١٨٣).

9 سبق تخريجه، مسلم (٤/٢٨٤٣).

جُزءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ" ، قيل يا رسول الله إن كانت لكافية¹ قال: "فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا" ²، حتى إن النار نفسها لتستغيث من حرِّ نفسها، فعن أبي أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فهو أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير"³، مساحتها شاسعة واسعة، وحرها شديد، وقعرها بعيد، وظلها يحموم، وهوؤها سموم، وطعام أهلها الضريع والزقوم، وشرابهم المهل والحميم، وشررها كالقصر، قال: (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٌّ مِّنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٍ) (الواقعة: ٤١ - ٤٤)، وقال تعالى: (لَا كِيلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ * فَمَا لِيُون مِّنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) (الواقعة: ٥١ - ٥٦)، وقال تعالى: (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيحٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِّنْ جُوعٍ) (الغاشية: ٦ - ٧)، وقال أيضاً: (وَيَلَّيْوْنَ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ * انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِّنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ) (المرسلات: ٢٨ - ٣٣)، ولجهنم

1 لكافية: في تعذيب أهل النار.

2 صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار.. (٣/٣٠٩٢) مع صحيح مسلم، وقد سبق تخريجه (٤/٢٨٤٣).

3 الزمهرير: شدة البرد وهو الذي أعده الله تعالى عذاباً للكفار في جهنم.

4 سبق تخريجه، البخاري، (٣/٣٠٨٧) مع صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر... (١/٦١٧).

زفير وشهيق إذا ما رأت الخلائق في ساحة العرض أو سيق الناس إليها وهم في خوف
وجزع فإذا رأتهم زفرت وزمجرت غضباً منها لغضب ربها، قال تعالى: (إِذَا رَأَتْهُمْ
مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا) (الفرقان: ١٢)، وعندما يرونها، كما قال عز
وجل: (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنْهُمْ مُّوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا) (الكهف:
٥٣).

وعن قاعها يقول النبي صلى الله عليه وسلم: إن قاع جهنم عميق، روى أبو هريرة
رضي الله عنه: "وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنْ قَعَرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيْفًا" 1.
وفي حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذ سمع وجبة²، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "تَدْرُونَ مَا هَذَا؟"
قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: "هَذَا حَجْرٌ رَمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مِنْذُ سَبْعِينَ خَرِيْفًا
فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا" 3.

أما خزنتها فقد وصفهم لنا مولانا جل جلاله في كتابه العزيز: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا
أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا
يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (التحریم: ٦). وقد أخبرنا جل جلاله أن لها
سبعة أبواب، قال سبحانه وتعالى: (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ* هَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ
لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ) (الحجر: ٤٣ - ٤٤)، ومع كل هذا الوصف من الله

1 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلا.. (١/١٩٥).

2 وجبة: أي سقطة.

3 صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون.. (٤/٢٨٤٤).

عز وجل، ومن رسوله صلى الله عليه وسلم؛ إلا أن الداخلين إليها كُثِرَ من بني آدم ولعل السبب هو الشهوات، والرياء، والكبر، والظلم، والأذى، وأكل الحرام، دون مراعاة لما شرعه الله أو جاء به النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "حُجِبَتْ¹ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ² وَحُجِبَتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ³".

وفي حديث آخر: عن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ⁴ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عَتَلٍ جَوَاطِ⁵ مُسْتَكْبِرٍ⁶".

وفي حديث آخر: عن خولة الأنصارية رضي الله عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ⁷ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ⁸".

1 حُجِبَتْ: غُطِيَتْ.

2 بالشهوات: الملذات التي منع الشرع من تعاطيها أو التي قد تؤدي إلى ترك الواجبات أو الوقوع في المحرمات.

3 صحيح البخاري، كتاب الرقاق، بال حُجِبَتْ النار بالشهوات، (٥/٦١٢٢) مع صحيح مسلم، أول كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٤/٢٨٢٢ - ٢٨٢٣).

4 متضعف: بكسر العين متواضع لين هين وروي بفتح العين أي يستضعفه الناس ويحترقونه.

5 جواظ: شديد الصوت في الشر متكبر مختال في مشيته.

6 سبق تخريجه، البخاري، (٤/٤٦٣٤، ٦٢٨١، ٥٧٢٣) مع صحيح مسلم (٤/٢٨٥٣).

7 يتخوضون: من الخوض وهو المشي في الماء وتحريكه والمراد هنا التخليط في المال وتحصيله من غير وجهه كيفما أمكن.

8 صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب قول الله تعالى فأن لله خمسه وللرسول.. (٣/٢٩٥٠).

وفي حديث آخر: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "عُدِبَتْ أَمْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لِأَنَّهَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتَهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ"¹.

بل إن أكثر أهلها من الكفار ومن أهل النفاق خالدين فيها، قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ) (فاطر: ٣٦).

جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُؤْتَى بِالْمَوْتِ² كَهَيْئَةِ³ كَبْشِ أَمْلَحٍ⁴ فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَهُ، ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَهُ، فَيَذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: "وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ⁵ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"⁶.

1 صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف.. (٢/٣٢٩٥) مع صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها (٤/٢٢٤٢).

2 يؤتى الموت: أي يجسد ويؤتى به.

3 كهئية: كخلفة.

4 أملح: أبيض يشويه سواد.

5 وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا.

6 صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة مريم، (٤/٤٤٥٣) مع صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون... (٤/٢٨٤٩).

فما أشد حسرة أهل النار يومها، عندئذ تغلق أبواب جهنم على الكافرين والمجرمين والمنافقين فلا يخفف عنهم العذاب، ولا شفاعة لهم، قال تعالى: (فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) (البقرة: ٨٦) وذكر لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم أهون أهل النار عذاباً؛ فقال في الحديث الذي رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تَوَضَّعَ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ¹ جَمْرَةً يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ"²، والعجيب أنه حتى أهل الإيمان ستستقبلهم النار، أي سيكون طريقهم على النار، وأنه لا يمكن لشخص أبداً، أن يتفادى المرور على النار، فلا بد من العبور على النار، قال تعالى: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) (مريم: ٧١) فينظر أمامه لا يرى إلا النار، وينظر يمينه فلا يرى إلا النار، لا طريق أمامهم إلا على النار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "... وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا ..."³؛ فلا بد من الورد والمرور إلى النار، فالمرور من فوق جهنم وحده، شيء مخيف ومفزع، وفاجعة، لأن الصراط دقيق وحاد، ويروغ، ودحض منزلة، وعليه خطاطيف، فمنظر الخطاطيف وحده شيء عظيم جداً، حتى لو مر من فوق، فالمنظر فظيع، والذي يجعل المؤمن يمر مروراً سريعاً، يتقي به الفزع، هو العمل الصالح، وإلا لو كان المرور

¹ أحمص قدميه: المتجافي عن الأرض من الرجل عند المشي.

² سبق تخريجه، البخاري (٥/٦١٩٣) مع صحيح مسلم (١/٢١٣).

³ سبق تخريجه.

بطيئاً، فهو سيرى كل الأهوال، ويعاينها لحظة بلحظة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَّمَنَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ" ¹؛ أي اجعلوا بينكم وبين النار وقاية، ومن المهم على أهل الإيمان أن يعلموا أنه كما أن الكفر سبب للخلود في النار، وما دونه من المعاصي والتعذيب بها، فإن النجاة منها تكون بتحقيق التوحيد والإخلاص بالعمل لله سبحانه وتعالى، والإيمان به والعمل الصالح والإحسان إلى الخلق، لذا كان الإيمان من أعظم ما يتوسل به عباد الله إلى ربهم ليخلصهم من النار، قال جل جلاله: (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران: ١٦). جاء في الحديث الذي رواه عتبان بن مالك رضي الله عنه، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرًا من الأنصار أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهُ" ².

¹ صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة.. (٦/٧٠٧٤) مع صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة.. (٥/١٠١٦).
² صحيح البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب المساجد في البيوت (١/٤١٥) مع صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة. وفي المساجد ومواضع الصلاة باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر (١/٣٣).

وفي حديث آخر: عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أَمْرَاءُ يُؤَخَّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا أَوْ يُمَيِّتُونَ الصَّلَاةَ¹ عَنْ وَقْتِهَا"؟ قال: قلت: فما تأمرني؟ قال: "صَلِّ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا فَإِنْ أَدْرَكَتْهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ وَلَمْ يَذْكُرْ خَلْفٌ عَنْ وَقْتِهِ"².

أما أهل النفاق الذين كانوا مندسين بين المؤمنين في الدنيا، ومنهم أصلاً منافق النفاق الأكبر، وهؤلاء كفرة، فإن الله عز وجل قال عن هؤلاء في طريقة دخولهم النار: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ* يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) (الحديد: ١٢ - ١٣) فلا أحد يجوز الصراط إلا بنور، يعطيه الله إياه، لأن الجسر مظلم، وجهنم مظلمة، وحيث أن المنافقين كانوا مع المؤمنين، فإن لهم نوراً، فكل واحد معه نور من هؤلاء الذين سيعبرون، لكن ينطفئ نور المنافقين، ويبقى نور المؤمنين، ويميز الله بين المنافق والمؤمن، فيقف المنافقون حيارى، لا يستطيعون المرور، فضرب بينهم وبين أهل الإيمان، بسور له باب، ولكن قد حيل بين القوم وبين المفاتيح، باطنه يعني باطن السور مما يلي المؤمنين فيه الرحمة وما يليهم جهة المنافقين العذاب والنقمة؛ فينادون من تقدمهم من وفد الإيمان، فيقول المنافقون للمؤمنين على البعد يرونهم،

¹ أو يميتون الصلاة: يؤخرون فيجعلونها كالميت الذي خرجت روحه.

² صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر (١/٦١٧).

معهم مشاعل النور، يقولون: أعطونا من نوركم لنتمكن في هذا المضيق من العبور فقد انطفأت أنوارنا، ولا جواز اليوم إلا بمصباح من النور فيقولون لهم: (ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا)، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَنَافِقٍ، أَوْ مُؤْمِنٍ، نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ، وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ" ¹.

عندئذ يتساقط المنافقون ويتهاونون من الصراط إلى الدرك الأسفل من النار، لأن جهنم دركات بعضها فوق بعض، وكل طبقة لها باب، فيهوي هؤلاء من الجسر على الطبقة الأولى، مفتوحة الباب فيها، على الثانية، على الثالثة، على الرابعة، حتى يصلوا إلى الدرك الأسفل من النار، فهنالكَ مستقر عذابهم، ويدل على ذلك قوله تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَابِرِينَ) (النساء: ١٤٥).

وبعدما يعاني أهل النار من منافقين ومشركين من زمهريها، وحرها، يصيحون، ينادون خزنة النار بالتخفيف عنهم، يقول جل جلاله واصفًا لنا حالهم: (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ) (غافر: ٤٩).

لكن الله عز وجل قد أمر الزبانية بالتعذيب، وألا يرحموا هؤلاء، ولا يستجيبون لهم، يقول تعالى: (قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) (المؤمنون: ١٠٨). وتقول الخزنة لهم: (قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا أَيْ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ

¹ سبق تخريجه، مسلم (١/١٩١).

الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (غافر: ٥٠). فلا يزيدهم رد الحزنة إلا نكالا، ويقطع لهم بالكوث الدائم في دار البوار، ولا يستفيدون شيئا من الاستغاثة بهم، فلما سألوا الموت، أجابهم مالك وهو خازن النار: (وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ) (الزخرف: ٧٧). فيصب زبانية النار فوق رؤوس أهلها الحميم، يضربونهم بالمطارق، يعذبونهم، بالإضافة إلى هذه النار المحيطة بهم من كل جانب، بل إن صنفان من أهل النار لم يرهما النبي صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يُضْرَبُونَ بِهَا النَّاسُ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ¹ مُمِيلَاتٍ² مَائِلَاتٍ³ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ⁴ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا"⁵.

ولقد ذكر لنا النبي صلى الله عليه وسلم أن أكثر أهل النار من النساء، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أُرِيتُ⁶ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ". قيل أيكفرن بالله؟ قال: "يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ⁷ وَيَكْفُرْنَ

1 كاسيات عاريات: قيل معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارا لجمالها ونحوه وقيل معناه تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها.

2 مميلات: قيل يعلمن غيرهن الميل وقيل مميلات لأكتافهن.

3 مائلات: أي يمشين متبخترات وقيل مائلات يمشين المشية المائلة وهي مشية البغايا ومميلات يمشين غيرهن تلك المشية.

4 رؤسهن كأسنمة البخت أي يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها.

5 صحيح مسلم: كتاب اللباس ولزينة، باب النساء الكاسيات العاريات.. (٣/٢١٢٨).

6 أريت: من الرؤية وهي الإبصار والمعنى أراني الله تعالى.

7 يكفرن العشير: من الكفر وهو الستر والتغطية أي ينكرن إحسانه. والعشير الزوج مأخوذ من المعاشرة وهي المخالطة والملازمة.

الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأيت منك شيئاً¹ قالت ما رأيت
منك خيراً قط².

وبعد أن يدخل أهل النار النار، وأهل الجنة الجنة، يبدأ فصل جديد من فصول
الآخرة والذي يكون فيه الفرح مضاعف للمؤمنين والخزي والعار للكفار والمنافقين،
هذا الفصل هو فصل الشفاعة العظمى، فالشفاعة في الآخرة ثابتة بالكتاب والسنة
وإجماع السلف، ولم يخالف فيها إلا فئة من أهل البدع القائلين بخلود أهل
المعاصي في النار.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك
يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا
يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ،
أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ
نَفْسِهِ"³.

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتني رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوماً بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس⁴ منها نهسة فقال: "أَنَا
سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوْلِينَ

¹ شيئاً: لا يوافق مزاجها ولا يعجبها مهما كان قليلاً.

² صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب كفران العشير... (١/٢٩)، ٤٢١، ٧١٥، ١٠٠٤، ٣٠٣٠،

(٤٩٠١) مع صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان... (١/٧٩٠، ٨٠).

³ صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث (١/٩٩)، (٦٢٠١).

⁴ فنهس: أخذ بأطراف أسنانه.

وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصْرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ،
 فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يَطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا
 تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَّا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ
 لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ،
 خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا
 إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي
 قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ
 نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا
 إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ،
 وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟
 فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ
 يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي
 اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ،
 فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى
 مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ
 الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي
 نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَيَّ
النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَيَقُولُ
لَهُمْ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ
قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُؤْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي
نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا
عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ،
وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَيَقُولُ
لَهُمْ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ
قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى
غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونِي، فَيَقُولُونَ، يَا مُحَمَّدُ
أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ،
اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ
الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ، وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحَسَنِ
الْثَنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تَعْطَهُ
اشْفَعْ تُشَفِّعُ...¹

¹ سبق تخريجه.

وفي رواية أخرى للبخاري: "فَيَقُولُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى
أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ
الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ،
وَقُلْ يَسْمَعُ وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ يَا رَبِّ: ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَّائِي وَعَظَمَتِي لِأَخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" 1 .

وفي رواية أخرى: عن عمران بن حصين رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال: "يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ" 2 .

فأهل المعاصي من أمة النبي صلى الله عليه وسلم ستنالهم الشفاعة، بل إن الشفاعة
العظمى ستكون لأهل الكبائر من أمته صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أشار إليه
القرآن الكريم في الآية الكريمة والأحاديث النبوية بالمقام المحمود وهو مقام الشفاعة
الذي وعد الله سبحانه تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يبعثه إياه يوم
القيامة كما قال عز وجل: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
مَّحْمُودًا) (الإسراء: ٧٩) .

1 سبق تخريجه.

2 سبق تخريجه (٥/٦١٩٨).

وهذا الكلام للنبي صلى الله عليه وسلم لكرامته على الله سبحانه وتعالى أن جعل وظيفته أكثر من غيره، ولذلك أوجب عليه قيام الليل، ليكثر ثوابه، وينال بذلك المرتبة العظيمة العالية، وهي المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، وهو الشفاعة العظمى عندما يتشفع الخلائق بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم عيسى، وكلهم يعتذر ويتأخر عنها، حتى يستشفعوا بسيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم ليرحمهم الله من هول الموقف وكربه، فيشفع لهم عند ربه، فيشفعه ويقيمه مقاماً يغبطه عليه الأولون والآخرون، وتكون له المنة على جميع الخلق كما ذكر الباحث في حديث الشفاعة. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَإِيَّامًا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيَصِلْ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةَ" ¹.

هذه الشفاعة العظمى، وهناك شفاعات أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم منها شفاعته صلى الله عليه وسلم في فتح باب الجنة لأهلها، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ ² لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا

¹ صحيح البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم جعلت الأرض..

(٣٢٨، ٤٢٧/١) مع صحيح مسلم، كتاب أوائل المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٥٢١).

² تزلف: أي تقرب كما قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين أي قربت.

اسْتَفْتَحَ لَنَا الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُم مِّنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، قَالَ: فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِّنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ، فَيَقُولُ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُومُ فَيُؤَذِّنُ لَهُ وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمَةُ¹ فَتَقُومَانِ جَنَّتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرْقِ" قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِ الْبَرْقِ؟" قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، ثُمَّ كَمَرِ الرِّيْحِ، ثُمَّ كَمَرِ الطَّيْرِ، وَشَدَّ الرَّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيَّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ، سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، قَالَ: وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيْبٌ مُّعَلَّقَةٌ مَّأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيْفًا².

¹ وترسل الأمانة والرحم: إرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما وكثير موقعهما فتصوران شخصيتين على الصفة التي يريدها الله تعالى.

² سبق تخريجه (١/١٩٥).

وفي حديث آخر: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهْمُوا بِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا"، وذكر فيه الحديث "فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَتْنِي عَلَى رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيُحَدِّثُ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ"¹.

إن الذين يقولون بخلود أهل المعاصي في النار لا يؤمنون بالشفاعة، لأن الشفاعة من مقتضياتها: إخراج ناس من أهل التوحيد من النار بعد أن عذبوا فيها ما شاء الله فيخرجون بالشفاعة، فالذي يقول: بأن أصحاب الكبائر، أو العصاة يخلدون في النار، فإنهم لن يؤمنوا بالشفاعة وينكرونها.

طبعاً لقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً من خصائصه بدعوته يخفف عن عمه أبي طالب في النار، فأبو طالب مشرك ومات على الشرك، فمن أجل النبي عليه الصلاة والسلام يجعل في ضحضاح من النار، فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: "هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ² مِنْ نَارٍ وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ"³.

¹ سبق تخريجه (٦/٧٠٠٢).

² ضحضاح: هو الموضع القريب القعر والمعنى أنه خفف عنه شيء من العذاب.

³ صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قصة أبي طالب (٣/٣٦٧٠، ٥٨٥٥، ٦٢٠٣) مع صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب (١/٢٠٩)

دخول أهل الجنة إلى الجنة

إن الحديث عن الجنة حديث تشتااق له نفوس المؤمنین، وتتطلع إليه قلوب الموحدين، ولقد كان من نهج الأنبياء عليهم السلام ترغيب أقوامهم بالأعمال والأقوال التي تؤهلهم لنيل مرضاة الله تعالى ودخول الجنة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أتباعه بنعيمها، ويشوقهم بوصف ملذاتها وخيراتها، ولأجل ذلك كان يوصيهم بحسن الاتباع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي¹". قالوا يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: "مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي²".

ولا يخفى على كل مؤمن ومؤمنة أن أهل الجنة يدخلونها في أبهى صورة، وأكمل هيئة، وأجملها وأتمها، فيكونون على صورة أبيهم آدم عليه السلام وقد خلقه الله تعالى بيده، فأتم خلقه، وأحسن تصويره، وكل من يدخل الجنة يكون على صورة آدم وخلقته، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا... فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ...³"، أي طوله ستون ذراعاً، ونؤمن جميعاً نحن المسلمين بأن حال من يدخل الجنة هو أكمل الحالات وأفضلها، وأعلاها من كل الوجوه، وما ورد من تفاصيل في هذا الصدد يدل على كمال تلك الحالات، فعن

¹ أبى: امتنع عن قبول الدعوة أو عن امتثال الأمر.

² صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله.. (٦/٦٨٥١).

³ سبق تخريجه البخاري (٥٨٧٣، ٣/٣١٤٨) ومسلم (٤/٢٨٤١).

أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ¹ كَأَشَدُّ كَوْكَبِ إِضَاءَةٍ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يَرَى مَخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ حُمِهَا مِنَ الْحَسَنِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بَكْرَةً وَعَشِيًّا، لَا يَسْقَمُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبْصُقُونَ، آنَيْتُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَوَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الْأَلْوَةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ"²؛ فأول جماعة يدخلون الجنة في أحسن صورة من الإضاءة، يشع النور من وجوههم، والتي تليها كأشد كوكب إضاءة، فهم على صورة القمر عند اكتماله، ولا يدخل أهل الجنة إلى الجنة حتى يهذبون وينقون قبل دخول الجنة، لا يدخل الجنة أحد وفيه شائبة، فلقد كانت هنالك أدران علقّت مما في الدنيا من المعاملات، وما حدث بين الخلق، وأمور من التقصير، فلذلك ينقى أهل الجنة قبل دخولها، فيدخلون على قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشيًّا، فبعد أن يمر المؤمنون على الصراط ويسقط من يسقط من المنافقين والعصاة، وينجو من نجاه الله من المؤمنين، يصلون إلى القنطرة، وهي جسر يكون قبل دخول الجنة، وهو آخر موقف من مواقف يوم القيامة للمؤمنين قبل دخول الجنة، لأن يوم القيامة طويل فيه مواقف متعددة، وآخر موقف قبل الجنة: القنطرة، فإن المؤمنين يحبسون عليها، ويقفون على هذه القنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فيؤخذ للمظلوم حقه، ويكون بينهم

¹ على إثرهم: أي بعدهم وعقبهم.

² صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣/٣٠٧٤، ٣٠٨١، ٣١٤٩).

معاتبات على أشياء، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة، وقد ذهب كل حقد أو حسد، أو غل من نفوسهم، قال تعالى: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) (الحجر: ٤٧). وهذا القصاص الذي يكون في ذلك الموقف ليتم التهذيب، وتكتمل التنقية، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّارِ فَيَحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا، وَنُقُوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَأَوَّلَ الَّذِي نَفَسِي بِيَدِهِ، لِأَحَدِهِمْ أَهْدَى لِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا"¹، وبعد هذا التطهير يُقسم المؤمنون إلى جماعات وزمراً متعددة، حيث يجعل من أهل كل عمل جماعة مستقلة، العلماء مع بعض، والمجاهدون مع بعض، والمتصدقون مع بعض، وهكذا، فإنهم يتنوعون في زمر بتنوع أعمالهم التي اشتغلوا بها، أما الواجبات وترك المحرمات مفروغ منها، ولكنهم أنواع في اهتماماتهم، في العلم والجهاد، والدعوة، والصدقة، ونحو ذلك، وتساق هذه الجماعات المؤمنة الموحدة إلى الجنة، فإذا وصلوا إلى أبواب الجنة فتحت لهم أبوابها الثمانية، وخاطبهم خزنة الجنة بالتحية والسلام فقال الله عز وجل: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) (الزمر: ٧٣). فإذا دخلوا إلى الجنة استقبلتهم الملائكة بركائب لا يعلم جمالها وعظمتها إلا الذي

¹ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة (٥/٦١٧٠، ٢٣٠٨)

هياها فيساقون إلى سوق في الجنة، هذا السوق هو سوق إكرام ورضوان، يذهبون إليه راكبين، يسرع بهم كما يفعل بالوافدين الذين يفتدون إلى الملوك، فيساقون إليهم في موكب، ويدل على كون المؤمنين يساقون إلى الجنة وهم ركوب، قوله تعالى: (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ) (مریم: ۸۵) ؛ أي ركباناً لأنه فيه من الإكرام والإحسان من أن يمشوا مشياً على أقدامهم، يدخلون إلى الجنة من أبوابها والتي وصف لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم سعة هذه الأبواب، فقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ¹ مِنْ مَصَارِعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحَمِيرَ² أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى³ ".

وفي حديث آخر: من حديث عتبة بن غزوان رضي الله عنه قال: " وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةٌ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَيَاتِنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَطَيْطٌ⁴ مِنَ الزَّحَامِ⁵ " ويدخل أهل الجنة يمسك بعضهم ببعض عند الدخول، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ - شَكَّ فِي أَحَدِهِمَا - مُتَمَاسِكِينَ،

1 المصراعين: جانبي الباب.

2 حمير: أي بلد حمير وهي صنعاء عاصمة اليمن.

3 سبق تخريجه، البخاري (٤/٤٤٣٥) ومسلم (١/١٩٤).

4 كطيظ: أي ممتلئ.

5 صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٤/٢٩٦٧)

أَخَذَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ حَتَّى يَدْخُلَ أَوْلَهُمْ وَأَخْرَهُمُ الْجَنَّةَ، وَوَجَّوَهُمْ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ 1.

ولقد ذكر الباحث في الحديث السابق أن سبعين ألفاً سيدخلون الجنة متماسكين وهذا يأخذنا إلى أن لأهل الجنة منازل ودرجات فالله عز وجل قد جعل للجنة درجات كثيرة، وفاوت بين أهلها في أماكنهم ومنازلهم ودرجاتهم، ونعيمهم على تفاوت أعمالهم، وهذا من فضله العظيم، ومن حكمته تعالى أنه جعل هذا التفاوت، فمنهم من يكون أول من يدخل الجنة، ومنهم من يدخل بلا حساب ولا عذاب، ومنهم يدخل على صفة معينة، وآخرون على صفة أخرى، وهذا من باب، وهذا من باب آخر، فأول من يدخل الجنة هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ... 2"، فنحن وإن كنا الآخرين زمنًا في الوجود، فإن هذه الأمة هي السابقة فضلاً ودخولاً الجنة، فتدخل قبل سائر الأمم.

وهناك زمرة من أهل الإيمان عددهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ولقد ذكر الباحث حديث السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، فقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم أمته المتبعة لشرعه بالجزاء العظيم في الدنيا والآخرة وذلك بدخول الجنة بغير حساب ولا عذاب ولقد جاء في حديث

1 صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٥/٦١٧٧).

2 صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة.. (٢/٨٥٥).

آخر عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمْرُونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ قُلْتُ مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الْأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ". ثم دخل ولم يبين لهم فأفاض القوم وقالوا: نحن الذين آمننا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام فإننا ولدنا في الجاهلية فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج فقال: "هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَتُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ". فقال عكاشة بن محصن رضي الله عنه: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: "نعم". فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ قال: "سَبَقَكَ بِهَا عَكَّاشَةُ" ¹.

ومن السابقين أيضاً في دخول الجنة فقراء المهاجرين، وذلك جزاء لهم بسبقهم وصدقهم وابتلائهم بالفقر، فجعلهم الله من الأوائل دخولاً الجنة فيسبقون الأغنياء بأربعين سنة، ففي الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يقول فيه: بأن ثلاثة نفر جاءوا إليه فقالوا: يا أبا محمد إنا والله ما نقدر على شيء لا نفقة ولا دابة ولا متاع، فقال لكم ما شئتم: إن شئتم رجعتم إلينا فأعطيناكم ما يسر الله لكم، وإن شئتم ذكرنا أمركم للسلطان، وإن شئتم صبرتم، فإني سمعت رسول الله

¹ صحيح البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره... (٥/٥٣٧٨) مع صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف... (١/٢٢٠).

صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيْفًا" قالوا: فإننا نصبر لا نسأل شيئاً¹. ثم يدخل فقراء المؤمنين الجنة، وقد ناسب أن يكون حالهم كذلك بسبب قصر مدة الحساب لهم خلافاً للأغنياء، والفقير بلا شك يعاني من أمور الحياة ومآسيها وابتلاءاتها، ومن أهل الإيمان من يدخل الجنة بسبب الصيام، فعن سهل رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ² يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مَعَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ، فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ، فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ، أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ"³.

وهناك من أهل الإيمان من يدخل الجنة بسبب الصلاة، وبسبب الجهاد، وبسبب الصدقة، وبأسباب أخرى كثيرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ أَنْفَقَ زَوْجِينَ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ لَكَ، وَلِلْجَنَّةِ أَبْوَابٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ" فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك

¹ سبق تخريجه، مسل (٤/٢٩٧٩).

² الريان: صيغة مبالغة من الري وهو نقيض العطش.

³ صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين (٢/١٧٩٧، ٣٠٨٤) مع صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام (٢/١١٥٢).

الأبواب من ضرورة وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: "نعم وإنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ" 1.

وأكثر من يدخل من باب الجنة هم المساكين، فعن أساوة بن زيد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَةً مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجُدِّ 2 مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ، فَإِذَا عَامَةٌ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ" 3.

ومن الذين يدخلون الجنة قوم دخلوها بعد تساوي حسناتهم وسيئاتهم، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف، الأعراف سور بين الجنة والنار سمي بذلك لارتفاعه ويستعمل في الشرف والمجد وأصله في البناء 4. والراجح من أقوال العلماء في أهل الأعراف: أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فمنعتهم حسناتهم من دخول النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة، فيقفون على السور حتى يقضى بين الناس ثم يدخلهم الله الجنة برحمته، فقال تعالى: (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ* وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ

1 صحيح البخاري، باب فضائل الصحابة، باب قول قول النبي صلى الله عليه وسلم (لو كنت متخذاً...) (٣/٣٤٦٦).

2 أصحاب الجد: بفتح الجيم قيل المراد به أصحاب البخت والحظ في الدنيا والغنى والوجاهة بها وقيل أصحاب الولايات.

3 صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا تأذن المرأة في بيتها لأحد إلا بإذنه (٥/٤٩٠٠، ٦١٨١) مع صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب أكثر أهل الجنة الفقراء (٤/٢٧٣٦).

4 كتاب تفسير غريب القرآن، باب سورة الأعراف، (١/٢٠٤).

الظَّالِمِينَ) (الأعراف: ٤٦ - ٤٧)، ومن الناس من يدخل الجنة بعد أن يخرجوا من النار بالشفاعة، وعندهم أصل الإيمان، فهم عصاة الموحدين الذين عذبوا ودخلوا جهنم، يدخلون الجنة بعد ذلك على تفاوت بينهم، فيخرج من النار أقوام فيدخلون الجنة بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، أو بأصل الإيمان الذي في قلوبهم، فإن الله سبحانه وتعالى قد كتب عليهم أن يأخذوا حظهم من النار بقدر سيئاتهم، وقد تعددت الأدلة على هذا، فأما خروج أصحاب الكبائر من النار بالشفاعة ودخولهم الجنة بعد ذلك، فقد مر بنا من الأحاديث ما يدل عليه، ومن أهل الكبائر من يخرج من النار ويدخل الجنة بشفاعة الشافعين، وهذه الشفاعة للنبي عليه الصلاة والسلام يشفع في أهل الكبائر أن يخرجوا من النار، يشاركه فيها الملائكة، والنبيون، والمؤمنون أيضاً، وقد ثبتت الإشارة إلى شفاعة الأنبياء والملائكة والمؤمنين، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعْتُ الْمَلَائِكَةَ وَشَفَعَ النَّبِيِّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"¹.

وفي حديث آخر: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ نَارٌ بِذُنُوبِهِمْ، أَوْ بِخَطَايَاهُمْ، فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّى إِذَا كَانُوا

¹ سبق تخريجه، البخاري (٦/٧٠٠١) مع صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/١٨٣).

فَحَمًّا، أُذِنَ لَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرٍ¹ فَبُتُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ،
فَقِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ
السَّيْلِ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ
كَانَ فِي الْبَادِيَةِ².

بل إن هناك نوع من أنواع الشفاعة، وهي شفاعة الإخوان بعضهم لبعض فالأخلاء
الصادقون الصالحون الذين يناشدون ربهم ويشفعون في إخوانهم ويسألونه أن
يلحقهم بهم، ففي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، في الحديث الطويل
في المرور على الصراط ومشاهد القيامة، قال عليه الصلاة والسلام في فعل الصالحين
المؤمنين واجتهادهم في إنقاذ إخوانهم قال: "فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً³ فِي الْحَقِّ
قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ⁴ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَّوْا فِي إِخْوَانِهِمْ⁵
يَقُولُونَ رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا فَيَقُولُ
اللَّهُ تَعَالَى اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ وَيَحْرِمُ
اللَّهُ صُورَهُمْ⁶ عَلَى النَّارِ فَيَأْتُونَهِمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى
أَنْصَافِ سَاقِيهِ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي

1 ضبائر ضبائر: جماعات في تفرقة.

2 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (١/١٨٥)

3 مناشدة: مطالبة في حق ظهر لكم في الدنيا.

4 من المؤمن: من طلب المؤمنين من الله في الآخرة.

5 في إخوانهم: في شأن نجات إخوانهم من النار وفي نسخة (وبقي إخوانهم).

6 صورهم: معالم خلقتهم فلا تغيرها النار.

قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأُخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا " . قال أبو سعيد : فإن لم

تصدقوني فاقروا (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا) 1 .

أخيراً؛ تبقى شفاعة الملك جل جلاله، فيخرج أناس من النار بفضل الله ورحمته

وهؤلاء يخرجون من النار لكن بعد ماذا؟ بعد هذا الاحتراق الشديد حتى يصبحوا

فحمًا، حتى يموتوا من الاحتراق، لكن في النهاية ستدر كههم رحمة رب العالمين،

فيخرج الله عز وجل زيادة على ما أخرجه الشافعون، ويدخلون الجنة، ولذلك هناك

شفاعة لله يشفع الله من نفسه عند نفسه، فيخرج آخر دفعة تدخل الجنة. ففي

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، في الحديث الطويل في المرور على

الصراط ومشاهد القيامة: "فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ:

بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ اِمْتَحَشُوا² فَيَلْقَوْنَ فِي

نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبَتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبَتُ الْحَبَّةُ فِي

حَمِيلِ السَّيْلِ³ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا كَانَ

إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أبيضَ، فَيُخْرِجُونَ

كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ اخْوَاتِيمٌ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ:

1 سبق تخريجه، البخاري (٦٧٠٠١) مع مسلم (١/١٨٣).

2 امتشحو: من المحش وهو احتراق الجلد وظهور العظم.

3 حميل السيل: ما يحمله ويحیی به السيل من طين ونحوه فإنه إذا جاءت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل نبتت في يوم وليلة فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها

وأول طعام يقدم لأهل الجنة زيادة كبد الحوت، لأن الكبد هو قطعة كبيرة معلق بها قطع أصغر منها، وأرق من الكبيرة، معلقة بها، وهذه الأصغر ألد وأطيب من الكبيرة، فأول ما يقدم لأهل الجنة من النزل: زيادة كبد الحوت، هذه الزيادة تكفيهم جميعاً، ثم يقدم لهم: ثور يذبح لهم، وهو ثور في الجنة يأكل من أطرافها، يعد لإكرام أهل الجنة، ولقد في الحديث الذي رواه معاوية ابن سلام رضي الله عنه قال حدثنا ثوبان مولى رسول الله صلى الله وسلم قال: كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من أحرار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي" فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟" قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه فقال: "سَلْ" فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هُمُ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ" قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: "فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ" قال اليهودي: فما تحفتهم¹ حين يدخلون الجنة؟ قال: "زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ"² قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: "يُنْحَرُ لَهُمُ ثَوْرُ الجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا" قال: فما شرابهم عليه؟ قال: "مِنْ عَيْنِ فِيهَا"

¹ تحفتهم: وهي ما يهدي إلى الرجل ويخص به ويلاطف.

² النون: الحوت وجمعه نينان.

تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً" قال صدقت... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِي اللَّهُ بِهِ" ¹.

فإذا ما دخل أهل الجنة الجنة سمعوا نداء تطرب له القلوب والآذان، فقد جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يُنَادِي مُنَادٍ، إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)" ².

حجم الجنة وأسواقها وريحتها وأشجارها وثمارها وظلالها وخبائها وأنهارها

يقول الله تبارك وتعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: ١٣٣) والمراد بالعرض هنا السعة وليس الذي يخالف الطول فيقال: بلاد عريضة أي واسعة، فلا تحيط أفهامنا وعقولنا بكبر الجنة والجنة مع ضخامة حجمها ستمتلى بأهلها أهل الجنة المتنعمين.

¹ صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة.. (١/٣١٥).

² سبق تخريجه، مسلم (٤/٢٨٣٧).

وأما عن سوقها وريحها: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا¹ يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ² فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ³ فَتَحْتُو فِي وَجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزِدُّونَ حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ وَقَدْ أَزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ أَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا"⁴.

وأما عن أشجار الجنة وثمارها وظلالها: قال الله عز وجل: (إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ) (المرسلات: ٤١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجْرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ وَأَقْرَعُوا إِنْ شِئْتُمْ: (وِظِلٌّ مَمْدُودٌ) وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبُ"⁵.

ولأهل الجنة ما يشتهون من الرزق الكريم، ولهم من جميع الثمار لذيذها وطيبها، وهم مكرمون بما أعطاهم الله، قال الله تعالى: (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) (الحاقة: ٢٢ - ٢٣).

1 لسوقًا: المراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق.
2 يأتونها كل جمعة: أي في مقدار كل جمعة أي أسبوع وليس هناك حقيقة أسبوع لفقد الشمس والليل والنهار والسوق يذكر ويؤنث وهو أفصح.
3 الشمال: هي التي تأتي من دبر القبلة قال القاضي وخص ريح الجنة بالشمال لأنها ريح المطر عند العرب كانت تهب من جهة الشام وبها يأتي سحاب المطر وكانوا يرجون السحاب الشامية.
4 سبق تخريجه، مسلم (٤/٢٨٣٣).
5 صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣/٣٠٨٠)، (٤٥٩٩) مع صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها (٤/٢٨٢٦).

ويقول الله تعالى: (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) (الرحمن: ٦٨)، ولا يقتصر طعامهم على الثمار بل يتعداه إلى الطير وغيره، فقال تعالى: (وَلَحْمَ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ) (الواقعة: ٢١).

وأما الشراب: فيخبرنا عنه ربنا تبارك وتعالى حيث يقول: (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا) (الإنسان: ١٥)، أي لهم أكواب تجمع بين صفاء القوارير وبياض الفضة فتبدو للناظرين زاهية المنظر، ولهم عين تسمى سلسبيلًا لسلاسة مائها وعذوبته، وكل هذا الطعام والشراب لا يبقى في بطون أهل الجنة بل يتحول إلى عرق ومسك، كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَوَّلُ زِمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ لَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبْزُقُونَ أَمْشَاطَهُمُ الذَّهَبُ وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ...¹؛ فلا يتغوطون ولا يبولون، إذ لا قدر في الجنة، بل طعامهم وشرابهم في بطونهم يتحول إلى عرق يرشح من جلودهم له رائحة المسك لا تؤذي ولا تزعج، بل هي رائحة جميلة.

وإن من النعيم الذي أعده الله تعالى في الجنة، الخيام فقد أخبرنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي بكر بن عبد الله بن قيس الأشعري عن أبيه رضي الله

¹ سبق تخريجه، البخاري (٣/٣١٤٩) مسلم (٤/٢٨٣٤).

عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الْخَيْمَةُ دُرَّةٌ¹ مُجَوَّفَةٌ² طُولُهَا فِي السَّمَاءِ ثَلَاثُونَ مِيلاً فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا لِلْمُؤْمِنِ أَهْلٌ³ لَا يَرَاهُمْ الْآخَرُونَ"⁴.

وأما عن أنهار الجنة: فإن الله تعالى قد أعد من جملة ما أعد لعباده المؤمنين في دار السلام في الجنة أنهاراً عظيمة غير التي نراها في الدنيا، يقول تبارك وتعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) (محمد: ١٥)، ففي الجنة أنهار كثيرة تجري على وجه أرض الجنة في غير أخدود، أي ليس هناك شقوق في أرضها بل على وجهها فلا تكلف تعباً بالتناول منها، وأهل الجنة يشربون منها تلذذاً لا عن عطش، وأنهار الخمر في الجنة لذة للشاربين، فهي ليست كخمر الدنيا، إذ إن خمر الجنة لذيد المذاق، طعمه طيب، بالإضافة إلى أن خمر الجنة لا يسكر ولا يؤدي بمن يشربه إلى الصداع والأذى، ولا تذهب عقولهم بشربها.

وقد أكرم الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن أعطاه في الجنة نهراً عظيماً اسمه الكوثر، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه أنه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله، قال: "أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَنْفًا فَقَرَأْتُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

1 درة: لؤلؤة.

2 مجوفة: مثقوبة ومفرغ داخلها.

3 أهل: زوجة.

4 سبق تخريجه، البخاري (٣/٣٠٧١) مسلم (٤/٢٨٣٨).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ
 إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)، قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،
 قَالَ: هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ يَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ، آنِيَّتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ، يُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي،
 فَيُقَالُ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدُثُوا بِعَدِّكَ" 1.

وفي حديث آخر: عن أنس رضي الله عنه قال: لما عُرج بالنبي صلى الله عليه وسلم
 إلى السماء قال: "أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قَبَابُ اللَّوْلُؤِ 2 مُجَوَّفًا 3 فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا
 جَبْرِيْلُ؟ قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ" 4 5.

وفي حديث آخر: عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنهما، قال: سألتها عن
 قوله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ). قالت: نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه
 وسلم شاطئاه عليه درّ مجوف آنيته كعدد النجوم" 6.

وأما عن سرر الجنة: فقد هيأ الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين في الجنة أسباب
 الراحة والأمن والسعادة جزاء بما فعلوه في الدنيا من طاعات وعبادات، فمن ذلك
 الأرائك والسرر قال الله تعالى: (هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَعْرَاقِ مُتَّكِفُونَ) (يس):

1 صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسمة أية من أول كل سورة (١/٤٠٠).
 2 حافته قباب اللؤلؤ: على حافتيه.
 3 مجوفًا: أي القبة كلها من لؤلؤة مجوفة واللؤلؤ جوهر نفيس معروف.
 4 الكوثر: نهر في الجنة والكوثر كل كثير من الخير.
 5 صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الكوثر (٤/٤٦٨٠، ٦٢١٠).
 6 سبق تخريجه (٤/٤٦٨١).

٥٦)، فأهل الجنة يتنعمون بما أنعم الله عليهم، يجلسون على الأرائك أي الأسرة وهي فرش يعلوها قباب مزينة. وقال الله تعالى: (عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ) (الواقعة: ١٥) أي منسوجة مزينة بالذهب، فهم يجلسون على أرائكهم ولهم بسط جميلة، ووسائد وطنافس تزيد من راحتهم وتنعمهم، ويكون معهم أزواجهم والحوار العين في سرور كبير يقول الله تبارك وتعالى: (مُتَّكِبِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ) (الطور: ٢٠).

وأما عن الحوار العين ونساء أهل الجنة: فقد وعد الله عز وجل عباده المتقين أن يدخلهم جنات النعيم، ويكون المؤمن مع زوجته المسلمات اللاتي كن على عصمته وأما من كانت عزباء في الدنيا؟ فالجواب ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ أَوَّلَ زَمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يُرَى مَخُّ سَوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعْزَبٌ"¹ فالرجال في الجنة لهم أزواج من نساء الجنة اللواتي كن في الدنيا ولم يتزوجن فلا يكون هناك أعزب وهؤلاء النساء يظهرن كأشبه البذور يسطعن نوراً، وأما الحوار العين فهن خيرات حسان أزواج قوم كرام، وورد في وصفهن ما جاء في قول الله تعالى: (كَأَنَّهنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) (الرحمن: ٥٨) ولو نظرت إلى وجه الواحدة منهن وهي في خدرها لوجدتها أصفى من المرأة، وقيل أن سبب تسميتهن بذلك

¹ سبق تخريجه، مسلم (٤/٢٨٣٤).

أن الواحدة منهن سوداء الحدقة، عظيمة العين، وهن كما قال عنهن ربنا سبحانه وتعالى: (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ) (الصفات: ٤٨) أي أنهن قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم، وتكون الحور العين أتراباً، والأتراب اللواتي أعمارهن واحدة وهن في غاية الحسن، يقول ربنا في تبيان أمرهن: (فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا) (الواقعة: ٣٦ - ٣٧) والحور العين أنشئن ابتداءً أي من غير ولادة والنساء المؤمنات أنشئن بالإعادة وتغير الصفات، والنساء في الجنة أبكاراً أي لا يأتي الواحدة زوجها إلا وجدها بكرًا، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لرَوْحَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ غَدَوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعٌ قَدَّهَ يَعْنِي سَوْطُهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ النَّارِ لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا، وَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنْصَيْفُهَا¹ عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"².

وأما عن الولدان المخلدون: فقد سخر الله تعالى لأهل الجنة من يخدمهم ويأتيهم بما يرغبون، فجعل الولدان المخلدين خداماً لهم، وهم خلق من خلق الله تعالى، ليسوا من البشر ولا من الملائكة ولا من الجن، خلقهم الله من غير أم ولا أب، وهم جميلو الهيئة وقد ورد في وصفهم ما قال ربنا عز وجل: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ) (الطور: ٢٤)، أي يطوف عليهم للخدمة غلمان كأنهم من الحسن والبياض لؤلؤ مكنون أي مصون لم تمسه الأيدي، وهم كلهم على سن واحدة

¹ لنصيْفُهَا: خمارها وهو ما يغطي به الرأس.

² صحيح البخاري، كتاب فضل الجهاد والسير، باب الحور العين وصفتهن.. (٢٦٣٩، ٢٦٤٣/٢).

لا يهرمون ولا يموتون، بإحدى يدي كل منهم صحيفة من ذهب وبالأخرى صحيفة من فضة، يقول الله تعالى: (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَآثِرٌ بِحَسْبِهَا النَّفْسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (الزخرف: ٧١) وقد وصفهم الله تعالى أيضاً بقوله: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا) (الإنسان: ١٩) أي أنهم في بياض اللؤلؤ وحسنه، واللؤلؤ إذا نشر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظرًا، وإنما شبهوا باللؤلؤ المنتور لانتشارهم في الخدمة، وعليهم ثياب جميلة تسر الناظرين.

وأما ثياب وحلي أهل الجنة: فقد رزقنا الله تعالى في الدنيا ما نواري به عوراتنا من الثياب المصنوعة من الصوف والقطن والجلد وغير ذلك ومنها ما كان لزينتنا، لكن ما يرتديه المتقون في الجنة أجمل من أجمل ما ارتداه الناس في الدنيا ويزيدهم جمالاً ويضفي عليهم رعداً وسروراً فقال الله تعالى: (عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْاْ أَسَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) (الإنسان: ٢١)، فلما كانت الملوك في الدنيا تتحلى بالأساور في اليد والتيجان على الرؤوس جعل الله ذلك لأهل الجنة، وكل واحد من أهل الجنة يحلى بثلاثة من الأساور، واحد من ذهب وواحد من فضة وواحد من لؤلؤ ويواقيت، ولهم ثياب خضر من سندس، أي رقيق الديباج، واستبرق أي ثخينه، وكلها لزيادة إكرام أهل الجنة، وحرير الجنة ليس كحرير الدنيا لا بالنظر ولا باللون ولا باللمس بل هو أجمل بكثير، فقد جاء عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم سرقة¹ من

¹ سرقة: اسم لقطعة من الحرير.

حرير فجعل الناس يتداولونها بينهم ويعجبون من حسننها ولينها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَتَعْجَبُونَ مِنْهَا". قالوا: نعم يا رسول الله قال: "وَأَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلٌ سَعَدٌ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا"¹.

وأما عن ثياب أهل الجنة: فإنها لا تبلى، ولا يتغير لونها، ولا يخف زهوها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ² لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ"³، فأهل الجنة في شغل يتنعمون، يقدسون الله تعالى ويشنون عليه الثناء الحسن ويسبحونه ويحمدونه، وذكرهم الله تعالى في الجنة لا يكون على وجه التكليف، لأن الجنة دار جزاء وليست دار تكليف، بل يذكرونه للتلذذ، ويكون ذلك بلا تعب فيه كما لا تعب في تنفسهم، وكيفما وصفت أهل الجنة وجمالهم في كل درجاتهم تراهم كالبدور الزاهرة والكواكب المنيرة، وليس عليهم شعر إلا شعر الجفون والحاجبين وشعر الرأس فليس لهم لحى إذ اللحي تخفي من جمال الوجه.

وأما أعظم نعيم أهل الجنة فهو رؤية الله عز وجل في الآخرة: قال تعالى: (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) (القيامة: ٢٢ - ٢٣) فهذه الآية فيها إثبات رؤية المؤمنين لله عز وجل، وعن صهيب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا

¹ صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كان يمين النبي... (٦/٦٢٦٤).

² ينعم لا ييبأس: يدوم لكم النعيم.

³ سبق تخريجه، مسلم (٤/٢٨٣٦).

أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ¹، ورؤية المؤمنين لله تعالى وهم في الجنة تكون بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة ولا مسافة قرب أو بعد ولا كيفية ولا حجم ولا لون، ولا يكون عليهم في هذه الرؤية اشتباه ولا أدنى شك، هل الذي رأوه هو الله أو غيره كما لا يشك مبصر القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، أن الذي رآه هو القمر، ففي ذلك قال قيس عن جرير رضي الله عنه: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة - يعني البدر - فقال: "إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تَضَامُونَ² فِي رُؤْيَيْتِهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا". ثُمَّ قَرَأَ (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ)³.

ولله في خلق الجنة والنار حكمة بالغة وعظيمة، وعلى رأس ذلك: تحقيق العدل الإلهي، فما من واحد يدخل النار يوم القيامة إلا وهو مقتنع تمام الاقتناع، أنه يستحق دخول النار، وما من واحد يدخل النار وهو يظن أو في نفسه أنه مغبون، أو أنه مظلوم أبداً، كل الذين يدخلون جهنم على أتم الاقتناع، بأنهم استحقوا دخولها. وليس من عدل الله أن يموت الظالم، والمظلوم في الدنيا، ولم يأخذ المظلوم حقه، فأنت ترى الآن بعض الظالمين، يسرقون، ينهبون، يضربون، يبطشون،

1 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة (١/١٨١).

2 لا تضامون: لا ينالكم ضيم أي تعب أو ظلم.

3 صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (١/٥٢٩، ٥٤٧، ٤٥٧، ٦٩٩٧) مع صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر (١/٦٣٣).

يقتلون، يسجنون، ويموت المقهور المظلوم، ولم يأخذ حقه، ويموت الظالم وهو في
عزة من الدنيا، ومنعة، وقوة، وملك، ومال، وطغيان، أفهكذا تنتهي المشاهد؟ لا،
لا يمكن، لذلك، لا بد من وجود محكمة، لا بد من وجود جزاء، وهذه حكمة
عظيمة من وراء خلق الجنة والنار، لا يمكن أن يكون من حكمته تعالى أن يموت
الناس، وينتهي الوضع هكذا، ويبقى الظالم الآثم الفاجر الذي عاث في الأرض
فساداً بلا عقوبة، والمحسن الذي بذل وضحي وتعبد، وعمل لله عز وجل، بلا ثواب
ولا إحسان.

الخاتمة

لقد تعمقت، وذلك بتوفيق من الله سبحانه وتعالى في الأحاديث الغيبية التي تحدث بها النبي صلى الله عليه وسلم والتي استفاد بها صلوات ربي وسلامه عليه والتي دونت في صحيحي البخاري ومسلم بشكل خاص وبقاكي كتب الحديث بشكل عام، وقد جعلت الرسالة التي بين أيديكم أساسها من صحيحي البخاري ومسلم، فجعلتها على ثلاثة أقسام .

أما القسم الأول: فهو القسم الذي ظهر وانقضى وفق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها: بداية الخلق، وذكر أحوال بعض الأنبياء، وبعض أحوال بني إسرائيل، وذكر قصص أقوام بعض الأنبياء .

ثم انتقلت إلى القسم الثاني: وهو أحاديث غيبية ظهرت وانتهت وأخرى لم تنته بعد والتي تحدث في بعضها عن الإسراء والمعراج، وعن الموت، وبعثته عليه صلى الله عليه وسلم وموته، وتضييع الأمانة، وتوسيد الأمر إلى غير أهله، ورفع العلم، وكثرة الجهل، وغيرها من الأحاديث الغيبية التي انقضت والتي مازالت تظهر .

ثم ختم رسالتي بالقسم الثالث والأخير: والذي تحدثت فيها عن أحاديث غيبية لم تظهر ولكن لا بد من ظهورها وتحققها وذكر منها الأمور العظام والجسام التي لم تظهر بعد والتي يعقبها قيام الساعة، ومنها: المهدي، وخروج المسيح الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، والدابة، وخروج الشمس من مغربها، ونحو ذلك . فالله عز وجل بعث رسوله صلى الله عليه وسلم دالاً على الخير محذراً من الشر .

وقد دلّ الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه على المنهج الأمثل الذي ينبغي أن يسلكوه في الوقائع التي وقعت في عصره صلى الله عليه وسلم، وفي إخباره بالمغيبات المقبلة توجيه للذين جاؤوا من بعده من أمته كيف يتصرفون حيال الأحداث التي قد يخفى عليهم وجه الحق فيها، ومما ظهر من الغيبات التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم ووقوع تلك المغيبات على النحو الذي حدثت به الأخبار هي من دلائل صدقه ومعجزاته صلى الله عليه وسلم يثبت الإيمان ويقويه، فالمسلمون في كل عصر يشاهدون وقوع أحداث مطابقة لما أخبرت به النصوص الصادقة، فقد شاهد الصحابة انتصار الروم على الفرس، ثم انتصر المسلمون على الفرس والروم، وظهر الإسلام على جميع الأديان، وكذلك الحال في كل عصر، يشاهد المسلمون وقائع وأحداثاً جاءت بها الأخبار، هذه الأمور تجعلنا نعتبر، بل لا بد أن نعتبر، وهناك عبر كثيرة تحدث الآن، لكن ما أكثر العبر، وما أقل المعبرين، (إِنْ يَمَسُّكُمْ كَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ كَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران: ١٤٠).

غنى بعد فقر، وفقر بعد غنى، شدة بعد رخاء، ورخاء بعد شدة، مرض بعد صحة، وصحة بعد مرض، وخوف بعد أمن، وأمن بعد خوف، والدنيا تتقلب بأهلها، والله يصرف الأمور سبحانه وتعالى، ومن العبر كيف أهلك الله الطغاة من فرعون وقومه، وقوم نوح، وقوم عاد، وقوم ثمود، ولا شك أن هذا له أثر كبير في تثبيت المؤمن على إيمانه، وقد يكون ذلك:

- مدخلاً لدعوة الآخرين إلى هذا الحق الذي جاءنا من ربنا، فالقيامة وأهوالها من الغيب الذي أخبرنا به الله ورسوله، والإيمان به إحدى دعائم الإيمان، ووقوع الوقائع في الدنيا على النحو الذي جاءت به النصوص دليل واضح بين على صدق كل الأخبار ومنها أخبار الساعة.

- لذلك يجب علينا أن نتعلم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،
- نشر العلم، والدورات العلمية، وكتب العلم، ونغشى حلق العلماء، وطلبة العلم، فأكثر الناس ثباتاً وأعظمهم بصيرة في زمن الفتن، أكثرهم علماً ومعرفة بما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع ما سيقع من الفتن والأهوال كل هذه الأمور تجعل المؤمن يحقق الركن السادس من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر والذي يؤدي إلى الاجتهاد في الأخذ بأسباب النجاة، واستفراغ الوسع في الاستعداد للقاء الله تعالى بالعبادة والأعمال الصالحة.

النتائج

- ١ . الإيمان بالغيبات الماضية والحاضرة، وبالأخص المستقبلية منها؛ هو إيمان باليوم الآخر، والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان .
- ٢ . الإيمان بالغيبات يقوم على التسليم للوحي والإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الغيب؛ فالمعرفة الغيبية تبدأ وتنتهي من دلالة النصوص الشرعية .
- ٣ . العلم بجميع الغيبات الماضية والحاضرة والمستقبلية بالتفصيل والكمال؛ هو مما اختص به مولانا جل جلاله، ولا يشاركه أحد فيها أحد إلا من ارتضى من رسول وذلك مما علمه الله سبحانه وتعالى، ونبينا صلى الله عليه وسلم ممن اختصه الله عز وجل بكثير من الأمور الغيبية .
- ٤ . إن كثرة الأحاديث الغيبية التي ذكرها نبي الله صلى الله عليه وسلم، في مراحل سبقت وجوده في الدنيا وخلال فترة الرسالة وما بعدها، ودقة حدوث ما أخبر عنه، لدليل على أنه نبي مرسل من الله تعالى، فلا يمكن لأحد أن يأتي بهذا الكم من الأحاديث دون خطأ .
- ٥ . موت النبي صلى الله عليه وسلم من أشد الفتن قساوة على هذه الأمة، فبموته انقطع الوحي وأظلمت الدنيا وذهب بريقها فكانت أعظم وأشد فتنة أصيب بها المسلمون .

٦ . عمر الأمة المحمدية وعمر الدنيا لم يثبت في تحديده حديث صحيح إنما كان الاعتماد على أحاديث مرتبتها لا تصل إلى الصحيح، واعتمادهم على الأمور الحسابية.

٧ . ليس معنى أن اقتراب انتهاء الدنيا وقرب القيامة أن نركن إلى واقعنا وأن نترك العلم الدنيوي، فعلى العكس علينا أن نضاعف جهدنا في العمل الدنيوي والأخروي تنفيذاً لوصية النبي صلى الله عليه وسلم، من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيدَ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةً، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرَسَهَا فَلْيَفْعَلْ"¹.

٨ . الأمة المحمدية أمة مرحومة، فهي في الجنة بإذن الله وإن وردت على النار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، في الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ إِنَّمَا عَذَابُهُمْ فِي الدُّنْيَا الْقَتْلُ وَالْبَلَاءُ وَالزَّلَازِلُ"².

٩ . باب التوبة لا يغلق إلا إذا طلعت الشمس من مغربها؛ فإذا طلعت أغلق باب التوبة إلى يوم القيامة.

١٠ . لم يبق على بدئ الأمور العظام التي حدثنا عنها النبي صلى الله عليه وسلم من ظهور المهدي عليه السلام والدجال ونزول عيسى على نبينا وعليه

¹ مسند الإمام أحمد بن حنبل، كتاب المكثرين من الصحابة، باب مسند أنس بن مالك رضي الله عنه (٣/١٩١).

² المرجع السابق، مسند الكوفيين (٤/٤١٠).

الصلاة والسلام إلا الشيء اليسير، وذلك من خلال مطابقة أحاديث النبي
صلى الله عليه وسلم بالواقع الذي نراه، فإننا نرى أن الصورة التي رسمها لنا
النبي صلى الله عليه وسلم أصبحت واضحة لتحقق ما أخبرنا عنه .
١١ . القيامة لا تقوم إلا على شرار الناس الذين لا يعلمون شيئاً عن الإسلام
والإيمان .

التوصيات

- ١ . ينبغي إنشاء لجنة من كبار العلماء في العالم الإسلامي، وإقامة الدورات واللقاءات الدينية التي تشجع طلاب العلم على البحث والتقصي والاستنباط من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لتنبيه الناس على حال الأمة وما آل إليه حالها وكشف اللثام عما غاب من بيان في الأحاديث الغيبية .
- ٢ . التأكيد على أنه ما ثبت بدليل عقلي يقيني لا يتعارض أبداً مع الدليل النبوي الصحيح إذ لا تعارض بينهما .
- ٣ . ترسيخ الاعتقاد الصحيح بكمال الدين الحق في نفوس الناس وعظمة القرآن الكريم والأحاديث النبوية لغلغ أبواب الرجم والتنبيؤ الكاذب والادعاء وخاصة في المسائل الغيبية والتي تتعلق بالمهدي وبعمر الدنيا .
- ٤ . التسلح بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من أمور غيبية مستقبلية، وأن كل مُنكر للأحاديث الصحيحة إنما هو أداة من أدوات الشيطان يغوي به الناس ويصرفهم عن الحق اعتقاداً وعملاً .

فهرس الآيات

الرقم	الآية	رقم	السورة
١	ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ	٤٢	ص
٢	اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	٣٥	النور
٣	الَّذِي يَصِلَى النَّارَ الْكُبْرَى	١٢	الأعلى
٤	الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ	٢٨	الرعد
٥	الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ	٣	البقرة
٦	الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ آل عمران		
٧	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَافِرِينَ	١٤٥	النساء

النمل	٢٠	أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ	٨
التوبة	١١١	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ	٩
النبأ	٤٠	إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَدَا بَا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا	١٠
الفرقان	١٢	إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهُمْ تَغِيظًا وَزَفِيرًا	١١
الأنبياء	١	أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ	١٢
الصفات	٢٢ - ٢٣	احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَاهُ جَهَنَّمَ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ	١٣
ص	٢٦	إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ	١٤
فاطر	٦	إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ	١٥
الحجر	٤٠	إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ	١٦

الحجرات	١٠	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	١٧
الحج	٧٠	أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ	١٨
فاطر	٦	إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ	١٩
البقرة	١٥٩	إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ	٢٠
الحاقة	٢٢ - ٢٣	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ	٢١
النجم	١٦	إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ	٢٢
الأنبياء	١ - ٢	أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ	٢٣
آل عمران	١٤٠	إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْآيَاتُ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ	٢٤
المرسلات	٤١	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ	٢٦

<p>المزمل</p>	<p>٢٠</p>	<p>إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَتُلُتُهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقَدَّمُوا لِنَفْسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ</p>	<p>٢٧</p>
<p>البقرة</p>	<p>٢٥٩</p>	<p>أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَّا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ</p>	<p>٢٨</p>

النساء	٤٨	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا	٢٩
يونس	٩١	الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ	٣٠
القيامة	٦ - ٥	بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ	٣١
البقرة	٢٥٣	تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَآيَدْنَاهُ رُوحَ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ	٣٢
المؤمنون	١٣	ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ	٣٣
النجم	٨ - ١٠	ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ	٣٤
الأعراف	١٧	ثُمَّ لَا تَبِيبُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ	٣٥

الأنبياء	٩٦ - ٩٧	حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ	٣٦
الرحمن	١٤	خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ	٣٧
الأنعام	١٠٢	ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ	٣٨
الطلاق	٢	ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ	٣٩
الدخان	٤٩	ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ	٤٠
آل عمران	١٤	زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ	٤١
المعارج	١ - ٤	سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ	٤٢
الأعلى	١ - ٢	سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى	٤٣

الأنعام	٧٣	عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ	٤٤
الجن	٢٦ - ٢٧	عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿١٣﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يُسَلِّكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا	٤٥
الواقعة	١٥	عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ	٤٦
مريم	٥٩	فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا	٤٧
السجدة	١٧	فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	٤٨
الليل	٥ - ١٠	فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾	٤٩
الروم	٣٠	فَطَرَتِ اللَّهُ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا	٥٠
مريم	٥٩	فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا	٥١
الصافات	٨٣	فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ	٥٢

آل عمران	٣٦	فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْإُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ	٥٣
الطلاق	٣ - ٢	فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٦﴾ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا	٥٤
الأحقاف	٢٤	فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمَطِّرٌ نَّابِلٌ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ	٥٥
فصلت	١٥ - ١٦	فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَن أَشَدُّ مَنَاقِبَةً أَوْلَمْ يَرَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَّرَصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنَذِيْقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابَ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ	٥٦

<p>الكهف</p>	<p>- ٨٥ ٩٥</p>	<p>فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُتَّخَذُ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنْتَ طَلَمْتَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَإِنَّمَا أَنْتَ آمِنٌ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوحَ وَمَا جُوحٌ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا</p>	<p>٥٧</p>
--------------	--------------------	--	-----------

العنكبوت	٤٠	فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	٥٨
الدخان	١٠ - ١١	فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ	٥٩
مريم	٦٨	فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّاهُم وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنَنْحَضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جثِيًّا	٦٠
الحاقة	٢٢ - ٢٣	فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ	٦١
الإنشقا ق	٧ - ٨ ٩ -	فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا	٦٢
البقرة	٨٦	فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ	٦٣
الرحمن	٦٨	فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ	٦٤
الواقعة	٣٦ - ٣٧	فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أُنثَرًا	٦٥
يونس	٥٨	قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ	٦٦

النمل	٦٥	قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ	٦٧
الأعراف	١٨٧	قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ	٦٨
الأعراف	١٨٨	قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ	٦٩
السجدة	١١	قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ	٧٠
الأنبياء	٦٣	قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ	٧١
الكهف	٦٩	قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا	٧٢
الأنعام	١٦٤	قُلْ أَعِيََّرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ	٧٣

المائدة	٥٩ - ٦٠	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَ كُفْرًا فَمَا سِقُونَ (٥٩) قُلْ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ	٧٤
هود	٧٣	قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ	٧٥
الأنبياء	٦٣	قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ	٧٦
الناس	١ - ٦	قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ	٧٧
الإسراء	٦٢	قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْت عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا	٧٨
المؤمنون	١٠٨	قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ	٧٩
غافر	٥٠	قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ	٨٠
المطففين	١٥	كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ	٨١

آل عمران	١١٠	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ	٨٢
القيامة	٢٦ - ٣٠	كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ لَهَا مَرْاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالتَّتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَ مِذْيَ السَّاقِ	٨٣
المجادلة	٢١	كَتَبَ اللَّهُ لِلْعَلِينَ أَنَا وَرُسُلِي	٨٤
الأنبياء	٩٧	كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ	٨٥
الرحمن	٥٨	كَانَتْ هُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ	٨٦
الحشر	١٤	لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ	٨٧
الحديد	٢٣	لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَافَاتِكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ	٨٨
آل عمران	١٦٤	لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ	٨٩

البقرة	١٧٧	لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ	٩٠
المتحنة	٦	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ	٩١
الرعد	٣٤	لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ	٩٢
طه	١٠٧	لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا	٩٣
الواقعة	٥١ - ٥٦	لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥١﴾ فَمَا لُتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٢﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَمِيمِ ﴿٥٤﴾ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ	٩٤
آل عمران	١٦٤	لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ	٩٥
البقرة	١٧٧	لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ	٩٦
الغاشية	٦ - ٧	لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ	٩٧

طه	٥٥	مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى	٩٨
الفتح	٢٩	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا	٩٩
محمد	١٥	مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ	١٠٠
النساء	١٤٧	مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا	١٠١
الأنعام	٣٨	مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ	١٠٢
إبراهيم	٤٣	مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفِيدَتْهُمْ هَوَاءٌ	١٠٣

الطور	٢٠	مُتَّكِبِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ	١٠٤
البقرة	٢١٠	هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ	١٠٥
يس	٥٦	هُمْ وَأَزَّوَّجَهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرْضِ مِمَّا مَتَّكِنُونَ	
الحشر	٢٢	هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ	
الأنعام	١٥٨	هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ	
آل عمران	٣٨	هَذَا لَكَ دَعَاؤُكَ يَا رَبُّ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ	٢٧
الجمعة	٢	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ	
النمل	٧٥	وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ	٢٨

الكهف	٢٣ - ٢٤	وَلَا تَقُولنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُ عَدَا ﴿٣٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا	
البقرة	١٤٣	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِعَ إِيمَانَكُمْ إِنْ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ	٢٩
عبس	٤٠	وَوَجُوهُ يَوْمٍ مُدِّعِيهَا غِرَّةٌ	٣٠
البقرة	١٢٧	وَإِذِ رَفَعَ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ	٣١
الأنبياء	٨٣	وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ	٣٢
الإسراء	٨٥	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا	٣٣
الإسراء	٥٥	وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ ذِكْرًا	٣٤

الإسراء	٣٦	وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا	٣٥
الإسراء	٧٠	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا	٣٦
الشورى	١٠	وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ	٣٧
الإسراء	٢٣	وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِذَا بَلَغْنَ عِنْدَكَ الْأَكْبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا	٣٨
المؤمنون	٨	وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ	٣٩
البقرة	١٨٦	وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ	٤٠
الأعراف	١٥٦	وَكَتُبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالَ عَدَايَ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ	٤١
الذاريات	٥٥	وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ	٤٢

النساء	٩٣	وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا	٤٣
الزلزلة	٨	وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ	٤٤
التوبة	١١٨	وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ	٤٥
الكهف	٦٨	وَكَيفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا	٤٦
الصفات	١٧١ - ١٧٣	وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ	٨٤
الانبياء	٣٤ - ٣٥	وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَاللَّيْنَاتُرُ جَعُونَ	٨٥
النجم	١٣	وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ	٨٦
الشورى	٥١	وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ	٨٧
القيامة	٢٢ - ٢٣	وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ	٨٨

القلم	٤	وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ	٨٩
الحشر	١٠	وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ	٩٠
الواقعة	٨٤	وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ	٩١
المنافقون	١٠	وَأَنْفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ	٩٢
آل عمران	١٦٩	وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ	٩٣
الإسراء	٣٦	وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا	٩٤
المعارج	٢٤ - ٢٥	وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ	٩٥
آل عمران	١٦١	وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ وَمَنْ يُغْلَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	٩٦
الأنبياء	٤٧	وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ	

الأعلى	١٧	وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى	٩٧
الحجرات	٩	وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ	٩٨
الروم	٥ - ٤	وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ	٩٩
المدثر	١٢ - ١٤	وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا	١٠٠
الأعراف	٢٠٠	وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	١٠١
هود	٧	وَكَانَ عَرَشُهُ عَلَى الْمَاءِ	١٠٢

الأحقاف	٢٩ - ٣٢	وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّندِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمِ مَنآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمِ مَنآ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّن عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُو لِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ	١٠٣
النساء	١	وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْضَ حَامٍ	١٠٤
الكهف	٤٩	وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا	١٠٥
الأنعام	٥٩	وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الدَّرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ	١٠٦
يونس	٩٩	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ	١٠٧
السجدة	١٣	وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ	١٠٨
فاطر	٤٤	وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا	١٠٩

الطلاق	٣	وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ	١١٠
الأطفال	٦٠	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ	١١١
الحشر التغابن	٩ و ١٦	وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	١١٢
محمد	٣٨	وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ	١١٣
الطلاق	١٢	وَلِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا	١١٤
غافر	٣١	وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ	
طه	١١٢	وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا	
الأعراف	٣٤	وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ	١٥٨
الذاريات	٥٦	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	١٥٩
آل عمران	٨٥	وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ	١٦٠
النساء	١٥٩	وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا	١٦١

الإسراء	٧ - ٤	<p>وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَ مَا أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا</p>	١٦٢
الأعراف	١٦٧	<p>وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ</p>	١٦٣
الكهف	٩٩	<p>وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا</p>	١٦٤
النمل	٨٢	<p>وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ</p>	١٦٥
الذاريات	٥٦	<p>وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ</p>	١٧١
البقرة	٧٣	<p>وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ</p>	١٧٢
الانفطار	٤	<p>وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ</p>	١٧٣

يس	٥١	وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ	١٧٤
طه	١٢٤ - ١٢٦	وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى	١٧٥
الفجر	٢٢	وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا	١٧٦
النمل	٨٩	وَهُمْ مِّنْ فَرَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ	١٧٧
الفرقان	٢٧	وَيَوْمَ يَعْزُضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا	١٧٨
الزمر	٤٧	وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَّلَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ	١٧٩
يونس	٢٧	وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	١٨٠
محمد	١٢	وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مُنْوَىٰ لَهُمْ	١٨١

الحج	١٨	وَمَنْ يُهِنِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ	١٨٢
الفرقان	٢١ - ٢٣	وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا	١٨٣
البقرة	١٦٥ - ١٦٧	وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا أَوْرَأُ وَالْعَذَابُ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ	١٨٤
فصلت	٢١	وَقَالُوا الْجُلُودُ هُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ	١٨٥
الواقعة	٤١ - ٤٤	وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ	١٨٦

المرسلات	٢٨ - ٣٣	وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انْطَلِقُوا إِلَى طِيلٍ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ	١٨٧
الكهف	٥٣	وَرَأَى الْمَجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا	١٨٨
الحجر	٤٣ - ٤٤	وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ	١٨٩
مريم	٧١	وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَاوِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا	١٩٠
غافر	٤٩	وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ	١٩١
الزخرف	٧٧	وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ	١٩٢
الإسراء	٧٩	وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا	١٩٣
الحجر	٤٧	وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ	١٩٤

الزمر	٧٣	وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ	١٩٥
الأعراف	٤٦ - ٤٧	وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَاوُا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ	١٩٦
آل عمران	١٣٣	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ	١٩٧
يوسف	١٠	وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ	
البقرة	١٩٧	وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى	
الانعام	٢٩	وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ	
البقرة	٩٦	وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ حِجْهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ	١٩٩
الواقعة	٢١	وَلَحِمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ	٢٠٠

الإنسان	١٥	وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا	٢٠١
فاطر	٣٦	وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ	٢٠٣
الصالفا ت	٤٨	وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ	٢٠٤
الإنسان	١٩	وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا	٢٠٥
القيامة	٢٢ - ٢٣	وَجُوهُهُمْ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ	٢٠٦
طه	١٢٤ - ١٢٦	وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى	٢٠٧
الأنعام	٣٨	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ	٢٠٨
الانشقاق	١٠	وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ	٢٠٩

المعارج	٤٣	يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ	٢١٠
ق	٤٢	يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ	٢١١
طه	١٠٨	يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا	٢١٢
الحاقة	١٨ - ٣٣	يَوْمَئِذٍ تَعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مَا أقرءوا كِتَابِيَهُ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهُ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهُ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَهُ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهُ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهُ ﴿٢٩﴾ خذوه فغلوه ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوه ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ	٢١٣
التحريم	٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اقْوَا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ	٢١٤

الحديد	١٢ - ١٣	يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ	٢١٥
مريم	٨٥	يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا	٢١٦
الزخرف	٧١	يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَبِهُ الْإِنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	٢١٧
البقرة	٤٧	يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ	٢١٨
الأحزاب	٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا	٢١٩
يوسف	٨٧	يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَّاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ	٢٢٠

الأعراف	١٨٧	يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ	٢٢١
ق	٣٠	يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ	٢٢٢
آل عمران	٣٠	يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا	٢٢٣
المائدة	١٠١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ	٢٢٤
الجمعة	٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ	٢٢٥
آل عمران	١٥٤	يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ	٢٢٦
الأعراف	٣١	يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ	٢٢٧
البقرة	٢٧٦	يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ آثِيمٍ	٢٢٨

النساء	٢٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا	٢٢٩
--------	----	---	-----

فهرس الأحاديث

- (١) إن الله عز وجل وكل بالرحم
- (٢) أن خلق أحدكم يجمع
- (٣) إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون
- (٤) أن النطفة تقع في الرحم
- (٥) أن ملكاً وكل بالرحم
- (٦) أطفال المؤمنين
- (٧) أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام
- (٨) إن الغلام الذي قتله الخضر
- (٩) احتج آدم وموسى
- (١٠) أحب الصلاة إلى الله
- (١١) أن نملة قرصت نبياً
- (١٢) أي العمل أحب إلى الله
- (١٣) أن امرأة بغياً رأت
- (١٤) أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى
- (١٥) إن الدنيا حلوة خضرة
- (١٦) أن رجلاً كان قبلكم رغبه
- (١٧) أن رجلاً فيمن كان قبلكم راسه الله مالاً
- (١٨) أن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض ثمود

- (١٩) إذا عصفت الريح
- (٢٠) اعدد ستاً بين يدي الساعة
- (٢١) أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل
- (٢٢) اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض
- (٢٣) إن الله عز وجل لا ينام
- (٢٤) إنكم سترون ربكم
- (٢٥) إذا دخل أهل الجنة الجنة
- (٢٦) إن له مرضعاً في الجنة
- (٢٧) إن خيركم قرني
- (٢٨) أرأيتكم ليلتكم هذه
- (٢٩) ألم تروا الإنسان
- (٣٠) إذا وضعت الجنابة
- (٣١) إن أحدكم إذا مات
- (٣٢) العبد إذا وضع في
- (٣٣) إن الميت ليعذب
- (٣٤) إن الله ليزيد الكافر عذاباً
- (٣٥) أخذ الراية زيد فأصيب
- (٣٦) أما إنه من أهل النار
- (٣٧) إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة

- (٣٨) أرواحهم في جوف طير خضر
(٣٩) ائذن له وبشره بالجنة
(٤٠) أتدرون من المفلس
(٤١) إن أول الناس يقضى يوم القيامة
(٤٢) إنما ذلك العرض
(٤٣) اللهم إني أعوذ بك من المأثم
(٤٤) الشهيد يشفع
(٤٥) أسرعن لحاقاً بي أطولكن يداً
(٤٦) إن الزمان قد استدار كهيئته
(٤٧) إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة
(٤٨) إن جبريل كان يعارضني القرآن
(٤٩) إن ابني هذا سيد
(٥٠) اهدأ فما عليك إلا نبي
(٥١) اهتز عرش الرحمن
(٥٢) اللهم اهد أم أبي هريرة
(٥٣) أيكم يبسط ثوبه
(٥٤) اثتوا روضة خاخ
(٥٥) اذهب بنعلي هاتين
(٥٦) إنها مباركة إنها طعام طعم

- (٥٧) آية ما بيننا وبين المنافقين
- (٥٨) إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب
- (٥٩) إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه
- (٦٠) إنا كنا في الجاهلية وشر
- (٦١) أحصوا لي
- (٦٢) إذا نودي للصلاة، أدبر الشيطان
- (٦٣) إن إبليس يضع عرشه على الماء
- (٦٤) إن عرش إبليس على البحر
- (٦٥) إن للشيطان لمة
- (٦٦) أتاني داعي الجن
- (٦٧) إن عفريتاً من الجن تفلت
- (٦٨) إن عدو الله إبليس
- (٦٩) إنني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم
- (٧٠) إنني فرطكم على الحوض
- (٧١) إن الله يقول يوم القيامة
- (٧٢) أنت مع من أحببت
- (٧٣) أن رجلاً زار أخاً له
- (٧٤) إذا أحب الله العبد نادى جبريل
- (٧٥) إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم

- (٧٦) إن الله عز وجل يقول يوم القيامة، يا ابن آدم
- (٧٧) إنك سألت الله لآجال مضروبة
- (٧٨) إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن
- (٧٩) أنا عند ظن عبدي بي
- (٨٠) إذا فتحت عليكم فارس
- (٨١) إنكم ستفتحون مصر
- (٨٢) إنه لم يكن نبي قبلي
- (٨٣) اللهم بارك لنا في شامنا
- (٨٤) الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسوله
- (٨٥) إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك
- (٨٦) إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم
- (٨٧) إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد
- (٨٨) إن الله ورسوله حرم بيع الخمر
- (٨٩) أين أراه السائل عن الساعة
- (٩٠) أن الأمانة نزلت في جذر
- (٩١) إن بين يدي الساعة أياماً
- (٩٢) إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً
- (٩٣) إن بني قنطوراء
- (٩٤) إنه يستعمل عليكم أمراء

- (٩٥) أول جيش من أمتي
- (٩٦) إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار
- (٩٧) إن وجدتموه فاجعلوه بين حزمتي حطب
- (٩٨) إنما بقاءكم فيما سلف قبلكم
- (٩٩) العبادة في الهرج كهجرة إلي
- (١٠٠) الناس تبع لقريش
- (١٠١) العجب إن ناساً من أمتي يؤمنون بالبيت
- (١٠٢) المهدي منا أهل البيت
- (١٠٣) اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر
- (١٠٤) إن الله ليس بأعور
- (١٠٥) إن مع الدجال إذا خرج ماء وناراً
- (١٠٦) إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبداً لي
- (١٠٧) إن أول الآيات خروجاً
- (١٠٨) إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات
- (١٠٩) إن الله يبعث ريحاً من اليمن
- (١١٠) أنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات
- (١١١) أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا
- (١١٢) إذا كان يوم القيمة ماج الناس
- (١١٣) المؤذنون أطول الناس أعناقاً

- (١١٤) السلام عليكم دار قوم مؤمنين
- (١١٥) أنا سيد الناس يوم القيامة
- (١١٦) أن الله يقول لأهل النار عذاباً
- (١١٧) إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهودياً
- (١١٨) إن الله لا يظلم
- (١١٩) اشتكت النار إلى ربها
- (١٢٠) ألا أخبركم بأهل الجنة
- (١٢١) إن رجالاً يتخوضون
- (١٢٢) إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة
- (١٢٣) أريت النار فإذا أكثر أهلها
- (١٢٤) أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بما ذاك
- (١٢٥) انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى
- (١٢٦) أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء
- (١٢٧) أول زمرة تدخل الجنة
- (١٢٨) إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء
- (١٢٩) إن في الجنة باباً يقال له الريان
- (١٣٠) أما أهل النار الذين هم أهلها
- (١٣١) إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة
- (١٣٢) إن اسمي محمد

- (١٣٣) إن في الجنة لسوقاً
- (١٣٤) إن في الجنة لشجرة
- (١٣٥) أول زمرة تدخل الجنة من أمتي
- (١٣٦) الخيمة درة مجوفة
- (١٣٧) أنزلت علي أنفاً
- (١٣٨) أتيت على نهر حافته قباب اللؤلؤ
- (١٣٩) إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة
- (١٤٠) إذا دخل أهل الجنة الجنة
- (١٤١) إنكم سترون ربكم
- (١٤٢) بينا أيوب يغتسل
- (١٤٣) بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث
- (١٤٤) بينما رجل يسوق بقرة
- (١٤٥) بينا راع في غنمه عدا عليه الذئب
- (١٤٦) بينما رجل يمشي بطريق اشتد
- (١٤٧) ينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك
- (١٤٨) بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار
- (١٤٩) بينا أنا نائم إذ رأيتني في الجنة
- (١٥٠) بادروا بالأعمال فتناً
- (١٥١) بدأ الإسلام غربياً

- (١٥٢) بعثت أنا والساعة كهاتين
(١٥٣) بينما أنا نائم أطوف بالكعبة
(١٥٤) بادروا بالأعمال ستاً
(١٥٥) تلك الكلمة يسمعها
(١٥٦) تسموا باسمي
(١٥٧) ترك قتلى بدر ثلاثاً
(١٥٨) تلقت الملائكة روح رجل
(١٥٩) تلك الروضة الإسلام
(١٦٠) تقيء الأرض أفلاذ كبدها
(١٦١) تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس
(١٦٢) تفتح اليمن فيأتي قوم
(١٦٣) تعوذوا بالله من الفتن
(١٦٤) تمرق مارقة
(١٦٥) تجدون الناس معادن
(١٦٦) تخرج الدابة فتسم الناس
(١٦٧) تحشرون حفاة عراة غرلاً
(١٦٨) تدني الشمس يوم القيامة من الخلق
(١٦٩) تجد من شرار الناس يوم القيامة
(١٧٠) ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها

- (١٧١) ثم يرسل الله ريحاً باردة
- (١٧٢) جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا خير البرية
- (١٧٣) حوضي مسيرة شهر
- (١٧٤) حجبت النار بالشهوات
- (١٧٥) خلق الله آدم
- (١٧٦) خرج ثلاثة يمشون
- (١٧٧) خير الناس قرني
- (١٧٨) خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس
- (١٧٩) خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة
- (١٨٠) خلق الله الخلق فلما فرغ منه
- (١٨١) خيار أئمتكم
- (١٨٢) خلق الله آدم على صورته
- (١٨٣) رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق
- (١٨٤) رأس الكفر من ههنا
- (١٨٥) سبعة يظلهم الله في ظله
- (١٨٦) سترتها عليك في الدنيا
- (١٨٧) سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله
- (١٨٨) سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن
- (١٨٩) سلوني فهابوه أن يسألوه

- (١٩٠) ستكون أمراء
- (١٩١) ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم
- (١٩٢) سمعتم بمدينة جانب منها في البر
- (١٩٣) صدقتا إنهم يعذبون
- (١٩٤) صنفان من أهل النار لم أرهما
- (١٩٥) صنفان من أهل النار لم أرهما
- (١٩٦) عذبت امرأة في هرة
- (١٩٧) عرضت علي الأمم فجعل النبي
- (١٩٨) غزا نبي من الأنبياء
- (١٩٩) غير الدجال أخوفني عليكم
- (٢٠٠) فقدت أمة من بني إسرائيل
- (٢٠١) فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة
- (٢٠٢) فتنة الرجل في أهله وماله
- (٢٠٣) فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم
- (٢٠٤) فيطلبه حتى يدركه
- (٢٠٥) فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش
- (٢٠٦) فإن الله قد حرم على النار
- (٢٠٧) فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق
- (٢٠٨) فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون



- (٢٠٩) قام موسى النبي خطيباً في بني إسرائيل فسئل
- (٢١٠) قال سليمان بن داود عليهما السلام
- (٢١١) قمت على باب الجنة
- (٢١٢) كان زكريا نجاراً
- (٢١٣) كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً
- (٢١٤) كان ملك فيمن كان قبلكم
- (٢١٥) كلا إني رأيت في النار
- (٢١٦) كل أمتي معافى إلا المجاهرين
- (٢١٧) كان الرجل فيمن قبلكم، يحفر له في الأرض فيجعل فيه
- (٢١٨) كتب الله مقادير الخلائق
- (٢١٩) كل يعمل لما خلق له
- (٢٢٠) كيف أنت إذا كانت عليك أمراء
- (٢٢١) كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى
- (٢٢٢) كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم
- (٢٢٣) لقد خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره
- (٢٢٤) لم يكذب إبراهيم
- (٢٢٥) لما كان بين إبراهيم وبين أهله
- (٢٢٦) لا تعذبوا بعذاب الله

- (٢٢٧) لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة
- (٢٢٨) لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا
- (٢٢٩) لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته
- (٢٣٠) لما كذبتني قريش قمت في الحجر
- (٢٣١) لا تسبوا أصحابي
- (٢٣٢) لأعطين الراية
- (٢٣٣) لم يبق من النبوة إلا المبشرات
- (٢٣٤) لا يزال الناس يتساءلون
- (٢٣٥) لا تباغضوا
- (٢٣٦) لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة
- (٢٣٧) لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه
- (٢٣٨) لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان
- (٢٣٩) لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض
- (٢٤٠) ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر
- (٢٤١) لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم
- (٢٤٢) لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك
- (٢٤٣) لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً
- (٢٤٤) لا سبق إلا في نصل
- (٢٤٥) لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر

- (٢٤٦) لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس
- (٢٤٧) لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل
- (٢٤٨) لا يزال هذا الأمر في قريش
- (٢٤٩) لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً
- (٢٥٠) لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق
- (٢٥١) لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق
- (٢٥٢) لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل
- (٢٥٣) لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان
- (٢٥٤) لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون
- (٢٥٥) ليلزم كل إنسان مصلاه
- (٢٥٦) ليس من بلد إلا سيطؤه
- (٢٥٧) ليفرن الناس من الدجال
- (٢٥٨) لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون
- (٢٥٩) لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين
- (٢٦٠) لا إله إلا الله ويل للعرب من شر اقرب
- (٢٦١) لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها
- (٢٦٢) لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق
- (٢٦٣) لا تزال عصابة من أمتي
- (٢٦٤) لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض

- (٢٦٥) لا تخيروا بين الأنبياء
- (٢٦٦) لي خمسة أسماء
- (٢٦٧) لكل غادر لواء
- (٢٦٨) ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً
- (٢٦٩) لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا
- (٢٧٠) لقد ظننت يا أبا هريرة
- (٢٧١) مثلي ومثل الناس
- (٢٧٢) ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان
- (٢٧٣) من أتى عرفاً
- (٢٧٤) مر النبي صلى الله عليه وسلم بحائط
- (٢٧٥) ما من شيء لم أكن أريته
- (٢٧٦) ما من عبد يموت له عند الله خير
- (٢٧٧) من طلب الشهادة صادقاً
- (٢٧٨) من أخذ أموال الناس يريد أداءها
- (٢٧٩) ما من يوم يصبح العباد فيه
- (٢٨٠) ما يجد الشهيد من مس القتل
- (٢٨١) ما من يوم يصبح العباد
- (٢٨٢) من اغتسل يوم الجمعة
- (٢٨٣) ما من مسلم يموت يوم الجمعة

- (٢٨٤) مالك؟ يا عائشة أغرت
- (٢٨٥) ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن
- (٢٨٦) من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
- (٢٨٧) ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار
- (٢٨٨) ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة
- (٢٨٩) ما من مولود إلا يولد على الفطرة
- (٢٩٠) منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً
- (٢٩١) ما المسؤول عنها بأعلم من السائل
- (٢٩٢) من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين
- (٢٩٣) من أشرط الساعة
- (٢٩٤) منعت العراق درهمها وقفيزها
- (٢٩٥) من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة
- (٢٩٦) من تاب قبل أن تطلع الشمس
- (٢٩٧) من ظلم قيد شبر من الأرض
- (٢٩٨) ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان
- (٢٩٩) من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله
- (٣٠٠) من يدخل الجنة ينعم
- (٣٠١) نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة
- (٣٠٢) نادى امرأة ابنها وهو في صومعة

- (٣٠٣) نصرت بالصبا
(٣٠٤) نعى النجاشي
(٣٠٥) نحن الآخرون السابقون
(٣٠٦) ناركم هذه التي يوقد ابن آدم
(٣٠٧) ناركم جزء من سبعين جزءا
(٣٠٨) نحن الآخرون الأولون يوم القيامة
(٣٠٩) هلك كسرى
(٣١٠) هل نرى ربنا يوم القيامة
(٣١١) هنيئاً لك يا عبد الله
(٣١٢) هل ترون ما أرى
(٣١٣) هي فتنة هرب و حرب
(٣١٤) هل تدرون مما أضحك
(٣١٥) هل تضارون في رؤية الشمس والقمر
(٣١٦) هذا حجر رمي به في النار
(٣١٧) هو في ضحضاح من نار
(٣١٨) ويح عمار
(٣١٩) والذي نفسي بيده لولا أن رجلاً من المؤمنين
(٣٢٠) والذي نفسي بيده لو ددت أن أقتل في سبيل الله
(٣٢١) ولم تبكي

- (٣٢٢) وإذا أبغض عبداً
- (٣٢٣) والذي نفس محمد بيده ليأتين على أحدكم
- (٣٢٤) والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً
- (٣٢٥) والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل
- (٣٢٦) والذي نفس محمد بيده لأنيته
- (٣٢٧) والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم
- (٣٢٨) ويضرب الصراط بين ظهري جهنم
- (٣٢٩) والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين
- (٣٣٠) ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين
- (٣٣١) والذي نفسي بيده لمناديل سعد
- (٣٣٢) يلقي إبراهيم أباه آزر
- (٣٣٣) يغفر للشهيد
- (٣٣٤) يأتي زمان يغزو فئام من الناس
- (٣٣٥) يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم
- (٣٣٦) يأتي العبد الشيطان فيقول
- (٣٣٧) يا عبادي إني حرمت الظلم
- (٣٣٨) يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته
- (٣٣٩) يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم
- (٣٤٠) يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم،

- (٣٤١) يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان
- (٣٤٢) يتقارب الزمان، ويقبض العلم
- (٣٤٣) يأتي على الناس زمان
- (٣٤٤) يشرب ناس من أمتي الخمر
- (٣٤٥) ينام الرجل النومه
- (٣٤٦) يتقارب الزمان وينقص العمل
- (٣٤٧) يوشك أهل العراق
- (٣٤٨) يكون في آخر الزمان خليفة
- (٣٤٩) يبايع لرجل بين الركن والمقام
- (٣٥٠) يكون في آخر أمتي خليفة
- (٣٥١) يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة
- (٣٥٢) يتبع الدجال
- (٣٥٣) يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل
- (٣٥٤) يفتح يأجوج ومأجوج
- (٣٥٥) يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك
- (٣٥٦) يحشر الناس على ثلاث طرائق
- (٣٥٧) يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء
- (٣٥٨) يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم
- (٣٥٩) يؤتى بجهنم يومئذ

- (٣٦٠) يوتى بالموت كهئة كبش أملح
- (٣٦١) يخرج قوم من النار بشفاة محمد صلى الله عليه وسلم
- (٣٦٢) يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون
- (٣٦٣) يحبس المؤمنون يوم القيامة
- (٣٦٤) يخلص المؤمنون من النار
- (٣٦٥) ينادي مناد إن لكم أن تصحوا

فهرس المراجع

١. "المفردات في غريب القرآن"، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٥٠٢)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة. لبنان، الطبعة: السابعة (٥١٤٣٦ - ٢٠١٥ م).
٢. "التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب"، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت: ٥٥٠٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (٥١٤٢١ - ٢٠٠٠ م).
٣. "إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان" محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت - ٥٧٥١)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، تحقيق محمد حامد الفقي.
٤. "المعجم الفلسفي"، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة: الأولى (٥١٤٠٢ - ١٩٨٢ م).
٥. "الموافقات في أصول الفقه"، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، تحقيق: عبد الله دراز دار المعرفة - بيروت. (المكتبة الشاملة).
٦. "الجامع الصحيح سنن الترمذي" محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، (ت: ٥٢٧٩)، تحقيق: أحمد محمد شاکر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت. (المكتبة الشاملة).
٧. "الرسالة"، محمد بن ادريس الشافعي، (ت: ٥٢٠٤)، تحقق: أحمد محمد شاکر، دار الكتب العلمية. (المكتبة الشاملة).

- ٨ . " السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنىات " ، إبراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة: الأولى (٥١٤٢٩ - ٢٠٠٨م).
- ٩ . " اليوم الآخر في ظلال القرآن "، جمع وإعداد أحمد فائز، مطبعة خالد حسن الطرابيشي، الطبعة الأولى (٥١٣٩٥ - ١٩٧٥م).
- ١٠ . " التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة " أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٥٦٧١هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م).
- ١١ . " الحجّة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة "، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت: ٥٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية - السعودية / الرياض، الطبعة: الثانية (٥١٤١٩ - ١٩٩٩م).
- ١٢ . الشبكة العنكبوتية "نعم نحن السلف
- ١٣ . الشبكة العنكبوتية، الوفاق أون لاين.
- ١٤ . " الشبكة العنكبوتية "ملتقى أهل الحديث، منتدى الدراسات الفقهية".
- ١٥ . الشبكة العنكبوتية"، صفحة ملتقى الأمانى، بعنوان يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدين
- ١٦ . " الشبكة العنكبوتية" صفحة بعنوان بشرى النصر والتمكين.

- ١٧ . " الطبقات الكبرى " ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء ،
البصري ، البغدادي المعروف بابن سعد (ت - ٥٢٣٠هـ) ، تحقيق : محمد عبد
القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة : الأولى ، (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) .
- ١٨ . " الاقناع في قصة إبراهيم عليه السلام ، لبصلاح فايزة .
- ١٩ . " مدونات الجزيرة " مالا تعرفه عن أبي هريرة رضي الله عنه ،
- ٢٠ . موقع على بصيرة " ،
- ٢١ . " المستدرك على الصحيحين " ، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري
(ت - ٤٠٥ هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية -
بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م) .
- ٢٢ . " القادياني والقاديانية دراسة وتحليل " ، أبو الحسن علي الحسيني الندوي (ت -
٥١٤٢٠ هـ) ، الدار السعودية للنشر ، الطبعة : الثالثة (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م) .
- ٢٣ . " أشراف الساعة " ، يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل ، دار ابن الجوزي - المملكة
العربية السعودية ، الطبعة الرابعة (١٤٤١ هـ - ١٩٩٤ م) .
- ٢٤ . " إعلام الموقعين عن رب العالمين " محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدين ابن
قيم الجوزية (ت : ٥٧٥١ هـ) ، تحقيق محمد عبدالسلام إبراهيم ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) .
- ٢٥ . برنامج الشريعة والحياة على قناة الجزيرة .

- ٢٦ . " تذكرة الحفاظ " ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت : ٥٧٤٨هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، الطبعة : الأولى ، (٥١٤١٩ - ١٩٩٨م)
- ٢٧ . " تهذيب التهذيب " ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند ، الطبعة الأولى ، (٥١٣٢٦ - ١٩٠٦م) .
- ٢٨ . تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب " ، لأبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ، "ت - ١٤٢٢هـ" ، الطبعة الأولى - دار الآثار صنعاء
- ٢٩ . " تفسير القرآن " ، أبو المظفر ، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت : ٥٤٨٩هـ) ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن ، الرياض - السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨ - ١٩٩٧م .
- ٣٠ . " تفسير ابن كثير " ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت - ٧٧٤هـ) ، تحقيق عبد العزيز غنيم ، مطبعة الشعب ، القاهرة (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) .
- ٣١ . توضيح الأحكام من بلوغ المرام ، عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، مكتبة الأسد " (١٤٢٣ - ٢٠٠٣) .
- ٣٢ . " حاشية الدرّة المضوية في عقد الفرقة المرضية " ، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني النابلسي الحنبلي (ت - ١١٨٨هـ) ، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي رحمه الله تعالى (ت - ١٣٩٢هـ) .

- ٣٣ . " حاشية السندي على صحيح البخاري " ، محمد بن عبد الهادي السندي المدني ، (ت - ٥١٣٨) ، دار الفكر ، (المكتبة الشاملة) .
- ٣٤ . " دراسات عن البهائية والبابية " مجموعة رسائل لجماعة من الكتاب المسلمين ، طبع المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، (٥١٣٩٧) .
- ٣٥ . " دلائل الإعجاز " ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي أبوبكر ، (ت : ٥٤٧١) تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، الطبعة : الثالثة (٥١٤١٣ - ١٩٩٢ م) .
- ٣٦ . " درء تعارض العقل والنقل " ابن تيمية ، (ت : ٥٧٢٨) ، تحقيق محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة : الثانية (٥١٤١١ - ١٩٩١ م) .
- ٣٧ . دراسات أدبية من الحديث ، للدكتورة رحمة نهدي الريمي ، جامعة أم القرى .
- ٣٨ . " زاد المعاد في هدي خير العباد " ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت - ٥٧٥١) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السابعة والعشرون (٥١٤١٥ - ١٩٩٤ م) .
- ٣٩ . " قوت القلوب في معاملة المحبوب ، للشيخ أبي طالب المكي (ت ٥٣٨٦) ، دار صادر بيروت .
- ٤٠ . " فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي " ، الجزء الثاني ، للعلامة الشيخ عبد الله بن حجازي الشرقاوي ، (ت : ٥١٢٢٧) ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
- ٤١ . " سنن ابن ماجه " ، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ، (ت : ٥٢٧٣) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر - بيروت . (المكتبة الشاملة)

- ٤٢ . " سنن أبي داود " ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، (ت : ٥٢٧٥) ، دار الكتاب العربي بيروت . . (المكتبة الشاملة) .
- ٤٣ . " سنن النسائي الكبرى " ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني ، النسائي (ت : ٥٣٠٣) ، تحقيق : حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة : الأولى ، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م) .
- ٤٤ . " شرح صحيح البخاري لابن بطلال " ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي ، (ت - ٥٤٤٩) ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض الطبعة : الثانية (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م) .
- ٤٥ . " شرح العقيدة الطحاوية " ، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي ، (ت : ٥٣٢١) ، للشيخ خالد بن عبد الرحمن العك ، دار المعرفة بدمشق ، الطبعة : الأولى ، (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م) .
- ٤٦ . " شرح العقيدة الطحاوية " ، سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، دار الصفوة - القاهرة ، الطبعة : الأولى (١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م) .
- ٤٧ . شرح العقيدة الطحاوية " ، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي ، (ت : ٥٣٢١) ، للشيخ صالح بن عبد العزيز ابن محمد آل الشيخ
- ٤٨ . " شرح النووي على مسلم " ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت - ٥٦٧٦) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة : الثانية (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م)
- ٤٩ . شبكة الألوكة ، بعنوان القائل عند فتنة النساء : إنني أخاف الله ، د . محمد ويلالي .

- ٥٠ . شبكة فلسطين للحوار، المحاور العامة، المحور الشرعي، قصة أصحاب الأخدود، عبر وعظات، للأستاذ عصام ريحان .
- ٥١ . شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري، د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير، (شبكة روايتي الثقافية .
- ٥٢ . شبكة روايتي الثقافية .
- ٥٣ . " صحيح البخاري الجامع الصحيح المختصر "، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٥٢٥٦)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة: الثالثة، (٥١٤٠٧ - ١٩٨٧م) .
- ٥٤ . " صحيح مسلم "، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، (ت - ٥٢٦١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت. (المكتبة الشاملة) .
- ٥٥ . " صحيح ابن حبان "، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٥٣٥٤)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، (٥١٤١٤ - ١٩٩٣م) .
- ٥٦ . صفحة الإعجاز الطبي في القرآن الكريم، من موسوعة د. السيد نافع .
- ٥٧ . صفحة الإسلام سؤال وجواب، للشيخ محمد صالح المنجد .
- ٥٨ . صفحة طريق الإسلام، بعنوان " حكم التحريق بالنار " . لأبو محمد بن عبد الله .
- ٥٩ . صفحة طريق الإسلام، طبائع اليهود والنفسية اليهودية، د راجب السرجاني
- ٦٠ . صفحة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، بعنوان من أشرط الساعة: الفتن في هذا الزمان

- ٦١ . عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي " لعثمان جمعة ضميرية، جدة، الطبعة: الأولى (١٤٠٨ - ١٩٨٨ م).
- ٦٢ . " عمدة القاري شرح صحيح البخاري "، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني (ت: ٥٨٥٥) دار إحياء التراث العربي - بيروت . (المكتبة الشاملة).
- ٦٣ . " فقه السيرة " محمد الغزالي السقا (ت - ١٤١٦هـ)، دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى (١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م).
- ٦٤ . " كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف النووي (٦٣١ - ٥٦٧٦هـ: ١٢٣٣ - ١٢٧٧م)، شرح محمد بن صالح بن محمد العثيمين .
- ٦٥ . " فتح الباري، شرح صحيح البخاري "، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٥٨٥٢هـ)، تحقيق، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت . (المكتبة الشاملة).
- ٦٦ . " كتاب المواقف "، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١٨ - ١٩٩٧ م).
- ٦٧ . - "لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية"، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م).
- ٦٨ . " لسان العرب - ابن منظور "، محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، (ت - ٥٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، (١٤١٤ - ١٩٩٣).

- ٦٩ . لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضوية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ٥١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- ٧٠ . ما دل عليه القرآن، للسيد محمود شكري الألوسي، المكتب الإسلامي، دمشق
- ٧١ . "معجم مقاييس اللغة"، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٥٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- ٧٢ . "مختار الصحاح"، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٥٦٧٥هـ)، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- ٧٣ . "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، (ت - ٥٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة الطبعة: الثانية (٥١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م).
- ٧٤ . "مجموع الفتاوى"، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت: ٥٧٢٨هـ)، تحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
- ٧٥ . "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ٥١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).
- ٧٦ . موقع البيان، من مقال بعنوان المرض مرارة في الدنيا وحلاوة في الآخرة.

- ٧٧ . موسوعة الشيخ محمد راتب النابلسي، أحاديث قدسية يا بن آدم مرضت فلم
تعطني
- ٧٨ . موقع الدكتور خالد بن عثمان السبت .
- ٧٩ . موقع الإتحاد بعنوان المتحابون في الله لهم منابر من نور .
- ٨٠ . موقع الدرر السنية، علوي بن عند القادر السقاف، بعنوان ظهور الفتن
- ٨١ . موقع مديرية أوقاف دمشق، الربا/ تاريخ/ أضرار/ حكمة التحريم/ كيفية المعالجة،
أ. خالد القصير
- ٨٢ . موقع دنيا المسلم، بقلم فراس نور الحق
- ٨٣ . كتاب مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز
- ٨٤ . فتح المنعم شرح صحيح مسلم، باب سعة رحمة الله وأنها تغلب غضبه، دار
الشروق، الطبعة الأولى (٥١٤٢٣ - ٢٠٠٢م).